

قصاص

مفاتيح الفرج

وتفريجه المهموم

فضيلة الشيخ
محمود المصيري أبو عمار



مكتبة الصفا

ضياء سجدرة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

قصص
مفاتيح الفرج
وتفريج الهموم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

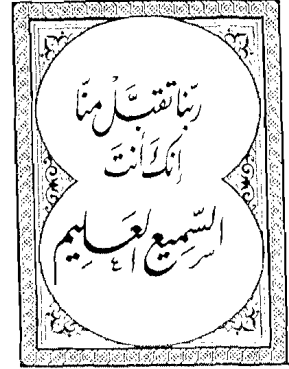
حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

رقم الإيداع: ٢٠١٢/٢٠٧٥٠

أولاد الحاج عيسى أفندي كمال الدين

١٢٧ ميدان الأزهر أمام الجامع الأزهر بالقاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠
الزيب الأثرى خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ لميناكس ٢٥١٤٧٩٧٤



مكتبة الصفا

للنشر والتوزيع

قصص مفاتيح الفرج وتفريج الهموم

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
محمَّد المصِّريِّ أبو عمار

مَكْتَبَةُ الصَّفَا لِلنَّشْرِ وَالتَّوَزُّعِ

تأليفه ٢٠١٤٧٣٢ - تليفه ٢٠١٤٧٩٧٤





بين يدي الكتاب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿١﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿٢﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿٣﴾

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

إن البلاء سنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير... يقول الله ﷻ: ﴿الْمَ﴾ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٤﴾

وقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

(٤) سورة العنكبوت: الآيات: (١-٣).

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١﴾.

وقال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له» (٢).

أخى الحبيب... أختى الفاضلة: إن الحياة لا تخلو من الشدائد وإن الأمل والأمن، والرضا والحب، والسكينة النفسية، ثمار شهية لغراس العقيدة في نفس المؤمن، وذخائر لا تنفذ لإمداده في معركة الحياة، وإنها لمعركة طويلة الأمد، كثيرة التكاليف محفوفة بالأخطار والمشقات.

ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا، وطبيعة البشر فيها، تجعلان من المستحيل أن يخلو المرء فيها من كوارث تصيبه، وشدائد تحل بساحته، فكم يخفق له عمل أو يخيب له أمل، أو يموت له حبيب، أو يمرض له بدن، أو يفقد منه مال.. أو.. إلى آخر ما يفيض به نهر الحياة.. حتى قال الشاعر يصف الدنيا:

جُبلت على كدرٍ وأنت تريدها صفواً من الآلام والأكدار!
ومُكلف الأيام ضد طباعتها متطلبٌ في الماء جذوة نارٍ

وإذا كانت هذه سنة الله في الحياة عامة، وفي الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشد تعرضاً لنكبات الدنيا وويلاتها... إنهم يدعون إلى الله فيحاربهم أنصار الباطل، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أنصار الشر، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر.. وبهذا يحيون في دوامة من

(١) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.



المحن، وسلسلة من المؤامرات والفتن، سنة الله الذى خلق آدم وإبليس، وإبراهيم ونمرود، وموسى وفرعون، ومحمداً وأبا جهل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(١) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٢).

هذا شأن الأنبياء، وشأن ورثتهم، والسائرين على دربهم، والداعين بدعوتهم، مع الطغاة الصادين عن سبيل الله ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٣).

وقد أثبت الاستقراء والمشاهدة أن أشد الناس جزعاً، وأسرعهم انهياراً أمام شدائد الحياة هم الملحدون والمرتابون وضعاف الإيمان. وقد وصف القرآن هذا النموذج من الناس فقال: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوفُ كَافُورٌ﴾^(٤) ﴿وَلِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَكُوفُ قَنُوطٌ﴾^(٥). ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾^(٦). ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٧).

إنهم لا يؤمنون بقدر فيرضوا به، ولا يباله فيطمئنوا إلى حكمته في خلقه، ولا بأنبياء فيجدوا في حياتهم القاسية قدوة وعبرة، ولا بحياة أخرى فتُهَبَّ

(١) سورة الأنعام: الآية: (١١٢).

(٢) سورة الفرقان: الآية: (٣١).

(٣) سورة البروج: الآية: (٨).

(٤) سورة هود: الآية: (٩).

(٥) سورة فصلت: الآية: (٤٩).

(٦) سورة الإسراء: الآية: (٨٣).

(٧) سورة الحج: الآية: (١١).

عليهم نسمايتها منعشة للنفس، وطاردة للكآبة، باعثة للأمل.
 إنهم كسفينة فقدت الدفة والشرع، وكل عوامل الثبات أمام الأمواج
 والعواصف، فهي لأدنى حركة من الريح يشتد اهتزازها وتمايلها، ويحيط
 بها الموج من كل مكان، وسرعان ما تغوص إلى الأعماق!
 ولا غرو أن نجد الانتحار أكثر ما يكون في البيئات التي ضعف دينها أو
 فقدته، فإن لم يكن الانتحار فهو الألم القاتل، والجزع الهالع، والكآبة
 الحزينة، والحزن الكئيب، والحياة التي خلت من معنى الحياة. اهـ.
 ليس من مات فاستراح بميتٍ إنما الميتُ ميت الأحياء
 إنما الميتُ من يعيش كئيبيًا كاسفًا باله قليل الرجاء
 أما المؤمن الواثق في موعود ربه فيتسلى في مصيبيته بعلمه أن الله سوف
 يجبر له كل مُصائب في الجنة^(١).

❁ فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع تلك الباقية العطرة من
 قصص مفاتيح الفرج وتفريج الهموم عسى الله أن يفرج عنا جميع الهموم
 والغموم وأن يجعل دُنيانا كلها سعادة بطاعته والقرب منه (ﷻ).. وأن
 يجعل آخرتنا نعيمًا وسرورًا في جنته التي فيها ما لا عين رأت ولا أُذن
 سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وصلّى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري عفا



فضل الصبر

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١﴾

وقال ﷺ: «.... والصبر ضياءٌ..» (٢).

وقال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له» (٣).

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأةٍ تبكى عند قبر فقال: «اتقي الله واصبري» فقالت: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، ولم تعرفه، ف قيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» (٤).

وفي رواية لمسلم: «تبكى على صبيٍّ لها».

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صَفِيَّةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احتسبه إلا الجنة» (٥).

(١) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٦) كتاب الجنائز.

(٥) صحيح: رواه البخاري (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.

✽ وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ﻻ يترك قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة» ^(١) يريد: عينيه.

✽ وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله تعالى لي قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك» فقالت: أصر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها ^(٢).

✽ وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يُصيب المسلم من نصيب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها» ^(٣).

✽ وقال ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يُصب منه» ^(٤).

✽ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة» ^(٥).

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٦٥٣) كتاب المرضى.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٥٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤١) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب.

- والوصب: المرض.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٥٦٤٥) كتاب المرضى.

(٥) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٠٨).



❁ وقال النبي ﷺ: «إِنْ عَظِمَ الْجَزَاءُ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنْ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السُّخْطُ»^(١).

❁ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةُ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»^(٢).

❁ وقال ﷺ: «إِنْ اللَّهُ تَعَالَى: يَبْتَلِي الْعَبْدَ فِيمَا أَعْطَاهُ، فَإِنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ بَوْرَكَ لَهُ فِيهِ وَوَسَّعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَ لَمْ يُبَارِكْ لَهُ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى مَا كُتِبَ لَهُ»^(٣).

﴿فَضْلُ مَنْ صَبَرَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى﴾

❁ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ابْنُ آدَمَ إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسِبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَابًا دُونَ الْجَنَّةِ»^(٤).

❁ وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمَصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ. فَاتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) حسن: رواه الترمذی وابن ماجه، وحسنه العلامة الألبانی فی صحیح الجامع (٢١١٠).

(٢) صحیح: رواه الترمذی، وأحمد، وصححه الألبانی فی صحیح الجامع (٥٨١٥).

(٣) صحیح: رواه أحمد والبيهقي، وصححه الألبانی فی صحیح الجامع (١٨٦٩).

(٤) صحیح: رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألبانی فی صحیح الجامع (٨١٤٣).

(٥) متفق عليه: رواه البخاری (١٢٨٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٦) كتاب الجنائز.

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

ينبغي للعبد أن لا ينكر في هذه الدنيا وقوع هذه المصائب، فكلُّ ما يظن في الدنيا أنه شراب فهو شراب، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب، وجمعها فهو للذهاب.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تُعْتَوَّرَ فيها الأمراض والأكدار، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون ويلقى من قومه المحن، وعيسى ابن مريم لا مأوى له، إلا البرارى في العيش الضنك، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين يصابر الفقر، وقُتِلَ عمه حمزة وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه... وقد قال النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»^(١).

وهنا قصة عجيبة لابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ: وهى أنه خرج يوماً بأبنته - وكان رئيس القضاة بمصر - فإذا برجل يهودى، فى حالة رثة، فقال لليهودى: قف. فوقف ابن حجر. فقال له: كيف تفسر قول رسولكم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وما أنت ترانى فى حالة رثة وأنا كافر، وأنت فى نعيم وأبهة مع أنك مؤمن؟!.... فقال ابن حجر: أنت مع تعاستك وبؤسك تُعد فى جنة، لما ينتظرك فى الآخرة من عذاب أليم - إن مت كافراً -. وأنا مع هذه الأبهة - إن أدخلنى الله الجنة - فهذا النعيم الدنيوى يُعد

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق، من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

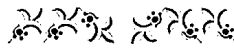


سجنًا بالمقارنة مع النعيم الذي ينتظرني في الجنات.

فقال: أكذلك؟ قال: نعم. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الدنيا سجن المؤمن» فيه تفسيران صحيحان: أحدهما: أن المؤمن قَيِّده إيمانه عن المحظورات، والكافر مطلق التصرف.

الثاني: أن ذلك باعتبار العواقب، فالمؤمن لو كان أنعم الناس فذلك بالإضافة إلى مآله في الجنة كالسجن، والكافر عكسه، فإنه لو كان أشد الناس بؤسًا فذلك بالنسبة إلى النار جنته^(٢).



(١) إنها الجنة يا أختاه/ للمصنف (ص: ٦٦).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٧٧).

لست وحدك أيها المُبتلى

إذا تعرضت للابتلاء فلا تحزن بل اصبر واحتسب واعلم أنك لست وحدك... فكم من مُبتلى في هذا الكون؟!!

- ولك في رسول الله ﷺ القدوة والأسوة وهو مَنْ هو؟ هو رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود ومع ذلك ضُرب النبي ﷺ وشُجَّ وجهه، ووُضع سلى الجزور على ظهره، وحوصر في الشَّعب حتى أكل ورق الشجر، وطُردَ من مكة وهو يبكي ويقول: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ﷺ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت..» بل ورُمى النبي ﷺ في عرض زوجته الشريفة عائشة رضي الله عنها.. ومات أكثر أولاده وبناته في حياته.. وقُتِلَ سبعون من أصحابه.. واتُّهم بأنه شاعر وساحر وكاهن ومجنون.. وجاع حتى ربط الحجر على بطنه، ونام على الحصير حتى أثر في جنبه... وليس هو فحسب بل كل الأنبياء تعرضوا للابتلاءات الشديدة.

قال ﷺ: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلْبًا اشتدَّ بلاءؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»^(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «يا مُخَنَّثَ العزم أين أنت والطريقُ طريقٌ؟! تعبَ فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمى في النار الخليل، وأُضْجِعَ للذبح

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٦٥٣٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة



إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولَبَثَ في السجن بضع سنين، ونُشِرَ بالمنشار زكريا، وذُبِحَ السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ^(١).

✽ وسار على نفس الطريق أصحاب النبي ﷺ فتعرض للإيذاء: أبوبكر وقتل عمر، واغتيل عثمان وطُعن على.... بل وتعرض للإيذاء الشديد الأئمة الكبار الذين جاءوا بعد أصحاب النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(٢).

✽ إذا فلا تحزن!! إذا طَرَقَ البلاء بابك فلست وحدك.. فكم من فقير يعاني من الفقر سنوات طويلة.. وكم من مريض يئن من الألم الذي لا تتحملة أنت؟!.. وكم من محبوس لم ير الشمس منذ سنوات طويلة..؟! وكم من رجل فَقَدَ أولاده وهم في ريعان الشباب؟!.. وكم..؟! وكم..؟! فاصبر واحتسب وارض بقضاء الله فلست وحدك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) «الفوائد» للإمام ابن القيم (ص: ٧٦).

(٢) سورة البقرة: الآية (٢١٤).

ومن يتق الله يجعل له مخرجاً

✽ عن أبي عبيدة، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إن بني فلان أغاروا عليّ، فذهبوا بإبلى وابني، فقال رسول الله ﷺ: «إن آل محمد، لكذا وكذا أهل، ما فيهم مُدّ من طعام، أو صاع من طعام، فسَل الله ﷻ». فرجع إلى امرأته، فقالت: ما قال لك رسول الله ﷻ، فأخبرها. فقالت: نعم ما ردّك إليه.

فما لبث أن ردّ الله عليه إبله أوفر ما كانت، فأتى النبي ﷺ فأخبره. فصعد النبي ﷺ المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وأمر الناس بمسألة الله ﷻ، والرجوع إليه، والرغبة فيه، وقرأ عليهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١) (٢).

✽ وعن أبي الدرداء وسئل عن هذه الآية: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قَالَ: سئل عنها رسول الله ﷺ، فقال: «إِنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْباً وَيَكْشِفَ كَرْباً وَيَرْفَعَ قَوْماً وَيَضَعَ آخَرِينَ» (٣).

✽ وعن محمد بن عبد الكريم، قال: سمعت سعيد بن عنبسة يقول: بينما رجل جالس وهو يعبت بالحصى ويحذف بها، إذ رجعت حصاة منها فصارت في أذنه، فجهد بكل حيلة، فلم يقدر على إخراجها، فبقيت الحصاة في أذنه دهرًا تؤلمه، فبينما هو ذات يوم جالس، إذ سمع قارئًا يقرأ: ﴿أَمَّنْ

(١) سورة الطلاق: الآيتان (٢، ٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (١/ ٧٢٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وروى ابن ماجه (٤١٤٨) بعضه.

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٢٠٢)، وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح سنن ابن ماجه.



يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ .. ﴿١﴾ الآية، فقال الرجل: يا رب أنت المجيب، وأنا المضطر، فاكشف ضُرَّ ما أنا فيه، فنزلت الحصاة من أذنه.

❁ وعن عبد الله بن زيد بن أسلم، عن أبيه زيد عن أبيه أسلم: أن أبا عبيدة حُصر، فكتب إليه عمر: مهما نزل بامرئ من شدة، يجعل له الله بعدها فرجًا، ولن يغلب عُسْرُ يُسرٍ، فإنه يقول: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢﴾.

❁ وعن سهل بن سعد الساعدي: أن رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن عباس: «ألا أعلمك كلمات تنفع بهن» قال: بلى يا رسول الله.

قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة، فإذا سألت، فسل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، جفَّ القلم بما كان وما هو كائن، فلو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله ﷻ لك، لم يقدرُوا عليه، فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين، فافعل، فإن لم تستطع، فإن في الصبر على ما تكره، خيرًا كثيرًا، واعلم أن النضر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا» ﴿٣﴾.

❁ وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المعونة من الله ﷻ، تأتي العبد على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتي على قدر شدة البلاء» ﴿٤﴾.

وربما قال: «إن الفرج يأتي من الله تعالى على قدر شدة البلاء».

(١) سورة النمل: الآية (٦٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية (٢٠٠).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وأحمد، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٣٨٢) باختلاف في إسناده وفي بعض ألفاظه.

(٤) حسن: رواه البزار، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (١٩٦١).

❁ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ نَفَسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(١).

❁ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ ﷻ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ ﷻ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

❁ وقد ذكر النبي ﷺ أمثلة كثيرة في تفريج الهموم لأهل الإيمان والتقوى.. ونذكر منها على سبيل المثال قصة أصحاب الغار فلقد قال النبي ﷺ:

«انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.

قال رجلٌ منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق^(٣) قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بى طلب الشجر يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٣) وقوله: (لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً): أى: ما كنت أقدم عليهما أحداً فى شرب نصيبهما عشاء من اللبن.

الغبوق: شُرب العشاء. الصبوح: شُرب أول النهار. فلم أرح: أى: فلم أرجع.

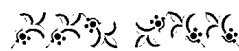
يتضاغون: أى: يصيحون ويستغيثون من الجوع.



الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرج شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى - وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء - فأردتها على نفسها، فامتنعت مني حتى ألفت بها سنة من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها - وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها -، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراً وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلى أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرى: من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال: يا عبد الله! لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزأ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون^(١).



(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤/٢٢١٥/فتح) البيهقي/باب: إذا اشترى شيئاً لغيره، ومسلم (٢٧٤٣) في الذكر والدعاء / باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة.

إذا نزلت بك المصائب فقل: يا الله

يا له من ربٍّ رحيم ودود لطيف شكور... يتودد إلى عباده وهو الغنى عنهم... يأمر بك بأن تدعوه وهو الغنى عن دعائك.

إنه الملك (جل وعلا) الذي يَفْزَعُ إليه المكروب ويستغيث به المنكوب وتلجأ إليه كل المخلوقات.

فإذا نزلت بك النوازل وأحاطت بك المصائب وألّمت بك الخطوب فما عليك إلا أن ترفع أَكْفَ الضراعة لتطلب منه العون والمدد وتمرغ الجبين لتبل الحصى بدموع التوبة والندم وتنخلع من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته وتقول بلسان الحال والمقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ مِنَ الثَّقَةِ إِلَّا بِكَ وَمِنَ الْأَمْلِ إِلَّا بِفِكَ، وَمِنَ التَّسْلِيمِ إِلَّا لَكَ، وَمِنَ التَّوَكُّلِ إِلَّا عَلَيْكَ، وَمِنَ الرِّضَا إِلَّا عَنْكَ وَمِنَ الْأَمْلِ إِلَّا بِفِكَ وَمِنَ الصَّبْرِ إِلَّا عَلَى بَابِكَ، وَمِنَ الذَّلِّ إِلَّا فِي طَاعَتِكَ، وَمِنَ الرَّهْبَةِ إِلَّا لَجَلَالِكَ الْعَظِيمِ، وَمِنَ الرَّجَاءِ إِلَّا لِمَا فِي يَدَيْكَ الْكَرِيمَتَيْنِ.

✽ إذا نزلت بك المصائب فقل: يا الله.

✽ إذا خانك الصديق والرفيق فقل: يا الله.

✽ إذا ضاع المال والعيال فقل: يا الله.

✽ إذا اجتمع عليك أهل الأرض فقل: يا الله.

✽ الزم بابه... وتبتل إليه.... وترقب فتحه ونصره... وارفع إليه أَكْفَ الضَّرَاعَةِ... وأحسن الظن فيه... واطلب منه العون والمدد.

فهو الذي يشفي المريض ويُعافي المبتلى ويسد الدَّين عن المديون

وينصر كل مظلوم ويهدي كل ضالّ ومحروم ويرد الغائب ويفكّ أسر المسجون.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾^(١).

يا صاحب الهمّ إن الهمّ منفرجٌ	أبشر بخيرٍ فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه	لا تيأسنَّ فإن الكافي الله
إذا بُليت فتقٌ بالله وارضَ به	فإن الذي يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة	لا تجزعنَّ فإن الصانع الله
والله مالك غير الله من أحدٍ	فحسبك الله في كلِّ لك الله ^(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة النمل: الآية (٦٢).

(٢) من كتاب (لا تحزن وابتسم للحياة) للمصنف (ص ٦٤٣-٦٤٤).

الأنبياء (صلوات ربي وسلامه عليهم) ورحلة البلاء

وها هي نبذة سيرة عن رحلة البلاء التي تعرض لها أنبياء الله (صلوات ربي وسلامه عليهم) لنعرف أن الطريق إلى الله تعالى ليس مفروشا بالورود والرياحين، وإنما هو طريق مليء بالأشواق.

قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «يا مُخَنَّث العزم أين أنت؟ والطريقُ طريقُ تَعَب فيه آدم، ونوح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضْجِع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمانٍ بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونُشِر بالمنشار زكريا، وذُبِح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضَّرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلوات الله عليه»^(١).

أيها الأخ الحبيب: أما علمت كيف صبر نوح عليه السلام على قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فقابلوا دعوته بالسخرية والاستهزاء... أما علمت كيف وقف هود عليه السلام أمام أمة من أعتى الأمم وصبر على أذاهم... أما علمت كيف ألقى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في النار وكيف جعل الله عز وجل النار عليه بردًا وسلامًا.. بل واشتد البلاء على إبراهيم حينما رأى في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل عليه السلام فاستسما لأمر الله (جل وعلا) فجاءه الفرج من عند الله ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾^(٢).

أما علمت كيف ابتلى يعقوب بفقد يوسف عليه السلام وكيف أن يوسف ألقى في الجُب وبيع بثمانٍ بخسٍ ولبث في السجن بضع سنين... وكيف أن زكريا

(١) الفوائد / للإمام ابن القيم (ص: ٦٧)

(٢) سورة الصافات: الآيات (١٠٤-١٠٧).

﴿نُشِرَ بالمنشار وذُبِحَ يحيى﴾.. وصبر أيوب ﴿عليه السلام﴾ على البلاء سنوات طويلة وحُبس يونس ﴿عليه السلام﴾ في بطن الحوت... فهؤلاء هم صفوة خلق الله، ومع ذلك اشتد عليهم البلاء ليكون لنا فيهم الأسوة والقُدوة فطريق الأنبياء محفوف بالأشواك، لكن عاقبته محمودة لأن نهايته في جنة الرحمن (جل وعلا).

❁ قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:

سبحان المتصرف في خلقه بالاغتراب والإذلال ليلو صبرهم، ويظهر جواهرهم في الابتلاء... هذا آدم ﴿عليه السلام﴾ تسجد له الملائكة، ثم بعد قليل يخرج من الجنة.

وهذا نوح ﴿عليه السلام﴾ يُضْرَبُ حتى يُغشى عليه، ثم بعد قليل ينجو في السفينة ويهلك أعداؤه.

وهذا الخليل ﴿عليه السلام﴾ يُلقَى في النار، ثم بعد قليل يخرج إلى السلامة.

وهذا الذبيح يُضْجَعُ مستسلماً، ثم يَسْلَمُ، ويبقى المدح.

وهذا يعقوب ﴿عليه السلام﴾ يذهب بصره بالفراق، ثم يعود بالوصول.

وهذا الكليم ﴿عليه السلام﴾ يشتغل بالرعى، ثم يرقى إلى التكليم.

وهذا نبينا محمد ﷺ يقال له بالأمس: اليتيم، ويُقَلَّبُ في عجائب يلاقيها من الأعداء تارة، ومن مكائد الفقر أخرى، وهو أثبت من جبل حراء، ثم لما تم له مراده من الفتح، وبلغ الغرض من أكبر الملوك وأهل الأرض، نزل به ضيف النقلة، فقال: «واكرباه».

فمن تلمَّح بحر الدنيا، وعلم كيف تتلقى الأمواج، وكيف يصبر على مدافعة الأيام، لم يستهول نزول بلاءٍ، ولم يفرح بعاجل رخاء^(١).

تفريح هم نبي الله آدم عليه السلام (١)

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى، فِيمَا اقْتَصَّه مِنْ أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ، شِدَائِدَ وَمِحْنًا، اسْتَمَرَّتْ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، وَضُرُوبًا جَرَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ، وَأَعْقَبَهَا بَفْرِجٍ وَتَخْفِيفٍ، وَتَدَارِكِهِمْ فِيهَا بِصُنْعٍ جَلِيلٍ لَطِيفٍ.

فَأُولَ مِمْتَحَنٍ رَضِيَ، فَأَعْقَبَ بِصُنْعٍ خَفِيَ، وَأَغِيثٍ بَفْرِجٍ قَوَى، أَوَّلَ الْعَالَمِ وَجُودًا، آدَمَ أَبُو الْبَشَرِ عليه السلام كَمَا ذُكِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَنَهَاهُ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ، فَوَسَّسَ لَهُ الشَّيْطَانُ، وَكَانَ مِنْهُ مَا قَالَ الرَّحْمَنُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى (١٦١) ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (٢)﴾.

هَذَا بَعْدَ أَنْ أَهْبَطَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَفْقَدَهُ لَذِيذَ ذَلِكَ الْخَفْضِ، فَانْتَقَضَتْ عَادَتُهُ، وَغَلْظَتْ مِحْنَتُهُ، وَقَتَلَ أَحَدَ ابْنَيْهِ الْآخَرَ، وَكَانَا أَوَّلَ أَوْلَادِهِ. فَلَمَّا طَالَ حَزْنُهُ وَبَكَاءُهُ، وَاتَّصَلَ اسْتِغْفَارُهُ وَدَعَاؤُهُ، رَحِمَ اللَّهُ عليه السلام تَذَلُّلَهُ وَخُضُوعَهُ، وَاسْتِكَانَتَهُ وَدُمُوعَهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ، وَكَشَفَ مَا بِهِ وَنَجَّاهُ.

فَكَانَ آدَمَ عليه السلام، أَوَّلَ مَنْ دَعَا فَأُجِيبَ، وَامْتَحَنَ فَأُثِيبَ، وَخَرَجَ مِنْ ضَيْقٍ وَكَرْبٍ، إِلَى سَعَةٍ وَرَحْبٍ، وَسَلَى هُمُومَهُ، وَنَسَى غَمُومَهُ، وَأَيَّقَنَ بِتَجْدِيدِ اللَّهِ عَلَيْهِ النِّعَمَ، وَإِزَالَتِهِ عَنْهُ النِّقَمَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا اسْتَرْحِمَ رَحِمَ.

فَأَبْدَلَهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الشَّدَائِدِ، وَعَوَّضَهُ مِنَ الْإِبْنِ الْمَفْقُودِ، وَالْإِبْنِ الْعَاقِ

(١) قصص تفريح هموم الأنبياء عليهم السلام بتصرف من كتاب الفرج بعد الشدة / للقاضي التنوخي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) سورة طه: الآيتان (١٢١-١٢٢).



الْمَوْجُود، نَبِيَّ اللَّهِ شَيْثَ وَهُوَ أَوَّلُ الْأَوْلَادِ الْبَرَّةِ بِالْوَالِدَيْنِ وَوَالِدِ النَّبِيِّينَ
وَالصَّالِحِينَ، وَأَبُو الْمُلُوكِ الْجَبَّارِينَ، الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ،
وخصَّهم من النعم بما لا يحيط به وصف الواصفين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آدم عليه السلام .. واليقين

❁ عَنْ عَوْنِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَكَعَ إِلَى جَانِبِ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي، وَيَقِينًا صَادِقًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يَصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضْنِي بِمَا قَسَمْتَ لِي»، فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ: «يَا آدَمُ إِنَّهُ حَقٌّ عَلَيَّ أَنْ لَا يُلْزَمَ أَحَدٌ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ هَذَا الدُّعَاءُ إِلَّا أُعْطِيَتْهُ مَا يَحِبُّ وَنَجِّيَتْهُ مِمَّا يَكْرَهُ، وَنَزَعْتُ أَمَلَ الدُّنْيَا وَالْفَقْرَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ وَمَلَأْتُ جَوْفَهُ حِكْمَةً»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) كتاب «اليقين» لابن أبي الدنيا (٢٩).



تفريج هم نبي الله نوح ﷺ

ثمَّ نوحٌ عليه السلام، فَإِنَّهُ امْتَحَنَ بِخِلَافِ قَوْمِهِ عَلَيْهِ، وَعَصِيَانِ ابْنِهِ لَهُ،
وَالطُّوفَانِ الْعَامِ، واعتصام ابنه بِالْجَبَلِ، وتأخُّره عَنِ الرِّكُوبِ مَعَهُ، وبركوب
السَّفِينَةِ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ، وأعقبه الله الْخَلَاصَ مِنْ تِلْكَ
الْأَهْوَالِ، والتمكَّنَ فِي الْأَرْضِ، وتغيُّضِ الطُّوفَانِ، وجعله شَبِيهَا لِآدَمَ، لِأَنَّهُ
أَنْشَأَ ثَانِيًا جَمِيعَ الْبَشَرِ مِنْهُ، كَمَا أَنْشَأَهُمْ أَوَّلًا مِنْ آدَمَ عليه السلام، فَلَا وَلَدَ لِآدَمَ إِلَّا
مِنْ نوح.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾^(١).
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة الصافات: الآيات (٧٥-٧٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٧٦).

تفريج هم نبي الله إبراهيم عليه السلام

ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا دُفِعَ إِلَيْهِ مِنْ كَسْرِ الْأَصْنَامِ، وَمَا لَحِقَهُ مِنْ قَوْمِهِ، مِنْ مُحَاوَلَةِ إِحْرَاقِهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾^(١)، ثُمَّ اقْتَصَرَ قِصَّتَهُ، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٢) قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ^(٣) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ^(٤) وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ^(٥) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ^(٦) وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا^(٧).

ثُمَّ مَا كَلَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ، مِنْ مُفَارَقَةِ وَطْنِهِ بِالشَّامِ، لَمَّا غَارَتْ عَلَيْهِ سَارَةَ، مِنْ أُمِّ وَلَدِهِ هَاجِرَ، فَهَاجَرَ بِهَا وَبَابْنِهِ مِنْهَا إِسْمَاعِيلَ الذَّبِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَسْكَنَهُمَا بَوَادٍ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ، نَازِحِينَ عَنْهُ، بَعِيدِينَ مِنْهُ، حَتَّى أَنْبَعَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمَا الْمَاءَ، وَتَابَعَ عَلَيْهِمَا الْآلَاءَ، وَأَحْسَنَ لِإِبْرَاهِيمَ فِيهِمَا الصَّنْعَ، وَالْفَائِدَةَ وَالنَّفْعَ، وَجَعَلَ لِإِسْمَاعِيلَ النَّسْلَ وَالْعَدَدَ، وَالنَّبُوَّةَ وَالْمُلْكَ، هَذَا بَعْدَ أَنْ كَلَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَجْعَلَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ بِسَبِيلِ الذَّبْحِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيْمَا اقْتَصَصَهُ مِنْ ذِكْرِهِ فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ:

﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ﴾^(١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى^(١٠٢) قَالَ يَتَأَتَّى أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ^(١٠٣) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ^(١٠٤) وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيِبْهُمَا^(١٠٥) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ^(١٠٦) إِنَّ هَذَا لَهُو الْبَلَاءُ الْمُبِينُ^(١٠٧) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ

(١) سورة الأنبياء: الآية (٥١).

(٢) سورة الأنبياء: الآيات (٦٨-٧٣).



عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴿١﴾ .

فَلَا بَلَاءَ أَعْظَمَ مِنْ بَلَاءِ يَشْهَدُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ بَلَاءٌ مُبِينٌ، وَهُوَ تَكْلِيفُ الْإِنْسَانِ، أَنْ يَجْعَلَ بِسَبِيلِ الذَّبْحِ ابْنَهُ، وَتَكْلِيفُهُ، وَتَكْلِيفُ الْمَذْبُوحِ، أَنْ يَوْمَنَا وَيَصْبِرَا، وَيُسَلِّمَا وَيَحْتَسِبَا، فَلَمَّا أَدَّى مَا كُلفَا مِنْ ذَلِكَ، وَعَلِمَ اللَّهُ ﷻ مِنْهُمَا صَدَقَ الْإِيمَانُ، وَالصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ وَالْإِذْعَانُ، فَدَى الْإِبْنُ بِذَبْحِ عَظِيمٍ وَجَازَى الْأَبَ بِإِبْنٍ آخَرَ عَلَى صَبْرِهِ، وَرَضَاهُ بِذَبْحِ ابْنِهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ غَيْرُهُ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴿٢﴾ وَخَلَصَهُمَا بِصَبْرِهِمَا وَتَسْلِيمِهِمَا مِنْ تِلْكَ الشَّدَائِدِ الْهَائِلَةِ.

وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّمَا كُلفَ ذَبْحَ ابْنِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، لَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي كلفَهُ أَنْ يَجْعَلَ ابْنَهُ بِسَبِيلِ الذَّبْحِ، لَا أَنْ يَذْبَحَهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَاسْتَدَلَّ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَلَى أَنَّ إِسْمَاعِيلَ هُوَ الذَّبِيحُ، لَا إِسْحَاقَ، وَأَنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ كَانَ الذَّبْحُ فِي الْحَقِيقَةِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ﴿٣﴾، فَحَصَلَتْ لِإِبْرَاهِيمَ الْبُشْرَى، بِأَنَّهُ سَيُرْزَقُ بِإِسْحَاقَ، وَأَنَّ إِسْحَاقَ سَيُرْزَقُ يَعْقُوبَ، وَلَا يَجُوزُ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَشْكُ فِي بَشَارَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَوْ كَانَ إِسْحَاقَ هُوَ الذَّبِيحُ، مَا صَحَّ أَنْ يَأْمُرَهُ بِذَبْحِهِ قَبْلَ خُرُوجِ يَعْقُوبَ مِنْ ظَهْرِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا أَمَرَ بِذَلِكَ، عَلِمَ أَنَّ الْبُشْرَى الْأُولَى، تَمْنَعُ مِنْ ذَبْحِ إِسْحَاقَ قَبْلَ وَلَادَةِ يَعْقُوبَ، وَكَانَ لَا يَصِحُّ تَكْلِيفُهُ ذَبْحَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا

(١) سورة الصافات: الآيات (١٠٩-١٠٨).

(٢) سورة الصافات: الآيات (١١٣-١١٢).

(٣) سورة هود: الآية (٧١).

يَمُوت أَوْ يُخْرَج مِنْ ظَهْرِهِ مَنْ لَمْ يَخْرُجْ بَعْدَ، وَمَتَى وَقَعَ التَّكْلِيفُ عَلَى هَذَا،
 لَمْ يَكُنْ فِيهِ ثَوَابٌ ... وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾^(١).
 دَلِيلٌ عَلَى عَظَمِ ثَوَابِ إِبْرَاهِيمَ، وَصِحَّةِ الْأَمْرِ بِالدَّبْحِ، يَبِينُ ذَلِكَ قَوْلُهُ
 تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾^(٢)، أَيْ: اسْتَسْلَمَا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَهَمَا لَا يَشْكَانُ
 فِي وَقُوعِ الدَّبْحِ عَلَى الْحَقِيقَةِ حَتَّى فَدَاهُ اللَّهُ بِوَسِيلَةٍ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ
 الدَّبِيحَ غَيْرَ إِسْحَاقَ، وَلَمْ يَكُنْ لِإِبْرَاهِيمَ وَلَدٌ غَيْرَ إِسْحَاقَ، إِلَّا إِسْمَاعِيلَ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة الصافات: الآية (١٠٦).

(٢) سورة الصافات: الآية (١٠٣).

تفريج هم نبي الله لوط عليه السلام

وَمَنْ هَذَا الْبَابُ قِصَّةُ لُوطَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا نَهَى قَوْمَهُ عَنِ الْفَاحِشَةِ، فَعَصَوْهُ، وَكَذَّبُوهُ ... وَتَضَيَّفَهُ الْمَلَائِكَةُ، فَطَالَبُوهُ فِيهِمْ بِمَا طَالَبُوهُ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِمْ أَجْمَعِينَ، وَنَجَّى لُوطًا، وَأَثَابَهُ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ، وَقَدْ نَطَقَ بِهَذَا كَلَامَ اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفريج هم نبي الله يعقوب ويوسف عليه السلام

وَيَعْقُوبُ وَيُوسُفُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَدْ أَفْرَدَ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِ شَأْنِهِمَا، وَعَظِيمَ بُلُوَاهُمَا وَامْتِحَانَهُمَا، سُورَةَ مُحْكَمَةٍ، بَيَّنَّ فِيهَا كَيْفَ حَسَدَ إِخْوَةُ يُوسُفَ، يُوسُفَ، عَلَى الْمَنَامِ الَّذِي بَشَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِغَايَةِ الْإِكْرَامِ، حَتَّى طَرَحُوهُ فِي الْجُبِّ، فَخَلَّصَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، بِمَنْ أَدْلَى الدَّلُو، ثُمَّ اسْتُعْبِدَ، فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِ مَنْ صَارَ إِلَيْهِ إِكْرَامُهُ، وَاتَّخَاذَهُ وَلَدًا ... ثُمَّ مَرَاوَدَ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ إِيَّاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَصَمَهُ اللَّهُ لَهُ مِنْهَا، وَكَيْفَ جَعَلَ عَاقِبَتَهُ بَعْدَ الْحَبْسِ، إِلَى مَلِكِ مِصْرَ، وَمَا لَحِقَ يَعْقُوبَ مِنَ الْعَمَى لِفَرَطِ الْبُكَاءِ، وَمَا لَحِقَ إِخْوَةَ يُوسُفَ مِنَ التَّسْرِقِ^(١)، وَحَبْسِ أَحَدِهِمْ نَفْسَهُ، حَتَّى يَأْذَنَ لَهُ أَبُوهُ، أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لَهُ، وَكَيْفَ أَنْفَذَ يُوسُفَ إِلَى أَبِيهِ قَمِيصَهُ، فَرَدَّهُ اللَّهُ بِهِ بِصِيرًا، وَجَمَعَ بَيْنَهُمْ، وَجَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِالْبَاقِينَ وَبِالنَّعْمَةِ مَسْرُورًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أي: اتهمهم بالسرقة.

تفريج هم نبي الله أيوب عليه السلام

وأيوب عليه السلام ، وما امتحن به من الأسقام وعظم اللأواء^(١) ، والدود والأدواء، وجاء القرآن بذكره، ونطقت الأخبار بشرح أمره.

قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾^(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «لَمَّا عَافَى اللَّهُ ﷻ أَيُّوبَ عليه السلام ، أَمْطَرَ عَلَيْهِ جَرَادًا مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ فَجَعَلَ يَأْخُذُهُ، وَيَجْعَلُهُ فِي ثَوْبِهِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَيُّوبُ أَمَا تَشْبَعُ؟ قَالَ: وَمَنْ يَشْبَعُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؟»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) اللأواء: الشدة.

(٢) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الْآيَتَانِ (٨٣-٨٤).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٤٩٣)، وأحمد (٩٩٨٠).



وجاء الشفاء بعد ثمانى عشرة سنة

❁ روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَحْصَى إِخْوَانِهِ كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيُرُوْحَانِ.

فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَمَا ذَاكَ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ فَيَكْشِفُ عَنْهُ مَا بِهِ.

فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَضْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ أَيُّوبُ ﷺ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكْفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةً أَنْ يُذْكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقٍّ.

قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ أَمْرَاتُهُ بِيَدِهِ فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَيُّوبَ ﷺ فِي مَكَانِهِ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٤٢) ❁ (١).

فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَبَلَّغَتْهُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ فَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى !!؟ وَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا !!

قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ (٢): أَنْدَرُ الْقَمْحِ وَأَنْدَرُ الشَّعِيرِ فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَعَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى

(١) سورة ص: الآية (٤٢).

(٢) الأندر: هو الموضع الذي تجمع فيه سنابل القمح الحصيد.

فَاضَتْ، وَأَفْرَغَتْ الْأُخْرَى عَلَى أُنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرَقِ حَتَّى فَاضَتْ»^(١).
 ويقول عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدٍ بنِ عَمِيرٍ: كَانَ لِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَوَانِ، فَأَتِيَاهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ فَوَجَدَا رِيحًا فَقَالَا: لَوْ كَانَ اللَّهُ ﷻ عَلِمَ مِنْ أَيُّوبَ خَيْرًا مَّا بَلَغَ بِهِ كُلُّ هَذَا.
 قَالَ: فَمَا سَمِعَ شَيْئًا كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ.
 فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَبْتَ لَيْلَةً شَبَعَانًا وَأَنَا أَعْلَمُ مَكَانَ جَائِعٍ
 فَصَدَّقْنِي، قَالَ: فَصَدَّقَ، وَهُمَا يَسْمَعَانِ، ثُمَّ قَالَ:
 اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَلْبَسُ قَمِيصًا قَطُّ وَأَنَا أَعْلَمُ مَكَانَ عَارٍ
 فَصَدَّقْنِي، قَالَ: فَصَدَّقَ وَهُمَا يَسْمَعَانِ.
 قَالَ: ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ لَا أَرْفَعُ رَأْسِي حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِي،
 فَكَشَفَ اللَّهُ ﷻ مَا بِهِ»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) حديث صحيح: أخرجه ابن حبان (٢٨٨٧)، والحاكم (٥٨١/٢) وصححه، وأقره الذهبي،
 والبرزار، كما في المجمع (٢٠٨/٨).

(٢) أخرجه أحمد (ص: ٥٤) في الزهد، والطبري (٥٦/١٧) في تفسيره.

تفريج هم نبي الله يونس عليه السلام

وَيُونُسَ عليه السلام، وَمَا اقْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قِصَّتِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، ذَكَرَ فِيهَا التَّقَامُ الْحَوْتَ لَهُ، وَتَسْبِيحَهُ فِي بَطْنِهِ، وَكَيْفَ نَجَّاهُ اللَّهُ ﷻ، فَأَعْقَبَهُ بِالرِّسَالَةِ وَالصَّنْعِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۝١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ۝١٤١ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤ فَبَدَّدَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ۝١٤٦ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١﴾ قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾: «أَوْ» هَاهُنَا ظَاهِرُهَا الشُّكُّ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ قَوْمٌ، وَهُوَ خَطَأٌ، لِأَنَّ الشُّكَّ، لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، الْعَالَمِ لِنَفْسِهِ، الْعَارِفِ بِكُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ. وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ الْوَجْهَ، أَنَّهُ قَالَ: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾، بَلْ يَزِيدُونَ، وَقَالَ: كَانَتْ الزِّيَادَةُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنْ «أَوْ» هَاهُنَا، بِمَعْنَى «وَيَزِيدُونَ». وَمِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ (٢). قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: مَعْنَى ﴿لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: «لَنْ نَضِيقَ عَلَيْهِ».

(١) سورة الصافات: الآيات (١٣٩-١٤٧).

(٢) سورة الأنبياء: الآيات (٨٧-٨٨).

وَهَذَا مِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ ^(١)، أَي: ضَيِّقْ عَلَيْهِ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ ^(٢).

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ، قَالَ: لَمَّا ابْتَلَعَ الْحُوتُ يُونُسَ عليه السلام، أَهْوَى بِهِ إِلَى قَرَارِ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ يُونُسُ تَسْبِيحَ الْحَصَى فِي الظُّلُمَاتِ، ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ، بَطْنِ الْحُوتِ، وَظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَظُلُمَةِ الْبَحْرِ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٣) ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ^(٤)، قَالَ: كَهَيَاةِ الْفَرْخِ الْمَمْعُوطِ ^(٥)، الَّذِي لَيْسَ لَهُ رِيشٌ ^(٦).

وَعَنْ أَبِي يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّ أَنَسًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ يُونُسَ عليه السلام، حِينَ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ تعالى بِالظُّلُمَاتِ، حِينَ نَادَاهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٧)، فَأَقْبَلَتِ الدَّعْوَةُ تَحْفٌ بِالْعَرْشِ.

فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ هَذَا صَوْتُ ضَعِيفٍ مَكْرُوبٍ، مِنْ بِلَادِ غُرَبَةٍ. فَقَالَ: أَمَا تَعْرِفُونَ ذَاكَ؟ قَالُوا: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: ذَاكَ عَبْدِي يُونُسُ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ مُتَقَبَّلٌ، وَدَعْوَةٌ مُجَابَةٌ.

(١) سورة الطلاق: الآية (٧).

(٢) سورة سبأ: الآية (٣٩).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٨٧).

(٤) سورة الصافات: الآية (١٤٥).

(٥) أي: الفرخ الذي سقط شعره.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٣٣٨).

(٧) سورة الأنبياء: الآية (٨٧).

قَالُوا: يَا رَبِّ، أَفَلَا تَرْحَمُ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخَاءِ، فَتُنَجِّيهِ مِنَ الْبَلَاءِ؟
قَالَ: بَلَى، فَأَمَرَ الْحَوْتَ فَطَرَحَهُ بِالْعَرَاءِ.

قَالَ أَبُو صَخْرٍ: فَأَخْبَرَنِي أَبُو سَعِيدٍ بْنُ قُسَيْطٍ وَأَنَا أَحَدُهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ،
أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: طُرِحَ بِالْعَرَاءِ، فَأَنْبَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْيَقْطِينَةَ.
قُلْنَا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَمَا الْيَقْطِينَةُ؟ قَالَ: شَجَرَةُ الدُّبَاءِ^(١).

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: هَيَّا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ أَرْوِيَّةٌ^(٢) وَخَشِيَّةٌ تَأْكُلُ مِنْ حَشِيشِ
الْأَرْضِ، فَتَجِيءُ، فَتَفْشِجُ لَهُ^(٣)، وَتَرْوِيهِ مِنْ لَبْنِهَا كُلَّ عَشِيَّةٍ وَبُكْرَةً، حَتَّى
نَبَتَ، يَعْنِي لَحْمَهُ^(٤).

وَقَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ، قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فِي ذَلِكَ، بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ:
فَأَنْبَتَ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بَرَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ أُلْفَى ضَاحِيَا

وَقَدْ رَوَى أَنَّ مِنْ أَدَامَ قِرَاءَةَ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَضِبًا
فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ فِي الصَّلَاةِ، وَغَيْرِهَا، فِي أَوْقَاتِ شِدَائِهِ، عَجَّلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهَا
فَرْجًا وَمَخْرَجًا.

(١) الدُّبَاءُ: هو القرع.

(٢) الأروية: كل أنثى من الوعول.

(٣) أي: تباعد بين رجلها.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (ص ١٥٦)، والفرج بعد الشدة (ص ٦٧)، وابن

كثير في تفسيره (٢٨/٤).

(٥) سورة الأنبياء: الآيتان (٨٧-٨٨).

قال القاضي التنوخي:

وَأَنَا أَحَدُ مَنْ وَاصِلَهَا فِي نَكْبَةٍ عَظِيمَةٍ لِحَقَّتَنِي، يَطُولُ شَرْحُهَا وَذِكْرُهَا
عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَكُنْتُ قَدْ حُبِسْتُ، وَهُدِدْتُ بِالْقَتْلِ، فَفَرَجَ اللَّهُ عَنِي،
وَأُطْلِقْتُ فِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ مِنْ يَوْمِ قُبْضِ عَلِيٍّ فِيهِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفريج هم نبي الله موسى ﷺ

وَمُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام، فَقَدْ نَطَقَ الْقُرْآنُ بِقِصَّتِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَأَلَقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٧﴾ قَالَ لِقَطَّةٍ: أَلِ فِرْعَوْنُ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ٨ وَقَالَتْ أُمُّ رَأْسٍ: فَرَعَوْتُ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٠ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١١ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ١٢ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣﴾.

فَلَا شِدَّةَ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبْتَلَى النَّاسُ بِمَلِكٍ يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ، حَتَّى أَلْقَتْ أُمُّ مُوسَىٰ ابْنَهَا فِي الْبَحْرِ مَعَ طِفْلِيَّتِهِ، وَلَا شِدَّةَ أَعْظَمَ مِنْ حُصُولِ طِفْلٍ فِي الْبَحْرِ، فَكَشَفَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُ، بِالتَّقَاطُ أَلِ فِرْعَوْنَ لَهُ، وَمَا أَلْقَاهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الرِّقَةِ عَلَيْهِ، حَتَّى اسْتَحْيَوْهُ، وَتَحْرِيمَ الْمَرَاضِعِ عَلَيْهِ حَتَّى رَدُّوهُ إِلَىٰ أُمِّهِ، وَكَشَفَ عَنْهَا الشِّدَّةَ مِنْ فِرَاقِهِ، وَعَنْهُ الشِّدَّةَ فِي حُصُولِهِ فِي الْبَحْرِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ ^(٢)، أَيْ: يَصِيرُ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مَعَهُمْ إِلَىٰ عِدَاوَةٍ لَهُمْ، وَهَذِهِ لَامُ الْعَاقِبَةِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

(١) سورة القصص: الآيات (٧-١٣).

(٢) سورة القصص: الآية (٨).

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ وَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابٍ

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْوَلَادَةَ لَا يُقْصَدُ بِهَا الْمَوْتُ، وَالْبِنَاءُ لَا يُقْصَدُ بِهِ الْخَرَابُ، وَإِنَّمَا عَاقِبَةُ الْأَمْرِ فِيهِمَا تَصِيرُ إِلَى ذَلِكَ.

وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾^(١) أَيْ: إِنَّ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ، وَفَعْلَهُمْ، وَاخْتِيَارَهُمْ لِنَفْسِهِمْ، يُصِيرُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، فَيَصِيرُونَ لَهَا، لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَخْلُقْهُمْ لِيُقْصَدَ تَعْذِيبُهُمْ بِالنَّارِ فِي جَهَنَّمَ،... عَزَّ اللَّهُ عَنْ هَذَا الظُّلْمِ.

وَجَعَلَ اللَّهُ عَاقِبَةَ أَمْرِ مُوسَى ﷺ، مِنْ تِلْكَ الشَّدَائِدِ، وَشَدَائِدِ بَعْدَهَا. إِذْ أَرْسَلَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ، لِتَخْلِيصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقِصَصِهِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَحَدِيثِهِ إِذْ خَرَجَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ، فَهَذِهِ شِدَّةٌ أُخْرَى كَشَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مِنْ تِلْكَ الشَّدَائِدِ، وَشَدَائِدِ بَعْدَهَا نَالَتْهُ يَأْتِي ذِكْرُهَا أَنْ بَعَثَهُ نَبِيًّا، وَأَنْقَذَ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الشَّدَائِدِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مَعَ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ ﷻ، فِي تَمَامِ هَذِهِ الْقِصَّةِ:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ أَلَمَلَا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٢١) ﴿٢١﴾، فَهَذِهِ شِدَّةٌ أُخْرَى كَشَفَهَا اللَّهُ ﷻ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٩).

(٢) سورة القصص: الآية (٢٠-٢١).

شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٢﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٣﴾ ، فَهَذِهِ شِدَّةٌ أُخْرَى ، لحقته بالاغتراب ، وَالْحَاجَةُ إِلَى الإِضْطِرَابِ فِي الْمَعِيشَةِ وَالْاِكْتِسَابِ ، فَوْقَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ مِنْ مَدِينٍ ... قَالَ اللَّهُ ﷻ ، فِي تَمَامِ هَذِهِ الْقِصَّةِ : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ ، كَيْفَ زَوَّجَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ ابْنَتَهُ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَأْجَرَهُ ثَمَانِي حُجَجٍ ، وَأَنَّهُ خَرَجَ بِأَهْلِهِ مِنْ عِنْدِهِ ، فَرَأَى النَّارَ ، فَمَضَى يَقْتَبِسُ مِنْهَا ، فَكَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ ، فَشَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عِضْدَهُ بِهِ ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا مَعَهُ ، فَأَيُّ فَرْجٍ أَحْسَنَ مِنْ فَرْجٍ أَتَى رَجُلًا خَائِفًا ، هَارِبًا ، فَقِيرًا ، قَدْ أَجَّرَ نَفْسَهُ ثَمَانِي حُجَجٍ ، بِالنُّبُوَّةِ وَالْمَلِكِ ؟ ... قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَعْرَافِ : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ فَتَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ ، فَهَذِهِ شِدَّةٌ لَحَقَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَكَشَفَهَا اللَّهُ عَنْهُمْ ، قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿٢٦﴾ قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾

(١) سورة القصص: الآيات (٢٢-٢٤).

(٢) سورة القصص: الآية (٢٥).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٢٧).

(٤) سورة الأعراف: الآيتان (١٢٨-١٢٩).

وَقَالَ تَعَالَى، فِي تَمَامِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، فِي هَذِهِ السُّورَةِ، بَعْدَ آيَاتٍ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(١)، فَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ صُنْعِهِ لَهُمْ، وَفَلَقَهُ الْبَحْرَ حَتَّىٰ عَبْرُوهُ يَبْسًا، وَإِغْرَاقَهُ فِرْعَوْنَ لَمَّا اتَّبَعَهُمْ.

وَكُلُّ هَذِهِ أَخْبَارٌ عَنْ مَحْنٍ عَظِيمَةٍ انْجَلَتْ بِمَنْحٍ جَلِيلَةٍ، لَا يُؤْدِي شُكْرُ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَيَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ تَأْمُلُهَا، لِيَعْرِفَ كُنْهَ تَفَضُّلِ اللَّهِ ﷻ بِكَشْفِ شِدَائِدِهِ وَإِغَاثَتِهِ، بِإِصْلَاحِ كُلِّ فَاسِدٍ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِطَاعَتِهِ، وَأَخْلَصَ فِي خَشْيَتِهِ، وَأَصْلَحَ مِنْ نِيَّتِهِ، فَسَلَكَ هَذِهِ السَّبِيلَ، فَإِنَّهَا إِلَى النِّجَاةِ مِنَ الْمَكَارِهِ، أَوْضَحَ طَرِيقَ، وَأَهْدَى دَلِيلَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ (١٣٧).



أصحاب الأخدود

وذكر الله ﷻ في: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾، أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، وروى قوم من أهل الملل الْمُخَالَفَةَ لِلْإِسْلَامِ عَنْ كُتُبِهِمْ أَشْيَاءَ مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى: أَنَّ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ كَانُوا دُعَاةَ إِلَى اللَّهِ، وَأَنَّ مَلِكَ بِلَدِهِمْ، أَضْرَمَ لَهُمْ نَارًا، وَطَرَحَهُمْ فِيهَا، فَاطَّلَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى صَبْرِهِمْ، وَخُلُوصِ نِيَّتِهِمْ فِي دِينِهِ وَطَاعَتِهِ، فَأَمَرَ النَّارَ أَنْ لَا تَحْرِقَهُمْ، فَشَوْهَدُوا فِيهَا قُعُودًا، وَهِيَ تَضْطَرُّمُ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَحْرِقُهُمْ، وَنَجَّوْا مِنْهَا، وَجَعَلَ اللَّهُ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَى الْمَلِكِ، وَأَهْلِكَه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفريج هم نبي الله دانيال عليه السلام

وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ: أَنْ نَبِيًّا، كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى عليه السلام بِزَمَانٍ طَوِيلٍ، يُقَالُ لَهُ: دَانِيَالٌ، وَأَنَّ قَوْمَهُ كَذَّبُوهُ، فَأَخَذَهُ مَلِكُهُمْ، فَقَذَفَهُ إِلَى أُسْدٍ مُجَوِّعَةٍ فِي جُبٍّ، فَلَمَّا اطَّلَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى حَسَنِ اتِّكَالِهِ عَلَيْهِ، وَصَبْرِهِ طَلَبًا لِمَا لَدَيْهِ، أَمْسَكَ أَفْوَاهَ الْأُسْدِ عَنْهُ، حَتَّى قَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ، وَهِيَ مَذْلَلَةٌ، غَيْرُ ضَارَةٍ لَهُ، فَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِرْمِيَا^(١) مِنَ الشَّامِ، حَتَّى تَخْلُصَ دَانِيَالٌ مِنْ هَذِهِ الشَّدَّةِ، وَأَهْلَكَ مِنْ أَرَادَ إِهْلَاكَ دَانِيَالٍ.

وَعَضَّدَتْ رَوَايَتُهُمْ، أَشْيَاءَ رَوَاهَا أَصْحَابُ الْحَدِيثِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهَدِيلِ قَالَ: ضَرَّى^(٢) بَخْتِ نَصْرٍ^(٣) أُسْدَيْنِ، فَأَلْقَاهُمَا فِي جُبٍّ^(٤)، وَجَاءَ بِدَانِيَالٍ فَأَلْقَاهُ عَلَيْهِمَا، فَلَمْ يُهَيِّجَاهُ، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اشْتَهَى مَا يَشْتَهِي الْآدَمِيُّونَ، مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِرْمِيَا، وَهُوَ بِالشَّامِ، أَنْ أَعِدَّ طَعَامًا وَشَرَابًا لِدَانِيَالٍ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَنَا بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَدَانِيَالٌ بِأَرْضِ بَابِلَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ أَعِدَّ مَا أَمْرُنَاكَ بِهِ، فَإِنَّا سَنُرْسِلُ إِلَيْكَ مِنْ يَحْمَلُكَ، وَيَحْمِلُ مَا أَعَدَدْتَ فَفَعَلَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ حَمَلِهِ، وَحَمَلَ مَا أَعَدَّ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِ الْجُبِّ.

(١) وإرميا هو أحد أنبياء بني إسرائيل أيضًا كما قيل، والله أعلم.

(٢) الأسد الضاري: هو المُعَلَّمُ الصيد المعتاد له - يقال: ضرى الأسد يضرى ضرًا وضراوة وأضرأ أي: عودته ذلك.

(٣) بخت نصر، ويقال في اسمه أيضًا: نبوخذ نصر، ملك بابل من أرض العراق، أغار على الشام، وساق أمامه اليهود إلى بلاد العراق، وحاول الإغارة على مصر، وهو الذي دمر القدس (أورشليم) وأحرقها.

(٤) الجُبُّ: البئر.



فَقَالَ دَانِيَالُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَنَا إِرْمِيَا.
 قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: أُرْسِلْنِي إِلَيْكَ رَبِّكَ.
 قَالَ: وَذَكِّرْنِي؟
 قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَنْسَى مَنْ ذَكَرَهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنْ وَثِقَ بِهِ لَمْ يَكِلْهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَجْزِي بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالْسَيِّئَاتِ غُفْرَانًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَجْزِي بِالصَّبْرِ نَجَاةً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَكْشِفُ ضُرْرَنَا، بَعْدَ كَرْبِنَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ ثَقَتْنَا، حِينَ تَسُوءُ ظُنُونُنَا بِأَعْمَالِنَا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ رَجَاؤُنَا، حِينَ تَنْقَطِعُ الْحِيلُ مِنَّا.

تفريح الهموم والشدائد عن نبينا محمد ﷺ

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، الشَّدَّةَ الَّتِي جَرَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ الْأَخْيَارِ، فِيمَا اقْتَصَهُ مِنْ قِصَّةِ الْغَارِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٠).

وَرَوَى أَصْحَابُ الْحَدِيثِ أَيْضًا، مِنْ شَرْحِ حَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي الْمَحْنِ الَّتِي لَحِقَتْهُ مِنْ شَقِّ الْفَرْتِ^(٢) عَلَيْهِ، وَمَحَاوَلَةِ أَبِي جَهْلٍ^(٣)، وَشَيْبَةَ وَعَتْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ^(٤)، وَأَبِي سَفْيَانَ صَخْرَ بْنَ حَرْبٍ^(٥)، وَالْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ^(٦)، وَعَقْبَةَ بْنَ أَبِي

(١) سورة التوبة: الآية (٤٠).

(٢) الفرت: الأمعاء والأحشاء.

(٣) أبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، وكان أبو جهل يُكْنَى أبا الحكم، فكَتَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أبا جهل، وكان أبو جهل وابنه عكرمة من أشد الناس على رسول الله ﷺ، فقتل الله أبا جهل يوم بدر كافرًا، ثم هدى الله عكرمة إلى الإسلام فأسلم بعد الفتح وحسن إسلامه.

(٤) شيبه وعتبة ابني ربيعه كانا من رؤساء قريش في الجاهلية وهما ممن أظهروا العداء للنبي ﷺ، قُتِلَا يَوْمَ غُرُوةِ بَدْرٍ فِي الْمُبَارَاةِ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ.

(٥) هو أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو سفيان، وأبو حنظلة المكي، من صحابة النبي ﷺ، أسلم عند فتح مكة، وكان رئيس قريش في الجاهلية وهو والد معاوية بن أبي سفيان ﷺ، خليفة المسلمين، ووالد السيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ، وأسلم أبو سفيان بن حرب وحسن إسلامه.

(٦) العاص بن وائل السهمي، كان أحد الذين آذوا النبي ﷺ، وكان شديد الأذى بالمسلمين،



معيط^(١)، وَغَيْرَهُمْ، قَتَلَهُ، وَمَا كَانُوا يَكْشِفُونَهُ بِهِ، مِنَ السَّبِّ وَالتَّكْذِيبِ،
وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّأْنِيبِ، وَرَمِيَهُمْ إِيَّاهُ بِالْجُنُونِ، وَقَصَدَهُمْ إِيَّاهُ غَيْرَ دَفْعَةٍ بِأَنْوَاعِ
الْأَذَى وَالْعُضِيْهَةِ^(٢) وَالْإِفْتِرَاءِ، وَحَصَرَهُمْ إِيَّاهُ ﷺ، وَجَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ فِي
الشَّعْبِ^(٣)، وَتَخَوَّفَهُمْ إِيَّاهُ، وَتَدَبَّرَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوهُ ... حَتَّى بَعُدَ، وَبَيَّتَ عَلِيًّا
ﷺ عَلَى فَرَّاشِهِ، ثُمَّ أَعْقَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ بِالنَّصْرِ وَالتَّمَكُّنِ، وَإِعْزَازِ
الدِّينِ، وَإِظْهَارِهِ عَلَى كُلِّ دِينٍ، وَقَمْعِ الْجَاحِدِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَقَتْلِ أَوْلِيَّكَ
الْكُفْرَةِ الْمَارِقِينَ وَالْمَعَانِدِينَ، وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الْكَاذِبِينَ، الَّذِينَ كَانُوا
عَنِ الْحَقِّ نَاقِثِينَ، وَبِالْدِّينِ مُسْتَهْزِئِينَ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ مَنَاصِبِينَ مَتَوَعِدِينَ،
وَلِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَاشِفِينَ مُحَارِبِينَ، وَأَذَلَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْهُمْ بَعْزَ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ عَاذَ
بِإِظْهَارِهِ، وَأَضْمَرَ الْكُفْرَ فِي إِسْرَارِهِ، فَصَارَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمَلْعُونِينَ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

== ومات كافراً، وهو والد الصحابي الجليل عمرو بن العاص، وَجَدَّ الصَّحَابِيِّ الْمَكْثَرِ لِلرَّوَايَةِ عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

(١) هو عَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ وَاسْمُهُ: أَبَانُ بْنُ أَبِي عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ
الْقُرَشِيِّ، كَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمُؤْذِنِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، أَسْرَهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَتَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّجَعَهُ مِنْ بَدْرِ صَبْرًا
بَيْنَ يَدَيْهِ بِمَنْطَقَةٍ تَسْمَى الصَّفْرَاءِ.

(٢) الْعُضِيْهَةُ: الْبَهْتَانُ وَالْكَلامُ الْقَبِيْحُ.

(٣) الشَّعْبُ: هُوَ شُعْبُ أَبِي طَالِبٍ، وَالشَّعْبُ هُوَ مَا انْفَرَجَ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَنْ قَرِيشَ لَمْ
تَجِدْ مُحَاوَلَاتَهَا لِإِرْجَاعِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ إِلَى دِينِهِمْ، فَقَاطَعُوا النَّبِيَّ ﷺ، وَبَنِي هَاشِمٍ فِي شُعْبِ
أَبِي طَالِبٍ، وَكَتَبُوا كِتَابًا مُؤَدَّاهُ أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ مَعَهُمْ فِي بَيْعٍ وَلَا شِرَاءٍ وَلَا نِكَاحٍ، وَعَلَقُوا
الصَّحِيفَةَ فِي جُوفِ الْكَعْبَةِ.

(٤) مُخْتَصَرُ الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ (ص ٢٦-٣٦) بِتَصْرِفٍ.

سبب الهموم والغموم

❁ قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:

رأيت سبب الهموم والغموم: الإعراض عن الله ﷻ، والإقبال على الدنيا. وكلما فات منها شيء، وقع الغم لفواته.

فأما مَنْ رُزِقَ معرفة بالله تعالى، استراح؛ لأنه يستغنى بالرضا بالقضاء، فمهما قُدِّرَ له، رضى، وإن دعا فلم يرَ أثر الإجابة، لم يختلج في قلبه اعتراض؛ لأنه مملوك مُدَبَّر، فتكون همته في خدمة الخالق.

ومن هذه صفته، لا يُؤثر جمع مال، ولا مخالطة الخلق، ولا الالتذاذ بالشهوات: لأنه إما أن يكون مقصراً في المعرفة، فهو مُقبل على التعبُّد المحض، يزهّد في الفانى لينال الباقي.

وإما أن يكون له ذوق في المعرفة؛ فإنه مشغول عن الكلِّ بصاحب الكلِّ، فتراه متأدباً في الخلوة به، مستأنساً بمناجاته، مستوحشاً من مخالطة خلقه، راضياً بما يُقدَّر له، فعيشه معه كعيش مُحِبٍّ قد خلا بحبيبه، لا يريد سواه، ولا يهتم بغيره.

فأما من لم يُرَزَق هذه الأشياء، فإنه لا يزال في تنغيص، متكدر العيش؛ لأن الذى يطلبه من الدنيا لا يقدر عليه، فيبقى أبداً في الحسرات، مع ما يفوته من الآخرة بسوء المعاملة.

نسأل الله ﷻ أن يستصلحنا له، فإنه لا حول ولا قوة إلا به^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كُن راضياً عن الله

فإن دليل عدم رضاه عنك عدم رضاك عنه.

❁ سمع الحسن رجلاً يقول: اللهم ارض عني. فقال له الحسن: لو رضيت أنت عن الله فسوف يرضى الله عنك. فتعجب الرجل وقال: وكيف أَرْضَى عن الله؟ فقال الحسن: إذا سُررت بالنقمة سرورك بالنعمة، فقد رضيت عن الله وسوف يرضى الله عنك.

قال سفيان: قال الحسن: مَنْ رضى بما قسم الله له وَسِعَهُ، وبارك الله له فيه، ومن لم يرض لم يسعه، ولم يبارك له فيه. وقال أبو عثمان الحيري: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حالٍ فكرهته، وما نقلني إلى غيره فسخطته.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السُّخط»^(١). .. هذه هي القضية: أنك إذا كنت راضياً دائماً، أَرْضَاكَ الله وبعث إليك ما يرضيك وَمَنْ يرضيك.

سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ معروف أنه كان مستجاب الدعوة، وكان قد كُفَّ بصره في آخر عمره، قال له ابنه: يا أبت، أراك تدعو للناس! هلا دعوت لنفسك أن يرد الله عليك بصرك! قال: يا بني، قضاء الله أحب إليَّ من بصرى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٣١) كتاب الفتن، من حديث أنس بن مالك، وصححه العلامة الألبانی رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (١٤٦).

أفضل العبادة انتظار الفرج

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(١).

ولن يغلب عسرٌ يُسرين.

قال ابن رجب^(٢): ومن لطائف اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر، أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى، وحصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين، تعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أكبر الأسباب التي تطلب بها الحوائج، فإن الله يكفى من توكل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٣).

قال الفضيل: والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئاً لأعطاك مولاك كل ما تريد.

وقال وهب بن منبه: تعبد رجلٌ زماناً، ثم بدت له إلى الله حاجة، فصام سبعين سبتاً، يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرّة، ثم سأل الله حاجته فلم يُعْطَها، فرجع إلى نفسه فقال: منك أُتيت، لو كان فيك خير أُعْطيت حاجتك، فنزل إليه عند ذلك ملك فقال له: يا ابن آدم ساعتك هذه خيرٌ من عبادتك التي مضت، وقد قضى الله حاجتك

عسى ما ترى ألا يدوم وإن ترى	له فرجاً مما ألحَّ به الدهرُ
عسى فرج يأتي به الله إنه	له كل يومٍ في خليقته أمرٌ

(١) سورة الشرح: الآيتان (٥، ٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ١٩٦، ١٩٧).

(٣) سورة الطلاق: الآية (٣).



إذا لاح عُسر فارتج اليسر إنه قضى الله إن العسر يتبعه اليسر

يا إنسان بعد الجوع شبع، وبعد الظمأ رى، وبعد السهر نوم، وبعد المرض عافية، سوف يصل الغائب، ويهتدى الضال، ويُفك العانى، وينقشع الظلام ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾^(١).

بشّر الليل بصبح صادق يطارده على رؤوس الجبال، ومسارب الأودية، بشّر الهموم بفرج مفاجئ يصل في سرعة الضوء، ولمح البصر، بشّر المنكوب بلطف خفي وكفّ حانية وادعة.

إذا رأيت الصحراء تمتد وتمتد، فاعلم أن وراءها رياضاً خضراء وارفة الظلال.

إذا رأيت الحبل يشتد ويشتد، فاعلم أنه سوف ينقطع.

مع الدمعة بسمة، ومع الخوف أمنٌ، ومع الفزع سكينة، النار لا تحرق إبراهيم التوحيد، لأن الرعاية الربانية فتحت نافذة ﴿بَرْدًا وَسَلَامًا﴾^(٢).

البحر لا يُغرق كلیم الرحمن، لأن الصوت القوى الصادق نطق بـ ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٣).

المعصوم في الغار بشّر صاحبه بأنه وحده معنا فنزل الأمن والفتح والسكينة.

إن عبيد ساعاتهم الراهنة وأرقاء ظروفهم القاتمة لا يرون إلا النكد والضيق والتعاسة، لأنهم لا ينظرون إلا إلى جدار الغرفة وباب الدار

(١) سورة المائدة: الآية (٥٢).

(٢) سورة الأنبياء: الآية (٦٩).

(٣) سورة الشعراء: الآية (٦٢).

فحسب. ألا فليمدوا أبصارهم وراء الحجب وليطلقوا أعنة أفكارهم إلى ما وراء الأسوار.

إذاً فلا تضق ذرعاً فمن المحال دوام الحال، وأفضل العبادة انتظار الفرج، الأيام دول، والدهر قُلْب، والليالي حُبالي، والغيب مستور، والحكيم كل يوم هو في شأن، ولعل الله يُحدث بعد ذلك أمراً، وإن مع العسر يسراً^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من قصص مفاتيح الفرج



أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاہُ

❁ روى أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار يكنى أبا مغلق، كان تاجراً يتجر بمال له ولغيره يسير به في الآفاق، وكان ناسكاً ورعاً، فخرج مرة فلقبه لص مُقَنَّع معه سلاح. فقال له اللص: ضع ما معك فإنى قاتلك. قال: فما تريد إلا دمي فشأنك والمال. قال: أما المال فلى ولست أريد إلا دمك. قال: أما إذا أبيت فدعنى أصلى أربع ركعات. قال اللص: ما شئت.

فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أسألك بعزك الذى لا يرام، وبملكك الذى لا يُضام، وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تكفينى شر هذا اللص يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى ثلاث مرات. فإذا هو بفارس أقبل ويده حربة قد وضعها بين أذنى فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه فقتله، ثم أقبل هذا الفارس إلى التاجر الورع الناسك، وقال له: قم، فقال التاجر: من أنت بأبى وأمى فقد أغاثنى الله بك اليوم؟ فقال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقة، ثم دعوت بدعائك الثانى فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث، فقيل لى: دعاء مكروب فسألت الله أن يولينى قتله.

قال الحسن: فمن توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروباً كان، أو غير مكروب.

لا تحزن.. والجا إلى من يجيب المضطر إذا دعاه

إذا حلت بك شدة من الشدائد أو وقع عليك ظلم من البشر فلا تحزن... والجا إلى من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

❁ ذكر التنوخي: أن أحد الوزراء في بغداد - وقد سمّاه - اعتدى على أموال امرأة عجوز هناك، فسلبها حقوقها وصادر أملاكها، ذهبت إليه تبكي وتشتكى من ظلمه وجوره، فما ارتدع وما تاب وما أناب، قالت: لأدعون الله عليك. فأخذ يضحك منها باستهزاء، وقال: عليك بالثلث الأخير من الليل.... وهذا لجبروته وفسقه يقول باستهزاء، فذهبت وداومت على الثلث الأخير، فما هو إلا وقت قصير إذ عُزل هذا الوزير وسُلبت أمواله، وأخذ عقاره، ثم أُقيم في السوق، يُجلد تعزيراً له على أفعاله بالناس، فمرت به العجوز، فقالت: له: أحسنت! لقد وصفت لي الثلث الأخير من الليل، فوجدته أحسن ما يكون.

❁ يقول أحد الفضلاء من العُباد: إنه كان بأهله في الصحراء، في جهة البادية، وكان عابداً قانتاً منيباً ذاكراً لله. قال: فانقطعت المياه المجاورة لنا، وذهبت الشمس ماءً لأهلي، فوجدت أن الغدير قد جفَّ، فعُدْتُ إليهم، ثم التمسنا الماء يمناً ويسرة، فلم نجد ولو قطرة، وأدركنا الظمأ، واحتاج أطفالنا للماء فتذكرتُ ربَّ العزة - سبحانه - القريب المجيب، فقمْتُ فتيَّمْتُ، واستقبلتُ القبلة وصليتُ ركعتين، ثم رفعتُ يدي وبكيتُ، وسالتُ دموعي، وسألتُ الله بالحاح، وتذكرتُ قوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾^(١)... ووالله ما هو إلا أن قمْتُ من مقامي، وليس في السماء من



سَحَابٍ وَلَا غَيْمٍ، وَإِذَا بِسَحَابَةٍ قَدْ تَوَسَّطَتْ مَكَانِي وَمَنْزَلِي فِي الصَّحَرَاءِ،
وَاحْتَكَمْتُ عَلَى الْمَكَانِ، ثُمَّ أَنْزَلَتْ مَاءَهَا، فَامْتَلَأَتِ الْغُدْرَانُ مِنْ حَوْلِنَا وَعَنْ
يَمِينِنَا وَعَنْ يَسَارِنَا فَشَرَبْنَا وَاغْتَسَلْنَا وَتَوَضَّأْنَا، وَحَمَدْنَا اللَّهَ - ﷻ -، ثُمَّ
ارْتَحَلْتُ قَلِيلًا خَلْفَ هَذَا الْمَكَانِ، وَإِذَا الْجَدْبُ وَالْقَحْطُ، فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ
سَاقَهَا لِي بِدَعَائِي، فَحَمَدْتُ اللَّهَ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا
قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لعله خير

كان هناك ملك عنده وزير مستقيم وحكيم وكان هذا الوزير يتوكل على الله في جميع أموره إلى أن حدثت هذه الحادثة....

انقطع للملك في يوم من الأيام أحد أصابع يده وخرج الدم من يده، وعندما رآه الوزير قال: لعله خير إن شاء الله، وعند ذلك غضب الملك على الوزير، وقال: أين الخير والدم يجرى من إصبعي؟...

وبعدها أمر الملك بسجن الوزير: وما كان من الوزير إلا أن قال كعادته لعله خير وذهب للسجن!!

وكعادته كان الملك في كل يوم جمعة يذهب إلى النزهة... وفي آخر النزهة حطَّ رحله قريباً من غابة كبيرة وبعد استراحة قصيرة دخل الملك الغابة، وكانت المفاجأة أن الغابة بها ناس يعبدون صنماً وكان ذلك اليوم هو يوم عيد الصنم، وكانوا يبحثون عن قربان يقدمونه للصنم... وصادف أنهم وجدوا الملك فلم يعرفوه وألقوا القبض عليه لكي يقدموه قرباناً إلى آلهتهم... وقد رأوا إصبعه مقطوعاً وقالوا: هذا فيه عيب ولا يُستحسن أن نقدمه قرباناً وأطلقوا سراحه!!

حينها تذكر الملك قول الوزير عند قطع إصبعه: لعله خير.

بعد ذلك رجع الملك من الرحلة وأطلق سراح الوزير من السجن وأخبره بالقصة التي جرت عليه في الغابة... وقال له فعلاً كان قطع الأصبع خيراً لي.. ولكن سوف أسألك سؤالاً واحداً: وأنت ذاهب إلى السجن سمعتك تقول: لعله خير... وأين الخير وأنت ذاهب إلى السجن!!؟



قال الوزير: أنا وزيرك ودائمًا معك ولو لم أدخل السجن لكنت معك في الغابة وبالتالي قبضوا على عبدة الصنم وقدموني قُربانًا لآلهتهم وأنا لا يوجد بي عيب... ولذلك دخولي السجن كان خيرًا لي!!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الرضا بقضاء الله

كان هناك رجل طيب يعيش في البادية... وكان اسمه سلمان وكان يعيش مع زوجته وأولاده في بيت بسيط لكنه جميل وكان عنده في بيته ديك وكلب وحمار.

فكان الديك يوقظهم للصلاة وكان الكلب يحرسهم وكان الحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم.

وفي يوم من الأيام جاء الثعلب المكار فأخذ الديك فحزن أهل البيت عليه كثيرًا... فقال عم سلمان: الحمد لله على كل حال... عسى أن يكون خيرًا. وبعد هذا الحادث بعدة أيام جاء الذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزن أهل البيت عليه كثيرًا.. وإذا بعم سلمان يقول: الحمد لله على كل حال.. عسى أن يكون خيرًا.

ثم لم يمر على هذا الحادث أسبوع حتى أصيب الكلب بحجر فمات فحزن أهل البيت عليه كثيرًا.. وإذا بعم سلمان يقول: الحمد لله على كل حال. عسى أن يكون خيرًا.

❁ ومرت الأيام... وفي ليلة من الليالي جاءت عصابة من اللصوص فدخلوا كل البيوت وسرقوا المال والمتاع بل وأخذوا الأطفال الصغار ولم يدخلوا بيت عم سلمان.. وذلك لأنهم كانوا يعرفون البيوت من صوت الديك أو الكلب أو الحمار.

أما بيت عم سلمان فلم يكن فيه ديك أو كلب أو حمار فكان موتهم رحمة على بيت عم سلمان.. فقد كان موتهم سببًا في عدم دخول اللصوص بيت عم سلمان.. ولذلك كان عم سلمان يقول في كل مرة: الحمد لله على كل حال... عسى أن يكون خيرًا.



الإيمان بالقضاء والقدر بلسم الجراحات

إن بلسم الجراحات هو الإيمان بالقضاء والقدر، وعجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، قد علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، علم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء، لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولو اجتمعت على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله ﷻ عليه، رضى فرضى الله عنه، وسعد في حياته وأخراه، واطمأن قلبه وسكنت روحه، فهو في نعيم وأى نعيم!!

فالإيمان بالقضاء والقدر نعمة على البشر وبلسم وظل وافر من الطمأنينة وفيض من الأمن والسكينة، ووقاية من الشرور، وحافز على العمل، وباعث على الصبر والرضا، والصبر مُرٌّ مذاقه، لذیذة عاقبته.

صبرت ومن يصبر يجدْ غبَّ صبره ألدَّ وأحلى من جنى النحل في الفم

فاحرص على ما ينفعك، وارض بما قسم الله لك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا، ولكن قل: «قدر الله وما شاء فعل»^{(١)(٢)}.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هكذا علمتني الحياة (ص: ١٤-١٦) بتصرف.

كَيْفَ لَوْ نَظَرَ إِلَيْنَا الْخَالِقُ (جَلَّ وَعَلَا)

لقد كان حاتم الأصم يُضْرَبُ به المثل في اليقين والتوكل فهو يعلم أن الرزق بيد الله وأنه ليس هناك من يملك النفع والضرر إلا الله فلماذا يتوكل على غيره.

قال الحسن بن علي العابد: سمعت حاتمًا وقد سأله سائل: على أي شيء بنيت أمرك؟ فقال: على أربع خصال: على أنني لا أخرج من الدنيا حتى أستكمل رزقي، وعلى أن رزقي لا يأكله غيري، وعلى أن أجلى لا أدري متى هو، وعلى أنني لا أغيب عن الله طرفة عين^(١).

وروي أن حاتم الأصم قال لأولاده: إني أريد الحج... فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا؟ وكان له ابنة مباركة قد رزقها الله بنعمة التوكل واليقين، فقالت: دعوه يذهب فليس برازق... فخرج فباتوا جوعًا فجعلوا يوبخون تلك البنت، فقالت: اللهم لا تُخجلني بينهم... فمرَّ بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه: اطلب لي ماء... فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا وماءً باردًا فشرب فقال: دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم... فرمى فيها صرة من ذهب وقال: من أحبنى فليصنع مثلما صنعت... فرمى العسكر ما معهم من المال في هذا الإناء فجعلت البنت تبكي فقالت أمها: ما يُبكيكِ وقد وسَّع الله علينا... فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا نظرة فاغتنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق (جلَّ وعلا).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



أيها الفقير لا تحزن...

ستنسى كل شقاء مع أول غمسة في الجنة

أيها المهموم بسبب الفقر وقلة ذات اليد.. لا تحزن..

وانظر ماذا فاتك من الدنيا..

ألست تأكل كما يأكل الأغنياء؟!

وتشرب كما يشرب الأغنياء؟!

أما يستحيل طعامك وطعامهم وشرابك وشرابهم إلى ما قد علمت؛

غائط وبول؟!

فأى مزية - إذن - لطعامهم على طعامك، أو لشرابهم على شرابك..

فلماذا تحزن؟

ألست تنام كما ينامون، وتستيقظ كما يستيقظون، فأى فرق بين أن تنام

على حصير وبنام الأغنياء على فُرُش وثيرة؟! وقد تكون الحصر أنفع

وأصح من الفراش الناعم الوثير. فلماذا تحزن؟.

إذا مرضت أخذت قرصًا بفلس فشفاك الله بسبب فقرك وحاجتك

وانكسارك بين يديه..

ويدفع الأغنياء الآلاف ومئات الآلاف ويستمر بهم المرض، ولا تنقطع

عنهم العلل..

فلماذا تحزن؟

تأكل ما شئت من الطعام، وتشرب ما شئت من الشراب، ويتحمل

جسمك أقسى الأطعمة والأشربة، بينما كثير من الأغنياء لا يأكل إلا ما

تعافه نفسك أن تأكله؛ لأن أجسامهم لا تقوى إلا على ذلك، فلماذا تحزن..؟!^(١)

✽ ويوم القيامة تتبدل الأحوال.. سينسى المؤمن الفقير كل ما كان يعانيه من البؤس والشدة والجوع والحرمان والابتلاءات مع أول غمسة في جنة الرحمن (جلّ وعلا).

✽ وفي المقابل سينسى الغنى - إن لم يكن طائعاً لله - كل ما كان فيه من الثراء والغنى والقصور والسيارات والخدم والشهوات مع أول غمسة في نار جهنم.... فلماذا تحزن؟!.

- روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي جَهَنَّمَ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟» فيقول: لا والله يا رب. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»^(٢).

✽ وتأمل معي هذا المشهد الجليل... عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت

(١) لا تحزن وكن مطمئناً (ص: ١٩، ٢٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، من حديث أنس بن مالك



أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله ﷻ لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقتك أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم؟! قال: إنهم كانوا عباداً يعبدونى لا يشركون بى شيئاً وتسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء.... قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»^(١).

فأبشروا أيها الفقراء فإن الله ﷻ سيجبر كسرکم في الجنة، ويسبغ عليكم من ألوان النعيم ما لا يخطر على قلب بشر.

❁ بل وفوق ذلك كله فإن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة عام.

قال ﷺ: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام»^(٢).

وقال ﷺ: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه أحمد (٦٥٣٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٨٣).

(٢) صحيح: رواه الترمذی (٢٣٥٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٢٢) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٨٦)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٨٠٧٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٧٩) كتاب الزهد والرقائق، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.



مصائب الدنيا تهون

فكل مصيبة في دنيا الإنسان قد تُعوّض بخير منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوّض، ولذلك حين خُير يوسف عليه السلام بين أن يصاب في دنياه فيُسجن ويكون من الصاغرين، وأن يصاب في دينه فيصبر إلى النسوة ويكون من الجاهلين، كما قالت امرأة العزيز للنسوة: ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ ^(١).

حين خُير يوسف بين الأمرين كان لا بد أن يختار مصيبة الدنيا، فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ^(٢).

وكان مما علّمه نبي الإسلام لأُمَّته أن يقولوا: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا» ^(٣)..

✽ فلا داعي لأن تحزن على فوات شيء من الدنيا فالدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة ولو كانت تساوي جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء.

✽ لا تحزن لو فقدت الدنيا بأسرها ما دمت موحداً لله متمسكاً بسنة رسول الله ﷺ.

✽ لا تحزن ما دمت آمناً في سربك معافى في بدنك عندك قوت يومك فكأنما حيزت لك الدنيا بحذافيرها.

(١) سورة يوسف: آية (٣٢).

(٢) سورة يوسف: آية (٣٣).

(٣) حسن: رواه الترمذی (٣٥٠٢) كتاب الدعوات، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (١٢٦٨).

❁ لا تحزن فإنه لا ينفعك مع الحزن المال الكثير ولا الزوجة الحسنة ولا كثرة الأولاد ولا المنصب ولا الجاه ولا الدور والقصور.

❁ لا تحزن فإن الحزن يجعل المصيبة مصائب كثيرة ويُشمت أعداءك فيك... بل ويجعل جسدك مرتعاً للأمراض.

❁ لا تحزن ما دمت في أمن وأمان وعندك عينان وأذنان ويدان ورجلان.

❁ لا تحزن فلقد حزنت كثيراً فهل عاد والدك الذى مات؟... وهل نجح ابنك الذى رسب؟ وهل عادت الأموال التى خسرتها؟.... إذن فلماذا الحزن؟!!!

لا تحزن... لا تحزن... لا تحزن^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) لا تحزن وابتسم للحياة / للمصنف (ص ٢٩٧-٢٩٨).



جابر عشرات الكرام

❁ قال أبو القاسم التنوخي:

«كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يُقال له: خزيمة بن بشر، من بنى أسد بالركة، وكان له مروءة، ونعمة حسنة، وفضل وبر بالإخوان، فلم يزل على تلك الحال حتى احتاج إلى إخوانه، الذين كان يتفضل عليهم، فواسوه حيناً، ثم ملّوه، فلما لاح تغيرهم، أتى امرأته - وكانت ابنة عمه - فقال لها: يا ابنة عمي! قد رأيت من إخواني تغيراً، وقد عزمت على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت، ثم إنه أغلق بابه وأقام يتقوت حتى نفذ، وبقي حائرًا في حاله.

وكان عكرمة الفياض الربعي واليًا على الجزيرة، فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد، إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر في مجلسه.

فقال عكرمة: ما حاله؟

فقالوا: صار من سوء الحال إلى أمر لا يوصف، فأغلق بابه ولزم بيته.

فقال الفياض: فما وجد خزيمة بن بشر مواسياً ولا مكافئاً؟

قالوا: لا. فأمسك، ثم لما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار، فجعلها في كيس واحد، ثم أمر بإسراج دابته، وخرج سرّاً من أهله، فركب ومعه غلام من غلمانته يحمل المال، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة، ثم أخذ الكيس من الغلام، ثم أبعد عنه، وتقدم، فدفعه بنفسه، فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس، وقال: أصلح بهذا شأنك، فتناوله، فرآه ثقيلاً، فوضعه، ثم أمسك بلجام الدابة، وقال له: من أنت جعلت فداك؟!!



فقال: يا هذا! ما جئتك في هذه الساعة وأنا أريد أن تعرفنى.

قال خزيمة: فما أقبله أو تعرفنى من أنت؟

قال: أنا جابر عثرات الكرام.

قال: زدنى.

قال: لا مزيد. ثم مضى، ودخل خزيمة بالكيس إلى امرأته، فقال لها: أبشرى فقد أتى الله بالفرج والخير، ولو كان هذا فلو سأ فهو كثير، قومى فأسرجى قالت: لا سبيل إلى السراج، فبات يلمسها، فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق، فرجع عكرمة إلى منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه، فأخبرت بركوبه منفردًا، فارتابت فشقت جيها ولطمت خدها، فلما رآها على تلك الحال قال لها: ما دهاك؟

قالت: يا ابن عمى! غدرت؟

قال: وما ذاك؟

قالت: أمير الجزيرة يخرج بعد هدوء من الليل منفردًا مع غلمانة، فى سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية؟

قال: لقد علم الله ما خرجت إلى واحدة منهما.

قالت: فخبرنى فيم خرجت؟

قال: يا هذه! لم أخرج فى هذا الوقت، وأنا أريد أن يعلم بى أحد.

قالت: لابد أن تخبرنى القصة.

قال: فاكتميه إذًا.

قالت: أفعل، فأخبرها بالقصة على وجهها، وما كان من قوله له ورده عليه، ثم قال لها: أتحيين أن أحلف لك؟

قالت: لا، فإن قلبي قد سكن إلى ما ذكرت، فلما أصبح خزيمة، صالح الغرماء، وأصلح حاله، ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين، فلما وقف ببابه، دخل الحاجب فأخبره بمكانه، وكان مشهوراً بالمروءة، وكان سليمان به عارفاً فأذن له، فلما دخل عليه وسلم بالخلافة، قال: يا خزيمة! ما أبطأك عنا؟

قال: سوء الحال.

قال: فما منعك من النهضة إلينا؟

قال: ضعفى.

قال: فبم نهضت؟

قال: لم أعلم، بعد هدوء من الليل إلا ورجل طرق بابى، فكان منه كيت وكيت، وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها.

فقال له: هل تعرفه؟

قال: ما عرفته يا أمير المؤمنين، وذلك أنه كان متنكراً، وما سمعت منه إلا: «جابر عثرات الكرام»، فتلهف سليمان على معرفته.

وقال: لو عرفناه لأعناه على مروءته، ثم قال: على بقناة، فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة التى عمل بها عكرمة الفياض، فخرج خزيمة طالباً الجزيرة، فلما وصل إليها خرج عكرمة وأهل بلده للقاءه فسلم عليه، ثم صاراً جميعاً إلى أن دخلاً جميعاً، فنزل خزيمة دار الإمارة، وأمر أن يؤخذ عكرمة بكفيل وأن يُحاسب، فحوسب فوجد عليه فضول كثيرة، فطالبه بأدائها، قال: ما لى إلى شىء منها سبيل، فنزل خزيمة دار الإمارة.

قال: لا بد منها.

قال: ما هي عندي، فاصنع ما أنت صانع، فأمر به إلى الحبس، ثم بعث إليه يطالبه، فأرسل إليه: لست ممن يصون ماله بعرضه، فاصنع ما شئت، فأمر به فكُبل بالحديد وضيق عليه وأقام كذلك شهرًا أو أكثر، فأضناه ذلك وأضر به، وبلغ ابنة عمه ضره، فجزعت واغتمت لذلك، ثم دعت مولاة لها ذات عقل، فقالت: امضي الساعة إلى باب هذا الأمير خزيمة ابن بشر، فإذا دخلت عليه، فسليه أن يخليك، فإذا فعل فقولِي له: ما كان هذا جزاء «جابر عثرات الكرام» منك أن كافأته بالحبس والضيق والحديد، ففعلت ذلك، فلما سمع خزيمة قولها قال: واسوأناه وإنه لهو.

قالت: نعم، فأمر من وقته بدابته فأسرجت، وبعث إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وأتى بهم إلى الحبس ففتح، ودخل خزيمة ومن معه، فلقي عكرمة في الحبس متغيرًا قد أضناه الضر، فلما نظر إليه عكرمة وإلى الناس، أحشمه ذلك فنكس رأسه إليه، وقال: ما أعقب هذا منك؟

قال: كريم فعالك وسوء مكافأتي.

قال: يغفر الله لنا ولك، ثم أمر بالحديد ففك القيد عنه، وأمر خزيمة بوضعه في رجله نفسه.

فقال عكرمة: تريد ماذا؟

قال: أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك.

قال: أقسم عليك بالله ألا تفعل، فخرجا جميعًا إلى أن وصلا دار خزيمة، فودعه عكرمة وأراد الانصراف، فقال له: ما أنت ببارح.

قال: فماذا تريد؟

قال: أغير من حالك ما رث، وحيائي من ابنة عمك أشد من حيائي



منك، ثم أمر بالحمام فأخلى فدخلًا جميعًا، ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه، ثم خرجا فخلع عليه فجملته، فحمل إليه مالا كثيرا، ثم سار معه إلى داره فاستأذن في الاعتذار من ابنة عمه فأذن له، فاعتذر إليها، وتذمم من ذلك ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرملة، فدخل الحاجب فأعلمه بقدم خزيمة بن بشر، فراعته ذلك، وقال: والى الجزيرة يقدم بغير أمرنا؟ ما هذا إلا لحادث عظيم، فلما دخل عليه قال له قبل أن يسلم عليه: ما وراءك يا خزيمة؟ قال: خير يا أمير المؤمنين.

قال: فما الذي أقدمك؟

قال: ظفرت بجابر عثرات الكرام، فأحببت أن أسرك لما رأيت من تلهفك عليه وتشوقك إلى رؤيته.

قال: ومن هو؟

قال: عكرمة الفياض، فأذن له بالدخول، فدخل وسلم عليه بالخلافة، فرحب به، وأدناه من مجلسه.

فقال له: يا عكرمة! ما كان خيرك لخزيمة إلا وبالا عليك، ثم قال له: اكتب حوائجك كلها وما تختاره في رقعة.

قال: أوتعفيني يا أمير المؤمنين؟

قال: البد من ذلك، ثم دعا بدواة وقرطاس وقال: اعتزل، واكتب جميع حوائجك ففعل ذلك، فأمر بقضائها جميعًا من ساعته، وأمر له بعشرة آلاف دينار، وبسفطين ثيابًا، ثم دعا بقناة، وعقد له على الجزيرة، وأرمينية، وأذربيجان، وقال له: أمر خزيمة إليك، إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته.

قال: بل أردّه إلى عمله، ثم انصرفا جميعاً، ولم يزالا عاملين لسليمان ابن عبد الملك مدة خلافته»^(١).

✽ وهكذا يكون الجزاء وهكذا تكون المروءة فقد قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٢).

فإن من أسدى إليك معروفاً فلا بد أن تكافئه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(٣).

✽ وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أبلى بلاءً فذكره فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره»^(٤).

✽ وعن أنس رضي الله عنه أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله، ذهبت الأنصار بالأجر كله، قال: «لا، ما دعوتكم الله لهم، وأنثيتهم عليهم»^(٥).

✽ وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صنّع إليه معروفٌ، فقال لفاعله: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الشاء»^(٦).

✽ وقال عمر: لو يعلم أحدكم ما له في قوله: جزاك الله خيراً، لأكثر منها بعضكم لبعضٍ»^(٧).

(١) المستجاد من فعل الأجواد (ص ١٨ - ٢٢).

(٢) سورة الرحمن: آية (٦٠).

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧١٩).

(٤) صحيح: رواه أبو داود والضياء وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٣٣).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وصححه الألباني في المشكاة (٣٢٠٦).

(٦) صحيح: رواه الترمذي، والنسائي، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٨).

(٧) كتاب الأدب/ أبو بكر بن أبي شيبة ص (٢٥٥) رقم (٢٣٤).



من أراد الله إطلاقه لا أقدر على منعه

✽ ذكر الحميدى أن الوزير أبا عمر أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة ٤٠٢ هـ، والد ابن حزم الفقيه، كان جالساً بين يدي مخدمه المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر فى بعض مجالسه العامة، فرُفعت إليه رقعة استعطاف لأم رجل مسجون كان المنصور اعتقله حنقاً عليه لجُرم استعظمه منه، فلما قرأ الرقعة اشتد غضبه، وقال: ذكرتنى والله به، وأخذ القلم وأراد أن يكتب: يُصلب، فكتب: يُطلق، ورمى الورقة إلى وزيره المذكور، وأخذ الوزير القلم وتناول الورقة وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرطة، فقال له المنصور: ما هذا الذى تكتب؟

قال: بإطلاق فلان، فحرد^(١)، وقال: مَنْ أمرك بهذا؟ فناوله التوقيع، فلما رآه قال: وهَمْتُ، والله لِيُصْلَبَنَّ، ثم خَطَّ على التوقيع، وأراد أن يكتب «يُصلب» فكتب «يُطلق»، فأخذ الوزير الورقة، وأراد أن يكتب إلى الوالى بالإطلاق، فنظر إليه المنصور وغضب أشد من الأول، وقال: مَنْ أمر بهذا فناوله التوقيع، فرأى خطّه، فخطَّ عليه، وأراد أن يكتب «يُصلب» فكتب «يُطلق»، وأخذ الوزير التوقيع وشرع فى الكتابة إلى الوالى، فرآه المنصور فأنكر أكثر من المراتين الأوليين، فأراه خطه بالإطلاق، فلما رآه عجب من ذلك، وقال: نعم يُطلق على رغمى، فمن أراد الله سبحانه إطلاقه لا أقدر أنا على منعه^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أى: غضب.

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ٣٢٨-٣٢٩).

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

❁ حُكِيَ أن خدام بعض الملوك، التقطوا طفلاً كان مطروحاً بالطريق فأمر الملك بضمه إلى أهل بيته، وسماه أحمد اليتيم، فلما نشأ، ظهرت عليه أمارات النجابة والفتنة، فهذبته وعلمه، واصطفاه وقدمه في جميع أعماله وشئون قصره، وذات يوم، أمره أن يُحضر شيئاً من بعض حجراته، وحين ذهب، رأى جارية كانت مقربة من الملك في حال مربية مع خادم من خدام القصر، فتوسلت إليه أن يكتم خبرها، وعرضت نفسها عليه، فقال: معاذ الله! أن أخون الملك، وقد أحسن إليّ، ثم تركها وانصرف.

فأوجست الجارية في نفسها خيفة، وتوهمت أنه سيفشى سرها، فذهبت إلى الملك باكية شاكية فسألها، فقالت: إن أحمد اليتيم، راودها عن نفسها وهم أن يقهرها على فعل منكر، فغضب أشد غضب، وعزم على قتله.

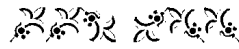
فقال لكبير خدمه: إذا بعثت إليك أحداً بكذا أو كذا فاقتله، وابعث برأسه إليّ، وبعد قليل أحضر الملك أحمد اليتيم، وقال له: اذهب إلى فلان واطلب منه كذا وكذا، فامتثل وذهب، وفيما هو في طريقه لقي بعض الخدم، فحكّموه في أمر اختلفوا فيه، فأخبرهم بما هو مكلف به، فقالوا: نبعث الخادم فلان؛ ليحضر ما تطلب، حتى تفصل في أمرنا، فأجابهم إلى ما طلبوا.

وذهب ذلك الخادم، وأخبر رئيس الخدم برسالته فقتله وحزّ رأسه، وجاء بها إلى الملك، فلما أبصره وكشف عنه الغطاء، رأى رأساً أخرى، فأمر بإحضار أحمد اليتيم فسأله عن خبره فأخبره بما كان.

فقال له الملك: أتعرف لهذا الخادم ذنباً؟



قال: نعم. إنه فعل كذا وكذا مع فلانة الجارية، وقد سألاني بالله ربي أن
أكتم خبرهما، فلما سمع الأمير ذلك سكن ما به، وأمر بقتل الجارية، وأعاد
إلى أحمد ثقته به، واطمئنانه إليه.



وقد يأتى الفرج من حيث لا تحتسب

عن عبيد الله بن مُحَمَّد العبقسى، عن بعض تجار الكرخ ببغداد، قال: كنت أعامل رجلاً من الخُراسانية، أبيع له فى كل موسم متاعاً، فأنتفع من سمسرته بألوف دراهم.

فلَمَّا كَانَ سنة من السنين تأخر عني، فأثر ذلك في حالي، وتواترت عليّ مِحَنٌ، فأغلقت دكاني وجلست في بيتي، مستتراً من دينٍ لحِقَنِي أربع سنين.

فلَمَّا كَانَ في وقت الحَاج، تتبعت نفسي خبر الخُراساني، طمَعاً في إصْلَاح أَمْرِي بِهِ، فمضيت إلى سوق يحيى، فلم أعط له خبراً، فرجعت، فنزلت الجزيرة وأنا تعبٌ مغموم.

وكان يوماً حاراً، فنزلت إلى دجلة، فتغسلت، وصعدت، فابتل موضع قدمي، فقلعت رجلي قطعة من الرمل، انكشفت عن سير.

فلبست ثيابي، وجلست مُفكراً أولع بالسير، فلم أزل أجْرهُ حتّى ظهر لي هميان موصول به، فأخذه، فإذا هو مملوء دنائير، فأخفيته تحت ثيابي، ووافيت منزلي، فإذا فيه ألف دينار.

فَقَوِيَتْ نفسي قُوَّةً شديدة، وعاهدت الله ﷻ، أنه متى صلحت حالي، وعادت، أن أعرف الهميان، فمن أعطاني صفته، رددته عليه.

واحتفظت بالهميان، وأصلحت أَمْرِي مع غُرمائي، وفتحت دُكَّاني، وعُدت إلى رسمي من التَّجَارَةِ والسَّمسرة، فما مضت إلا ثلاث سنين حتّى حصل في ملكي ألوف الدنانير.



وَجَاءَ الْحَجَّ، فَتَبِعْتَهُمْ لِأَعْرِفَ الْهِمَّيَّانَ، فَلَمْ أَجِدْ مِنْ يُعْطِينِي صِفَتَهُ،
فَعُدْتُ إِلَى دِكَانِي.

فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ، إِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ حِيَالِ دُكَانِي، أَشْعَثَ، أَغْبَرَ، وَافِيَ
السَّبَالَ، فِي خَلْقَةٍ سُؤَالَ الْخِرَاسَانِيَّةِ، وَزِيَّهِمْ، فَظَنَنْتُهُ سَائِلًا، فَأَوْمَأْتُ إِلَى
دَرِيْهِمَاتٍ لِأَعْطِيَهُ، فَأَسْرَعَ الْإِنْصِرَافَ، فَارْتَبْتُ بِهِ، فَقُمْتُ، وَلَحِقْتُهُ، وَتَأَمَّلْتُهُ،
فَإِذَا هُوَ صَاحِبِي الَّذِي كُنْتُ أَنْتَفِعُ بِسَمْسَرَتِهِ فِي السَّنَةِ بِالْوَلَفِ الدَّرَاهِمِ.
فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا، مَا الَّذِي أَصَابَكَ؟ وَبَكَيْتُ رَحْمَةً لَهُ.

فَبَكَى، وَقَالَ: حَدِيثِي طَوِيلٌ.

فَقُلْتُ: هِيَ إِلَى الْبَيْتِ، وَحَمَلْتُهُ إِلَى مَنْزَلِي، فَأَدْخَلْتُهُ الْحَمَامَ، وَأَلْبَسْتُهُ
ثِيَابًا نِظَافًا، وَأَطْعَمْتُهُ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ خَبْرِهِ.

فَقَالَ: أَنْتَ تَعْرِفُ حَالِي وَنِعْمَتِي، وَإِنِّي أَرَدْتُ الْخُرُوجَ إِلَى الْحَجِّ فِي
آخِرِ سَنَةٍ جِئْتُ إِلَى بَغْدَادَ، فَقَالَ لِي أَمِيرُ الْبَلَدِ: عِنْدِي قِطْعَةٌ يَاقُوتٌ أَحْمَرٌ
كَالْكَفِّ، لَا قِيَمَةَ لَهَا عَظْمًا وَجَلَالَةً، وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ، فَخَذَهَا مَعَكَ،
فَبِعَهَا لِي بِبَغْدَادَ، وَاشْتَرَيْتُ مِنْ ثَمَنِهَا مَتَاعًا طَلَبَهُ، مِنْ عِطْرِ، وَطُرْفٍ، بِكَذَا
وَكَذَا، وَاحْمَلْتُ الْبَاقِيَ مَالًا.

فَأَخَذْتُ قِطْعَةَ الْيَاقُوتِ، وَهِيَ كَمَا قَالَ، فَجَعَلْتُهَا فِي هِمَّيَّانِ جِلْدٍ، مِنْ
صِفَتِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ، وَوَصَفَ الْهِمَّيَّانَ الَّذِي وَجَدْتُهُ، وَجَعَلْتُ فِي الْهِمَّيَّانِ
أَلْفَ دِينَارٍ عَيْنًا مِنْ مَالِي، وَحَمَلْتُهُ فِي وَسْطِي.

فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى بَغْدَادَ، نَزَلْتُ أَسْبَحَ عَشِيًّا فِي الْجَزِيرَةِ الَّتِي بِسُوقِ يَحْيَى،
وَتَرَكْتُ الْهِمَّيَّانَ وَثِيَابِي بِحَيْثُ أَلَا حَظَهَا.

فَلَمَّا صَعِدْتُ مِنْ دَجَلَةٍ، لَبَسْتُ ثِيَابِي عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَأُنْسِيتُ

الْهَمِيَانِ، فَلَمْ أَذْكُرْهُ إِلَّا أَنْ أَصْبَحْتُ، فَعُدْتُ أَطْلُبُهُ، فَكَأَنَّ الْأَرْضَ ابْتَلَعَتْهُ.
فَهَوَّنتُ عَلَى نَفْسِي الْمُصِيبَةِ، وَقُلْتُ: لَعَلَّ قِيَمَةَ الْحَجَرِ ثَلَاثَةَ آلَافِ
دِينَارٍ، أَغْرَمَهَا لَهُ.

فَخَرَجْتُ إِلَى الْحَجِّ، فَلَمَّا رَجَعْتُ، حَاسِبْتُكَ عَلَى ثَمَنِ مَتَاعِي،
وَاشْتَرَيْتُ لِلْأَمِيرِ مَا أَرَادَهُ، وَرَجَعْتُ إِلَى بِلْدِي، فَأَنْفَذْتُ إِلَى الْأَمِيرِ مَا
اشْتَرَيْتُهُ، وَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتَهُ بِخَبْرِي.

وَقُلْتُ لَهُ: خُذْ مِنْي تَمَامَ ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ، عِوَضًا عَنِ الْحَجَرِ.
فَطَمَعَ فِيَّ، وَقَالَ: قِيَمَتُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَقَبِضْ عَلَيَّ، وَعَلَى جَمِيعِ
مَا أَمْلَكُهُ مِنْ مَالٍ وَمَتَاعٍ، وَأَنْزِلْ بِي صَنُوفَ الْمَكَارِهِ، حَتَّى أَشْهَدَ عَلَيَّ فِي
جَمِيعِ أَمْلَاكِي، وَحِسْنِي سَبْعَ سِنِينَ، كُنْتُ يُرَدَّدُ عَلَيَّ فِيهَا الْعَذَابُ.
فَلَمَّا كَانَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، سَأَلَهُ النَّاسُ فِي أَمْرِي، فَأَطْلَقْنِي.

فَلَمْ يُمْكِنْنِي الْمَقَامَ بِبِلْدِي، وَتَحَمَّلْتُ شِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ، فَخَرَجْتُ عَلَى
وَجْهِی أَعَالِجِ الْفَقْرِ، بِحَيْثُ لَا أَعْرِفُ، وَجِئْتُ مَعَ الْحَجِّ الْخُرَاسَانِي، أَمْشِي
أَكْثَرَ الطَّرِيقِ، وَلَا أَدْرِي مَا أَعْمَلُ، فَجِئْتُ إِلَيْكَ لِأَشَاوِرَكَ فِي مَعَاشٍ أَتَعْلَقُ
بِهِ.

فَقُلْتُ: قَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بَعْضَ ضَالَّتِكَ، هَذَا الْهَمِيَانُ الَّذِي وَصَفْتَهُ،
عِنْدِي، وَكَانَ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ أَخَذْتَهَا، وَعَاهَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى، أَنَّنِي ضَامِنُهَا لِمَنْ
يُعْطِينِي صِفَةَ الْهَمِيَانِ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنِي أَنْتَ صِفَتَهُ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَكَ، وَقَمْتُ،
فَجِئْتُ بِكَسٍ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ.

وَقُلْتُ لَهُ: تَعِيشُ بِهَذَا فِي بَغْدَادَ، فَإِنَّكَ لَا تَعْدُمُ خَيْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
فَقَالَ لِي: يَا سَيِّدِي الْهَمِيَانُ بِعَيْنِهِ عِنْدَكَ، لَمْ يَخْرُجْ عَنْ يَدِكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ.



فشهق شهقة، ظننت أنه قد مات معها، وغشى عليه، فلما أفاق بعد ساعة، قال لي: أين الهميان؟ فجئته به، فطلب سكيناً، فأتته بها، فخرق أسفل الهميان، وأخرج منه حجر ياقوت أحمر، أشرق منه البيت، وكاد يأخذ بصري شعاعه، وأقبل يشكرني، ويدعو لي.

فقلت له: خذ دنائرك.

فحلف بكل يمين، لا يأخذ منها إلا ثمن ناقة، ومحمل، ونفقة تبلغه، فبعد كل جهد أخذ ثلاث مائة دينار، وأحلني من الباقي، وأقام عندي، إلى أن عاد الحاج، فخرج معهم.

فلما كان العام المقبل، جاءني بقریب مما كان يجيئني به سابقاً من المتاع.

فقلت له: أخبرني خبرك.

فقال: مضيت، فشرحت لأهل البلد خبري، وأريتهم الحجر، فجاء معي وجوههم إلى الأمير، أعلموه القصة، وخاطبوه في إنصافي.

فأخذ الحجر، ورد على جميع ما كان أخذه مني، من متاع، وعقار، وغير ذلك، ووهب لي من عنده مالا.

وقال: اجعلني في حل مما عذبتك وأذيتك، فأحللته.

وعادت نعمتي إلي ما كانت عليه، وعُدت إلي تجارتي ومعاشي، وكل هذا بفضل الله تعالى ثم بفضلك ... ودعالي.

وكان يجيئني بعد ذلك، حتى مات^(١).

اتق دعوة المظلوم

خرج أحد الصيادين صبيحة يومه يطلب رزقاً حلالاً فرمى شبكته فلم يُخرج شيئاً فأخذ يبتهل إلى الله فأولاده يصرخون جوعاً في بيته، واقتربت الشمس من المغيب، فرزقه الله سمكة ضخمة، فحمد الله تعالى، وأخذها مسروراً إلى بيته وإذا بملك قد خرج للنزهة فرآه فأحضره وعلم ما معه فأعجبته السمكة، فأخذها عنوة، وذهب إلى قصره فأراد أن يدخل سروراً على الملكة فأخرج السمكة أمامها فاستدارت السمكة وعضت أصبعه فلم يسترح ليلته ولم ينم فأحضر الأطباء فأشاروا بقطع أصبعه، ولكنه لم يسترح بعدها؛ لأن السم كان قد تسرب إلى يده، فأشاروا بقطع يده ولكنه لم يسترح أيضاً بل أخذ يصرخ ويستغيث فأشاروا بقطع ذراعه فاستراح من الآلام الجسدية، ولم تهدأ نفسه فعلم الأمر فأشاروا عليه أن يذهب إلى طبيب من أطباء القلوب - العلماء الحكماء - فذهب وأخبره قصة السمكة، فقال له: لن تهدأ إلا إذا عفى عنك الصياد فبحث الملك عن الصياد حتى وجده وشكى إليه أمره واستحلفه أن يصفح عنه فعفا عنه، وصفح فقال له الملك: ماذا قلت في؟ فقال: ما قلت سوى كلمة واحدة: «اللهم إنه أظهر على قوته فأرني فيه قدرتك».



﴿ لا تحزن أيها المظلوم فالله ناصرك ﴾

لا تحزن أيها المظلوم ولا تيأس فالله (جل وعلا) معك وسينصرك..
فإن لم تأخذ حَقَّكَ في الدنيا؛ فسوف يضاعف لك الأجر في الآخرة وستأخذ
من حسنات من ظلمك حتى ترضى.

﴿ وحسبك أنك تنتظر يوماً يجمع الله فيه الأولين والآخرين...
والحكم العدل هو الله (جل وعلا)... والشهود الملائكة.

قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ
كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾^(١).

وقال تعالى تسلياً للمظلومين: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ ﴾ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي
رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾^(٢).

قال أبو الدرداء: إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسرى بالليل
والناس نيام.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه	وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن	لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربي	ويرسلها إذا نفذ القضاء

﴿ مرَّ رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال: يا رب إن حِلْمَكَ عَلَى
الظالمين قد أضرَّ بالمظلومين!!

(١) سورة الأنبياء: الآية (٤٧).

(٢) سورة إبراهيم: الآيتان (٤٢، ٤٣).

فنام تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين، وإذا منادٍ ينادى: حلمى على الظالمين، أحلّ المظلومين في أعلى عليين.

❁ وها هو أحمد بن أبى دؤاد الإيادى:

المعتزلى قاضى المعتصم، الذى جر البلاد إلى محنة خلق القرآن، وبسببه أهين علماء الأمة وعُذِّبوا وسُجِنوا وقُتِلوا.

بسبب ابن أبى دؤاد هذا قُتل أحمد بن نصر الخزاعى، وسُجن الإمام أحمد وعُذِّب بالسياط، ودعا عليه الإمام أحمد، فحبسه الله فى جسده كما حُبس الإمام، ودخل عليه وعاده عبد العزيز الكنانى، وقال له: لم آتكَ عائداً، بل لأحمد الله أن سجنك فى جلدك^(١).

قال ابن كثير: ابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقى طريقاً فى فراشه، لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده، وحُرِّم لذة الطعام والشراب والنكاح، وغير ذلك، جعل نصف جسده لو سقط عليه ذباب فكأنما نهشته السباع، والنصف الآخر لو نهشته السباع لم يحس به^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٠، ١٧١).

(٢) البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٥، ٣٣٦).



سترك الله كما سترتنى

✽ قال أحمد بن مهدي:

جاءتنى امرأة ببغداد ليلة من الليالى فذكرت أنها من بنات الناس، وأنها امتُحنت بمحنة وقالت: أسألك بالله أن تسترنى. فقلت: وما محتتك؟ فقالت: أكرهت على نفسى، وأنا حُبلى، وذكرت للناس أنك زوجى وأن ما بى من الحبل منك، فلا تفضحنى، استرنى سترك الله. فسكْتُ عنها ومضت. فلم أشعر حتى وضعت وجاء إمام الحي فى جماعة الجيران يهنئونى بالولد فأظهرت لهم التهلُّل ووزنت فى اليوم الثانى دينارين ودفعتهما إلى الإمام فقلت: أبلغ هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود فإنه سبق ما فرق بينى وبينها. فكنت أدفع كل شهر دينارين وأوصله إليها بيد الإمام وأقول: هذه نفقة المولود إلى أن أتى على ذلك ستتان ثم توفى المولود فجاءنى الناس يُعزونى، فكنت أظهر لهم التسليم والرضا فجاءتنى المرأة ليلة من الليالى بعد شهر ومعها تلك الدنانير التى كنت أبعث بها بيد الإمام فردَّتها وقالت: سترك الله كما سترتنى. فقلت: هذه الدنانير كانت صلة منى للمولود، وهى لك فإنك رببته فاعملى فيها ما تريد^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَجَبًا لِمَكْرُوبٍ كَيْفَ يَغْفَلُ عَنْ خَمْسٍ

❖ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: عَجَبًا لِمَكْرُوبٍ غَفَلَ عَنْ خَمْسٍ، وَقَدْ عَرَفَ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِمَنْ قَالَهُنَّ ... قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ❖ (١).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ ❖ (٢).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤) فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّامَكُرُوا ❖ (٣).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ❖ (٤).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤٧) فَعَالَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ❖ (٥).

(١) سورة البقرة: الآيات (١٥٥-١٥٧).

(٢) سورة آل عمران: الآيات (١٧٣-١٧٤).

(٣) سورة غافر: الآيات (٤٤-٤٥).

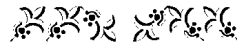
(٤) سورة الأنبياء: الآيات (٨٧-٨٨).

(٥) سورة آل عمران: الآيات (١٤٧-١٤٨).



قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ:

من لزم قِرَاءَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الشَّدَائِدِ، كَشَفَهَا اللهُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ قَدْ وَعَدَ، وَحَكَمَ فِيهِنَّ، بِمَا جَعَلَهُ لِمَنْ قَالَهُنَّ، وَحُكْمُهُ لَا يَبْطُلُ، وَوَعْدُهُ لَا يُخْلَفُ^(١).



(١) الفرج بعد الشدة (١/ ٦٤) للتوخى.

إن في ذلك لعبرة

باع بقرفته التى لا يملك سواها بثلاثة آلاف ليرة، وقبض الثمن، ووضعها فى كيس، ثم دسه فى وسطه... وتوجه إلى منزله وعليه علامات الحزن والحسرة، وعلمت زوجها ببيع البقرة التى يملكونها، فأخذت تُعزّيه عن فقدها وتُمنّيه بأن الله سيعوّض عليهم بأحسن منها.

وجاء الليل، وآوى الناس إلى منازلهم من شدة البرد، وجلس الرجل «أبو حسن» وزوجه فى غرفتهما المتواضعة، وبينما كانت أم حسن تُعلّل طفلها بالرضاع الكاذب؛ لتحمله على الفطام، إذا بطرقات خفيفة على باب الدار، وفتح أبو حسن الباب، فإذا برجل يرتجف من شدة البرد والمطر، يقول: غريب ألجأنى البرد إلى قريبتكم، ولا أعرف بها أحداً، وأنا فى طريقى إلى مدينة حمص.

فقال أبو حسن: ماذا نستطيع أن نقدّم لك، ونحن أسرة فقيرة، وبيتنا ضيق، لا يُساعدنا على استقبال الضيوف.

فقال الغريب: أرجوكم البرد شديد اسمحوا لى فقط بالمبيت عندكم حتى الصباح، ولا أريد أن أكلفكم أية نفقة.

فقال أبو الحسن: ليس لدينا سوى هذه الغرفة أنام بها أنا وزوجى وطفلنا الصغير؛ فاعذرنا لعدم وجود مكان لك.

فقال الغريب: أنام فى هذه الزاوية، وتنامون أنتم فى الجانب الآخر، ويُمكنكم أن تضعوا بيننا حاجزاً، وأجركم على الله.

رقّ قلب أم حسن لهذا الغريب، وقالت: يُعيننا الله يا أبا الحسن، ولعله



يرد عنا المصائب بحسنة هذا الضيف الغريب....

ورحبا بالضيف، ثم قام كل إلى فراشه بعد أن أعدوا للضيف ما وجدوا من غطاء وفراش، وما لبث أبو حسن وزوجه أن غطوا في نومهم، فقد أجهدهم التعب والسهر، كان الغريب يرقب أهل الدار حتى تيقن أنهم استغرقوا في نومهم، وإلى جانبهم طفلهم الرضيع، فقام الغريب من فراشه على أطراف أصابعه، وراح يتحسس موضع الطفل، فحمله وخرج به من الغرفة، ووضعه بعيدا في فناء الدار... وعاد إلى فراشه، وتظاهر بالنوم.

وأحس الطفل بلسع البرد، فراح يبكي، فاستيقظت أم حسن على بكائه، وتحسست فراش الطفل، فلم تجده فيه، فأيقظت زوجها، وقالت له: لقد حبا الطفل إلى فناء الدار، قم بنا نعيده إلى فراشه قبل أن يضره البرد.

فقاما حتى وصلا إلى الطفل، وانحت عليه أمه، وضمتته إلى صدرها، وهي تقول: لهفى عليك يا ولدى ما الذى أخرجك من فراشك فى هذا البرد الشديد.

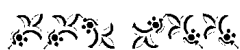
وما كاد أبو حسن وزوجه يتجهان بطفلهم نحو الغرفة حتى خر السقف، وانهدمت الدار، فوقفا واجمين، وسمع الجيران فرقعة الخشب، وسقوط السقف، فجاؤوا ليُسهِمُوا بالإنقاذ، فقال أبو الحسن: يا ناس: عندنا ضيف فى داخل الدار، يجب أن ننقذه قبل كل شىء.

ودخل أبو حسن بصحبة بعض الجيران، وسعوا إلى موضع الضيف، فلم يجدوه، فأخذوا يرفعون الأنقاض حتى وصلوا إلى سرير أبى حسن، وإذا بالضيف ميتا تحت الأنقاض وبيده كيس النقود، وقد أخرجه من تحت الوسادة التى ينام عليها صاحب الدار.

كان هذا اللص قد حضر السوق، ورأى أبا الحسن وهو يبيع البقرة، ويضع ثمنها في الكيس، فقرّر سرقة الثمن، ورسم الخطة لاختلاس المال، وتبع أثر صاحب البقرة من بعيد حتى رآه يدخل الدار، فلما أذنوا له بالمبيت حمل الطفل ليلاً إلى خارج الدار، وتركه يبكي ليخرج أهله إليه، وعندها يتسنى له أخذ الكيس الذي فيه ثمن البقرة، وقد رأى أبا حسن يدسه تحت الوسادة.

كان اللص يضع الخطة، وكان الله له بالمرصاد، فما كاد يُنفذ خطته حتى يأذن الله أن يتعجّل بالعقاب لهذا الماكر الشرير، مُنكر الجميل، وأن يُنقذ الطفل وأهله من سوء المصير، فأوحى إلى الطبيعة، فثارت ثورتها، وسقط السقف على اللص، فقضى نحبّه تحت الأنقاض، فإن غفل الإنسان لا تغفل يدُ الله، وانصرف الناس، وهم يقولون هذا مثل الجزاء السريع للذنوب الفظيعة.

وحقاً إن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب^(١) (٢).



(١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

(٢) أنيس الصالحين (ص: ٢٣، ٢٤).



لقمة بلقمة

✽ روى محمد بن بكر الخزاعي، فقال: كان لامرأة ابنٌ، فغاب عنها، غيبة طويلة، وأيست منه، فجلست يوماً تأكل، فحين كسرت اللقمة، وأهوت بها إلى فيها (فمها) وقف بالباب سائل يستطعم، فامتنعت من أكل اللقمة، وحملتها مع تمام الرغبة، فتصدّقت بها، وبقيت جائعة يومها وليلتها.

فما مضت إلا أيام يسيرة حتى قدّم ابنها، فأخبرها بشدائد عظيمة مرّت به.

وقال: أعظم ما جرى عليّ أنّي كنت منذ أيام، أسلك في أجمة في الموضع الفلاني، إذ خرج عليّ أسدٌ، فقبض عليّ من على ظهر حمار كنت راكبه، وأسرع الحمار في عدّوه، ونشبت مخالب الأسد في مرقعة كانت عليّ، وثيابي تحتها وجبة، فما وصل إلى بدني كبير شيء من مخالفته، إلا أني تحيرت ودُهِشت وذهب أكثر عقلي، وهو يحملني حتى أدخلني أجمة كانت هناك، وبرك عليّ يفرسني.

فرايت رجلاً عظيم الخلق، أبيض الوجه والثياب، قد جاء حتى قبض على الأسد من غير سلاح، وشاله وخبط به الأرض، وقال: قم، لقمة بلقمة. فقام الأسد يهرول، وثاب إلى عقلي، فطلبت الرجل، فلم أجده.

وجلست بمكاني ساعات، إلى أن رجعت إلى قوّتي، ثم نظرتُ إلى نفسي، فلم أجد بها بأساً، فمشيت، فلحقت القافلة التي كنت فيها،

فتعجبوا لما رأوني، فحدثتهم حديثي، ولم أدرِ ما معنى قول الرجل: لقمة بلقمة.

فنظرت المرأة فإذا هو وقت أن أخرجت اللقمة من فيها، فتصدّقت بها^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخبار المذاكرة (١٦/٢) للتنوخى.



أبو بكر المسكى

❦ كان هناك شيخ جليل اسمه أبو بكر المسكى ولم يكن هذا هو اسمه الحقيقى ولكنه سُمى بالمسكى لأنه كان إذا جلس للإقراء تُشَمُّ منه رائحة المسك، ف قيل له فى ذلك، فقال: إني كنت أيام شبابى أقرأ على الشيخ، وكنت ألقى فى طريقى امرأة سوداء تُسَلِّم علىَّ غدوة وعشية، إلى أن قالت لى يوماً:

أيها الفتى، إن سيدتى أتاها كتابٌ من بعض قرابتها فعسى أن تدخل معى إلى داخل الدويرة، تقرأه عليها، وتكون وراء ستر تسمعك، فإنها من أهل الصيانة.

فقلت لها: نعم، ودخلت، فلما توسطت الدار قعدت السوداء، وخرجت لى جاريةً كأنها فلقة قمر.

فقالت: ادخل، فخرجت وأردت الانصراف، فرجعت إلى الأبواب فوجدتها قد غُلِّقت، ورمت يدها فى أثوابى، وقالت لى:

كم لك تعذبنى؟! والله لا زلت من يدى حتى تفعل معى ما يفعل الرجل بأهله!

فقلت لها: اتق الله أيتها المرأة.

فقالت: دَعْ عنك هذا، وقم، فقلت لها: إني أريد الدخول إلى بيت الماء.

فقالت: نعم، فقمْتُ ودخلتُ إلى المرحاض، وطليتُ رأسى بالعدرة (الغائط) وثيابى، وخرجتُ فنظرتُ إلى فنادت خادمتها:

أخرجني عنى هذا الأحمق، ففُتح لى الباب وخرجت إلى البحر
 فاغتسلت، وغسلتُ ثيابى، وشكرت الله تعالى على العافية.
 فمن ذلك اليوم عوّضنى الله بهذه الرائحة التى تُشَمُّ على^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) جنة الرضا (١٧٨/٢) للغرناطى.



آثره بحياته .. فكانت النجاة

عن محمد بن داود قال: سمعت أبا بكر الفوطي وأبا عمرو بن الأدمي يقولان: كنا متآخيان في الله ﷻ، خرجنا من بغداد نريد الكوفة، فلما صرنا في بعض الطريق إذا نحن بسبعين رابضين على الطريق، فقال أبو بكر لأبي عمرو: أنا أكبر منك سنًا فدعني أتقدمك فإن كانت حادثة اشتغلا بي عنك وجُزرت أنت. فقال له أبو عمرو: نفسي ما تسامحني بهذا ولكن نكون جميعًا في مكانٍ واحد فإن كانت حادثة كنا جميعًا، فجازا جميعًا بين السبعين فلم يتحركا ومرا سالمين^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (١٤/٣٨٨).

دخل عليه الأسد.. فلم ينشغل قلبه إلا بالله

✽ يقول أبو علي الروذباري رَحِمَهُ اللهُ:

كان سبب دخولي مصر حكاية بنان الجمال، وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف ونهاه عن المنكر، فأمر به أن يُلقَى بين يدي سبع، فجعل السبع يشمه ولا يضره.

فلما أُخرج من بين يدي السبع قيل له: ما الذي كان في قلبك حين شَمَّكَ السبع؟

قال: كنت أتفكر في اختلاف العلماء في سؤر السباع ولعابها^(١).

وما أروع تصوير مصطفى صادق الرافعي لهذه القصة الحقيقية بقلمه الأدبي قائلًا:

قال أبو علي الروذباري: وكنت حاضرًا أمرهم ذلك اليوم، فجيء بالأسد وكان الأسد الذي اختاروه للشيخ أغلظ ما عندهم، جسيمًا، ضاريًا، عارم الوحشية، متزيل العضل، شديد عصب الحلق، يلوح شذقه من سعته وروعته كفتحة القبر ينبئ أن جوفه مقبرة، ويظهر وجهه خارجًا من لبدته، يهم أن ينقذف على من يراه فيأكله!

وأجلسوا الشيخ في قاعة وأشرفوا عليه ينظرون، ثم فتحوا باب القفص من أعلاه فجذبوه فارتفع؛ وهجهجوا بالأسد يزجرونه، فانطلق يزجر ويزار زئيرًا تنشق له المراثر، ويتوهم من يسمعه أنه الرعد وراءه الصاعقة!

(١) أخرجه أبو نعيم (٣٢٤/١٠) في الحلية، والخطيب (١٠١/٧)، في تاريخ بغداد، وابن الجوزي (٤٤٩/٢) في صفة الصفوة، والذهبي (٤٨٩/١٤) في سير أعلام النبلاء، وطبقات الأولياء (ص/ ٢١٤) لابن الملقن.



ثم اجتمع الوحش في نفسه واقشعرَّ، ثم تمطى كالمنجنيق يقذف الصخرة، فما بقى من أجل الشيخ إلا طرفة عين؛ ورأيناه على ذلك ساكنًا مطرقًا لا ينظر إلى الأسد ولا يحفل به، وما منا إلا من كاد ينهتك حجاب قلبه من الفزع والرعب والإشفاق على الرجل.

ولم يرُعنا^(١) إلا ذهول الأسد عن وحشيته، فأقعى على ذنبه، ثم لصق بالأرض هنيهة يفتersh ذراعيه، ثم نهض نهضة أخرى كأنه غير الأسد، فمشى مترفقا ثقيل الخطو تسمع لمفاصله قعقعة من شدته وجسامته، وأقبل على الشيخ وطفق يحتك به ويلحظه ويشمه كما يصنع الكلب مع صاحبه الذى يأنس به، وكأنه يعلن أن هذه ليست مصاولة بين الرجل التقى والأسد، ولكنها مبارزة بين إرادة ابن طولون وإرادة الله!

وضربته روح الشيخ فلم يبقَ بينه وبين الأدمى عمل، ولم يكن منه بإزاء لحم ودم، فلو أكل الضوء والهواء والحجر والحديد، كان ذلك أقرب وأيسر من أن يأكل هذا الرجل المتمثل في روحانيته لا يحس لصورة الأسد معنى من معانيها الفاتكة، ولا يرى فيه إلا حياة خاضعة مُسخَّرة للقوة العظمى التى هو مؤمن بها ومتوكل عليها، كحياة الدودة والنملة وما دونها من الهوام والذرا!

ونسى الشيخ نفسه فكأنما رآه الأسد ميتًا ولم يجد فيه «أنا» التى يأكلها، ولو أن خطرة من هم الدنيا ظهرت على قلبه في تلك الساعة أو اختلجت في نفسه خالجة من الشك، لفاحت رائحة لحمه في خياشيم الأسد فتمزق في أنيابه ومخالبه.

(١) يرُعنا: راع الأمر فلانًا: أفزعه.

قال: وانصرفنا عن النظر في السبع إلى النظر في وجه الشيخ، فإذا هو ساهم مُفَكِّر، ثم رفعوه وجعل كُلُّ مَنَّا يظن ظنًّا في تفكيره، فمن قائل: إنه الخوف أذهله عن نفسه، وقائل: إنه الانصراف بعقله إلى الموت، وثالث يقول: إنه سكون الفكرة لمنع الحركة عن الجسم فلا يضطرب، وزعم جماعة أن هذه حالة من الاستغراق يسحر بها الأسد؛ وأكثرنا في ذلك وتجارينا فيه، حتى سأله ابن طولون: ما الذي كان في قلبك وفيم كنت تفكر؟

فقال الشيخ: لم يكن عليَّ بأس، وإنما كنت أفكر في لعب الأسد، أهو طاهر أم نجس^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) نقلًا عن وحى القلم (٣/ ٥٠، ٥١) للرافعي.



أعان الفيلة على قتل ثعبان فكافأوه بما أغناه

عن عبد الله بن مُحَمَّد بن خرسان السيرافي، الْمُقِيم بِالْبَصْرَةِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، قَالَ ذَكَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِ الْبَحْرَيْنِ الَّذِينَ تَرَدَدُوا إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ، أَنَّهُمْ سَمِعُوا هُنَاكَ حِكَايَةَ مُسْتَفِيزَةٍ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ مَعَاشَهُ مِنْ صَيْدِ الْفِيلَةِ قَالَ: اسْتَخْفَيْتُ مَرَّةً فِي شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ عَالِيَةٍ كَثِيرَةِ الْوَرَقِ فِي غِيضَةٍ كَانَتْ تَجْتَازُ بِهَا الْفِيلَةُ، مِنْ شَرَائِعِ الْمَاءِ الَّتِي تَرُدُّهَا إِلَيَّ مَرَاتِعُهَا.

فاجْتَازَ بِي قَطِيعٌ مِنْهَا، وَكَانَتْ عَادَتِي أَنْ أَدْعُ الْقِطْعَانَ تَجُوزُ حَتَّى تَبْلُغَ آخِرَ فِيلٍ مِنْهَا، فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ مَسْمُومٍ فِي بَعْضِ مَقَاتِلِهِ، فَتَجْفُلُ الْفِيلَةُ، فَإِذَا مَاتَ الْفِيلُ الْمَجْرُوحُ، نَزَلْتُ فَاقْتُلْتُ أُنْيَابَهُ وَسَلَخْتُ جِلْدَهُ، وَأَخَذْتُ ذَلِكَ فَبِعْتُهُ فِي الْبِلَادِ.

فَلَمَّا اجْتَازَ بِي هَذَا الْقِطْعُ، رَمَيْتُ آخِرَ فِيلٍ كَانَ فِيهِ، فَخَرَّ، فَاضْطَرَبَتِ الْفِيلَةُ، وَأَسْرَعَتْ عَنْهُ.

فَإِذَا أَعْظَمُهَا قَدْ عَادَ فَوْقَ عَلَيْهِ، وَتَأَمَّلْتُ السَّهْمَ وَالْجُرْحَ، وَرَجَعْتُ مَعَهُ الْفِيلَةُ، وَوَقَفْتُ بِوَقُوفِهِ، فَمَا زَالَ قَائِمًا وَالْفِيلُ الْمَجْرُوحُ يَضْطَرِبُ إِلَيَّ أَنْ مَاتَ.

فَضَجَّ ذَلِكَ الْفِيلُ ضَجِيجًا عَظِيمًا، وَضَجَّتِ الْفِيلَةُ مَعَهُ وَانْتَشَرَتْ فِي الْغِيضَةِ، فَفَتَشَتْهَا شَجَرَةٌ شَجَرَةً، فَأَيَقَنْتُ بِالْهَلَاكِ.

وَانْتَهَى الْفِيلُ الْأَعْظَمُ إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا، فَلَمَّا رَأَيْتُ احْتِكََّ بِالشَّجَرَةِ، فَإِذَا هِيَ قَدْ انْكَسَرَتْ، عَلَى عَظْمِهَا وَضَخَامَتِهَا، وَسَقَطْتُ أَنَا وَالشَّجَرَةُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَمْ أَشْكُ فِي أَنَّ الْفِيلَ يَدُوسُنِي بِرِجْلِهِ.

وَإِذَا بِهِ قَدْ جَاءَ حَتَّى وَقَفَ يَتَأَمَّلُنِي، وَأَحْجَمْتُ الْفِيلَةَ عَنِّي.
فَلَمَّا رَأَى الْفِيلَ الْعَظِيمَ قَوْسِي وَسَهَامِي، لَفَّ خَرْطُومَهُ عَلَى بَرْفُقٍ،
وَشَالَني مِنْ غَيْرِ أَذَى، حَتَّى وَضَعْنِي عَلَى ظَهْرِهِ، وَرَجَعَ يَرِيدُ الطَّرِيقَ الَّتِي
كَانَ أَقْبَلَ مِنْهَا، وَهَرُولٌ، وَهَرُولَتِ الْفِيلَةُ خَلْفَهُ، حَتَّى بَلَغَ الْمَاءَ، وَالْفِيلَةُ مَعَهُ.
فَإِذَا قَدْ خَرَجَ عَلَيْهَا ثَعْبَانُ عَظِيمٌ يَنْفُخُ، فَتَأَخَّرَتِ الْفِيلَةُ، وَأَشَالَ الْفِيلُ
الْأَعْظَمُ خَرْطُومَهُ، فَلَفَّهُ عَلَى، وَأَنْزَلَنِي، وَتَرَكَنِي عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ يَوْمِي
بِخَرْطُومِهِ إِلَى الثَّعْبَانِ بَرْفُقٍ وَتَمْلُقٍ.

فَسَدَدَتْ سَهْمَا إِلَى الثَّعْبَانِ، وَرَمَيْتَهُ، فَأَصَبْتَهُ، وَتَابَعَتْ رَمِيهِ، فَانْصَرَفَ
مُشْخَنًا.

فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْفِيلُ فَدَاسَهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ، فَأَخَذَنِي بِخَرْطُومِهِ، وَجَعَلَنِي عَلَى
ظَهْرِهِ وَأَقْبَلَ يَهْرُولُ، وَالْفِيلَةُ خَلْفَهُ.

فَجَاءَ بِي إِلَى غِيْضَةٍ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهَا، أَعْظَمُ مِنَ الَّتِي أَخَذَنِي مِنْهَا، وَأَبْعَدُ
بَعْدَهُ فَرَا سَخٍ، وَفِيهَا فِيلَةٌ مَيِّتَةٌ، لَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَكْثَرُهَا قَدْ بَلَى
جَسَدُهُ وَبَقِيَتْ عِظَامُهُ.

فَمَا زَالَ يَتَّبِعُ الْأَنْيَابَ وَيَجْمَعُهَا، وَيَوْمِي إِلَى فِيلٍ فِيلٍ، حَتَّى لَمْ يَدَعْ
هُنَاكَ نَابًا إِلَّا جَمَعَهُ، وَأَوْقَرَ تِلْكَ الْفِيلَةَ، ثُمَّ أَرْكَبَنِي عَلَى ظَهْرِهِ، وَأَخَذَ بِي فِي
طَرِيقِ الْعِمَارَةِ، وَاتَّبَعْتُهُ الْفِيلَةُ.

فَلَمَّا شَارَفَ الْقَرْيَ وَقَفَ، وَأَوْمَأَ إِلَى الْفِيلَةِ فَطَرَحَتْ أَحْمَالَهَا، حَتَّى لَمْ
يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ أَنْزَلَنِي بِخَرْطُومِهِ بَرْفُقٍ، وَتَرَكَنِي عِنْدَ الْأَنْيَابِ، وَقَدْ
صَارَتْ تَلًّا عَظِيمًا هَائِلًا.

فَجَلَسْتُ عِنْدَهَا مُتَعَجِّبًا مِنْ سَلَامَتِي، وَرَجَعَ الْفِيلُ يَرِيدُ الصَّحْرَاءَ،



وَرَجَعَتِ الْفِيلَةُ بِرُجُوعِهِ، وَأَنَا لَا أَصْدُقُ بِسَلامَتِي، وَلَا بِمَا شَاهَدْتُ مِنْ عَظْمِ فِطْنَةِ الْفِيلِ.

فَلَمَّا غَابَتْ الْفِيلَةُ عَنِّي، مَشَيْتُ، إِلَى أَقْرَبِ الْقُرَى إِلَيَّ، وَاسْتَأْجَرْتُ خَلْقًا كَثِيرًا، حَتَّى خَرَجُوا مَعِيَ، وَحَمَلُوا تِلْكَ الْأَنْيَابَ، فِي أَيَّامٍ، إِلَى الْقَرْيَةِ. وَمَا زِلْتُ أبيعُهَا فِي تِلْكَ الْمَدَنِ، حَتَّى حَصَلْتُ لِي مَالٌ عَظِيمٌ، كَانَ سَبَبَ يَسَارِي وَغْنَايَ عَنْ صَيْدِ الْفِيلَةِ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٣٨٢-٣٨٣).

قصة ليلة مع الأسد في حجرة مغلقة الباب

بَلَّغْنِي عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي السَّائِبِ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْهُ، قَالَ: وَافَيْتَ مِنْ هَمْدَانَ أُرِيدَ الْعِرَاقَ، وَأَنَا فَقِيرٌ، وَزَرْتُ قَبْرَ الْحُسَيْنِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

فَلَمَّا انصرفت أُريدُ قَصْرَ ابْنِ هُبَيْرَةَ، قِيلَ لِي: إِنَّ الْأَرْضَ مُسْبِغَةٌ، (فِيهَا سَبَاعٌ) وَأُشِيرَ عَلَيَّ أَنَّ الْحَقَّ بِقَرْيَةٍ فِيهَا حَصْنٌ سُمِّيَتْ لِي، فَأَوَى إِلَيْهَا قَبْلَ الْمَسَاءِ.

وَكَنتُ مَاشِيًا، فَاسْرَعْتُ فِي الْمَشْيِ، إِلَى أَنْ وَافَيْتَ الْقَرْيَةَ، فَوَجَدْتُ بَابَ الْحَصْنِ مُغْلَقًا.

فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَلَمْ يُفْتَحْ لِي، وَتَوَسَّلْتُ لِلْقَائِمِينَ بِحِرَاسَتِهِ.

فَقَالُوا: قَدْ أَتَانَا مِنْذُ أَيَّامٍ مَنْ ذَكَرَ مِثْلَ مَا ذَكَرْتَ، فَأَدْخَلْنَاهُ، وَأَوْيْنَاهُ، فَدَلَّ عَلَيْنَا اللَّصُوصَ، وَفَتَحَ لَهُمْ بَابَ الْحَصْنِ لَيْلًا، وَأَدْخَلَهُمْ، فَسَلَبُونَا، وَلَكِنْ الْحَقُّ بِذَلِكَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ فِيهِ، لِئَلَّا تَمْسَى فَيَأْتِيكَ السَّبْعُ.

فَصَرْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَدَخَلْتُ بَيْتًا كَانَ فِيهِ، وَجَلَسْتُ.

فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى حِمَارٍ، مَنْصَرَفًا مِنَ الْحَائِرِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَشَدَّ حِمَارَهُ فِي غَلَقِ الْبَابِ، وَدَخَلَ إِلَيَّ.

وَكَانَ مَعَهُ كِرَازٌ فِيهِ مَاءٌ، وَخَرَجَ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ سِرَاجًا فَأَصْلَحَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ قِدَاحَةً، فَقَدَحَ، وَأَوْقَدَ، وَأَخْرَجَ خُبْزَهُ، وَأَخْرَجَتْ خُبْزِي، وَاجْتَمَعْنَا عَلَى الْأَكْلِ.

فَمَا شَعَرْنَا إِلَّا وَالسَّبْعُ قَدْ حَصَلَ فِي الْمَسْجِدِ فَلَمَّا رَأَى الْحِمَارُ، دَخَلَ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ، فَدَخَلَ السَّبْعُ وَرَاءَهُ، فَخَرَجَ الْحِمَارُ وَجَذَبَ بَابَ الْبَيْتِ



بالرسن، فأغلقه علينا وعلى السَّبع، وصرنا محبوسين فِيهِ، فحصلنا فِي أَخْبَثْ حال.

وقدَّرنا أَنَّ السَّبعَ لَيْسَ يعرض لنا، بِسَبَبِ السراج، وَأَنَّهُ إِذَا طُفِئَ، أَكَلْنَا، أَوْ أَخَذْنَا.

وَمَا طَالَ الْأَمْرُ أَنَّ فَنِي مَا كَانَ فِي السراج من الدَّهن، وَطُفِئَ، وَحَصَلْنَا فِي الظِّلْمَةِ، والسَّبعَ مَعَنَا، فَمَا كَانَ عِنْدَنَا من حَالِهِ شَيْءٌ إِلَّا إِذَا تَنَفَّسَ، فَإِنَّا كُنَّا نَسْمَعُ نَفْسَهُ.

وراث الحمار من فزعه، فَمَلَأَ الْمَسْجِدَ رَوْثًا، وَمَضَى اللَّيْلَ وَنَحْنُ عَلَى حَالِنَا، وَقَدْ كَدْنَا نَتَلَفُ فَزْعًا.

ثُمَّ سَمِعْنَا صَوْتَ الْأَذَانِ من دَاخِلِ الْحَصْنِ، وبدا ضوء الصُّبْحِ، فرأيناه من شقوق الباب.

وَجَاءَ الْمُؤَذِّنُ من الْحَصْنِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَى رَوْثَ الْحِمَارِ، لَعَنَ وَشْتَمَ، وَحَلَّ رَسْنَ الْحِمَارِ من الغلق، فَمَرَّ بِطَيْرٍ، من الْفَزَعِ، فِي الصَّحَرَاءِ، لعلمه بِمَا قَدْ أَفْلَتَ مِنْهُ.

وَفَتَحَ الْمُؤَذِّنُ بَابَ الْبَيْتِ ينظر من فِيهِ، فَوَثَبَ السَّبعُ إِلَيْهِ، فَدَقَّه، وَحَمَلَهُ إِلَى الْأَجْمَةِ، وقمنا نَحْنُ، وانصرفنا سَالِمِينَ.

أخذه الأسد في المكان الذي أخذ فيه أباه

بَلَّغْنِي عَنْ أَبِي عَلَى مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ مَقْلَةَ الْكَاتِبِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَلَى الْعُلُوِّ بِالْكُوفَةِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ غُلَامٌ لَهُ، فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ، أَخَذَ الْأَسَدُ فَلَانًا وَكَيْلِكَ.

فَانزِعْ، وَقَالَ: أَيْنَ أَخَذَهُ؟ فَقَالَ: فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا، وَأَدْخَلَهُ الْأَجْمَةَ الْفُلَانِيَّةَ.

فَقَالَ أَبُو عَلَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فِي هَذَا الْيَوْمِ بَعَيْنِهِ، أَخَذَ الْأَسَدُ أَبَاهُ، وَأَدْخَلَهُ هَذِهِ الْأَجْمَةَ بَعَيْنَهَا، مُنْذُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً، وَاعْتَمَمَ، فَسَلَّيْنَاهُ، فَعَادَ إِلَيَّ شَأْنُهُ فِي الْمَحَادَثَةِ.

فَأَنَا قَاعِدٌ عِنْدَهُ أَحْدَثُهُ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ غُلَامَانِ مَبَادِرِينَ، فَقَالُوا: قَدْ وَافَى فَلَانٌ، يَعْنُونَ ذَلِكَ الْوَكِيلَ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ.

فَرَحَّبَ بِهِ أَبُو عَلَى، وَسَأَلَهُ عَنْ خَبَرِهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَخَذَنِي الْأَسَدُ، كَمَا شَاهَدُونِي، وَكُنْتُ رَاكِبًا، فَحَمَلَنِي فِيهِ، كَمَا تَحْمِلُ السَّنُورُ بَعْضَ أَوْلَادِهَا، إِلَّا أَنَّهُ مَا كَلَمَنِي، وَأَدْخَلَنِي الْأَجْمَةَ، وَقَدْ زَالَ عَقْلِي.

وَلَمْ أَعْلَمْ مِنْ أَمْرِي شَيْئًا، إِلَّا أَنَّنِي أَفْقَتُ فَلَمْ أَرَهُ، وَوَجَدْتُ أَعْضَائِي سَالِمَةً، وَوَجَدْتُ حَوْلِي مِنَ الْجَمَاجِمِ وَالْعِظَامِ أَمْرًا عَظِيمًا، فَلَمْ يَزَلْ عَقْلِي وَقَوْتِي يَثُوبَانِ إِلَيَّ إِلَى أَنْ قُمْتُ، وَمَشَيْتُ.

فَعَثَرْتُ بِشَيْءٍ تَأَمَّلْتُهُ، فَإِذَا هُوَ هِمِيَانٌ، فَأَخَذْتُهُ، وَشَدَدْتُ بِهِ وَسْطِي، وَمَشَيْتُ إِلَى أَنْ بَعَدْتُ عَنِ الْمَوْضِعِ، فَوَصَلْتُ إِلَى شَبِيهِ بُوْهْدَةٍ، فَجَلَسْتُ فِيهَا، وَغَطَيْتُ نَفْسِي بِمَا أَمَكَّنَنِي مِنَ الْقَصَبِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِي.



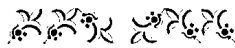
فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَحْسَسْتُ بِكَلَامِ الْمُجْتَازِينَ، وَحَوَافِرِ بَغَالِهِمْ،
فَخَرَجْتُ وَعَرَفْتُهُمْ قِصَّتِي، وَرَكِبْتُ بَغْلَ أَحَدِهِمْ.

فَلَمَّا بَعَدْتُ عَنِ الْأَجْمَةِ، وَأَمَنْتُ عَلَى نَفْسِي، فَتَحَتِ الْهَمْيَانُ، فَإِذَا فِيهِ
رَقْعَةٌ بِخَطِّ أَبِي، بِأَصْلٍ مَا كَانَ فِي الْهَمْيَانِ مِنَ الدَّنَائِيرِ، وَبِمَا أَنْفَقَهُ، فَإِذَا هُوَ
هَمِيَانُ أَبِي الَّذِي كَانَ فِي وَسْطِهِ لَمَّا افْتَرَسَهُ السَّبْعُ.

فَحَسِبْتُ الْمَصْرُوفَ، وَوَزَنْتُ الْبَاقِيَّ، فَإِذَا هِيَ بِإِزَاءِ مَا بَقِيَ مِنَ الْأَصْلِ،
مَا نَقَصْتُ شَيْئًا.

قَالَ: وَأَخْرَجَ الْهَمْيَانُ، وَفَتَحَهُ، وَأَخْرَجَ الرَّقْعَةَ، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: نَعَمْ، هَذَا
خَطُّ أَبِيكَ.

وَعَجِبْتُ الْجَمَاعَةُ مِنْ ذَلِكَ.



نجا من الأسد واقترب مملوكه

﴿ وَبَلَغْنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْأَنْبَارِ، قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى ضَيْعَةٍ لِي فِي ظَاهِرِ الْأَنْبَارِ، رَاكِبًا دَابَّةً لِي، وَمَعِيَ مَمْلُوكٌ لِي أَسْوَدٌ فِي نِهَايَةِ الشَّجَاعَةِ. فَلَمَّا صَرْنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنَا طَالِبُهُ، إِذْ نَشَأَتْ سَحَابَةٌ، فَأَمْطَرَتْ، وَكَانَ الْمَسَاءُ قَدْ أَدْرَكْنَا، فَمَلْنَا إِلَى قَبَابٍ كَانَتْ فِي الطَّرِيقِ لِلْسَابِلَةِ، فَلَجَأْنَا إِلَيْهَا، فَقَوَى الْمَطَرُ حَتَّى مَنَعَنَا مِنَ الْحَرَكَةِ، فَأَشَارَ الْغُلَامُ عَلَيَّ بِالْمَبِيتِ. فَقُلْتُ لَهُ: نَخَافُ اللَّصُوصَ وَيَلِكَ.

فَقَالَ لِي: تَخَافُ وَأَنَا مَعَكَ؟ قُلْتُ: فَالْسَبْعُ؟ قَالَ: نُصِيرُ الدَّابَّةَ دَاخِلَ الْقُبَّةِ، وَأَنْتِ تَلِيهَا، وَأَنَا عِنْدَ الْبَابِ، وَأَشَدُّ وَسْطَى بِالْحَبْلِ الَّذِي مَعَنَا، وَأَشَدُّ طَرَفُهُ بَرَجْلِكَ، حَتَّى لَا يَأْخُذْنِي النَّوْمُ، فَإِنْ جَاءَ الْأَسَدُ، أَخَذْنِي دُونَكَ. وَمَا زَالَ يُحَسِّنُ لِي ذَلِكَ الرَّأْيَ حَتَّى أَطْعَمْتَهُ، وَمَلْنَا إِلَى إِحْدَى الْقَبَابِ، وَدَخَلْنَاهَا، وَفَعَلَ مَا قَالَ.

فَوَاللَّهِ مَا مَضَتْ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، حَتَّى جَاءَ الْأَسَدُ، فَأَخَذَ الْأَسْوَدَ فَدَقَّهُ، وَاحْتَمَلَهُ، وَجَرَّ رَجُلِي الْمَشْدُودَةَ مَعَهُ فِي الْحَبْلِ.

فَلَمْ يَزَلْ يَجْرِنِي عَلَى الشُّوكِ وَالْحِجَارَةِ، إِلَى أَنْ صَارَ بِي إِلَى أَجْمَتِهِ، وَأَنَا لَا أَعْقِلُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِي، وَلَا أَحْسُ بِأَكْثَرِ مَا يَجْرِي، وَلَا تَمَيِّزُ لِي يَوْدِي بِي إِلَى الْإِجْتِهَادِ فِي حَلِّ الْحَبْلِ مِنْ رَجُلِي.

ثُمَّ رَمَى بِالْأَسْوَدِ، وَرَبَضَ عَلَيْهِ، وَمَا زَالَ يَأْكُلُ مِنْهُ، حَتَّى شَبِعَ، وَتَرَكَ مَا فَضَلَ مِنْهُ، وَلَيْسَ فِيَّ مِنْ حَسَنِ الْحَيَاةِ غَيْرَ النَّظَرِ فَقَطْ، ثُمَّ مَضَى، فَتَنَامُ بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَانِنَا.



وَبَقِيتَ زَمَانًا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، ثُمَّ سَكَنَ رَوْعِي، وَرَجَعْتَ إِلَى نَفْسِي،
لَطُولَ مَكْثِ الْأَسَدِ فِي نَوْمِهِ، فَحَلَلْتُ رَجُلِي مِنَ الْحَبْلِ، وَقَمْتُ أَدَبٌ،
فَعَثَرْتُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، فَأَخَذْتَهُ، فَإِذَا هُمَيَّانٌ ثَقِيلٌ، فَشَدَدْتَهُ عَلَى
وَسْطِي، وَخَرَجْتُ مِنَ الْأَجْمَةِ، وَقَدْ قَارَبَ الصُّبْحُ أَنْ يُسْفَرَ.

وَصَرْتُ إِلَى الْقُبَّةِ الَّتِي فِيهَا دَابَّتِي، فَإِذَا هِيَ واقفة بِحَالِهَا، فَأَخْرَجْتُهَا،
وَرَكِبْتُهَا، وَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزَلِي، وَفَتَحْتُ الْهُمَيَّانَ، فَوَجَدْتُ فِيهِ جَمْلَةً
دَنَائِيرَ.

فَحَمَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى السَّلَامَةِ وَبَقَى الرَّعْبُ فِي قَلْبِي، وَالتَّأَلَمُ فِي
بَدْنِي، مُدَّةً ^(١).



(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٣٨٨-٣٩١).

قضى ليلة في الجب بجوار أفعى

عن عبيد الله بن مُحَمَّد الصروي، قَالَ: كنت أَتصرف مَعَ الْمُخْتَار بن الْغَيْث بن حمدَان أحد قواد بنى عقيل، فَسَارَ وَأَنَا فِي جَمَلَتِهِ، مَعَ تَكِين الشيرزادى، لما تَغَلَّبَ عَلَى الْمُوصِل، يَطْلُب نَاصِرَ الدَّوْلَةِ، وَسَارَ الْعَسْكَرُ سِيرًا عَجَلًا، فَتَقَطَعَ النَّاسُ.

وَكَانَتْ تَحْتَى حَجْرَةً، فَصُرْتُ فِي أَخْرِيَاتِ النَّاسِ، ثُمَّ انْقَطَعَتْ عَنِ الْعَسْكَرِ حَتَّى صُرْتُ وَحْدَى.

ثُمَّ أوردت الدَّابَّةَ مَاءً كَانَ فِي الطَّرِيقِ، فَحَمَمْتُ، وَلَمْ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسِيرَ خُطْوَةً وَاحِدَةً.

فَخَفْتُ أَنْ يَدْرِكْنِي مَنْ يَسْلُبْنِي نِعْمَتِي وَيَأْسِرْنِي، فَزَلْتُ عَنِ الدَّابَّةِ أَمْشِي، وَفِي عُنُقِي سَيْفٌ بِحَمَائِلَ، وَالْمَقْرَعَةُ فِي يَدِي.

فَسَرْتُ عِدَّةَ فَرَاسِخَ، حَتَّى صَعَدْتُ جَبَلَ سَنجَارَ، وَكَنتُ أَحْتَاجُ أَنْ أَمْشِيَ فِيهِ نَحْوَ الْفَرَسِخِ، ثُمَّ أَنْزَلَ إِلَيَّ سَنجَارَ، فَجَنَّنِي اللَّيْلُ، وَاسْتَنْفَذَ الْمَشْيُ جِلْدِي، وَاسْتَوْحَشْتُ، وَخِفْتُ الْوَحُوشَ فِي الْجَبَلِ، فَطَلَبْتُ مَوْضِعًا أَسْكُنُ فِيهِ لَيْلَتِي، فَلَمْ أَجِدْ.

وَرَأَيْتُ جِبَابًا كَثِيرَةً مَنْقُورَةٌ فِي أَرْضِ الْجَبَلِ، فَطَلَبْتُ أَقْرَبَهَا قَعْرًا، وَرَمِيتُ فِيهِ حَجْرًا، فَظَنَنْتُ أَنْ قَعْرَهُ قَامَةٌ أَوْ نَحْوَهَا، فَرَمِيتُ بِنَفْسِي فِيهِ.

وَكَانَ الْبَرْدُ شَدِيدًا، فَنَمْتُ لَيْلَتِي وَأَنَا لَا أَعْقِلُ مِنَ التَّعَبِ وَالْجُوعِ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، انْتَبَهْتُ، وَعِنْدِي أَنَّ الْجَبَّ مُحْفُورٌ كَالْأَبَارِ، وَأَنِّي أَضَعُ رِجْلِي فِي جَوَانِبِهِ، فَأَتَسَلَّقُ وَأَطْلُعُ، فَتَأْمَلْتُهُ، فَإِذَا هُوَ مُحْفُورٌ كَالْتَنُورِ،



رَأْسُهُ ضَيْقٌ، وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ شَدِيدُ السَّعَةِ، وَجَوَانِبُهُ مَنْقُوشَةٌ، فَقُمْتُ فِي
الْجَبِّ فَإِذَا هُوَ أَعْلَى مِنْ قَامَتِي.

فَتَحِيرْتُ فِي أَمْرِي، فَلَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَعْمَلْ، وَكَيْفَ السَّبِيلَ إِلَى الصُّعُودِ.
وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَضَاءَ الْجَبِّ، فَإِذَا فِيهِ أَفْعَى مَدُورٌ كَالطَّبَقِ وَقَدْ سَدَرَ
مِنَ الْبَرْدِ، فَلَيْسَ يَنْتَشِرُ، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ مِنْ مَكَانِهِ، فَتَجَنَّبْتُ مَكَانَهُ.

وَهَمَمْتُ أَنْ أَجْرِدَ السَّيْفَ وَأَقْطَعَ الْأَفْعَى، ثُمَّ قُلْتُ: أَتَعْجَلُ شَرًّا لَا أَدْرِي
عَاقِبَتَهُ، وَلَا مَنَفْعَةَ لِي فِي قَتْلِهِ، لِأَنِّي سَأَلْتُ فِي هَذِهِ الْبُئْرِ، وَهِيَ قَبْرِى، فَمَا
مَعْنَى قَتْلِ الْأَفْعَى؟ أَدْعُهُ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَبْتَدِيَّ بِالنَّهْشِ، فَاتَعْجَلِ التَّلْفَ، وَلَا أَرَى
نَفْسِي تَخْرُجُ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ.

فَأَقُمْتُ يَوْمِي كُلَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَالْأَفْعَى لَمْ تَتَحَرَّكْ وَأَنَا أَبْكِي وَأُنُوحُ عَلَى
نَفْسِي، وَقَدْ يئست من الْحَيَاةِ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، أَصْبَحْتُ، وَقَدْ ضَعُفْتُ، فَحَمَلَنِي حُبُّ الْحَيَاةِ عَلَى
الْفِكْرِ فِي الْخَلَاصِ، فَقُمْتُ، وَجَمَعْتُ مِنْ حِجَارَةٍ رَقِيقَةٍ كَانَتْ فِي الْجَبِّ
شَيْئًا كَثِيرًا، وَعَبَيْتُهَا فِي وَسْطِ الْجُبِّ، وَعَلَوْتُهَا لَتُنَالُ يَدِي طَرَفَ الْجَبِّ
وَأَحْمَلَ نَفْسِي إِلَى رَأْسِهِ.

فَحِينَ جَعَلْتُ رَجُلِي عَلَى الْحِجَارَةِ، تَدَكَّدْتُ وَانْهَارْتُ، لِرَقَّتِهَا
وَمَلَّاسَتِهَا.

فَلَمْ أَزَلْ أُعِيدُ تَعْبِيتَهَا وَرُكُوبَهَا، وَتَنْزَلُ مِنْ تَحْتِ رَجُلِي، وَأَنَا مُتَشَاغِلٌ
بِذَلِكَ يَوْمِي كُلِّهِ، وَجَاءَ اللَّيْلُ فَلَمْ يُمْكِنْنِي أَنْ أَقُومَ مِنَ الْجُوعِ وَالضَّعْفِ،
وَانْكَسَرَتْ نَفْسِي، ثُمَّ حَمَلَنِي النَّوْمُ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ فَكَّرْتُ فِي حِيلَةٍ أُخْرَى، وَوَقَعَ لِي أَنْ شَدَّدْتُ الْمَقْرَعَةَ

بعلائقها في حمائل السيف، ودلّيت المقرعة إلى داخل الجُب، ورميت السيف إلى رأس الجُب، وأمسكت المقرعة بإحدى يدي، فحصل جفن السيف فوق الجُب مُعْتَرِضاً لرأسه، وحمائله في المقرعة، وهي مدلاة إلى. ثم أمسكت السيف، وسللته، ولم أزل أقلع من أرض الجُب ما يمكن قلعه ونحته من تراب قليل، ثم عبّيت ذلك بالرضراض والحجارة الرقاق وجعلت بين كل سافين منها تراباً، ثم رددت السيف إلى جفنه، وعلوت الرضراض، وتعلقت على السيف المُعْتَرِض، وطفرت، فصار السيف مُعْتَرِضاً تحت صدرى، وظهّرت يداى من الجُب، فحصلت جوانبه تحت إبطى، وأشلت نفسى، فإذا أنا قد خرجت من الجُب، بعد أن اعوجّ السيف، وكاد يندق ويدخل في بطنى لثقلى عليه.

فوقعت خارج الجُب، مغشياً على من هول ما نالنى، ووجدت أسنانى قد اصطكت، وقوتى قد بطلت عن المشى، فما زلت أحبو وأطلب المحجة حتى وقفت عليها.

ورأى قوم مجتازون، فأخذوا بيدي، وقوى قلبى فمشيت حتى دخلت سنجار آخر النهار، وقد بلغت روحى إلى حد التلّف.

فدخلت مسجداً، فطرحت نفسى فيه وأنا لا أشك في الموت، وحضرت صلاة المغرب، واجتمع أهل المسجد فيه، وسألونى عن خبرى، فلم يكن فى فضل للكلام.

فحملونى إلى بيت أحدهم، ولم يزالوا يصبّون فى حلقى الماء، ثم المرق والثريد، إلى أن فتحت عيني بعد العتمة، فتكلمت، وبِتُّ ليلتى وأنا بحال عظيمة من الألم.



فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَخَلَ الْحَمَامَ، وَأَقَمْتَ عَنْدهُمْ أَيَّامًا حَتَّى قَوِيَتْ.
ثُمَّ أَخْرَجْتَ نَفَقَةً كَانَتْ مَعِيَ، فَاسْتَأْجَرْتَ مِنْهَا مَرْكُوبًا، وَلَحِقْتَ
بصاحبي، وَسَلَّمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ (١).

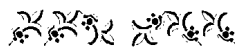
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لسعته عقرب فعوفى

عن أبي جعفر طَلْحَةَ بن عبيد الله بن قناش الطَّائِي، الْجَوْهَرِي،
الْبَغْدَادِي، قَالَ: كَانَ فِي درب مهرويه، بالجانب الشرقي ببغداد، قَدِيمًا،
رجل من كبراء الحجرية، وَكَانَ متشَبِّهًا بِغُلَامٍ من غلمانهِ، رَبَّاهُ صَغِيرًا.
فَاعْتَلَّ الْغُلَامُ عِلَّةً من بِلْسَامٍ، وَهُوَ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ: الْبِرْسَامَ، فَبَلَغَ
إِلَى دَرَجَةِ قَبِيحَةٍ، وَزَالَ عقله.

فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ يَوْمًا، وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ فِيهِ خَيْشٌ، وَوَكَلُوا صَبِيًا بِمِرَاعَاتِهِ،
فَسَمِعُوا صِيَاحَ الْفَتَى الْمُوَكَّلِ بِهِ، فَبَادَرُوا إِلَيْهِ.
فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَيَّ مَا قَدْ أَصَابَهُ.

فَإِذَا عَقْرَبٌ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْمَسْنَدِ عَلَى رَأْسِ الْعَلِيلِ، فَلَسَعَتْهُ فِي عِدَّةِ
مَوَاضِعٍ، فَإِذَا بِهِ قَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَهُوَ لَا يَشْكُو أَلَمًا.
فَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ، فَطَلَبَ مَا يَأْكُلُ، فَأَطْعَمُوهُ، وَبَرَأَ.
فَلَامُوا طَبِيبَهُ، فَقَالَ: عَلَامٌ تَلُومُونَنِي، لَوْ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَلْسَعُوهُ بِعَقْرَبٍ،
أَكُنْتُمْ تَفْعَلُونَ؟^(١)





مشلول لسعته عقرب فعوفى

عن عبد الوهاب بن مُحَمَّد بن مَهْدَى، المَعْرُوف بِأَبِي أَحْمَد بن أَبِي سَلَمَةَ، الشَّاهِد، الْفَقِيه، الْمُتَكَلِّم العَسْكَرِي، فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ بِعَسْكَرٍ مَكْرَمٍ: إِنَّهُ شَاهَدَ رَجُلًا مَفْلُوجًا (مَشْلُولًا)، حُمِلَ مِنَ أَصْبَهَانَ، إِلَى عَسْكَرٍ مَكْرَمٍ لِيُعَالَجَ، فَطُرِحَ عَلَى بَابِ خَانَ فِي جَوَارِهِ، فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهَا، وَقَدْ هُجِرَ، وَفَرَّغَ، لِكَثْرَةِ الْعَقَارِبِ الْجَرَارَاتِ فِيهِ.

وَطُلِبَ لَهُ مَوْضِعٌ آخَرٌ يَسْكُنُهُ، فَلَمْ يَوْجَدْ إِلَّا فِي هَذَا الْخَانِ، فَأَنْزَلَهُ غُلَمَانَهُ فِيهِ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَالَهُ، وَأَنَّهُ أُخْلِى لِكَثْرَةِ الْجَرَارَاتِ فِيهِ.

وَصَعِدَ أَصْحَابُ الرَّجُلِ إِلَى السَّطْحِ لَيْلًا، وَتَرَكَوهُ، لَمَّا وَصَفَ لَهُمْ أَنَّ الْمَفْلُوجَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَبِيتَ فِي السَّطْحِ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ وَجَدُوهُ جَالِسًا، وَكَانَ طَرِيحًا مُلْقًى لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ، وَوَجَدُوا لِسَانَهُ فَصِيحًا وَكَانَ مُتَكَسِّرًا بِالْعِلَّةِ، حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ مَشَى فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ.

فَأَحْضَرَ بَعْضُ أَهْلِ الطَّبِّ وَسَأَلَهُ عَنْ خَبْرِهِ، فَفَتَشَهُ، فَوَجَدَ أَثَرَ لَسَعِ الْجَرَارَةِ (العقرب) فِي إِبْهَامِ رِجْلِهِ الْيُسْرَى.

فَقَالَ لَهُ: انْتَقِلِ السَّاعَةَ مِنْ هَذَا الْخَانِ، فَإِنَّهُ مَشْهُورٌ بِكَثْرَةِ الْجَرَارَاتِ، وَقَدْ لَسَعَتْكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَأَبْرَأْتُكَ، وَعَشْتُ بِشَيْءٍ مَا عَاشَ أَحَدٌ بِهِ قَطًّا، وَقَامَتْ حَرَارَتُهَا بِبَرْدِ الْفَالَجِ فَأَرَأَيْتَهُ، وَلَمْ تَتَجَاوِزْهُ فَتَقْتُلِكَ، وَسَيَعْقِبُ ذَلِكَ حِدَةً شَدِيدَةً وَحَرَارَةً، فَاصْبِرْ لَهَا حَتَّى أَعَالَجَكَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الرُّطُوبَةِ فَلَا تَرْجِعْ إِلَيْكَ بِرُودَةِ الْفَالَجِ، وَانْتَقِلْ لِيَلَّا تَلْسَعَكَ أُخْرَى فَتَتَلَفَ.

وانتقل الرجل، وتعاهده الطَّيِّب، فَحُمَّ المفلوج من غَدٍ، وتلَطَّفَ فِي
علاجه حَتَّى برَأ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



افترس السبع صاحب الدين وسلم الغريم

❁ حَدَّثَ قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو السَّائِبِ عُتْبَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْهَمْدَانِي، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ أَذْرِيْجَانَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ دَيْنٌ، فَهَرَبَ مِنْهُ وَطَالَتْ غَيْبَتُهُ. فَلَقِيَ صَاحِبَ الدِّينِ الْمَدِينِ، بَعْدَ مُدَّةٍ فِي الصَّحَرَاءِ مُنْفَرِدًا، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَطَالَبَهُ.

فَحَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ مُعْسِرٌ، وَسَأَلَهُ الْإِتِّظَارَ، وَقَالَ لَهُ: لَوْ أَنِّي أَيْسَرَ النَّاسَ مَا تَمَكَّنْتُ هُنَا مِنْ دَفْعِ شَيْءٍ إِلَيْكَ.

فَأَبَى عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَ قِيدًا كَانَ مَعَهُ لِيَقِيدَهُ حَتَّى لَا يَهْرَبَ.

فَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ، وَسَأَلَهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ، وَبَكَى، فَلَمْ يَنْفَعَهُ ذَلِكَ.

فَقَيَّدَهُ بِالْقَيْدِ، وَمَشَى إِلَى قَرْيَةٍ بِقُرْبِ الْمَوْضِعِ الَّذِي التَّقِيَا فِيهِ، فَجَاءَهَا مَسَاءً وَقَدْ أَغْلَقَ أَهْلُهَا بَابَ سُورِهَا، وَاجْتَهَدَا فِي فَتْحِهِ لَكِلِهُمَا، فَأَبَى أَهْلُ الْقَرْيَةِ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا.

فَبَاتَا فِي مَسْجِدٍ خَرَابٍ عَلَى بَابِ الْقَرْيَةِ، وَأَدْخَلَ صَاحِبُ الدِّينِ رَجُلَهُ فِي حَلَقَةٍ مِنْ حَلَقَتِي الْقَيْدِ، لِيَنْتَبِهَ إِذَا أَرَادَ الْهَرَبَ.

فَجَاءَ السَّبْعُ، وَهُمَا نَائِمَانِ، فَقَبِضَ عَلَى صَاحِبِ الدِّينِ فَافْتَرَسَهُ، وَجَرَّهُ فَاَنْجَرَ الْغَرِيمَ مَعَهُ، لَمْ كَانَ الْحَلَقَةُ فِي إِحْدَى رِجْلَيْهِ.

فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ حَالَهُ إِلَى أَنْ فَرَّغَ السَّبْعُ مِنْ أَكْلِ صَاحِبِ الدِّينِ، وَشَبِعَ، وَانْصَرَفَ، وَتَرَكَ الْمَدِينِ وَقَدْ تَجَرَّحَ بَدَنَهُ، وَبَقِيَتْ رَكْبَةُ الْغَرِيمِ فِي الْقَيْدِ.

فَحَمَلَهَا الرَّجُلُ مَعَ قَيْدِهِ إِلَى أَهْلِ الْقَرْيَةِ، وَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ، فَحَلُّوا قَيْدَهُ وَسَارَ لِحَالِ سَبِيلِهِ^(١).

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٣٧٧-٣٧٨).

﴿ قَتَلُوا شَبْلًا فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ بَضْعَةٌ عَشْرَ سَبْعًا ﴾

❁ وَحَدَّثَ سَعِيدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّمَرَقَنْدِيُّ الْحَنْفِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جَعْفَرِ الْوَكِيلِ عَلَى أَبْوَابِ الْقُضَاةِ بِالْأَهْوَازِ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ الشَّاهِدُ الْوَاسِطِيُّ الْقَاضِي، قَالَ: أَخْبَرَنِي وَكِيلَانِ كَانَا فِي ضِيعَتِي بِنَوَاحِي الْجَامِدَةِ، وَنَهْرِ جَعْفَرٍ، قَالَا: خَرَجْنَا مَعَ صُنَّاعٍ عِنْدَنَا، إِلَى أَجْمَةِ نَقْطَعُ قَصَبًا، فَرَأَيْنَا شَبْلًا كَالسَّنُورِ، فَقَتَلَهُ أَحَدُ قُطَاعِ الْقَصَبِ.

فَقَالَ الْبَاقُونَ: قَتَلْنَا الشَّبْلَ السَّاعَةَ يَجِيءُ السَّبْعُ وَاللَّبْوَةُ، فَإِذَا لَمْ يَرِيَاهُ طَلَبَانَا، وَنَحْنُ نَبِيتُ فِي الصَّحَرَاءِ بَيْنَ الْقَصَبِ، فَيَفْتَرِسَانَا.

قَالَ: فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ أَنْ سَمِعْنَا صَوْتَ السَّبْعِ، فَطَرْنَا عَلَى وُجُوهِنَا، وَاجْتَمَعْنَا فِي دَارِ خَرَابٍ خَارِجِ الْأَجْمَةِ، وَعَلَوْنَا سَطْحَهَا، وَكَانَ فِيهَا غُرْفَةٌ عَلَيْهَا بَابٌ كُنَّا نَأْوِي إِلَيْهَا لَيْلًا.

فَلَمَّا رَأَى السَّبْعُ وَلَدَهُ قَتِيلًا قَصَدْنَا فَصَارَ فِي صَحْنِ الدَّارِ الْخَرَابِ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْغُرْفَةِ صَحْنَيْنِ، فَأَخَذَ السَّبْعُ يَطْفِرُ لِيَصِيرَ مَعَنَا، فَمَا قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ.

فَوَلَّى، وَعَلَا أَكْمَةً فِي الصَّحَرَاءِ، وَصَاحَ، فَجَاءَتْهُ اللَّبْوَةُ، فَطَفَرَتْ تُرِيدُنَا، فَمَا قَدَرَتْ.

فاجتمعا، فصاحا، فجاءهما عدّة من السباع، وطفروا، فما قدرُوا علينا، فلم يزالوا كذلك حتّى اجتمع بضعة عشر سبعا، وكلما جاء واحد حاول أن يطفّر إلينا فلا يبلغنا، ونحن كالموتى خوفاً أن يصل إلينا واحد منهم.

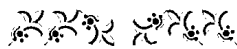
فبينما نحن كذلك إذ اجتمعت السباع كلها كالحلقة، وجعلت أفواهاها

فِي الْأَرْضِ، وَصَاحَتْ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، فَرَأَيْنَا حُفْرَةً قَدْ احْتَفَرَتْ فِي التُّرَابِ
مِنْ أَنْفَاسِهَا.

فَمَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى جَاءَ سَبْعُ أَسْوَدٍ هَزِيلٍ، مِنْجَرِدِ الشَّعْرِ، لَطِيفٍ.
فَلَقِيْتَهُ السَّبَاعَ كُلَّهَا، وَبَصَبْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَحَوْلَهُ، وَجَاءَ يَقْدُمُهَا وَهِيَ
خَلْفَهُ حَتَّى رَأَانَا فِي الْغُرْفَةِ، وَرَأَى الْمَوْضِعَ، ثُمَّ جَمَعَ نَفْسَهُ، فَإِذَا هُوَ فِي
الصَّحْنِ، بَيْنَ يَدَيِ الْغُرْفَةِ.

وَكُنَّا قَدْ أَغْلَقْنَا الْبَابَ، فَاجْتَمَعْنَا كُلُّنَا خَلْفَهُ لِنُدَافِعَهُ عَنِ الدُّخُولِ.
فَلَمْ يَزَلْ يَدْفَعُ الْبَابَ بِمُؤَخَّرِهِ حَتَّى كَسَرَ بَعْضُ أَلْوَااحِهِ وَأَدْخَلَ عَجْزَهُ
إِلَيْنَا.

فَعَمِدَ أَحَدُنَا إِلَى ذَنْبِهِ فَقَطَّعَهُ بِمَنْجَلٍ كَانَ مَعَنَا.
فَصَاحَ صَيْحَةٌ مُنْكَرَةٌ وَهَرَبَ، وَرَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَمْ يَزَلْ
يَخْمَشُ السَّبَاعَ وَيَنْهَشُهَا وَيَقْطَعُهَا بِمَخَالِبِهِ، حَتَّى قَتَلَ مِنْهَا غَيْرَ وَاحِدٍ.
وَتَهَارَبَتِ السَّبَاعُ الْبَاقِيَّةُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهَامَ فِي الصَّحَرَاءِ يَتَّبِعُ أَثَرَهَا،
وَنَزَلْنَا نَحْنُ لَمَّا لَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ، فَلَحَقْنَا بِالْقَرْيَةِ، وَخَبَّرْنَا هُمْ خَبْرَنَا.
فَقَالَ لَنَا شَيْخٌ مِنْهُمْ: هَذَا السَّبْعُ مِثْلُ الْجُرْذِ الْعَتِيقِ، إِذَا قُطِعَ ذَنْبُهُ أَكَلَ
الْفَارَ^(١).



(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٣٧٦-٣٧٧).

أراد الأسد أن يأكله فأنجاه الله بالريح

عن الحسن بن صافي، مولى مُحَمَّد بن المتوكل القاضي، قَالَ: حَدَّثَنِي غُلام لِي أَتَقُبُّ بِهِ، قَالَ: أَصْعَدْتُ مِنْ وَاسِطٍ، مَاشِيًا، أُريدُ بَغْدَادَ، فَلَمَّا صَرْتُ بَيْنَ دِيرِ الْعَاقُولِ وَالسَّيْبِ، وَأَنَا وَحْدِي، فِي يَوْمٍ صَائِفٍ لَهُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، رَأَيْتُ بِالْبَعْدِ مِنِّي غِيْضَةً عَظِيمَةً، قَدْ خَرَجَ مِنْهَا سَبْعٌ. فَحِينَ رَأَيْتُ وَحْدِي أَقْبَلَ يَهْرُولُ نَحْوِي، فَذَهَبَ عَلَيَّ أَمْرِي وَأَيَقَنْتُ بِالْهَلَاكِ، وَخُدِّرَ بَدَنِي كُلَّهُ، وَرَبَا لِسَانِي فِي فَمِي، وَتَحِيرْتُ. إِلَّا أَنِّي أَخَذْتُ مَنَدِيلًا، فَجَعَلْتُهُ فِي رَأْسِ قَصَبَةٍ كَانَتْ مَعِي، وَظَنَنْتُ أَنِّي أَفْرَعُهُ بِذَلِكَ.

فَإِنَّا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْإِيَّاسِ، وَقَدْ بَقِيَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِقْدَارُ مِائَةِ ذِرَاعٍ، إِذْ قَلَعْتُ الرِّيحَ أَصْلَ حَشِيشٍ يُقَالُ لَهُ: بَارِقُ عَيْنِهِ، وَصَارَ يَلْتَفُّ بِالشُّوكِ حَتَّى بَقِيَ كَالْكَارَةِ الْعَظِيمَةِ، وَالرِّيحُ تَدْحَرُجُهُ نَحْوَ السَّبْعِ، وَقَدْ تَمَكَّنْتُ مِنْهُ، وَصَارَ لَهَا هَفِيفٌ شَدِيدٌ.

فَحِينَ رَأَى السَّبْعُ ذَلِكَ وَسَمِعَ الصَّوْتَ رَجَعَ مَنْصَرِفًا وَقَدْ فَرَعَ فَرْعًا شَدِيدًا.

وَبَقِيَ يَحُولُ وَجْهَهُ فِي كُلِّ عَشْرِ خَطَوَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ، فَإِذَا رَأَى ذَلِكَ الْأَصْلَ فِي أَثَرِهِ يَتَدَحْرَجُ زَادَ فِي الْجَرَى.

وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ بَعْدَ عَنِّي بُعْدًا كَثِيرًا، وَدَخَلَ الْغِيْضَةُ.

وَعَادَتْ إِلَيَّ نَفْسِي وَمَضَيْتُ فِي طَرِيقِي، وَسَلِمْتُ^(١).



حلف ألا يأكل لحم فيلٍ.. فأنقذه الفيل!!!

✽ عن إبراهيم الخواص الصوفي، رحمه الله تعالى قال: ركبَت البَحْرَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ، فَكُسِرَ بِنَا المَرْكَبِ، فَنَجَا مَنَّا قَوْمٌ عَلَى لَوْحٍ مِنْ خَشَبِ المَرْكَبِ.

فوقفنا على سَاحِلٍ لَا نَدْرِي فِي أَيِّ مَكَانٍ هُوَ، فَأَقَمْنَا فِيهِ أَيَّامًا لَا نَجِدُ مَا نَقْتَاتُهُ، فَأَحْسَسْنَا بِالمَوْتِ، وَأَيَقَنَّا بِتَلَفِنَا مِنَ الجُوعِ لَا مُحَالَةَ. فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: تَعَالَوْا نَجْعَلِ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ نَدْعُ لَهُ شَيْئًا، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَرْحَمَنَا فَيُخَلِّصَنَا مِنْ هَذِهِ الشَّدَّةِ.

فَقَالَ بَعْضُنَا: أَصُومِ الدَّهْرَ كُلَّهُ.

وَقَالَ الْآخَرُ: أَصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً.

وَقَالَ بَعْضُنَا: أَدْعُ لذَاتِ الدُّنْيَا، إِلَيَّ أَنْ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَأَنَا سَاكِتٌ.

فَقَالُوا: قُلْ أَنْتَ الْآخِرُ شَيْئًا.

فَلَمْ يَجِرْ عَلَى لِسَانِي إِلَّا أَنْ قُلْتُ: أَنَا لَا أَكُلُ لَحْمَ فِيلٍ أَبَدًا.

فَقَالُوا: مَا هَذَا الْقَوْلُ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، لَمْ أَتَعَمَّدْ هَذَا، وَلَكِنِّي مُنْذُ بَدَأْتُمْ فَعَاهَدْتُمْ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَأَنَا أَعْرِضُ عَلَى نَفْسِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فَلَا تَطَاوَعَنِي بِتَرْكِهَا، وَلَا خَطَرَ بِيَالِي شَيْءٌ أَدْعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا مَرَّةً عَلَى قَلْبِي غَيْرَ الَّذِي لَفِظْتُ بِهِ، وَمَا أُجْرِي هَذَا عَلَى لِسَانِي إِلَّا لِأَمْرٍ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَاعَةٍ، قَالَ أَحَدُنَا: لِمَ لَا نَطُوفُ هَذِهِ الْأَرْضَ مُتَفَرِّقِينَ فَنَطْلُبُ قُوَّتًا، فَمَنْ وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ بِهِ الْبَاقِينَ، وَالْمَوْعِدُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ.

قَالَ: فتفرقنا في الطّواف، فَوَقَعَ بَعْضُنَا عَلَى وَلَدِ فِيلٍ صَغِيرٍ، فَلَوَّحَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ فَاجْتَمَعْنَا، فَأَخَذَهُ أَصْحَابُنَا، وَاحْتَالُوا فِيهِ حَتَّى شَوَوْهُ وَقَعَدُوا يَأْكُلُون. فَقَالُوا لِي: تَقَدَّمْ وَكُلْ مَعَنَا.

فَقُلْتُ: أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي مُنْذُ سَاعَةٍ تَرَكْتُهُ اللَّهُ ﷻ، وَمَا كُنْتُ لَأَرْجِعَ فِيهِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ قَدْ جَرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ ذِكْرِي لَهُ، هُوَ سَبَبُ مَوْتِي مِنْ بَيْنِكُمْ، لِأَنِّي مَا أَكَلْتُ شَيْئًا مُنْذُ أَيَّامٍ، وَلَا أَطْمَعُ فِي شَيْءٍ آخَرَ، وَلَا يَرَانِي اللَّهُ ﷻ أَنْقَضَ عَهْدَهُ، وَلَوْ مِتُّ جَوْعًا... فَاعْتَزَلْتَهُمْ وَأَكَلَ أَصْحَابِي. وَأَقْبَلَ اللَّيْلَ، فَأَوَيْتُ إِلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ كُنْتُ أَيْتَ عِنْدَهَا، وَتَفَرَّقَ أَصْحَابِي لِلنُّومِ.

فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا لَحْظَةً، وَإِذَا بِفِيلٍ عَظِيمٍ قَدْ أَقْبَلَ وَهُوَ يَنْعَرُ، وَالصَّحْرَاءُ تَتَدَكَّدُكَ بِنَعِيرِهِ وَشِدَّةِ سَعْيِهِ، وَهُوَ يَطْلُبُنَا.

فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: قَدْ حَضَرَ الْأَجَلَ، فَتَشَهَّدُوا، فَأَخَذْنَا فِي الِاسْتِغْفَارِ وَالتَّسْبِيحِ، وَطَرَحَ الْقَوْمُ نَفُوسَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

فَجَعَلَ الْفِيلُ يَقْصِدُ وَاحِدًا وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَيَتَشَمَّمُهُ مِنْ أَوَّلِ جَسَدِهِ إِلَى آخِرِهِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ مَوْضِعٌ إِلَّا شَمُّهُ، شَالَ إِحْدَى قَوَائِمِهِ فَوَضَعَهَا عَلَيْهِ ففَسَخَهُ.

فَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ تَلَفَ، قَصَدَ إِلَى آخِرِ فِعْلٍ بِهِ مِثْلَ فِعْلِهِ بِالْأَوَّلِ. إِلَى أَنْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِي، وَأَنَا جَالِسٌ مُتَنَصِّبٌ أَشَاهِدُ مَا جَرَى وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ﷻ وَأُسَبِّحُ.

فَقَصَدَنِي الْفِيلُ، فَحِينَ قَرَبَ مِنِّي، رَمَيْتُ بِنَفْسِي عَلَى ظَهْرِي فَفَعَلَ بِي مِنَ الشَّمِّ كَمَا فَعَلَ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ عَادَ فَشَمَّنِي دَفْعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَلَمْ يَكُنْ فِعْلُ



ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ غَيْرِي، وَرَوْحِي فِي خِلَالِ ذَلِكَ تَكَادَ تَخْرُجُ فَرَعًا.
ثُمَّ لَفَّ خَرطومَه عَلَيَّ، وَشَالَني فِي الْهَوَاءِ، فَظَنَنْتَه يَرِيدُ قَتْلِي، فَجْهَرَتْ
بِالاسْتِغْفَارِ.

ثُمَّ لَفَّنِي بِخَرطومَه فَجَعَلَنِي فَوْقَ ظَهْرِهِ، فَانْتَصَبْتُ جَالِسًا، وَاجْتَهَدْتُ فِي
حِفْظِ نَفْسِي بِمَوْضِعِي.

وَانْطَلَقَ الْفِيلُ يَهْرُولُ تَارَةً، وَيَسْعَى تَارَةً، وَأَنَا تَارَةً أَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى
تَأْخِيرِ الْأَجَلِ وَأَطْمَعُ فِي الْحَيَاةِ، وَتَارَةً أَتَوَقَّعُ أَنْ يَثُورَ بِي فَيَقْتُلَنِي، فَأَعَاوِدُ
الاسْتِغْفَارَ، وَأَنَا أَقَاسِي فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلَمِ وَالْجَزَعِ لَشِدَّةِ سُرْعَةِ سَعْيِ
الْفِيلِ أَمْرًا عَظِيمًا.

فَلَمْ أَزَلْ عَلَى ذَلِكَ، إِلَى أَنْ طَلَعَ الْفَجْرُ وَانْتَشَرَ ضَوْءُهُ، فَإِذَا بِهِ قَدْ لَفَّ
خَرطومَه عَلَيَّ.

فَقُلْتُ: قَدْ دَنَا الْأَجَلُ وَحَضَرَ الْمَوْتُ، وَأَكْثَرْتُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ.
فَإِذَا بِهِ قَدْ أَنْزَلَنِي عَنْ ظَهْرِهِ بِرِفْقٍ، وَتَرَكَنِي عَلَى الْأَرْضِ، وَرَجَعَ إِلَى
الطَّرِيقِ الَّتِي جَاءَ مِنْهَا، وَأَنَا لَا أَصْدُقُ.

فَلَمَّا غَابَ عَنِّي، حَتَّى لَا أَسْمَعَ لَهُ حِسًّا، خَرَزْتُ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى، فَمَّا
رَفَعْتُ رَأْسِي حَتَّى أَحْسَسْتُ بِالشَّمْسِ.

فَإِذَا أَنَا عَلَى مَحْجَةِ عَظِيمَةٍ، فَمَشَيْتُ نَحْوَ فَرَسَخَيْنِ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَى بَلَدٍ
كَبِيرٍ، فَدَخَلْتَهُ.

فَعَجِبَ أَهْلُهُ مِنِّي، وَسَأَلُونِي عَنْ قِصَّتِي، فَأَخْبَرْتَهُمْ بِهَا، فَزَعَمُوا أَنَّ الْفِيلَ
قَدْ سَارَ بِي فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَسِيرَةَ أَيَّامٍ، وَاسْتَطَرَفُوا سِلَامَتِي.

فَأَقَمْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى صَلَحَتْ مِنْ تِلْكَ الشَّدَّةِ الَّتِي قَاسَيْتَهَا، وَتَنَدَّدِي

بدنى، ثمَّ سرت عَنْهُمْ مَعَ التُّجَّارِ، فركبت فِي مركب، وَرَزَقَنِي اللهُ السَّلَامَةَ،
إِلَى أَنْ عُدْتُ إِلَى بِلْدِي^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٣٧٣-٣٧٥).



طائر ينجو من حية بشوكة

✽ ذكر الإمام ابن القيم رحمته الله في كتابه مفتاح دار السعادة:

عجبية من عجائب الرُّخ، فقال: «لقد أخبر بعض من شَهِد بصدقه أنه رأى رُخًا - وهو طائر معروف - قد عَشَّشَ في شجرة، فنظر إلى حية عظيمة قد أقبلت نحو عُشِّه فاتحة فاهها لتبتلعه، فبينما هو يضطرب في حيلة النجاة منها إذ وجد حسكة في العش فحملها، فألقاها في فم الحية، فلم تنزل تلتوى حتى ماتت»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكلب ينقذ صاحبه

❁ قال أبو عبيدة: خرج رجل من أهل البصرة، إلى الجبّانة «المقبرة» ينتظر ركابه، فاتبعه كلب له، فطرده وضربه، وكره أن يتبعه، ورماه بحجر فأدماه، فأبى الكلب إلا أن يتبعه، فلما صار إلى الموضع، وثب به قوم كانت لهم عنده طائلة، وكان معه جارٌّ له وأخ، فهربا عنه، وتركاه وأسلماه، فجرح جراحات كثيرة، ورُمى به في بئر، وحثوا عليه التراب، حتى واروه، ولم يشكوا في موته، والكلب مع هذا يعوى عليهم، وهم يرحمونهم.

فلما انصرفوا أتى الكلب إلى رأس البئر، لم يزل يعوى ويبحث بالتراب بمخالبه، حتى أظهر رأس صاحبه، وفيه نفس يتردد، وقد كان أشرف على التلف، ولم يبق فيه إلا حُشاشة نفسه، ووصل إليه الروح، فبينما هو كذلك إذ مرَّ أناس فأنكروا مكان الكلب، ورأوه كأنه يحفر قبراً، فجاءوا فإذا هم بالرجل على تلك الحال، فاستخرجوه حيّاً وحملوه إلى أهله.

فزعّم أبو عبيدة: أن ذلك الموضع يُدعى: بئر الكلب.

وقال أحد الشعراء في هذه الواقعة:

يَعُوذُ عَنْهُ جَارُهُ وَشَقِيقُهُ وَيَرْغَبُ فِيهِ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ

وهذا الأمر يدل على وفاء طبعي، وإلف غريزي، ومحاماة شديدة وعلى معرفة وصبر، وعلى كرم وشكر، ووفاء عجيب، ومنفعة تفوق المنافع، لأن ذلك كله من الكلب من غير تكلف، ولا تصنع^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) تفضيل الكلاب على كثير ممن جرّ الثياب (ص ٧٨).



هذا قبر الكلب الوفي

❖ قَدِمَ رجل على بعض السلاطين، وكان معه حاكم أرمينية منصرفاً إلى منزله، فمرَّ في طريقه بمقبرة، فإذا قبرٌ عليه قُبَّة مبنية مكتوب عليها: هذا قبر الكلب الوفي فمن أحب أن يعلم خبره فليمضِ إلى قرية كذا فإن فيها من يخبره.

فسأل الرجل عن القرية فدلَّوه عليها، فقصدها وسأل أهلها فدلَّوه على شيخ، فبعث إليه وأحضره، وإذا شيخ قد جاوز المائة سنة، فسأله فقال: نعم كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن وكان مشهوراً بالنزهة والصيد والسفر وكان له كلب قد ربَّاه، وكان لا يفارقه حيث كان، فإذا كان وقت غدائه وعشائه أطعمه مما يأكل.

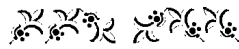
فخرج يوماً إلى بعض منتزهاته، وأمر بربط الكلب لئلا يذهب معه، وقال لبعض غلمانه: قُل للطباخ يُصلح لنا ثريدة لبن، فقد اشتيتها فأصلحوها، ومضى إلى منتزهاته، فتوجَّه الطباخ وجاء بلبن وصنع له ثريدة عظيمة، ونسى أن يغطيها بشيء، واشتغل بطبخ شيء آخر، فخرجت من بعض الشقوق أفعى فكرعت من ذلك اللبن ومجَّته في الثريدة من سُمِّها، والكلب رابض مربوط يرى ذلك كله، ولو كان له في الأفعى حيلة لمنعها ولكن لا حيلة له فيها.

وكان عند الملك جارية خرساء رَمُناء قد رأت ما صنع الأفعى، ووافى الملك من الصيد في آخر النهار، فقال: يا غلمان أول ما تقدمون إليَّ الثريدة، ولما وُضعت بين يديه، أومأت الخرساء إليهم، فلم يفهموا ما تقول، ونبح الكلب وصاح، فلم يلتفتوا إليه، وألحَّ في الصياح، فلم يعلم

مُراده فيه، ثم رُمى إليه بما كان يُرمى إليه في كل يوم فلم يقربه، ولجَّ في الصياح.

فقال لغلمانه: نَحُوهُ عَنَّا، فإن له قصة، وفك رباطه، ومَدَّ يده إلى اللب، فلما رآه الكلب يريد أن يأكل وثب إلى وسط المائدة، فأدخل رأسه في اللب، وكرع منه فسقط ميتاً وتناثر لحمه.

وبقى الملك متعجباً منه ومن فعله، فأومأت الخرساء إليهم، فعرفوا مرادها بما صنع الكلب، فقال الملك لندمائه وحاشيته: إن من قد فداني بنفسه لتحقيق المكافأة.... وما يحمله ويدفنه غيري، ودفنه في مدافن العائلة، وبنى عليه قُبة، وكتب عليها ما قرأت، وهذا ما كان من خبره»^(١).



(١) «تفضيل الكلاب على كثير ممن جر الثياب» (ص ٨٢) بتصرف.



الكلب ينقذه من الأفعى

✽ خرج رجل من أهل البصرة إلى بساتين أعلى البصرة، ومعه كلب، وكان الجو حارًا، فدخل إحدى قباب البصرة التي يتخذها فلاحو البصرة سكنًا قال: فنمت بالقبة وكانت حارة جدًّا، وتنبهت بعد العصر، وقد انصرف الذين يجمعون القصب، فاستوحشت للوحدة، وعملت على القيام، فإذا بأفعى في غلظ الساق أو الساعد متدورة على باب القبة كالطبق العظيم.

فلم أجد للخروج سبيلًا، ويئست من نفسي، وجزعت جزعًا شديدًا، وأخذت في التشهد والتضرع إلى الله ﷻ.

وبينما أنا كذلك وإذا بالكلب أقبل من بعيد، فلما رأى الأفعى وقف برهة بعيدًا عنها، ثم رجع من حيث أتى، وأنا لا أستطيع رفع صوتي مناديًا له، وما أن غاب قليلًا حتى رجع ثانية ومعه كلب آخر أكبر منه، فوقف الواحد عن يمين باب القبة والآخر عن يسارها، وصار الواحد عند رأس الأفعى، والآخر عند ذنبها، ثم وثبا في حالٍ واحدة، وإذا رأس الأفعى وذنبها في فم كل واحد منهما.

ولم تستطع الإفلات منهما، وجرّاهما بعيدًا عن مكاني، فخرجت مسرورًا، وبعد ذلك لحق بى الكلب الذى نجاني الله بحيلته ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) تفضيل الكلاب على كثير ممن جرّ الثياب (ص ١١٣).

خانہ صاحبہ وأنقذه كلبه

✽ تولى محمد بن الحسين بن شداد مدينة نيسابور، قال: فقصدت على بن أحمد الراسي الوالي على دور الراسيين، قال:

فنزلت في بعض منازلها، فوجدت في جواره جندياً من أصحابه يُعرَف بـ: «نسيم»، كان غلاماً وسيماً نظيفاً، وإذا كلب له يخرج بخروجه، ويدخل بدخوله، وإذا جلس على بابه قرَّبه وغطاه بدواج كان عليه.

فسألت الراسي عن محل الغلام، وكيف يقنع الأمير منه بدخول الكلب عليه، ويرضى منه بذلك وليس بكلب صيد؟ قال أبو الوليد: سَلِه عن حديثه فإنه يخبرك بشأنه، فأحضرت الغلام، وسألته عن السبب الذي استحق به هذه المنزلة منه؟

فقال: هذا خلَّصني (بعد الله ﷻ) من أمر عظيم، فاستبشعت هذا القول منه، وأنكرته عليه؟! فقال لي: اسمع حديثه، فإنك تعذرني.

قد كان يصحبني رجل من أهل البصرة يقال له: محمد بن بكر لا يفارقني، يؤاكلني ويعاشرني منذ سنين.

فخرجنا نغزو إلى الدينور، فلما رجعنا وقربنا من منازلنا، كان في وسطى هميان فيه جملة دنانير، ومعى متاع كثير أخذته من الغنيمة قد وقف عليه بأَسْرِهِ.

فنزّلنا إلى موضع فأكلنا وشربنا، فلما عمل الشراب، عمد إلىّ فشدَّ يدي إلى رجلي، وأوثقني كتافاً ورمى بي في وادٍ، وأخذ كل ما معي، وتركني ومضى، وآيست من الحياة، وقعد هذا الكلب معي، ثم تركني ومضى، فما

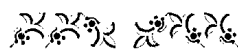


كان بأسرع من أن وافانى ومعه رغيف، فطرحه بين يدي فأكلته، ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء فشربت منه، ولم يزل الكلب معى باقى ليلى يعوى، إلى أن أصبحت وفقدت الكلب، فما كان بأسرع من أن وافانى ومعه رغيف فأكلت، وفعلت فعلى فى اليوم الأول، فلما كان فى اليوم الثالث غاب عنى، فقلت: مضى يجيئنى بالرغيف، فلم ألبث إلا أن جاء ومعه الرغيف، فرمى به إلىّ، فما استتممت أكله، إلا وابنى على رأسى ييكى، فقال: ما تصنع ها هنا، وما هى قصتك؟ ونزل فحلّ كتافى وأخرجنى، فقلت له: من أين علمت بمكانى، ومَن دَلَّكَ علىّ؟

فقال: كان الكلب يأتينا فى كل يوم، فنطرح له الرغيف على رسمه فلا يأكله، وقد كان معك، فأنكرنا رجوعه، ولست أنت معه، فكان يحمل الرغيف بفيه، ولا يذوقه، ويخرج يعدو، فأنكرنا أمره، فاتبعته حتى وقفت عليك، فهذا ما كان من خبرى وخبر الكلب، فهو عندى أعظم مقدارًا من الأهل والقراة.

فقال: ورأيت أثر الكتاف فى يده، قد أثر أثرًا قبيحًا.

فكان الرجل بعد ذلك يقرب هذا الكلب، ويجلسه إلى جنبه ويغطيه، ويدخل بدخوله، ويخرج بخروجه^(١).



(١) «تفضيل الكلاب على كثير ممن جر الثياب» (ص ٩٠).

حكاية الثعبان والرغيف

عن إبراهيم الهروي قال: بينما رجل في مسير له في يوم صائف عدل إلى شعب، فأصاب فيه مغارة. قال: فدخلت فيها، فما لبثت أن دخل على ثعبان كأنه النخلة، فتطوق في شق المغارة، فجعل ينظر إليّ، فقلت في نفسي: لعلّ رزق له، ولم يهيلني أمره، فما لبث أن خرج من المغارة، ثم أقبل إليّ وفي فيه رغيف حواري قد ذهب منه غطة، فوضعه عند رأسي، ورجع إلى موضعه، فتطوق فيه، فقمت، فأكلت الرغيف، فلما برد النهار خرجت، فسرت، فلقيني رفقة، فقالوا: من أين جئت؟ فقلت: من هذا الشعب؟ قالوا: هل رأيت ما رأينا؟ قلت: وما هو؟ قالوا: اعترض علينا في الرفقة ثعبان، وقام على ذنبه ونفخ، وكان معنا إنسان ظريف فيه أدب، فقال: أظن هذا جائعاً، فرمى إليه رغيفاً حواريّاً، فأخذه الثعبان، ومضى، فقلت: أنا أكلت الرغيف ... ومضيت وخليتهم^(١).

﴿١﴾



قصة الغراب والرغيف

❖ قال مالك بن دينار رضي الله عنه: خرجت إلى الحج، وفيما أنا سائر في البادية، إذ رأيت غراباً في فمه رغيف، فقلت: هذا غراب يطير وفي فمه رغيف، إن له لشأناً فتبعتة حتى نزل عند غار، فذهبت إليه، فإذا بي أرى رجلاً مشدوداً لا يستطيع فكاًكاً، والرغيف بين يديه، فقلت للرجل: من تكون؟ ومن أي البلاد أنت؟ فقال: أنا من الحُجَّاج، أخذ اللصوص مالى ومتاعى، وشدوني وألقوني في هذا الموضع، كما ترى، وصبرت على الجوع أياماً، ثم توجهت إلى ربي بقلبي وقلت: يا من قال في كتابه العزيز: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ ^(١).

فأنا مضطر فارحمنى، فأرسل الله هذا الغراب بطعامى.

قال مالك: فحللت من الوثاق، ثم مضينا فعطشنا، وليس معنا ماء، فنظرنا في البادية فرأينا بئراً عليه ظباء، فدنونا منه فنفرت الظباء، وأقامت غير بعيد، فلما وصلنا إلى البئر كان الماء في قعره، فاحتلنا حتى استقينا وشربنا، وعزمت ألا نبرح حتى نسقى الظباء، فحفرت وصاحبى حفرة وملأناها بالماء، وتنحينا فأقبلت الظباء فشربت حتى رويت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آتاهم النسربطعامهم

✽ عن إبراهيم الخواص قال: سمعت حسناً أخا سنان يقول: سمعت أبا تراب النخشي يقول: كنت أنا وجماعة من أصحابي قد خرجنا إلى مكة، فمضيت على طريق ومضوا على طريق، وكان قد أصابنا جوعٌ شديد، فلما افترقنا صاد أصحابي ظبيًا فذبحوه وشووه وجلسوا ليأكلوا إذا نسر قد انفَضَّ عليهم فاحتمل ربع الظبي قالوا: فأقبلنا ننظر إليه ولا نقدر عليه. قال أبو تراب: فلما اجتمعنا بمكة قال لهم: أي شيء كان خبركم، فأخبروني خبرهم، وما كان من قصة الظبي، فقلت لهم: إني كنت سائرًا، فإذا بنسر قد ألقى إليّ ربع ظبي مشوى، وكان أكلنا في وقتٍ واحد^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحِدَاةُ أَلْقَتِ اللَّحْمَ فِي بَيْتِهِ!!

❁ قال موسى الطويل البصرى: اشتهى شِبْلُ المَدَرِي لحمًا، فأخذه ليحمِلَه، فانحطَّت عليه الحِدَاةُ فاخْتَلَسَتْه منه، فنوى الصوم، ورجع إلى المسجد. قال: فأقبلت الحِدَاةُ ونازعتها حِدَاةً أُخْرَى لتَغْلِبَها عليه، وذلك بحذاء منزل شِبْلٍ، فسقط اللحمُ منها، ووقع في حجرِ امرأةٍ شِبْلٍ، فقامت وطبخته. فلَمَّا رَجَعَ شِبْلٌ إلى منزله ليفطر قدَّمت امرأته إليه اللحمَ فقال: أُنِّي لك هذا اللحم؟ فأخبرته بالحداثتين وتنازعهما، فبكى شِبْلٌ وقال: الحمد لله الذى لم ينسَ شِبْلًا^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

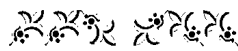
(١) المختار من مناقب الأخيار، لابن الأثير (٣ / ٩٣).

﴿ إن الله لقادر أن يطعمكم ﴾

✽ عن أبي إبراهيم اليماني قال: خرجنا نسير على شاطئ البحر مع إبراهيم بن أدهم فأتينا جبلاً يقال له كفر فير، وأمسينا على الحسن فمررنا بغيسة فيها حطب يابس وشجر كثير، فقلنا: يا أبا إسحاق، لو بتنا الليلة بشاطئ البحر، وأوقدنا من هذا الحطب.

قال: افعلوا... فوجهنا رجلاً إلى الحصن، فأتى بنا، وجمعنا الحطب، وأوقدنا، وأخرجنا خبزاً كان معنا لنأكله، فقال بعض أصحابنا: ما أحسن هذا الجمر لو كان لنا لحم شويناه عليه، فقال إبراهيم بن أدهم: «إن الله لقادر أن يطعمكم».

قال: فإذا بأسد يطرد أيلاً^(١) فلما دنا منا وقع فاندق عنقه، فقام إليه إبراهيم، وقال: بعث إلينا... فذبحناه وبتنا نشوى من لحمه، والأسد واقف ينظر إلينا^(٢).



(١) أي وعلاً، والوعل: تيس الجبل، أي: ذكر الأروى، وهو جنس من المعز الجبلية له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدين.

(٢) عيون الحكايات (ص ٢٠٩).



ألقى نفسه على نبات البردى فوقع على أسد

عن سعد بن مُحَمَّد، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ الْمُقَرِّيُّ بِالرَّمْلَةِ، وَكَانَ فَارِسًا فَاتِكًا شَجَاعًا جَلَدًا، قَالَ: خَرَجْتُ فِي قَافِلَةٍ مِنَ الرَّمْلَةِ، صَاحِبَهَا ابْنُ الْحَدَادِ، وَأَنَا عَلَى مُهْرٍ لِي، وَعَلَى سِلَاحِي.

فَبَلَّغْنَا فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةً إِلَى وَادِي غَارَا، وَهُوَ وَادٍ عَمِيقٌ جَدًّا، عَمَقُهُ نَحْوُ فَرَسَخٍ، فِي بَطْنِهِ مَاءٌ يَجْرِي، وَعَلَيْهِ شَجَرٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالسَّبَاعِ، وَالطَّرِيقُ عَلَى جَنْبَةٍ مِنْ جَنْبَاتِهِ فِي مَضِيقٍ.

فَازْدَحَمَتِ الْقَافِلَةُ، فَسَقَطَ جَمَلٌ عَلَيْهِ حَمْلٌ قِمَاشٍ، فَرَأَيْتُ صَاحِبَهُ يَلْطَمُ وَيَبْكِي، وَكَانَ مُوسِرًا.

فَدَعَاهُ ابْنُ الْحَدَادِ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ رَجُلٌ مُوسِرٌ، فَمَا هَذَا الْجَزَعُ؟ فَقَالَ لَهُ: فِي الْحَمْلِ الْقِمَاشُ الَّذِي سَقَطَ، عَشْرَةُ آلَافٍ دِينَارٍ عَيْنًا.

فَحَطَّ ابْنُ الْحَدَادِ الْقَافِلَةَ، وَنَادَى: مَنْ يَنْزِلُ الْوَادِي، وَيَتَخَلَّصُ لَنَا الْقِمَاشَ أَوْ الْمَالَ الَّذِي فِيهِ، وَلَهُ أَلْفُ دِينَارٍ، فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ.

فَلَمَّا كَرَّرَ النِّدَاءَ جِئْتُهُ، وَقُلْتُ: تُعَجِّلْ لِي الدَّنَائِيرَ.

فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَكْتُبْ لَكَ بِهَا السَّاعَةَ كِتَابًا، وَأُشْهِدْ مَنْ فِي الْقَافِلَةِ، فَإِذَا صَارَ الْجَمَلُ وَحِمْلُهُ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَالِ عِنْدِي، فَالْمَالُ لَكَ.

فَكَتَبْنَا كِتَابًا بِذَلِكَ، وَأُشْهِدْنَا عَلَيْهِ، وَأَعْطَيْتُهُمْ دَابَّتِي وَرَحْلِي، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفًا، وَجَحْفَةً، وَشَمْعَةً مُشْتَعِلَةً، وَرُمْتُ النُّزُولَ إِلَى الْوَادِي.

فَرَأَيْتُ مَنْزِلًا غَرَنِي، فَاسْتَعْجَلْتُ سَلُوكَهُ، فَزَلْتُ سَاعَةً، حَتَّى صَرْتُ عَلَى جَانِبِ مِنَ الْوَادِي مَشْجَرٍ، فَإِذَا فِيهِ أَثَرُ الرُّعَاةِ وَالْغَنَمِ، ثُمَّ لَمْ أَجِدْ طَرِيقًا

إِلَى أَسْفَلَ، وَكَانَ سَبِيلِي أَنْ أَرْجِعَ، وَأَرْتَادَ النُّزُولَ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى.
فَحَمَلَنِي ضَيْقُ الْوَقْتِ، وَالْحَرَصُ عَلَى الدَّانِيَةِ، أَنْ جَعَلْتُ أَتَوَغَّلُ،
وَأَنْتَقِلَ مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى شَجَرَةٍ، وَمِنْ حَجَرٍ إِلَى حَجَرٍ، حَتَّى حَصَلْتُ فِي
جَنْبِ الْوَادِي عَلَى صَخْرَةٍ مَلْسَاءَ بَارِزَةٍ كَالرَّفِ، لَيْسَ لَهَا إِلَى أَسْفَلَ طَرِيقٌ
أَلْبَتَّةَ.

فَاطْلَعْتُ بِالشَّمْعَةِ، فَإِذَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَرَارِ عَشْرُونَ ذِرَاعًا، وَفِي أَسْفَلَ
الْوَادِي بَرْدِي كَثِيفٌ يَجْرِي بَيْنَهُ الْمَاءُ، وَلَهُ خَرِيرٌ شَدِيدٌ.
فَأَجْمَعْتُ عَلَى أَنْ أُلْقِيَ نَفْسِي، فَأَطْفَأْتُ الشَّمْعَةَ، وَشَدَدْتُهَا بِحُمَائِلِ
السَّيْفِ مَعَ الْجُحْفَةِ، وَأَلْقَيْتُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِ عِلْمَتِهِ عَنْ يَمِينِي، ثُمَّ جَمَعْتُ
نَفْسِي فَوَثَّيْتُ فِي وَسْطِ الْبَرْدِي.

فَوَقَعْتُ عَلَى شَيْءٍ ثَارٍ مِنْ تَحْتِي وَنَفَضْنِي، وَصَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً مَلَأَ بِهَا
الْوَادِي، وَإِذَا هُوَ أَسَدٌ، فَشَقَّ الْبَرْدِي وَسَعَى هَارِبًا، فَوَقَفَ بِإِزَائِي مِنْ جَانِبِ
الْوَادِي الْآخَرِ.

فَطَلَبْتُ سَيْفِي وَجُحْفَتِي حَتَّى أَخَذْتُهُمَا، وَوَقَفْتُ أُنْتَظِرُ أَنْ يَمْضِيَ الْأَسَدُ
فَأَطْلُبَ الْجَمَلَ، فَأَقْبَلَ يَرِيدَنِي.

فَمَشَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْبَرْدِي، وَهُوَ فِي أَثَرِي يَخُوضُ الْمَاءَ، وَيَشُقُّ
الْبَرْدِي، وَأَنَا أَخَاتِلُهُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ.

وَطَلَعَ الْقَمَرُ، فَأَبْصَرْتُ بِنَاءً خَفِيًّا، فَقَصَدْتُهُ، فَإِذَا هُوَ بَيْتٌ رَحَى يَدِيرُهَا
الْمَاءُ، فَدَخَلْتُ فِيهِ.

ثُمَّ فَكَّرْتُ، فَقُلْتُ: هُنَا مَأْلَفُ الْأَسَدِ، وَالسَّاعَةُ يَجِيئُنِي، فَجِئْتُ إِلَى
شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ، فَقَطَعْتُهَا بِالسَّيْفِ مِنْ نَصْفِ سَاقِهَا، وَجَرَرْتُهَا مِنْ وَرَائِي،



وَجَذِبَتْ سَاقَهَا، وَدَخَلَتْ إِلَى بَيْتِ الرَّحَى، فَأَمْتَلَأَ الْبَابَ بِهَا، وَفَضَلَتْ عَنْهُ
بِشْيَاءَ كَثِيرٍ، وَجَلَسَتْ، وَسَاقَ الشَّجَرَةَ فِي يَدِي.

فَمَا كَانَ إِلَّا مِقْدَارَ جُلُوسِي، حَتَّى أَحْسَسْتُ بِالْأَسَدِ يَزْحَمُ الشَّجَرَةَ يَرِيدُ
الدُّخُولَ إِلَيَّ.

قَالَ: فَاسْتَنْدَتِ إِلَى الْحَائِطِ، وَأَمْسَكَتْ سَاقَ الشَّجَرَةَ أَدَافِعَهُ بِهَا، حَتَّى
مَلَنِي وَمَلَلْتَهُ، ثُمَّ رَبِضَ بِإِزَاءِ الْبَابِ إِلَى أَنْ أَصْفَرَ الصُّبْحُ، فَلَمَّا كَادَتْ أَنْ
تَطْلُعَ الشَّمْسُ مَضَى.

فَأَقَمْتُ إِلَى أَنْ انْبَسَطَتِ الشَّمْسُ، حَتَّى أَمْنْتَهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَمَا زِلْتُ
أَطْلُبُ أَثَرَ الْجَمَلِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ تَقَطَّعَ مِنْ أَثَرِ السَّقَطَةِ،
وَالْعِدْلَانِ مَطْرُوحَانِ، وَكَانُوا أَمْرُونِي بِفَتْقِهِمَا، وَاسْتِخْرَاجِ الْمَالِ، وَحَمَلِهِ،
إِنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى تَخْلِيصِ الْجَمَلِ وَحَمْلِ الْعَدْلَيْنِ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ.

وَحَمَلْتُ الْمَالَ عَلَى ظَهْرِي، وَطَلَبْتُ الْمَصْعَدَ، وَقَدْ عَلَا الضُّحَى،
فَصَعَدْتُ فِيهِ.

فَلَمَّا حَصَلْتُ بِرَأْسِ الْوَادِي، إِذَا بِيَادِيهِ مَجْتَازِينَ، فَقَصَدُونِي، فَمَانَعْتَهُمْ
بِالسَّيْفِ عَنْ نَفْسِي، فَلَمْ أَطْقَهُمْ، وَضَرَبُونِي بِالسُّيُوفِ.

فَقُلْتُ لَشَيْخٍ رَأَيْتُهُ كَالرَّئِيسِ لَهُمْ: لِي الذِّمَامُ عَلَى مَا مَعِيَ حَتَّى أَصْذُقَكَ،
وَأَنْفَعَكَ نَفْعًا كَثِيرًا.

فَقَالَ: اصْذُقْنِي، وَلَكَ الذِّمَامُ.

فَحَدَّثْتُهُ بِالْحَدِيثِ، فَأَخَذُوا الْمَالَ، وَسَارُوا بِي مَعَهُمْ، حَتَّى وَقَفُوا عَلَى
الْعَدْلَيْنِ، فَاحْتَمَلُوهُمَا.

وَضَرَبَ الشَّيْخُ بِيَدِهِ فِي الْمَالِ، فَحَثَا مِنْهُ ثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ فَقُلْتُ: هَذَا لَا

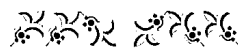
يَنْفَعْنِي إِنْ لَمْ تَبْلَغْنِي مَأْمَنِي.

فَأَتَانَا جَمَلًا فَحَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَسَارَ بِي سِيرًا حَثِيثًا، حَتَّى أَرَانِي الْقَافِلَةَ عَلَى بُعْدٍ، ثُمَّ أَنْزَلَنِي، وَقَالَ: الْحَقُّ بِرَفْقَتِكَ، فَمَا عَلَيْكَ مِنْ أَحَدٍ بِأَسْ. فَمَشَيْتُ حَتَّى لَحَقْتُ الْقَافِلَةَ، وَقَدْ خَبَأَتْ تِلْكَ الدَّنَائِيرُ فِي سِرَاوِيلِي، فَعَرَفْتَهُمْ أَنَّ الْمَالَ أَخَذَتْهُ الْبَادِيَةُ، وَأَرَيْتَهُمْ آثَارَ الضَّرْبِ، فَصَدَّقُونِي، وَلَمْ يَفْتَشُونِي^(١).

فَرَكِبْتُ دَابَّتِي وَسَرْتُ مَعَهُمْ، فَدَخَلْنَا طَبْرِيَّةَ، فَشَكُوا إِلَيَّ أَمِيرَهَا أَبِي عُثْمَانَ بْنَ عَقِيلٍ، فَأَسْرَى إِلَيَّ الْأَعْرَابُ، فَارْتَجَعَ مِنْهُمْ أَكْثَرَ الْمَالِ، وَرَدَّهُ إِلَيَّ صَاحِبُهُ.

وَكُنْتُ أَنَا، لَمَّا دَخَلْنَا طَبْرِيَّةَ، فَارَقْتَهُمْ، وَدَخَلْتُ إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ لَحَقُونِي بِهَا.

وَبْلَغْنِي مَا رُدَّ عَلَيْهِمْ، فَقُلْتُ لَصَاحِبِ الْمَالِ: قَدْ بَذَلْتُ مَهْجَتِي، وَأَفْلْتُ مِنَ الْأَسَدِ، وَالْمَوْتِ، مَرَارًا، وَمِنَ الْأَعْرَابِ، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَلَا أَقْلَ مِنْ أَنْ تَوْصَلَ إِلَيَّ بَعْضَ مَا وَعَدْتَنِي، فَأَعْطَانِي مِائَتِي دِينَارًا^(٢).



(١) كان يجب على هذا الرجل أن يخبر صاحب المال بما أخذه من المال من اللصوص وأن يرده إلى صاحبه فإذا أراد صاحب المال أن يعطيه شيئاً من ذلك المال فلا بأس.

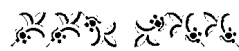
(٢) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٣٨٥-٣٨٧).



كان سبب رزقهم دون أن يدري

✽ عن معمر بن أحمد بن محمد الأصبهاني قال: سمعت أبا مسلم السقاء يقول: سمعت بعض أصحابنا يحكى عن إبراهيم الخواص أنه قال: كان لى وقت فترة، فكنت أخرج كل يوم إلى شط نهر كبير وكان حواليه خوص، فكنت أقطع شيئاً من ذلك وأشقه قفافاً فأطرحه فى ذلك النهر، وأتسلى بذلك وكأنى كنت مُطالباً به، فجرى وقتى على ذلك أياماً كثيرة، ففكرت يوماً، وقلت: أمضى خلف ما أطرحه فى الماء من القفاف، لأنظر أين يذهب فمشيت على شط النهر ساعات، ولم أعمل ذلك اليوم حتى أتيت فى الشط موضعاً وإذا عجوز قاعدة على شط النهر تبكى، فقلت لها: ما لك تبكين؟ فقالت: اعلم أن لى خمسة من الأيتام مات أبوهم، فأصابنى الفقر والشدة، فأتيت هذا الموضع، فجاءت على رأس الماء قفاف من الخوص، فأخذتها وبعتها وأنفقتها عليهم وأتيت اليوم الثانى والثالث، والقفاف تجىء على رأس الماء، وكنت آخذها وأبيعها حتى اليوم، فجئت اليوم فى الوقت وأنا منتظرة، وما جاءت!

قال إبراهيم الخواص: فرفعت يدى إلى السماء، وقلت: اللهم لو علمت أن لى خمسة من العيال لزدت فى العمل، وقلت: للعجوز لا تغتمى فأنا الذى كنت أعمل ذلك، فمضيت معها ورأيت موضعها، وكانت فقيرة، فقممت بأمرها وأمر عيالها سنين^(١).



هكذا أنجاه الله من الغادر اللئيم

❖ عن إبراهيم بن علي النصيبى، قَالَ: حَدَّثَنِى أَبُو الْقَاسِمِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِى الصَّفَّارِ (شيخ كَانَ جَارًا لَنَا بَنَصِيِّينَ)، قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ نَصِيبِينَ بِسَيْفٍ نَفِيسٍ، كُنْتُ وَرَثَتُهُ مِنْ أَبِي، أَقْصَدُ بِهِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِىَّ، أَمِيرَ دِيَارِ رِبْعَةٍ، وَهُوَ بِرَأْسِ عَيْنٍ، لِأَهْدِيهِ إِلَيْهِ، وَأَسْتَجِدِيهِ بِذَلِكَ.

فَصَحَبَنِى فِى الطَّرِيقِ شَيْخٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فَسَأَلَنِى عَنْ أَمْرِى، فَأَنْسَتُ بِهِ، وَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ، وَكُنَّا قَرَبْنَا مِنْ رَأْسِ عَيْنٍ، وَدَخَلْنَاهَا، وَافْتَرَقْنَا. وَصَارَ يَجِئْنِى وَيُرَاعِيْنِى، وَيُظْهِرُ لِى أَنَّهُ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، وَأَنَّهُ يَبْرُنِى بِالْقَصْدِ، وَيَسْأَلُنِى عَنْ حَالِى.

فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْأَمِيرَ قَبْلَ هَدِيَّتِى، وَأَجَازَنِى بِأَلْفِ دِرْهَمٍ وَثِيَابٍ، وَأَنِّى أُرِيدُ الْخُرُوجَ فِى يَوْمٍ كَذَا وَكَذَا.

فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ؛ خَرَجْتُ عَنْ الْبَلَدِ، رَاكِبًا حِمَارًا، فَلَمَّا أَصْحَرْتُ؛ إِذَا بِالشَّيْخِ عَلَى دَوِيْبَةٍ لَهُ ضَعِيفَةٌ، مُتَقَلِّدًا سَيْفًا.

فَلَمَّا رَأَيْتُهُ اسْتَرَبْتُ بِهِ، وَأَنْكَرْتُهُ، وَرَأَيْتُ الشَّرَّ فِى عَيْنَيْهِ.

فَقُلْتُ: مَا تَصْنَعُ هَهُنَا؟

فَقَالَ: قَدْ قَضَيْتُ حَوَائِجِى، وَأُرِيدُ الرُّجُوعَ، وَصُحْبَتَكَ عِنْدِى أَثَرٌ مِنْ صُحْبَةِ غَيْرِكَ.

فَقُلْتُ: عَلَى اسْمِ اللَّهِ.

وَمَا زِلْتُ مُتَحَرِّزًا مِنْهُ، وَهُوَ يَجْتَهِدُ أَنْ أَدْنُو مِنْهُ وَأُوَانِسَهُ، فَلَا أَفْعَلُ، وَكَلَّمَا دَنَا مِنِّى؛ بَعَدْتُ عَنْهُ، إِلَى أَنْ سَرْنَا شَيْئًا كَثِيرًا، وَلَيْسَ مَعَنَا ثَالِثٌ.

فقصر عني، فحشت الحمار؛ لأفوته، فَمَا أَحْسَسْتُ إِلَّا بِرُكْضِهِ، فَالْتَفْتُ،
فَإِذَا هُوَ قَدْ جَرَّدَ سَيْفَهُ، وَقَصَدَنِي، فَرَمَيْتُ بِنَفْسِي عَنِ الْحِمَارِ، وَعَدَوْتُ.
فَلَمَّا خَافَ أَنْ أَفُوتَهُ؛ صَاحَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّمَا مَزَحْتَ مَعَكَ، فَقِفْ، فَلَمْ
أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَزَادَ فِي التَّحْرِيكِ.

وَظَهَرَ لِي نَاوُوسٌ فَطَلَبْتَهُ، وَقَدْ كَادَ الْأَعْرَابِيُّ يُلْحِقُ بِي، فَدَخَلْتُ
الْناوُوسَ، وَوَقَفْتُ وَرَاءَ بَابِهِ.

قَالَ: وَمِنْ صِفَاتِ تِلْكَ النَّاوُوسِ أَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ بِالْحِجَارَةِ، وَبَابُ كُلِّ
ناوُوسٍ حَجَرٌ وَاحِدٌ عَظِيمٌ، قَدْ نُقِرَ، وَحُفِفَ، وَمُلِّسٌ، فَلَا تَسْتَطِيعُ الْيَدُ مِنْهُ،
وَلَهُ فِي وَجْهِهِ حَلَقَةٌ، وَلَيْسَ لِلْبَابِ مِنْ دَاخِلِ شَيْءٍ تَتَعَلَّقُ الْيَدُ بِهِ، وَإِنَّمَا يُدْفَعُ
مِنْ خَارِجِهِ، فَيُفْتَحُ، فَيَدْخُلُ إِلَيْهِ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ، وَجَذِبْتَ الْحَلَقَةَ، انْغَلَقَ
الْبَابُ، وَتَمَكَّنَ هَذَا مِنْ وَرَائِهِ، فَلَمْ يُمْكِنْ فَتْحَهُ مِنْ دَاخِلٍ أَصْلًا.

قَالَ: فَحِينَ دَخَلْتُ النَّاوُوسَ؛ وَقَفْتُ خَلْفَ بَابِهِ، وَجَاءَ الْأَعْرَابِيُّ، فَشَدَّ
الدَّابَّةَ فِي حَلَقَةِ الْبَابِ، وَدَخَلَ يَرِيدَنِي، مَخْطَرًا سَيْفَهُ، وَالْناوُوسَ مُظْلِمًا،
فَلَمْ يَرْنِي، وَمَشَى إِلَيَّ صَدْرُ النَّاوُوسِ، فَخَرَجْتُ أَنَا مِنْ خَلْفِ الْبَابِ،
وَجَذِبْتُهُ، وَنَفَرَتِ الدَّابَّةُ، فَجَذَبْتُهُ مَعِيَ، حَتَّى صَارَ الْبَابُ مُرْدُومًا مُحْكَمًا
وَحَصَلْتُ الْحَلَقَةَ فِي رِزَّةِ هُنَاكَ، وَحَلَلْتُ الدَّابَّةَ، وَرَكِبْتُهَا.

فَجَاءَ الْأَعْرَابِيُّ، إِلَى بَابِ النَّاوُوسِ، فَرَأَى الْمَوْتَ عِيَانًا، فَقَالَ: يَا أَبَا
الْقَاسِمِ، اتَّقِ اللَّهَ فِي أَمْرِي، فَإِنِّي أَتْلَفُ.

فَقُلْتُ: تَتْلَفُ أَنْتَ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ أَتْلَفَ أَنَا.

قَالَ: فَأَخْرِجْنِي، وَأَنَا أُعْطِيكَ أَمَانًا، وَاسْتَوْثِقْ مِنِّي بِالْإِيمَانِ، أَنْ لَا
أَعْرِضَ لَكَ بِسُوءٍ أَبَدًا، وَادْكُرْ الْحُرْمَةَ الَّتِي بَيْنَنَا.

فقلت: لم ترعها أنت، وأيمانك فاجرة، لا أثق بها في تلف نفسي.
فأخذ يكرر الكلام، فقلت له: لا تهذ، دَع عَنْكَ هَذَا الْكَلَامَ، واقعد
مَكَانَكَ، هوذا، أنا رَاكِب دَابَّتِكَ، وَأُجَنِّبُ حِمَارِي، والوعد بعد أيامَ بَيْنَنَا هُنَا،
فَلَا تَبْرَحْ عَلَيَّ حَتَّى أَجِيءَ، وَإِذَا احْتَجَجْتَ إِلَى طَعَامٍ، فَعَلَيْكَ بِجِيفِ الْعُلُوجِ،
فَنَعْمُ الطَّعَامُ لَكَ.

وَأَخَذْتُ أَلْهُو بِهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ، وَأَخَذَ يَبْكِي وَيَسْتَغِيثُ، وَيَقُولُ:
قَتَلْتَنِي، وَاللَّهِ.

فَقُلْتُ: إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ، وَرَكِبْتُ دَابَّتَهُ، وَجَنَّبْتُ حِمَارِي.
وَوَجَدْتُ عَلَى دَابَّتِهِ خُرْجًا فِيهِ ثِيَابٌ يَسِيرَةٌ، وَجِئْتُ إِلَى نَصِيبِينَ، فَبِعْتُ
الثِّيَابَ، وَكَانَتْ دَابَّتُهُ شَهَاءً، فَصَبَغْتُهَا دِهْمَاءً وَبَعْتُهَا؛ لِئَلَّا يُعْرِفَ صَاحِبُهَا
فَأُطَالِبَ بِالرَّجْلِ، وَاتَّفَقَ أَنَّهُ اشْتَرَاهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُجْتَازِينَ، وَكُفِّتَ أَمْرُهُ،
وَانْكُتِمَتِ الْقِصَّةُ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَكْثَرِ مِنْ سَنَةٍ؛ عَرَضَ لِي الْخُرُوجُ إِلَى رَأْسِ عَيْنَ،
فَخَرَجْتُ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَلَمَّا لَاحَ لِي النَّاوُوسُ؛ ذَكَرْتُ الشَّيْخَ.
فَقُلْتُ: أَعْدِلْ إِلَيَّ النَّاوُوسَ، وَأَنْظُرْ مَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، فَجِئْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا
بَابُهُ كَمَا تَرَكْتُهُ.

فَفَتَحْتُهُ، وَدَخَلْتُ، فَإِذَا بِالْأَعْرَابِيِّ قَدْ صَارَ رَمَةً، فَحَمَدْتُ اللَّهَ، تَعَالَى،
عَلَى السَّلَامَةِ.

ثُمَّ حَرَكْتُهُ بِرَجْلِي، وَقُلْتُ لَهُ عَلَى سَبِيلِ الْعَبَثِ: مَا خَبْرُكَ، يَا فَلَانُ؟ فَإِذَا
بِصَوْتِ شَيْءٍ يَتَخَشَّخَشُ، فَفَتَشْتُهُ، فَإِذَا هُمَيَّانٌ، فَأَخَذْتُهُ، وَأَخَذْتُ سَيْفَهُ،
وَخَرَجْتُ، وَفَتَحْتُ الْهُمَيَّانَ، فَإِذَا فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِرْهَمٍ، وَبَعْتُ السَّيْفَ بَعْدَ



ذَلِكَ بِجُمْلَةٍ دَرَاهِمٍ^(١).

❦ قلت (محمود): وإن كان الله ﷻ قد نَجَّاه من هذا المجرم إلا أنه كان لا يحل له أن يأخذ ماله بل يوصله لأهله أو يتصدق بها عنه إن لم يجد أحدًا من ورثته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٣٢٩-٣٣٠).

هاجـه الحسد وقتله الطمع

❖ عن إبراهيم بن علي بن سعيد بن علي زوبعة النصيبيني المتكلم، قال: قال جماعة من أهل نصيبين، إنه كان بها أخوان، ورثا عن أبيهما مالا عظيما جليلا، فاقسماه، فأسرع أحدهما في حصته حتى لم يبق معه شيء، واحتاج إلى ما في أيدي الناس... وثمر الآخر حصته، فزادت.

وعرض له سفر في تجارته، فجاءه أخوه الفقير، وقال: يا أخي، إنك تحتاج إلى أن تستأجر غلاما في سفرك، وأنا أحتاج إلى أن أخدم الناس، فأجعلني بدل غلام تستأجره، فيكون ذلك أصون لي ولك.

فلم يشك الأخ أن أخاه قد تأدب، وأن هذا أول إقباله، وأثر أن يصون أخاه، ورق عليه، فأخذه معه.

وكان للأخ الغني حمار فاره يركبه، وقد استأجر بغالا لأحماله، فأركب أخاه أحدها، وركب هو أحدها، وأركب المكارى الحمار، وساروا.

فلما استمر بهم السفر؛ حصلوا في جبل في الطريق، وفيه كهف فيه عين ماء، فقال الأخ الفقير للأخ الغني: لو نزلنا ههنا، وأرحنا دوابنا، وسقيناها من هذا الماء، وأكلنا، ثم ركبنا؛ لكان أروح لنا.

فقال: افعل.

فنزل التاجر على باب الكهف الذي في الجبل، وأدخل متاعه إليه، وبسط السفرة... وأخذ أخوه الفقير، والمكارى الدواب، ومضيا لیسقيها.

وانتظر التاجر أخاه، فاحتبس طويلا، ثم جاء وحده، وشد الدواب.

فقال له أخوه: يا أخي، ما قعادك، وأنا أنتظرک تأكل معي؟ فقال: حتى



سقيت الدَّوَابَّ.

فَقَالَ: وَأَيْنَ الْمَكَارَى؟ فَقَالَ: قَدْ نَامَ فِي الْجَبَلِ.

فَقَالَ: تَعَالَ، حَتَّى نَأْكُلَ.

فَتَرَكَهُ وَمَضَى، ثُمَّ عَادَ، وَبِيَدِهِ حِجَارَةٌ يَرْمِي بِهَا أَخُوهُ، وَيَقُولُ لَهُ: أَسْتَكْتَفُ، يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ.

فَقَالَ لَهُ: وَيَحْكُ، مَا تُرِيدُ؟ فَقَالَ: أُرِيدُ قَتْلَكَ، يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ، أَخَذْتُ مَالَ أَبِي، فَجَعَلْتَهُ تِجَارَةً لَكَ، وَجَعَلْتَنِي غَلامَكَ.

قَالَ: وَرَفْسُهُ، وَأَلْقَاهُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ أَوْثَقَهُ كِتَافًا، وَأَثَخَنَهُ ضَرْبًا بِالْحِجَارَةِ وَشَجَاجًا، وَصَاحَ الرَّجُلُ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ.

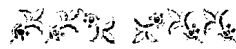
وَبَرَكَ أَخُوهُ الْفَقِيرُ عَلَى صَدْرِهِ، وَكَانَ فِي وَسْطِهِ سَكِينٌ عَظِيمَةٌ، فِي قَرَابٍ لَهَا، فَرَامَ اسْتِخْرَاجَهَا مِنَ الْقَرَابِ لِيَذْبَحَ بِهَا، فَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ، فَقَامَ عَنْ صَدْرِ أَخِيهِ، وَأَعْلَا يَدَهُ الْيُسْرَى، وَفِيهَا السَّكِينُ فِي قَرَابِهَا، وَجَذَبَهَا بِيَدِهِ الْيُمِينِ، وَقَدْ صَارَ الْقَرَابُ مَعَ حَلْقِهِ، فَخَرَجَتِ السَّكِينُ بِحُمِيَةِ الْجَذْبَةِ، فَذَبَحَتْهُ، فَوَقَعَ يَخُورُ فِي دَمِهِ، وَنَزَفَ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَجَفَّتْ يَدُهُ عَلَى السَّكِينِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَهِيَ فِيهَا.

وَحَصَلَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ، وَأَخُوهُ الْغَنَى مُشْدُودٌ، لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ، وَالسَّفَرَةِ مَنشُورَةٌ، وَالطَّعَامُ عَلَيْهَا، وَالِدَّوَابُّ مُشْدُودَةٌ.

فَاقَامَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ، وَلَيْلَتِهِ، وَقِطْعَةً مِنْ غَدِهِ.

فَاجْتَازَتْ قَافِلَةٌ عَلَى الْمَحْجَةِ، وَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْكَهْفِ بُعْدٌ، فَأَحْسَتِ الْبِغَالُ بِالِدَّوَابِّ الْمَجْتَازَةِ، فَصَهَلَتْ، وَنَهَقَ الْحِمَارُ، وَجَذَبَ الرِّسْنَ، وَجَذَبَتْ الْبِغَالُ أَرْسَانَهَا، فَأَفْلَتَتْ، وَغَارَتْ تَطْلُبُ الدَّوَابَّ.

فَلَمَّا رَأَى أَهْلَ الْقَافِلَةِ دَوَابًّا غَائِرَةً؛ ظَنُّوا أَنَّهَا لِقَوْمٍ قَدْ أَسْرَهُمُ اللَّصُوصُ،
وَكَانُوا فِي مَنَعَةٍ، فَتَسَارَعُوا إِلَى الْبِغَالِ.
فَلَمَّا قَصَدُوهَا؛ رَجَعَتْ تَطْلُبُ مَوْضِعَهَا.
وَتَبِعَهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْقَافِلَةِ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى التَّاجِرِ، وَشَاهَدُوهُ مَكْتُوفًا،
وَالسَّفَرَةَ مَنشُورَةً، وَالْأَخَ مَذْبُوحًا، وَبَيْدِ السَّكِينِ، فَشَاهَدُوا عَجَبًا.
وَاسْتَنْطَقُوا الرَّجُلَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى الْكَلَامِ، فَحَلُّوا كِتَافِهِ،
وَسَقَوْهُ مَاءً، وَأَقَامُوا عَلَيْهِ إِلَى أَنْ أَفَاقَ، وَقَدَّرَ عَلَى الْكَلَامِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ.
فَطَلَبُوا الْمَكَارِيَ، فَوَجَدُوهُ غَرِيقًا فِي الْمَاءِ، قَدْ غَرَّقَهُ الْأَخُ الْفَقِيرُ.
فَحَمَلُوا أَثْقَالَ التَّاجِرِ عَلَى بِغَالِهِ، وَأَرْكَبُوهُ عَلَى حِمَارِهِ، وَسَيَّرُوهُ مَعَهُمْ
إِلَى الْمَنْزِلِ الْآخِرِ^(١).



(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٣٢٧-٣٢٨).



البريء المحبوس

عن البهلول بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن إِسْحَاق بن البهلول التنوخي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَلِي، الْوَكِيل عَلَى أَبْوَابِ الْقُضَاةِ بِغَدَادَ، وَيُعْرَفُ بِالنَّاقِدِ، قَالَ: كُنْتُ أَقِيمُ خَيْرَ الْمُحْبِسِينَ فِي الْمَطْبَقِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، فِي أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَطْبَقِ رَجُلًا مَغْلُورًا، عَلَى ظَهْرِهِ لَبَنَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فِيهَا سِتُونُ رَطْلًا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ قِصَّتِهِ، فَقَالَ: أَنَا وَاللَّهُ مَظْلُومٌ.

فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ كَانَ أَمْرُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فِي دَعْوَةِ صَدِيقٍ لِي بِسُوقِ يَحْيَى، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ مَغْلَسًا، وَفِي الْوَقْتِ فَضْلٌ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ، فَلَمَّا صَرْتُ فِي قِطْعَةٍ مِنَ الشَّارِعِ، فَإِذَا مِشَاعِلُ الطَّائِفِ^(١)، فَرَهْبَتُهُ، وَلَمْ أَدْرِ مَا أَعْمَلُ، فَرَأَيْتُ شَرِيحَةً مَشُوشَةً، فَفَتَحْتُهَا، وَدَخَلْتُ، وَرَدَدْتُهَا كَمَا كَانَتْ، وَقَمْتُ فِي الدَّكَانِ، لِيَجُوزَ الطَّائِفُ وَأَخْرَجَ.

وَبَلَغَ الطَّائِفُ الْمَوْضِعَ، فَرَأَى الشَّرِيحَةَ مَشُوشَةً، فَقَالَ: فَتَشَوْا هَذِهِ الدَّكَانَ، فَدَخَلْتُ الرِّجَالَ بِمِشْعَلٍ، رَأَيْتُ فِي ضَوْئِهِ رَجُلًا فِي أَرْضِ الدَّكَانِ مَذْبُوحًا، عَلَى صَدْرِهِ سَكِينٌ، فَجَزَعْتُ.

فَرَأَى الرِّجَالَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، وَرَأَوْنِي قَائِمًا، فَلَمْ يَشْكُوا فِيَّ أَنِّي الْقَاتِلُ. فَأَخَذَنِي صَاحِبُ الشَّرِطَةِ فَحَبَسَنِي، ثُمَّ عُرِضْتُ فَضُرِبْتُ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَعُوقِبْتُ أَصْنَافًا مِنَ الْعُقُوبَاتِ، وَأَنَا أَنْكُرُ، وَعِنْدَهُمْ أَنِّي أَتَجَلَّدُ، وَهُمْ يَزِيدُونَنِي، فَاجْتَمَعَ أَهْلِي، وَكَانَتْ لَهُمْ شُعَبٌ بِأَسْبَابِ السُّلْطَانِ، فَتَكَلَّمُوا فِيَّ وَاسْتَشْهَدُوا خَلْقًا كَثِيرًا عَلَى سِيرَتِي، فَبَعْدَ شِدَائِدِ أَلْوَانٍ، أُعْفِيتُ مِنَ الْقَتْلِ،

وَنُقِلْتُ إِلَى الْمَطْبِقِ وَثَقُلْتُ بِهَذَا الْحَدِيدِ، وَتُرِكْتُ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ مُنْذُ سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةً.

قَالَ: فَاسْتَعْظَمْتُ مُحَنَّتَهُ، وَبُهِتْتُ مِنْ حَدِيثِهِ، فَقَالَ: مَا لَكَ، وَاللَّهِ مَا آيَسَ مَعَ هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﷻ، فَإِنْ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فَرَجًا.

قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا خَرَجَ كَلَامُهُ مِنْ فِيهِ، حَتَّى ارْتَفَعَتْ ضَجَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَكُسِرَ الْحَبْسُ، وَوَصَلَتِ الْعَامَّةُ إِلَى الْمَطْبِقِ وَمَطَامِيرِهِ وَأَخْرَجُوا كُلَّ مَنْ هُنَاكَ، وَخَرَجَ الرَّجُلُ فِي جُمْلَتِهِمْ.

وَانصَرَفْتُ وَأَنَا أُرِيدُ مَنْزِلِي، وَإِذَا نَازُوكَ قَدْ قُتِلَ، وَالْفِتْنَةُ قَدْ ثَارَتْ، وَفَرَجَ اللَّهُ عَنِ الرَّجُلِ، وَعَنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْحَبُوسِ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ١٦٠-١٦١).



عدالة السماء

يُحكى أنه: كان في بنى إسرائيل رجل يعمل بالقضاء، وكانت زوجته جميلة، وطيبة ومؤمنة وصابرة.

وأراد ذات يوم أن يسافر لزيارة أقاربه، فنادى أخاه وقال له: سوف أترك لك العمل - يقصد عمله كقاضٍ - وإننى أوصيك بالناس فإذا حكمت بينهم في شأن لهم فكن يا أخى عادلاً تقيّاً، ولا يغرنك الباطل وزيفه فتضيع حقوق الله أو المظلومين.

فقال له أخوه: أفعل إن شاء الله.

فقال القاضى لأخيه: وإن هذه زوجتى أوصيك بها.

ثم سلم عليه وخرج في رحلته.

وما كاد الجمل الذى يركب عليه القاضى يختفى عن الأنظار حتى جاء الأخ إلى زوجة أخيه التقية المؤمنة وأخذ يراودها عن نفسها، ويحدثها عن جمالها ويغريها بالمال تارة وبالذهب أخرى.

والزوجة الصالحة ترفض أن تخون زوجها، وتغضب ربه.

فجلس الأخ يفكر ماذا يفعل قبل أن يفتضح أمره عند أخيه وعند الناس أنه خائن للأمانة، فدبر لها مكيدة، فقام فى الناس وصاح فيهم: إن زوجة القاضى خائنة، وإنه ضبطها متلبسة مع عشيق لها... وجاء بشهود زور دفع لهم بعض الذهب ليشتري شهادتهم.

وشهادة الزور من أكبر الكبائر... وشهد شهود الزور على الزوجة الصالحة بالزنا، ورفع أمرها إلى الملك، فأمر الملك بوجدها.

فحفروا لها حفرة ورُجمت حتى غطتها الحجارة، ولكنها لم تكن قد ماتت بعد، فأخذت تن من الألم، فسمعها رجل طيب كان يعلم أن هذا الأخ شرير وأن السيدة بريئة وطاهرة فحملها في ظلام الليل إلى بيته وطلب من زوجته أن تهتم بأمرها وأن تعالجها مما بها من جروح.

وبعد أن شُفيت أعطت زوجة الرجل الطيب ابنها للمرأة الصالحة المظلومة لتربيته لها، وذات ليلة هجم عليها أحد اللصوص ليسرقها، فلما رآته صرخت فقام بضربها بالسكين، فجاءت في الطفل المسكين فسقط قتيلاً.

فحملته وذهبت تبكى وتحكى لأمه ما حدث، فلم تصدقها وظلت تضربها وحبستها وأخذت كل يوم تعذبها وتحرقها بالنار.

ولكن الرجل الصالح أطلق سراحها وقال لها: اخرجي يا أمة الله من هذه القرية، لعل الله أن ينجيك - وأعطاهما بعض الدراهم.

وأثناء سيرها شاهدت المرأة المظلومة رجلاً مصلوباً على جذع شجرة، فسألت عن قصته؟

فقال لها: إنه قتل بطريق الخطأ رجلاً، وكان عليه أن يدفع ديته إلى أهله، ولم يكن معه فكان الحكم بصلبه حتى الموت، فأعطتهم الدراهم التي معها فخلوا سبيله.

فشكر لها الرجل صنيعها ودعا لها وأخذ يحتطب ويبيع الحطب ويأتيها بين الحين والآخر بطعامها، وكانت قد بنت عشة صغيرة وأخذت تتعبد إلى ربها، وأصبح الناس يأتونها لتدعو لهم، فإذا جاءها مريض دعت الله له فيشفى بإذن الله، واشتهرت هذه المرأة بالصلاح، وأن دعاءها مستجاب.



و شاء الله أن يمرض شقيق زوجها الظالم الذى اتهمها ورجمها مرضاً شديداً، كما أصيبت المرأة التى اتهمتها بقتل ولدها، وكذلك السارق الذى قتل الطفل أصيب أيضاً بالمرض، وقيل لهم: اذهبوا إلى العابدة المستجابة الدعاء لتدعو لكم جميعاً.

وكان زوجها قد عاد من سفره، فسأل عنها فقيل له: إنها رُجمت ودُفنت بما فعلت من إثم، فحمد القاضى ربه على حاله.

وبعد تسلمه عمله بالقضاء قال له الناس: إن هناك امرأة صالحة، حمل أخاك إليها لتدعو له الله ليشفيه، فحمله وسار به إليها، واصطحب معه المرأة التى كانت تعذبها، والسارق القاتل، وشهود الزور الذين كانوا قد أصيبوا أيضاً بالمرض، وعندما وصلوا إليها فلما رأتهم عرفتهم فقالت لهم: إن شفاءكم جميعاً فى أن يعترف كل منكم بذنبه ويستغفر ربه ويطلب السماح ممن ظلمهم.

فقال شقيق القاضى: لقد ظلمت زوجتك ورجمتها ظلماً.

وقال شهود الزور: لقد شهدنا بالزور فأصابنا المرض.

فقال القاضى: سامحك الله يا أخى وعفا عنك إن شاء الله.

وقالت المرأة: لقد ضربت وعذبت تلك المرأة واتهمتها أنها قتلت ابنى، وها هو القاتل أمامى طليق.

فقال السارق: لقد قتلت الطفل وكنت أقصد المرأة وسرقتها.

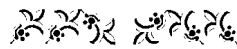
فقالت المرأة العابدة: اللهم كما أريتهم جزاء الظلم، اللهم فإن المرأة المظلومة الصابرة قد سامحتهم جميعاً.

فنظر إليها القاضى وقال: أنك يا زوجتى التقية الصالحة لا زلت على

قيد الحياة؟

قالت له: نعم، إن الله يدافع عن الذين آمنوا، وقد أنجاني وبرأني،
فالحمد لله على ذلك.

فطلب منها الجميع أن تسامحهم، وأن تعفو عما فعلوا بها.
فسامحتهم جميعاً وأخذوا يبكون ويستغفرون الله.
وشفاهم الله بفضل استغفارهم وتوبتهم، ثم بدعاء المرأة الصالحة لهم.





﴿ أنت أحكم الحاكمين .. فاحكم بيننا ﴾

✽ عن أبي الحسن بن أبي الطَّاهر مُحَمَّد بن الحسن الكَاتِب، صَاحِب الجَيْش، قَالَ: قَبَضَ عَلَيَّ أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بن الْقَاسِم بن عبيد الله، فِي أَيَّام وَزارته للقاهر بالله، وَعَلَى أَبِي، فَحَبَسْنَا فِي حَجَرَةٍ ضَيِّقَةٍ، وَأَجْلَسْنَا عَلَى التُّرَابِ، وَشَدَّدَ عَلَيْنَا، وَكَانَ يُخْرِجُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَيَطَالِبُ أَبِي بِمَالِ الْمَصَادِرَةِ، وَأُضْرِبَ أَنَا بِحَضْرَةِ أَبِي، وَلَا يُضْرِبُ هُوَ، فَلَاقِينَا مِنْ ذَلِكَ أَمْرًا شَدِيدًا صَعَبًا.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ، قَالَ لِي أَبِي: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَوَكِّلِينَ، قَدْ صَارَتْ لَهُمْ بِنَا حُرْمَةٌ، فَتَوَصَّلْ إِلَيَّ مُكَاتَبَةً أَبِي بِكَرِ الصَّيْرِ فِي، وَكَانَ صَدِيقًا لِأَبِي - حَتَّى يَنْفِذَ إِلَيْنَا بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، نَفْرَقُهَا فِيهِمْ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَنْفِذَ إِلَيْنَا بِالْمَالِ مِنْ يَوْمِهِ.

فَقُلْتُ لِلْمَوَكِّلِينَ، فِي عَشَى ذَلِكَ الْيَوْمِ: قَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا حُقُوقٌ، فَخُذُوا هَذِهِ الدَّرَاهِمَ، فَاثْنَعُوا بِهَا، فَاثْنَعُوا.

فَقُلْتُ: مَا سَبَبُ امْتِنَاعِكُمْ؟ فَوَرُّوا عَنِ ذَلِكَ.

فَقُلْتُ: إِمَّا قَبْلَتُمْ، وَإِمَّا عَرَفْتُمُونَا السَّبَبَ الَّذِي لِأَجْلِهِ امْتِنَاعَكُمْ.

فَقَالُوا: نَشْفَقُ عَلَيْكُمْ، وَنَسْتَحْيِي مِنْ ذَلِكَ.

فَقَالَ لَهُمْ أَبِي: اذْكُرُوهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

قَالُوا: قَدْ عَزَمَ الْوَزِيرُ عَلَى قَتْلِكُمَا اللَّيْلَةَ، وَلَا نَسْتَحْسِنُ أَخْذَ شَيْءٍ مِنْكُمَا مَعَ هَذَا.

فَقُلْتُ، وَدَخَلْتُ إِلَى أَبِي بِغَيْرِ تِلْكَ الصُّورَةِ، فَقَالَ: مَا لَكَ؟ فَأَخْبَرْتَهُ

بالخبر، وَقِلْتُ لِأَبِي: مَا أَصْنَعُ بِالذَّرَاهِمِ؟ فَقَالَ: رُدَّهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَرُدَّتْهَا عَلَيْهِ.

وَكَانَ أَبِي يَصُومُ تِلْكَ الْأَيَّامَ كُلَّهَا، فَلَمَّا غَابَتْ الشَّمْسُ، تَطَهَّرَ، وَصَلَّى الْمَغْرِبَ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ، وَلَمْ يُفْطَرْ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالِدُعَاءِ، إِلَى أَنْ صَلَّيْتُ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ دَعَانِي.

فَقَالَ: اجْلِسْ يَا بَنِي إِلَى جَانِبِي، جَائِئًا عَلَى رَكْبَتَيْكَ، فَفَعَلْتُ، وَاجْلَسَ هُوَ كَذَلِكَ.

ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ ظَلَمَنِي وَحَبَسَنِي عَلَى مَا تَرَى، وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَقَدْ اسْتَعْدَيْتُ إِلَيْكَ، وَأَنْتَ أَحْكُمِ الْحَاكِمِينَ، فَاحْكُمْ بَيْنَنَا ... لَا يَزِيدُ عَنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ صَاحَ بِهَا إِلَى أَنْ ارْتَفَعَ صَوْتُهُ، وَلَمْ يَزَلْ يَكْررها بِصِيَاحٍ وَنداءٍ وَاسْتِغَاثَةٍ، إِلَى أَنْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ مَضَى رُبْعُ اللَّيْلِ.

فَوَاللهُ مَا قَطَعَهَا حَتَّى سَمِعْتُ الْبَابَ يَدُقُّ، فَذَهَبَ عَلَيَّ أَمْرِي، وَلَمْ أَشْكُ فِي أَنَّهُ الْقَتْلُ.

وَفَتَحْتُ الْأَبْوَابَ، فَدَخَلَ قَوْمٌ بِشَمُوعٍ، فَتَأَمَّلْتُ، وَإِذَا فِيهِمْ سَابُورٌ، خَادِمُ الْقَاهِرِ، فَقَالَ: أَيْنَ أَبُو طَاهِرٍ؟ فَقَامَ إِلَيْهِ أَبِي، فَقَالَ: هَا أَنْذَا.

فَقَالَ: أَيْنَ ابْنُكَ؟ فَقَالَ: هُوَ ذَا.

فَقَالَ: انصرفا إِلَى مَنْزِلِكُمَا، فخرجنا، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَبِضَ عَلَى مُحَمَّدَ بْنِ الْقَاسِمِ، وَحَدَرَهُ إِلَى دَارِ الْقَاهِرِ.

وعاش مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ فِي الْإِعْتِقَالِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَمَاتَ^(١).



كان بينه وبين الموت شجرة فأنجاه الله

❁ وحدث جماعة من أهل الموصل: أن فاطمة بنت أحمد الهزارمردى الكردي زوجة أبي ثعلب بن حمدان اتهمت غلامًا لها يقال له ابن أبي قبيصة من الموصل بجناية من مالها، فقبضت عليه وحبسته في قلعتها ثم رأت أن تقتله، وكتبت إلى الموكل بالقلعة بقتله. فورد عليه الكتاب، وكان أميًا وليس عنده من يقرأ ويكتب إلا ابن أبي قبيصة، فدفع الكتاب إليه، وقال له: اقرأه. فلما رأى الأمر فيه بقتله قرأ الكتاب بأسره إلى الموضع الذي أمر فيه بقتله، وردّ الكتاب عليه. قال ابن أبي قبيصة: ففكرت وقلت: أنا مقتول على أي حال إن أقمت، فلا بد أن يرد كتاب آخر في معنای، ويتفق حضور من يقرأه فينفذ في الأمر، فسيبلى أن أحتال فيه بحيلة، إن تمت سلمت وإن لم تتم فليس غير القتل، ولا يلحقني أكثر منه، وأنا حاصل فيه، فتأملت القلعة فإذا فيها موضع يمكنني أن أطرح منه نفسي إلى أسفلها، إلا أن بينه وبين الأرض ثلاثة آلاف ذراع، وفيه صخر لا يجوز أن يسلم من يقع عليه من بعد. قال: فلم أجسر؛ ثم ولّد لي الفكر أن تأملت الثلج وقد سقط عدة ليال فغطى تلك الصخور، وصار فوقها أمر عظيم، يجوز أن أسقط عليه وكان في أجلى تأخير أن أسلم؛ وكنت مُقيّدًا، فقامت لما نام الناس وطرحت نفسي من الموضع قائمًا على رجلى؛ فحين حصلت في الهواء ندمت وأقبلت أستغفر الله وأتشهد، وأغمضت عيني حتى لا أرى كيف أموت، وجمعت رجلى بعض الجمع لأنى كنت سمعت قديمًا أن من اتفق عليه أن يسقط من موضع عالٍ إذا جمع رجليه ثم أرسلهما إذا بقى بينه وبين الأرض ذراع أو أكثر قليلًا أنه يسلم من أن يناله ما ينال مثله، وتنكسر حدة

الوقوع، ويصير بمنزلة من سقط من ذراعين. قال: ففعلت ذلك، فلما سقطت إلى الأرض ذهب عليّ أمرى وزال عقلي، ثم تاب إلىّ عقلي، فلم أجد ما كان ينبغي أن يلحقني، فأقبلت أجسّ أعضائي شيئاً شيئاً فأجدها سالمة، وقمت وقعدت وحركت يدي ورجلي فوجدت ذلك سالماً كله. فحمدت الله ﷻ على حالى، وأخذت صخرة لأكسر بها قيدي، فوجدت الحديد الذى فى رجلى قد صار كالزجاج لشدة البرد. قال: فضربت به فانكسر، وقطعت تكتي، فشددت بعضها على القيد إلى ساقى وقمت أمشى فى الثلج على المحجة^(١)، ثم خفت أن يروا أثرى فى غدٍ فى الثلج على المحجة فيتبعونى فلا أفوتهم، فعدلت عن المحجة إلى الغابور. فلما صرت على شاطئه نزلت فى الماء إلى ركبتى، وأقبلت أمشى كذلك فرسخاً أو أكثر حتى انقطع أثرى؛ وربما حصلت فى موضع لا يمكننى المشى لأنه يكون جرفاً فأسبح، على ذلك أربعة فراسخ حتى حصلت فى خيم فيها قوم، فأنكرونى وهمّوا بى، فإذا هم أكراد؛ فقصصت عليهم قصتى، فاستجرت الله بهم، فرحمونى ودفأونى وغطّونى، وأوقدوا بين يدي ناراً، وأطعمونى وسترونى، وانتهى الطلب إليهم من غد فما أعطوهم خبرى. فلما انقطع الطلب سيّرونى، فدخلت الموصل مستترًا، وكان ابن حمدان بها إذ ذاك، فانحدرت إليه فأخبرته بخبرى كله، فعصمنى من زوجته وأحسن إليّ وصرفنى^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) المحجة: الطريق المعتاد المستقيم.

(٢) أخرجه التنوخي (١٠٨/٢) فى «الفرج»، وابن حمدون (٦٤/٨) برقم (٩٧) فى التذكرة الحمدونية.



نجا من الأسر بدعاء مخلص

جاءت امرأة إلى ابن مَخْلَدٍ، فقالت: إِنَّ ابْنِي قَدْ أَسْرَهُ الرُّومُ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى مَالٍ أَكْثَرَ مِنْ دُورَةٍ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى بَيْعِهَا، فَلَوْ أَشْرْتَ إِلَيَّ مَنْ يَفْدِيهِ بِشَيْءٍ، فَلَيْسَ لَهُ لَيْلٌ، وَلَا نَهَارٌ، وَلَا نَوْمٌ، وَلَا قَرَارٌ، فَأَطْرَقَ الشَّيْخُ وَحَرَكَ شَفْتَيْهِ، فَلَبِثْنَا مُدَّةً، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ وَمَعَهَا ابْنُهَا وَأَخَذَتْ تَدْعُو لَهُ، وَقَالَتْ: حَدِيثٌ يُحَدِّثُكَ بِهِ، فَقَالَ الشَّابُّ: كُنْتُ فِي يَدَي بَعْضِ مُلُوكِ الرُّومِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَسَارَى، وَكَانَ لَهُ إِنْسَانٌ يَسْتَخْدِمُنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَخَرَجَ إِلَيَّ الصَّحْرَاءُ لِنَخْدِمَهُ، ثُمَّ يَرُدُّنَا وَعَلَيْنَا قِيُودُنَا، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَجِيءُ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، انْفَتَحَ الْقَيْدُ مِنْ رِجْلِي وَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ...، وَوَصَفَ الْيَوْمَ وَالسَّاعَةَ، فَوَافَقَ الْوَقْتَ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ الْمَرْأَةُ وَدَعَى الشَّيْخُ، قَالَ: فَتَحَصَّ الَّذِي كَانَ يَحْفَظُنِي فَصَاحَ عَلَيَّ، وَقَالَ: كَسَرْتَ الْقَيْدَ؟ قُلْتُ: لَا إِنَّهُ سَقَطَ مِنْ رِجْلِي، قَالَ: فَتَحَيَّرُوا خَبَرَ صَاحِبِهِ، وَأَحْضَرَ الْحَدَادَ وَقِيدُونِي، فَلَمَّا مَشَيْتُ خُطُواتٍ سَقَطَ الْقَيْدُ مِنْ رِجْلِي، فَتَحَيَّرُوا فِي أَمْرِي، فَدَعَوْا رُهْبَانَهُمْ، فَقَالُوا لِي: أَلَيْكَ وَالِدَةٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالُوا: قَدْ وَافَقَ دُعَاؤُهَا الْإِجَابَةَ، وَقَالُوا: أَطْلَقَكَ اللَّهُ، فَلَا يُمْكِنُنَا أَنْ نُقَيِّدَكَ، فَارْدُونِي، وَأَصْحَبُونِي إِلَى نَاحِيَةِ الْمُسْلِمِينَ^(١).



إنما كان قلبي عند سيدي

وقال علي بن الموفق: سمعت حاتمًا يقول: لقينا الترك، وكان بيننا جولة، فرماني تركي بوهق^(١) فقلبني عن فرسي ونزل عن دابته، فقعده على صدرى، وأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وأخرج من خُفِّه سكينًا ليذبحني به، فوالله ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه، إنما كان قلبي عند سيدي، أنظر ماذا ينزل به القضاء منه، فقلت: سيدي! قضيت عليَّ أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين، إنما أنا لك وملكك. فبينما أنا أخاطب سيدي وهو قاعد على صدرى أخذ بلحيتي ليذبحني إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقة، فسقط عني، فقممت إليه فأخذت السكين من يده فذبحته، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لُطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الوهق: الحبل محكم القتل يرمى فيه أنشودة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان. والأنشودة: عقدة تُمد بأحد طرفيها فتتحل. اللسان (وهق، نشط).

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٢٤٤، ٢٤٥).

لِقَاءُ بَيْنِ الْجَدِّ الرَّومِيِّ النَّصْرَانِيِّ وَالْحَفِيدِ الْعَرَبِيِّ الْمُسْلِمِ

❁ روى ابنُ دُرَيْدٍ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ أَبِي مُعَمَّرٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، بِبِلَادِ الرُّومِ، فَسَبَا سَبَايَا كَثِيرَةً، وَأَقَامَ بَعْضُ الْمَنَازِلِ، فَعَرَضَ السَّبَى عَلَى السَّيْفِ، فَقَتَلَ خَلْقًا، حَتَّى عُرِضَ عَلَيْهِ شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ.

فَقَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ إِلَى قَتْلِ شَيْخٍ مِثْلِي؟ إِنْ تَرَكْتَنِي حَيًّا، جِئْتُكَ بِأَسِيرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَابِينَ.

قَالَ لَهُ: وَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: إِنِّي إِذَا وَعَدْتُ وَفَّيْتُ.

قَالَ: لَسْتُ أَثِقُ بِكَ.

فَقَالَ لَهُ: دَعْنِي حَتَّى أَطُوفَ فِي عَسْكَرِكَ، لَعَلِّي أَعْرِفُ مَنْ يَتَكْفَلُ بِي إِلَى أَنْ أَمْضِيَ وَأَعُودَ أَجِيءُ بِالْأَسِيرِينَ.

فَوَكَّلَ بِهِ مَنْ يَطُوفُ بِهِ، وَأَمَرَهُ بِالِاحْتِفَازِ بِهِ، فَمَا زَالَ الشَّيْخُ يَطُوفُ وَيَتَصَفَّحُ الْوُجُوهَ، حَتَّى مَرَّ بِفَتَى مِنْ بَنِي كِلَابٍ، قَائِمًا يَحْسُ فَرَسَهُ.

فَقَالَ لَهُ: يَا فَتَى، اضْمَنْنِي لِلْأَمِيرِ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ.

فَقَالَ: أَفْعَلْ، وَجَاءَ الْفَتَى إِلَى مَسْلَمَةَ، فَضَمَّنَهُ، فَأَطْلَقَهُ مَسْلَمَةَ.

فَلَمَّا مَضَى قَالَ لِلْفَتَى: أَتَعْرِفُهُ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ.

قَالَ: فَلِمَ ضَمَنْتَهُ؟ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَتَصَفَّحُ الْوُجُوهَ، فَاخْتَارَنِي مِنْ بَيْنِهِمْ، فَكِرِهْتُ أَنْ أَخْلِفَ ظَنَّهُ فِيَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، عَادَ الشَّيْخُ وَمَعَهُ أَسِيرَانِ شَابَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَلَّمَهُمَا إِلَى مَسْلَمَةَ، وَقَالَ: إِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنَّ يَأْذَنَ لِهَذَا الْفَتَى أَنْ يَصِيرَ مَعِيَ إِلَى حَصْنِي لِأَكَافئَهُ عَلَى فَعْلِهِ.

فَقَالَ مُسْلِمَةٌ لِلْفَتَى الْكَلَابِيِّ: إِنْ شِئْتُ فَاْمُضِ مَعَهُ.

فَلَمَّا صَارَ إِلَى حَصْنِهِ، قَالَ لَهُ: يَا فَتَى، تَعْلَمُ وَاللَّهِ أَنَّكَ ابْنِي؟ قَالَ لَهُ: وَكَيْفَ أَكُونُ ابْنَكَ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مُسْلِمٌ، وَأَنْتَ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ نَصْرَانِي.

فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ أُمِّكَ، مَا هِيَ؟ قَالَ: رُومِيَّة.

قَالَ: فَإِنِّي أَصْفُهَا لَكَ، فَبِاللَّهِ إِنْ صَدَقْتُ، إِلَّا صَدَقْتَنِي.

قَالَ: أَفْعَلْ.

فَأَقْبَلَ الرُّومِيَّ، يَصِفُ أُمَّ الْفَتَى، مَا خَرَّمَ مِنْ صِفَتِهَا شَيْئًا.

فَقَالَ لَهُ الْفَتَى: هِيَ كَذَلِكَ، فَكَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّي ابْنُهَا؟ قَالَ: بِالشَّيْبَةِ وَتَعَارُفِ الْأَرْوَاحِ، وَصَدَقَ الْفَرَّاسَةُ.

ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِ امْرَأَةً، فَلَمَّا رَأَاهَا الْفَتَى لَمْ يَشْكُ فِيهَا أَنَّهَا أُمُّهُ، لِتَقَارُبِ الشَّيْبَةِ، وَخَرَجَتْ مَعَهَا عَجُوزٌ كَأَنَّهَا هِيَ، فَأَقْبَلَتَا تَقْبُلَانِ رَأْسَ الْفَتَى، وَيَدَيْهِ، وَتَرَشَّفَانِهِ.

فَقَالَ لَهُ: هَذِهِ جَدَّتُكَ، وَهَذِهِ خَالَتُكَ.

ثُمَّ أَطْلَعَ مِنْ حَصْنِهِ، فَدَعَا بِشَبَابٍ فِي الصَّحَرَاءِ، فَأَقْبَلُوا، فَكَلَّمَهُمْ بِالرُّومِيَّةِ، فَأَقْبَلُوا يُقْبِلُونَ رَأْسَ الْفَتَى وَيَدَيْهِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَخْوَالُكَ، وَبَنُو خَالَاتِكَ، وَبَنُو عَمِّ وَالِدَتِكَ.

ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِ حُلِيًّا كَثِيرًا، وَثِيَابًا فَاحِرَةً، وَقَالَ: هَذَا لَوَالِدَتِكَ عِنْدَنَا مُنْذُ سُبَيْتٍ، فَخُذْهُ مَعَكَ، وَادْفَعْهُ إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا سَتَعْرِفُهُ، ثُمَّ أَعْطَاهُ لِنَفْسِهِ مَا لَا كَثِيرًا، وَثِيَابًا، وَحُلِيًّا، وَحَمَلَهُ عَلَى عِدَّةِ دَوَابٍ، وَأَلْحَقَهُ بِعَسْكَرِ مُسْلِمَةٍ. وَأَنْصَرَفَ.

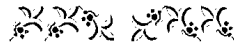


وَأَقْبَلَ الْفَتَى قَافِلًا حَتَّى دَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأَقْبَلَ يُخْرِجُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ
مِمَّا عَرَفَهُ الشَّيْخُ أَنَّهُ لِأُمِّهِ، وَتَرَاهُ أُمُّهُ، فَتَبْكِي، فَيَقُولُ لَهَا: قَدْ وَهَبْتَهُ لَكَ.

فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهَا، قَالَتْ لَهُ: يَا بَنِي، أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ، مِنْ أَيِّ بَلَدٍ صَارَتْ إِلَيْكُمْ
هَذِهِ الثِّيَابُ، وَهَلْ تَصِفُ لِي أَهْلَ هَذَا الْحَصْنِ الَّذِي كَانَ فِيهِ هَذَا؟ فَوَصَفَ
لَهَا الْفَتَى صِفَةَ الْبَلَدِ وَالْحَصْنِ، وَوَصَفَ لَهَا أُمُّهَا وَأُخْتَهَا، وَالرِّجَالَ الَّذِينَ
رَأَوْهُمْ، وَهِيَ تَبْكِي.

فَقَالَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: الشَّيْخُ (وَاللَّهُ) وَالِدِي، وَالْعَجُوزُ أُمِّي،
وَتِلْكَ أُخْتِي.

فَقَصَّ عَلَيْهَا الْخَبَرَ، وَأَخْرَجَ بَقِيَّةَ مَا كَانَ أَنْفَذَهُ مَعَهُ أَبُوهَا إِلَيْهَا، فَدَفَعَهُ
إِلَيْهَا^(١).



(١) «مختصر الفرج بعد الشدة» (ص ١٣٠-١٣١).

يصلى ويدعو لابنه حتى عاد إليه بصره

❁ كان شابٌ يرعى غنمًا لأبيه، وفي يوم طلب من والده أن يسمح له بالذهاب للالتحاق بإحدى الوظائف، فرفض الأب وحاول الابن مرارًا فلم يأذن له، فقرر الذهاب بالرغم من عدم رضا والده، فقال الأب: أما القوة فما لى عليك من قوة، ولكن ليس لى إلا دعاء أرفعه إلى الله - تعالى - وقت السَّحَر. فذهب الابن وترك الغنم مع رجل آخر، وأخذ من بعض قريباته ما يحتاجه المسافر، وعلم الأب بسفره - وكان صالحًا تقيًّا - فرفع يديه إلى الحى القيوم وسأل الله ﷻ أن يُريه فى ولده ما يكره فعمى الابن فى الطريق، واستقبله بعض أفراد قبيلته وقالوا: ماذا تريد، قال: كنت أريد الوظيفة أما الآن فأنا أعمى لا يُقبل مثلى. فرجعوا به إلى أبيه ودخلوا عليه فى جوف الليل، وكان والده ضعيف البصر، فقال أفلان أنت؟ قال الابن: نعم، قال: هل وجدت السهم؟ قال: نعم فأخبروا الأب أنه عمى فحزن حزنًا عظيمًا وتأثر تأثرًا كبيرًا وقام تلك الليلة يبكى ويئن ويركع ويسجد يدعو الله - تعالى - ويلحس عين ولده بلسانه ويبكى والله سميع قريب مجيب، فما قام لصلاة الفجر حتى عاد لولده البصر فله الحمد كثيرًا^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) بتصرف من شريط (عقوق الوالدين) للشيخ على القرنى.



اللهم لا تنسَ هذا اليوم لإبراهيم

عن شقيق بن إبراهيم، يقول: بَيْنَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنَ الصُّنَّاعِ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَلَيْسَ هَذَا فُلَانٌ؟ قِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ لِرَجُلٍ: أَدْرِكْهُ فَقُلْ لَهُ: قَالَ لَكَ إِبْرَاهِيمُ: مَا لَكَ لَمْ تُسَلِّمْ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِنَّ أَمْرَاتِي وَضَعْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ فَخَرَجْتُ شَبَهَ الْمَجْنُونِ، فَرَجَعْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَقُلْتُ لَهُ فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ كَيْفَ غَفَلْنَا عَنْ صَاحِبِنَا حَتَّى نَزَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرُ؟ فَقَالَ: يَا فُلَانُ، أَنْتَ صَاحِبُ الْبُسْتَانِ فَاسْتَسْلِفْ مِنْهُ دِينَارَيْنِ، وَادْخُلِ السُّوقَ فَاشْتَرِ لَهُ مَا يُصْلِحُهُ بِدِينَارٍ، وَادْفَعْ الدِّينَارَ الْآخَرَ إِلَيْهِ، فَدَخَلْتُ السُّوقَ، وَأَوْقَرْتُ بِدِينَارٍ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ، فَدَقَقْتُ الْبَابَ، فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَنَا أَرَدْتُ فُلَانًا، قَالَتْ: لَيْسَ هُوَ هُنَا، قُلْتُ: فَمُرِّي بِفَتْحِ الْبَابِ وَتَنَحَّيْ، قَالَ: فَفَتَحْتُ الْبَابَ، فَأَدْخَلْتُ مَا عَلَى الْبَعِيرِ وَالْقَيْتَهُ فِي صَحْنِ الدَّارِ، وَنَاوَلْتُهَا الدِّينَارَ، فَقَالَتْ: عَلَى يَدَي مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: قُولِي: عَلَى يَدِ أَخِيكَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَنْسَ هَذَا الْيَوْمَ لإِبْرَاهِيمَ ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٨٢/٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦/٣١٠).

يعود إليه بصره إذا فتح المصحف

❦ قال أبو حمزة - وكان خادماً لأبي معاوية الأسود -: كان أبو معاوية قد ذهب بصره، فكان إذا أراد أن يقرأ فُتِّش المصحف وفتح فيرد الله عليه بصره، وإذا أطبق المصحف ذهب بصره.

وقال أبو الزَّاهرية: قدمت طرسوس، فدخلت على أبي معاوية الأسود وهو مكفوف البصر، وفي منزله مصحف مُعلَّق. فقلت: رحمك الله مصحف وأنت لا تبصر؟ قال: تكتُم عليَّ يا أخى حتى أموت؟ قال: قلت: نعم. قال: إني إذا أردت أن أقرأ القرآن فُتِح لى بصرى^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٧٢)، مختصر تاريخ دمشق (٢٩/ ١٦٢).



رأى النبي ﷺ فى المنام فشفاه الله

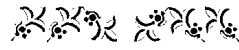
روى عن جمادى البغدادى، أنه طلع فى يده طلوع - كالورم - وكبرت وانتفخت فاجتمع الأطباء على قطعها، وأنه لا ينفعه غير ذلك.

قال: فَبِتُّ تلك الليلة على سطح المسجد، وأنا فى ألمٍ عظيمٍ من يدي، فرفعت بصرى إلى السماء، وقلت اللهم إني أسألك يا صاحب هذا الملك، الذى لا يقدر عليه أحد سواك أن تتصدق علىَّ بعافية يدي.

قال: ثم نمت فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام، فقلت له: يا رسول الله، انظر إلى يدي هذه، فقد مسَّنى الضرُّ بسببها، فقال لى رسول الله ﷺ «امدُّ يدك» فمددتها فأمرَّ بيده الشريفة عليها، فعادت أحسن ما كانت، ثم قال لى رسول الله ﷺ: «قم» فقمْتُ فانتبَهت، فوجدت يدي صحيحة سليمة، كأن لم يكن بها ألمٌ قط، وفرحت بذلك، ومضيت بالليل إلى بعض أصحابي، فطرقت عليه الباب، فقالت المرأة لزوجها: أظن أن فلاناً قد مات من ألم يده ... وكانت ظنَّت أنى قد مِت، وأن مخبراً قد جاءهم بخبر موتى، فلما رأتنى فى عافية تعجبت من ذلك، وقالت: سبحان من يحيى العظام وهى رميم فقصصت عليهم قصتى ... ثم إني لما رجعت من عندهم، وجدت عند بابي خلقاً عظيماً لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ومعهم أباريق وجرار، فقلت لواحدٍ منهم:

فقال لى: يا شيخ بلغ للناس أن رجلاً من الصالحين رأى النبي ﷺ فى المنام، وهو يتوضأ من البئر التى فى هذا المسجد فجاء كل واحد يطلب لنفسه نصيبه من هذا البئر ويستوعب الدعاء من الشيخ الذى فى المسجد

فلما سمعت كلامه، قلت في نفسي: إن عرّفتهم أنه أنا يتقلبون ويدوسوني
فأموت بينهم، وإن سلمت من زحمتهم فما يهنا لي عيش بينهم.
فخرجت من بين الناس، وبقيت أختفى طوال نهاري في الخرابات^(١).





وهبتك حياتهم جميعاً

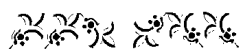
يُحكى أن امرأة اتُّهم زوجها، وابنها، وشقيقها في مؤامرة لاغتيال المستنصر بالله، فألقى القبض على الثلاثة، وحُكم بإعدامهم.

ولما علمت المرأة بذلك، ذهبت فوقفت على باب المستنصر بالله، حتى إذا رآته قادمًا ألقت بنفسها عند قدميه، وهى تبكى بكاءً مريراً، وتتوسل إليه أن يعفو عنهم، أو أن يأمر بقتلها معهم، إذ لا إرب لها في الحياة بعدهم.

فرق قلب المستنصر، وأطرق قليلاً يفكر، ثم رفع رأسه إليها.

وقال: قد قبلت شفاعتك أيتها المرأة في واحدٍ منهم، وتركت الخيار فيه.

فوقعت المرأة في حيرة، ولكنها قالت بعد أن فكرت قليلاً: الزوج موجود، والابن مولود، أما الأخ فمفقود لا يعود، أختار الأخ، فأعجب المستنصر بحسن اختيارها، ثم قال: اذهبي أيتها المرأة فقد وهبتك حياتهم جميعاً.



أَذَانُ لِرَدِّ الْمَظَالِمِ !!

عن القاضي أبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي أن شيخاً من التجار كان له على بعض القَوَاد مَالٌ جليل يماطله به. قال: فعلت على التظلم منه إلى المعتضد بالله، لأنني كنت قد تظلمت إلى الوزير فلم ينفعني، واستشفعت عليه، فلم ينفعي، فقال لي بعض أحوالي: أنا أدلك على من يأخذ لك المال، ولا تحتاج إلى أن تتظلم إلى المعتضد! قم معي الساعة. قال: فقمتم معه، فجاء بي إلى خياط في سوق الثلاثاء، جالس يخيظ، ويقرأ في المسجد، فقَصَّ عليه صاحبي قصتي، وسأله أن يقصد القائد فيسأله إزاحة علتى، وكانت داره قريبة من موضع الخياط، فقام معنا. فلما مشينا تأخرت، وقلت لصديقي: إنك قد عرَّضت هذا الشيخ، ونفسك، وإيأى، إلى مكروهٍ غليظ، هذا إذا حصل على باب الرجل، صُفِع، وصُفِعنا معه، فإنه لم يلتفت لشفاعة فلان وفلان، ولم يفكر في الوزير، فهل يفكر في هذا؟ فضحك الرجل، وقال: لا عليك، امشي واسكت. فجئنا إلى باب القائد، فحين رأى غلمان الخياط أعظموه، وأهواوا ليقبلوا يده، فمنعهم. وقالوا: ما جاء بك يا شيخ؟ فإن صاحبنا راكب، فإن كان أمر نعمله نحن بادرنا إليه، وإلا فادخل واجلس حتى يجيء. فقويت نفسي، فدخلنا، وجلسنا. وجاء الرجل، فلما رأى الخياط، أعظمه إعظاماً تاماً، وقال: لست أنزع ثيابي، أو تأمر بأمرك. فخاطبه في أمرى. فقال: والله، ما عندي إلا خمسة آلاف درهم، فسله أن يأخذها، ورهنًا من مراكبي الفضة والذهب، إلى شهر، لأعطيه.

فبادرت أنا إلى الإجابة، فأحضر الدراهم، والمراكب بقيمة الباقي، فقبضت ذلك. وأشهدت الخياط وصديقي عليه، بأن الرهن عندي، إلى



شهر على البقية، فإن جاز الأجل، فأنا وكيل بيعه، وأخذ مالى من ثمنه، فأشهدتهما على ذلك، وخرجنا. فلما بلغنا إلى موضع الخياط، طرحت المال بين يديه، وقلت: يا شيخ، إن الله قد ردَّ علىَّ هذا بك، فأحب أن تأخذ رُبْعَه، أو ثلثه، أو نصفه، بطيبٍ من قلبى. فقال: يا هذا، ما أسرع ما كافأتنى على فعل الجميل بالقبيح، انصرف بمالك، بارك الله لك فيه. فقلت: قد بقيت لى حاجة. فقال: قل. قلت: تخبرنى عن سبب طاعة هذا لك، مع تهاونه بأكابر أهل الدولة. فقال: يا هذا قد بلغت مرادك، وأخذت مالك فلا تقطعنى عن شغلى، وما أعيش منه. فألححت عليه. فقال: أنا رجل أؤم، وأُقرئ فى هذا المسجد، منذ أربعين سنة، ومعاشى من هذه الخياطة، لا أعرف غير هذا. وكنت منذ دهر، قد صليت المغرب، وخرجت أريد منزلى، فاجتزت بُرْكِيَّ كان فى هذه الدار، فإذا قد اجتازت امرأة جميلة الوجه عليه، فعلق بها وهو سكران، لِيُدخلها داره، وهى ممتنعة تستغيث، وليس أحد يغيثها، وتصيح، ولا يمنعها منه أحد، وتقول فى جملة كلامها: إن زوجى قد حلف بطلاقى أن لا أبيت بعيدة عنه، فإن يَتَنى هذا، أخرج بيتى، مع ما يرتكبه منى من المعصية، ويُلحقه بى من العار. قال: فجئت إلى التركى، ووقفت به، وسألته تركها، فضرب رأسى بدبوس كان فى يده. فشجّنى، وآلمنى، وأدخل المرأة. فصرت إلى منزلى فغسلت الدم، وشددت الشجة، واسترحت. وخرجت أصلى العشاء، فلما فرغنا منها، قلت لمن حضر: قوموا معى إلى عدو الله، هذا التركى، نُنكر عليه، ولا نبرح، حتى نُخرج المرأة.

فقاموا، وجئنا، فضججنا على بابهِ، فخرج إلينا فى عدة من غلمانهِ، فأوقع بنا الضرب، وقصدنى من بين الجماعة، فضربنى ضرباً عظيماً، كدت

أُتلف منه، فحملني الجيران إلى منزلي كالتالف. فعالجنى أهلي، ونمت نومًا قليلًا للوجع، وأفقت نصف الليل، فما حملني النوم فكرًا في القصة. فقلت: هذا قد شرب طول ليلته ولا يعرف الأوقات، فلو أذنت، وقع له إن الفجر قد طلع، فأطلق المرأة، فلحقت بيته قبل الفجر، فتسلم من أحد المكروهين، ولا يخرب بيته، مع ما قد جرى عليها. فخرجت إلى المسجد متحاملاً، وصعدت المنارة، فأذنت، وجلست أطلع منها على الطريق، أترقب منها خروج المرأة، فإن خرجت، وإلا أقمت الصلاة، لئلا يشك في الصباح، فيُخرجها. فما مضت إلا ساعة، والمرأة عنده، فإذا الشارع قد امتلأ خيالاً ورجلاً ومشاعل، وهم يقولون: من هذا الذي أذن الساعة؟ أين هو؟ ففزعت وسكتُ، ثم قلت أخاطبهم، لعلني أستعين بهم على إخراج المرأة. فصحت من المنارة: أنا أذنت. فقالوا لي: انزل، فأجب أمير المؤمنين. فقلت: دنا الفرج، ونزلت، فمضيت معهم، فإذا هم غلمان مع بدر. فأدخلني على المعتضد، فلما رأيته هبته، وارتعدتُ، فسكَّن مني. وقال: ما حملك على أن تغرَّ المسلمين بأذانك في غير وقته، فيخرج ذو الحاجة في غير حينها، ويمسك المريد للصوم، في وقت أبيح له فيه الإفطار؟ فقلت: يُؤمنني أمير المؤمنين، لأصدق؟ فقال: أنت آمنٌ على نفسك. فقصصت عليه قصة التركي، وأريته الآثار التي بي. فقال: يا بدر، علىَّ بالغلام والمرأة، الساعة، وعُزلت في موضع. فلما كان بعد ساعة قليلة، أحضر الغلام والمرأة، فسألها المعتضد عن الصورة، فأخبرته بمثل ما قلته. فقال لبدر: بادر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة يُدخلها دارها، ويشرح له خبرها، ويأمره عني بالتمسك بها، والإحسان إليها.



ثم استدعاني، فوقفت، فجعل يخاطب الغلام، وأنا قائم أسمع. فقال له: يا فلان، كم رزقك؟ قال: كذا وكذا. قال: وكم عطاؤك؟ قال: كذا وكذا. قال: وكم وظائفك؟ قال: كذا وكذا. قال: وجعل يُعدد عليه ما يصل إليه، والتركى يقر بشيء عظيم. قال: فقال له: كم لك جارية؟ قال: كذا وكذا. قال: فما كان لك فيهن، وفي هذه النعمة العريضة، كفاية عن ارتكاب معاصي الله ﷻ، وخرق هيبة السلطان؟ حتى استعملت ذلك، وتجاوزته إلى الوثوب بمن أمرك بالمعروف؟ فأسقط الغلام في يده، ولم يجد جواباً. فقال: هاتوا جوالقاً^(١)، ومداق الجص^(٢)، وقيوذاً، وغلاً، فأحضر ذلك. فقيدته، وغلّه، وأدخله الجوالق، وأمر الفرّاشين، فدقّوه بمداق الجص. وأنا أرى ذلك، وهو يصيح، ثم انقطع صوته، ومات. فأمر به، فغرق في دجلة، وتقدم إلى بدر بحمل ما في داره. ثم قال لى: يا شيخ أى شيء رأيت من أجناس المنكر، كبيراً كان أو صغيراً، أو أى أمر، صغيراً كان أو كبيراً، فمُر به وأنكره، ولو على هذا (وأوماً بيده إلى بدر). فإن جرى عليك شيء، أو لم يقبل منك، فالعلامة بيننا أن تؤذن في مثل هذا الوقت، فإنى أسمع صوتك فأستدعيك، وأفعل مثل هذا بمن لا يقبل منك، أو بمن يؤذيك. قال: فدعوت له وانصرف. وانتشر الخبر في الأولياء والغلمان، فما سألت أحداً منهم بعدها إنصافاً لأحد، أو كفاً عن قبيح إلا أطاعنى، كما رأيت، خوفاً من المعتضد. وما احتجت أن أؤذن إلى الآن، في غير وقت الأذان^(٣).

(١) الجوالق: وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما كالغرارة.

(٢) مداق الجص: المداق ما يُدق به، والجص، ما تُطلى به البيوت من الجير.

(٣) أخرجه ابن الجوزى في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/ ١٣٠ - ١٣١).

❁ وأقول بعد هذه القصة:

والله إن المظالم التي تعاني منها الأمة في هذا الزمان تحتاج إلى مليون مؤذن من أمثال هذا الرجل وإلى مليون قلب مثل قلب الخليفة المعتضد الذي جعل الأذان من هذا الرجل في غير وقت الصلاة علامة لرفع الظلم عن الناس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما أحب أن أزداد على عطاء رسول الله شيئاً

❁ يُحَكِّى أَنَّ عَطَّارًا مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ، كَانَ مَشْهُورًا بِالِسْتِرِّ وَالْأَمَانَةِ، فَركبهُ دِينَ، وَقَامَ مِنْ دُكَّانِهِ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ مُسْتَتِرًا، وَأَقْبَلَ عَلَى الدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ، إِلَى أَنْ صَلَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ صَلَاةَ كَثِيرَةٍ، وَدَعَا، وَنَامَ، فَرَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي مَنَامِهِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: اقْصِدْ عَلَى بْنِ عِيسَى، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ وَزِيرًا، فَقَدْ أَمَرْتَهُ أَنْ يَدْفَعَ إِلَيْكَ أَرْبَعَ مِائَةِ دِينَارٍ، فَخَذَهَا وَأَصْلَحَ بِهَا أَمْرَكَ.

قَالَ الرَّجُلُ: وَكَانَ عَلَى سِتِّ مِائَةِ دِينَارٍ دِينًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، قُلْتُ: قَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ رَأَى فِي مَنَامِهِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ بِي»^(١)، فَلَمْ لَا أَقْصِدِ الْوَزِيرَ.

فَلَمَّا صرْتُ بِبَابِهِ، مُنِعْتُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَجَلَسْتُ إِلَى أَنْ ضَاقَ صَدْرِي، وَهَمَمْتُ بِالْانْصِرَافِ، فَخَرَجَ الشَّافِعِيُّ صَاحِبَهُ، وَكَانَ يَعْرِفُنِي مَعْرِفَةً ضَعِيفَةً، فَأَخْبَرْتَهُ الْخَبَرَ.

فَقَالَ: يَا هَذَا، الْوَزِيرُ (وَاللَّهُ) فِي طَلَبِكَ مُنْذُ السَّحَرِ إِلَى الْآنَ، وَقَدْ سَأَلَنِي عَنْكَ فَأُنْسِيتُكَ، وَمَا عَرَفْتُكَ أَحَدًا، وَالرَّسُلُ مَبْثُوثَةٌ فِي طَلَبِكَ، فَكُنْ بِمَكَانِكَ، ثُمَّ رَجَعَ فَدَخَلَ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ دُعِيَ بِي، فَدَخَلْتُ إِلَى عَلَى بْنِ عِيسَى.

فَقَالَ لِي: مَا اسْمُكَ؟ قُلْتُ: فَلَانُ بْنُ فَلَانَ الْعَطَّارُ.

قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ فِي قِصْدِكَ إِيَّايَ، فَوَاللَّهِ مَا تَهْنَأُ بَعِيشٍ مُنْذُ

البارحة، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، جَاءَنِي الْبَارِحَةُ فِي مَنَامِي، فَقَالَ: أَعْطِ فَلَانَ بْنِ فَلَانَ الْعَطَّارَ مِنْ أَهْلِ الْكَرْخِ أَرْبَعَ مِائَةَ دِينَارٍ يَصْلَحُ بِهَا شَأْنُهُ، فَكُنْتُ الْيَوْمَ فِي طَلَبِكَ، وَمَا عَرَفْتُ أَحَدًا.

فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، جَاءَنِي الْبَارِحَةُ، فَقَالَ لِي كَيْتَ وَكَيْتَ.
قَالَ: فَبَكَى عَلَى بَنِي عِيسَى، وَقَالَ: أَرْجُو أَنْ تَكُونَ هَذِهِ عَنَايَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِي.

ثُمَّ قَالَ: هَاتُوا أَلْفَ دِينَارٍ، فَجَاءُوهُ بِهَا عَيْنًا.
فَقَالَ: خُذْ مِنْهَا أَرْبَعَ مِائَةَ دِينَارٍ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسِتَ مِائَةَ دِينَارٍ هَبَ مِنِّي لَكَ.

فَقُلْتُ: أَيُّهَا الْوَزِيرُ مَا أَحَبُّ أَنْ أَزْدَادَ عَلَى عَطَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَإِنِّي أَرْجُو الْبَرَكَةَ فِيهِ، لَا فِيمَا عَدَاهُ.

فَبَكَى عَلَى بَنِي عِيسَى، وَقَالَ: هَذَا هُوَ الْيَقِينُ، خُذْ مَا بَدَا لَكَ.
فَأَخَذْتُ أَرْبَعَ مِائَةَ دِينَارٍ، وَانصرفت، فَقَصَصْتُ قِصَّتِي عَلَى صَدِيقٍ لِي، وَأَرَيْتُهُ الدَّنَانِيرَ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَقْصِدَ غُرْمَائِي، وَيتوسط بيني وبينهم، ففعل.
وَقَالُوا: نَمَهْلُهُ بِالْمَالِ ثَلَاثَ سِنِينَ.

فَقُلْتُ: لَا، وَلَكِنْ يَأْخُذُونَ مِنِّي الثُّلُثَ عَاجِلًا، وَالثَّلَاثِينَ فِي سَنَتَيْنِ، فِي كُلِّ سَنَةٍ ثُلُثًا، فَرَضُوا بِذَلِكَ، وَأَعْطَيْتَهُمْ مِائَتِي دِينَارٍ، وَفَتَحْتُ دُكَانِي بِالْمِائَتِي دِينَارٍ الْبَاقِيَةِ.

فَمَا حَالَ الْحَوْلُ إِلَّا وَمَعِيَ أَلْفُ دِينَارٍ، فَقَضَيْتُ دَيْنِي، وَمَا زَالَ مَالِي يَزِيدُ، وَحَالِي يَصْلَحُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ^(١).



كل يوم هوفى شأن

❖ إن مقادير العباد لا تثبت على حال.. فالله ﷻ في كل يوم يُغنى فقيرًا ويُفقر غنيًا، ويشفى مريضًا، ويمرض صحيحًا، ويُعز ذليلاً، ويُذل عزيزًا ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١).

❖ وها هو رجل كان عليه دينٌ كبيرٌ حتى كاد أن يُسجن.. وإذا بالفرج يأتيه من عند الله (جل وعلا) في لحظة.

قَالَ الْمَفْضَلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الضَّبِّي: أَصْبَحْتُ يَوْمًا بِبَغْدَادَ، فِي خِلَافَةِ الْمُهْدِي، وَأَنَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ إِضَاقَةً وَضُرًّا، لَا أَدْرِي مَا أَعْمَلُ، حَيْرَةً وَفَكْرًا. فَخَرَجْتُ فَجَلَسْتُ عَلَى بَابِ مَنْزَلِي بِالصَّرَاةِ، أَفْكَرُ فِيمَا أَصْنَعُ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ الْمُهْدِي، قَدْ وَقَفَ عَلَيَّ.

فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فِرَاعْنِي، وَسَاءَ ظَنِّي.

فَقُلْتُ: أَدْخُلْ، فَأَلْبَسَ ثِيَابِي.

فَقَالَ: مَا إِلَيَّ ذَلِكَ سَبِيلَ.

فَاشْتَدَّ جَزَعِي، وَخَشِيتُ أَنْ يَأْخُذَنِي بِمَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنَ بْنِ الْحَسَنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فَاسْتَدْعَيْتُ ثِيَابِي، وَجَدَدْتُ وَضُوءًا عَلَى الْبَابِ، وَلَمْ أُخْبِرْ أَهْلِي بِقِصَّتِي، وَلَا بِمَا هَجَمَ مِنَ الْغَمِّ عَلَيَّ.

وَقُلْتُ: إِنْ كَانَ خَيْرًا، أَوْ شَرًّا، فَسَيُلْغَمُ، فَمَا مَعْنَى تَعْجِيلِ الْهَمِّ لَهُمْ؟ وَمَضَيْتُ مَعَ الرَّسُولِ، حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى الْمُهْدِي، وَأَنَا فِي نِهَايَةِ الْجَزَعِ،

فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ.

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَيْسَ إِلَّا خَيْرًا.

فَقَالَ: اجْلِسْ يَا مَفْضَلُ، فَجَلَسْتُ.

فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمْدَحِ بَيْتِ قَالَتِهِ الْعَرَبِ.

فَتَحِيرْتُ سَاعَةً، لَا أَذْكَرُ شَيْئًا، ثُمَّ أَجْرَى اللَّهُ عَلَيَّ لِسَانِي، أَنْ قُلْتُ: قَوْلُ
الْخَنَسَاءِ.

فَأَشْرَقَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: حَيْثُ تَقُولُ مَاذَا؟ فَقُلْتُ: حَيْثُ تَقُولُ:

وَإِنْ صَخْرًا لَوَالِينَا وَسَيِدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لِنَحَارِ

وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتِمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارِ

فَاسْتَبَشَّرَ بِهِ، وَقَالَ: قَدْ أَخْبَرْتُ هَؤُلَاءِ بِهِذَا، وَأَوْمَأَ إِلَى جَمَاعَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ،
فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنِّي.

قُلْتُ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقَّ بِالصَّوَابِ مِنْهُمْ.

قَالَ: يَا مَفْضَلُ، حَدِّثْنِي الْآنَ.

قُلْتُ: أَيُّ الْأَحَادِيثِ؟

قَالَ: أَحَادِيثُ الْأَعْرَابِ.

فَلَمْ أَزَلْ أَحْدِثُهُ، بِأَحْسَنِ مَا أَحْفَظُ مِنْهَا، إِلَى أَنْ كَادَ الْمُنَادِي بِالظَّهْرِ أَنْ
يَنَادِيَ.

ثُمَّ قَالَ لِي: كَيْفَ حَالُكَ، يَا مَفْضَلُ؟ قُلْتُ: مَا يَكُونُ حَالُ رَجُلٍ عَلَيْهِ

عَشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ دَيْنًا حَالًا، وَلَيْسَ فِي رِزْقِهِ فَضْلٌ لِقَضَائِهَا، وَقَصَصْتُ
عَلَيْهِ قِصَّةَ حَالِي وَيَوْمِي فِي الْإِضَاقَةِ.

فَقَالَ: يَا عَمْرُ بْنُ بَزِيعٍ، اذْفَعْ إِلَيْهِ السَّاعَةَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ يَقْضِي بِهَا دَيْنَهُ، وَعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ يُصْلِحُ بِهَا حَالَهُ، وَعَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ يَجْهَزُ بِهَا بَنَاتُهُ، وَيُوسِعُ بِهَا عَلَى عِيَالِهِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مَفْضِلُ، مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ابْنُ مَطِيرٍ، فِي مِثْلِ حَالِكَ:

وَقَدْ تَغْدَرُ الدُّنْيَا فَيُضْحِي غَنِهَا فَقِيرًا وَيَغْنَى بَعْدَ بَوْسٍ فَقِيرَهَا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مَنْ تَكْثُرُ عَيْشُهُ وَأُخْرَى صَفَا بَعْدَ اكْدِرَارٍ غَدِيرَهَا
فَأَخَذَتِ الْمَالَ، وَانْصَرَفَتْ إِلَى بَيْتِي بَسْتِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، بَعْدَ الْإِيَّاسِ،
وَتَوَطَّيْنِ النَّفْسَ عَلَى ضَرْبِ الرَّقَبَةِ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا قديم الإحسان لك الحمد

عن أبي الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي، قال: كَانَ يَنْزِلُ بَبَابَ الشَّامِ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ رَجُلٌ مَشْهُورٌ بِالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيبُ الْعَابِدِ، لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهَذَا.

وَكَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَهُ، وَكَانَ صَدِيقًا لِأَبِي، فَحَدَّثَنِي لَبِيبٌ، قَالَ: كُنْتُ مَمْلُوكًا رُومِيًّا لِبَعْضِ الْجُنْدِ، فَرَبَّانِي، وَعَلَّمَنِي الْعَمَلَ بِالسَّلَاحِ، حَتَّى صِرْتُ رَجُلًا، وَمَاتَ مَوْلَايَ بَعْدَ أَنْ أَعْتَقَنِي.

فَتَوَصَّلْتُ إِلَيْهِ أَنْ حَصَلَتْ رِزْقُهُ لِي، وَتَزَوَّجْتُ بِامْرَأَتِهِ، وَقَدْ عَلَّمَ اللَّهُ أُنْثَى لَمْ أَرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا صَيَانَتَهَا، فَأَقَمْتُ مَعَهَا مُدَّةً. ثُمَّ اتَّفَقَ أَنِّي رَأَيْتُ يَوْمًا حَيَّةً دَاخِلَةً فِي جَحْرِهَا، فَأَمْسَكْتُ ذَنْبَهَا، فَانْتَبَهَتْ عَلَيَّ، فَنَهَشَتْ يَدِي، فَشَلَّتْ.

وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ زَمَانٌ طَوِيلٌ، فَشَلَّتْ يَدِي الْأُخْرَى، لِغَيْرِ سَبَبٍ أَعْرِفُهُ، ثُمَّ جَفَّتْ رِجْلَايَ، ثُمَّ عَمِيتَ، ثُمَّ خَرَسْتُ.

وَكُنْتُ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ، مُلْقًى، سَنَةً كَامِلَةً، لَمْ تَبْقَ لِي جَارِحَةٌ صَاحِبِيَّةٌ، إِلَّا سَمْعِي، أَسْمَعُ بِهِ مَا أَكْرَهُ، وَأَنَا طَرِيحٌ عَلَى ظَهْرِي، لَا أَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ، وَلَا عَلَى الْحَرَكَةِ، وَكُنْتُ أُسْقَى وَأَنَا رِيَّانٌ، وَأُتْرَكُ وَأَنَا عَطْشَانٌ، وَأُهْمَلُ وَأَنَا جَائِعٌ، وَأُطْعَمُ وَأَنَا شَبْعَانٌ.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَةٍ، دَخَلَتْ امْرَأَةٌ إِلَيَّ زَوْجَتِي، فَقَالَتْ: كَيْفَ أَبُو عَلَى، لَبِيبٌ؟

فَقَالَتْ لَهَا زَوْجَتِي: لَا حَيٌّ فِيرُجِي، وَلَا مَيِّتٌ فَيُسْلِي.



فأقلقني ذلك، وآلمني ألمًا شديدًا، وبكيت، ورغبت إلى الله ﷻ في سرِّي بالدُّعاء.

وَكُنْتُ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْعِلَلِ لَا أَجِدُ أَلَمًا فِي جَسْمِي، فَلَمَّا كَانَ فِي بَقِيَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، ضَرَبَ عَلَيَّ جَسْمِي ضَرْبَانًا عَظِيمًا كَادَ يُتْلَفَنِي، وَلَمْ أَزَلْ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ، إِلَى أَنْ دَخَلَ اللَّيْلُ وَانْتَصَفَ، فَسَكَنَ الْأَلَمُ قَلِيلًا، فَنَمْتُ.

فَمَا أَحْسَسْتُ إِلَّا وَقَدْ انْتَبَهْتُ وَقْتُ السَّحَرِ، وَإِخْدَى يَدِي عَلَى صَدْرِي، وَقَدْ كَانَتْ طَوَّلَ هَذِهِ السَّنَةِ مَطْرُوحَةً عَلَى الْفِرَاشِ لَا تُنْشَالُ أَوْ تُشَالُ.

ثُمَّ وَقَعَ فِي قَلْبِي أَنْ أَتَعَاطَى تَحْرِيكَهَا، فَحَرَكْتُهَا، فَتَحَرَّكَتْ، فَفَرَحْتُ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَقَوَى طَمَعِي فِي تَفْضُلِ اللَّهِ ﷻ عَلَيَّ بِالْعَافِيَةِ.

فَحَرَكْتُ الْأُخْرَى فَتَحَرَّكَتْ، فَقَبَضْتُ إِخْدَى رِجْلِي فَانْقَبَضَتْ، فَرَدَدْتُهَا فَرَجَعْتُ، فَفَعَلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ مَرَارًا.

ثُمَّ رُمْتُ الْإِنْقِلَابَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْلِبَنِي أَحَدٌ، كَمَا كَانَ يُفْعَلُ بِي أَوَّلًا، فَانْقَلَبْتُ بِنَفْسِي، وَجَلَسْتُ.

وَرُمْتُ الْقِيَامَ فَأَمَكَّنَنِي، فَقُمْتُ وَنَزَلْتُ عَنِ السَّرِيرِ الَّذِي كُنْتُ مَطْرُوحًا عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي بَيْتٍ مِنَ الدَّارِ.

فَمَشَيْتُ أَلْتَمِسُ الْحَائِطَ فِي الظُّلْمَةِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سِرَاجٌ، إِلَى أَنْ وَقَعْتُ عَلَى الْبَابِ، وَأَنَا لَا أَطْمَعُ فِي بَصَرِي.

فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى صَحْنِ الدَّارِ، فَرَأَيْتُ السَّمَاءَ وَالْكَوَاكِبَ تُزْهِرُ، فَكَدْتُ أَمُوتُ فَرَحًا.

وَأَنْطَلَقَ لِسَانِي بِأَنْ قُلْتُ: يَا قَدِيمَ الْإِحْسَانِ، لَكَ الْحَمْدُ.

ثُمَّ صَحْتُ بِزَوْجَتِي، فَقَالَتْ: أَبُوعَلَى؟ فَقُلْتُ: السَّاعَةُ صَرَتْ أَبُوعَلَى؟

أسرجي، فأسرجت.

فقلت: جيئني بمقراض، فجاءت به، فقصصت شاربًا لي كان بزىّ الجند.

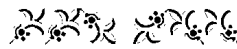
فَقَالَتْ زَوْجَتِي: مَا تَصْنَعُ؟ السَّاعَةُ يَعْيَبُكَ رَفَقَاؤُكَ.

فقلت: بعد هذا لا أخدم أحدًا غير ربّي.

فَانْقَطَعْتُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَخَرَجْتُ مِنَ الدَّارِ، وَطَلَقْتُ الزَّوْجَةَ، وَلَزِمْتُ عِبَادَةَ رَبِّي.

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ: وَخَبِرَ هَذَا الرَّجُلَ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ: يَا قَدِيمَ الْإِحْسَانِ لَكَ الْحَمْدُ، صَارَتْ عَادَتَهُ، يَقُولُهَا فِي حَشْوِ كَلَامِهِ.

وَكَانَ يُقَالُ: إِنَّهُ مُجَابُ الدَّعْوَةِ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّكَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَنَامِكَ، فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْكَ، فَبُرْتُ. فَقَالَ: مَا كَانَ لِعَافِيَتِي سَبَبٌ غَيْرَ مَا عَرَفْتُكَ^(١).



(١) الفرج بعد الشدة (١/ ٨٢٣) نقلًا عن نشوار المحاضرة (٢/ ٢٨٧).



ترك الطعام في الحرام فجاءه في الحلال

إن الواجب على كل مسلم أن يسلك سُبُل الحلال، وينأى بنفسه عن مواطن الشبهة، فلا يأكل إلا الحلال، ولا يُدخل بيته إلا الحلال... قال ﷺ: «يأتى على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال؟ من حلال أو حرام»^(١).

وقال ﷺ: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس - وذكر منهم - وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»^(٢).

ذكر المؤرخ محمد راغب الطباخ - يرحمه الله - أن الشيخ إبراهيم الهلالي الحلبي العالم الصالح الجليل، ذهب إلى الجامع الأزهر يطلب العلم، وأثناء طلبه للعلم أُمِلق، وافتقر إلى النفقة، ومضى عليه أكثر من يوم وهو لا يجد ما يأكل، وجاع جوعاً شديداً، فخرج من غرفته في الأزهر ليسأل اللقمة والطعام، فشاهد باباً مفتوحاً، وشم منه رائحة الطعام الزكية.

فدخل الباب إلى المطبخ فلم يجد أحداً ووجد طعاماً شهياً، فأخذ الملعقة وغمسها فيه، ثم لما رفعه إلى فمه انقبضت نفسه عن تناولها، إذ لم يُؤذَن له بتناوله، فتركها! وخرج بجوعه وسغبه إلى غرفته في رواق الأزهر.

ولم يمضِ عليه نحو ساعة إلا وأحد شيوخه ومعه رجل يدخلان عليه غرفته، ويقول له الشيخ: هذا الرجل الفاضل، جاءني يريد طالب علم صالح، اختاره لابنته زوجاً، وقد اخترتك له، فقم بنا إلى بيته ليتم العقد

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٥٩) كتاب البيوع، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وصححه العلامة الألبانى رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٩٤٦).

بينكما، وتكون من أهل بيته، فتحامل الشيخ إبراهيم على نفسه ممثلاً أمر شيخه، وقام معهما، وإذا هما يذهبان به إلى البيت الذي دخله وغمس الملعقة في طعامه!.

ولما جلس عقد له والدها عليها وبادر الطعام، فكان الطعام الذي غمس الملعقة فيه ثم تركها، فأكل منه قائلاً في نفسه: امتنعت عنه بغير إذن الله، فأطعمنيه الله بإذنه مُكرماً مُعزّزاً زوجاً.

ثم قدمت معه تلك المرأة الصالحة إلى حلب بعد انتهائه من التحصيل، وكانت أم أبنائه الصالحين.

فسبحان من أغنى بالحلال عن الحرام، وقسم لكل مخلوق رزقه وطعامه وشرابه، فلا بد أنه آكله ونأثله، وصدق القائل: ما قدر لماضيك أن يمضغاه، لا بد أن يمضغاه، فويحك كله بعز ولا تأكله بذل^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الفرج بعد الشدة (١ / ٢٢) نقلاً عن أعلام النبلاء بتاريخ حلب (٧ / ٢٣١).



الفرج قريب

✽ عن أبي العباس المؤدب قَالَ: حَدَّثَنِي جَارٌّ لِي هَاشِمِي فِي سَوْقٍ يَحْيَى - وَكَانَتْ حَالُهُ رَقِيقَةً - قَالَ: وُلِدَ لِي مَوْلُودٌ فَقَالَتْ لِي زَوْجَتِي هُوَ ذَا تَرَى حَالِي وَصُورَتِي وَلَا بَدْلَ لِي مِنْ شَيْءٍ أَتَغَذَّى بِهِ وَلَا يُمْكِنُنِي الصَّبْرُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ فَاطْلُبْ شَيْئًا. فَخَرَجْتُ بَعْدَ عِشَاءِ الْآخِرَةِ فَجِئْتُ إِلَى بَقَالٍ كُنْتُ أَعَامِلُهُ فَعَرَفْتَهُ حَالِي وَسَأَلْتُهُ شَيْئًا يَدْفَعُهُ إِلَيَّ - وَكَانَ لَهُ عَلَى دَيْنٍ - فَلَمْ يَفْعَلْ، فَصُرْتُ إِلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَغَيِّرَ حَالِي فَلَمْ يَدْفَعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَبَقِيتُ مَتَحِيرًا لَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ، فَصُرْتُ إِلَى دَجَلَةٍ فَرَأَيْتُ مَلَاحًا فِي سُمْيرِيَّةٍ^(١) يَنَادِي فَرَضَةَ عَثْمَانَ، قَصْرَ عَيْسَى، أَصْحَابَ السَّاجِ. فَصَحْتُ بِهِ فَقَرُبَ إِلَى الشُّطِّ فَجَلَسْتُ مَعَهُ وَانْحَدَرَ بِي، فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ تَرِيدُ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي أَيْنَ أُرِيدُ! فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ أَمْرًا مِنْكَ. تَجْلِسُ مَعِيَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَانْحَدَرَ بِكَ وَتَقُولُ: لَا أَدْرِي أَيْنَ أَتَوَجَّهُ!! فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي، فَقَالَ لِي الْمَلَاحُ: لَا تَغْتَمُ فَإِنِّي مِنْ أَصْحَابِ السَّاجِ، وَأَنَا أَقْصِدُ بِكَ إِلَى بَغِيَّتِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَحَمَلَنِي إِلَى مَسْجِدٍ مَعْرُوفٍ الْكَرْخَى الَّذِي عَلَى دَجَلَةٍ فِي أَصْحَابِ السَّاجِ. وَقَالَ لِي: هَذَا مَعْرُوفُ الْكَرْخَى يَبِيتُ فِي الْمَسْجِدِ وَيَصَلِّي فِيهِ،... تَطْهَرُ لِلصَّلَاةِ وَامْضِ إِلَيْهِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقُصِّ عَلَيْهِ حَالُكَ، وَسَلِّهُ أَنْ يَدْعُو لَكَ. فَفَعَلْتُ وَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا مَعْرُوفٌ يَصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ فَسَلَّمْتُ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، فَلَمَّا سَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ وَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي وَحَالِي، فَسَمِعَ ذَلِكَ مِنِّي وَقَامَ يَصَلِّي، وَمَطَرَتِ السَّمَاءُ مَطَرًا كَثِيرًا فَاغْتَمَمْتُ، وَقُلْتُ: كَيْفَ جِئْتُ إِلَى هَذَا

(١) أي: مركبًا صغيرًا.

الموضع ومنزلى بسوق يحيى؟ وقد جاء هذا المطر وكيف أرجع إلى منزلى واشتغل قلبى بذلك. فبينما نحن كذلك إذ سمعت صوت حافر دابة، فقلت: فى مثل هذا الوقت حافر دابة؟ فإذا هو يريد المسجد. فنزل ودخل المسجد وسلم وجلس فسلم معروف وقال: من أنت رحمك الله؟ فقال له الرجل: أنا رسول فلان وهو يقرأ عليك السلام ويقول لك: كنت نائماً على وطاء وفوقى دثار فانتبهت على صورة نعمة الله علىّ، فشكرت الله ووجهت إليك بهذا الكيس تدفعه إلى مستحقه. فقال له: ادفعه إلى هذا الرجل الهاشمى. فقال له: إنه خمسمائة دينار، فقال له: أعطه فكذلك طلب له. قال: فدفعها إلىّ فشددتها فى وسطى وخضت الوحل والطين فى الليل حتى صرت إلى منزلى وجئت إلى البقال فقلت له: افتح لى بابك، ففتح فقلت له: هذه خمسمائة دينار قد رزقنى الله فخذ ما لك علىّ وخذ ثمن ما أريد. فقال لى: دعها معك إلى غد وخذ ما تريد، فأخذ مفاتيحه وصار إلى دكانه ودفع إلىّ عسلاً وسُكراً وشيرجاً وأرزاً وشحمًا وما نحتاج إليه. وقال لى: خذ، فقلت: لا أطيق حمله، فقال لى: أنا أحمل معك، فحمل بعضه وحملت أنا بعضه وجئت إلى منزلى والباب مفتوح ولم يكن منها نهوض لغلقه وقد كادت أن تتلف - يعنى: زوجته - فوبختنى على تركى إياها على مثل صورتها، فقلت لها: هذا عسل وسكر وشيرج وجميع ما تحتاجين إليه، فسرى عنها بعض ما كانت تجده، ولم أعلمها بالدنانير خوفاً أن تتلف فرحاً، فلما أصبحنا أريتها الدنانير وشرحت لها القصة واشتريت لها عقاراً نحن نستغله ونعيش من فضله ومن غلته، وكشف الله عنا ما كنا فيه ببركة معروف الكرخي^(١).

(١) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد (١٣/٢٠٣).



كلمة الحق تُنَجِّي في الدنيا والآخرة

✽ حكى محمد بن جرير الطبري أن عبد الله بن مالك قال: كنت أتولى الشرطة للمهدى، وكان يبعثني إلى النُّدَماء والمغنين الملازمين لموسى الهادي، ويأمرني بحبسهم وضربهم فيبعث إليَّ الهادي فيسألني تركي إياهم والرفق بهم، فلا ألتفت إلى ذلك وأمضي ما أمرني المهدى فيهم.

فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف فبعث إليَّ فتكفنت وتحنطت وأوصيت وصيتي ودخلت عليه وإذا هو على كرسى والسيف والنطع بين يديه فسَلِّمْتُ فقال: لا سلم الله عليك تذكر ما كنت أبعث لك فيه من الرفق بندمائي فلا تلتفت إليَّ وتمضي فيهم ما أمر به أمير المؤمنين من ضربهم وحبسهم؟! فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في الحُجَّة؟ قال: نعم.

قلت: أسألك بالله يا أمير المؤمنين لو وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر فبعث إليَّ بعض بنيك يخالف به أمرك أيسرُك أن اتبعت أمره وعصيت أمرك؟

قال: لا.

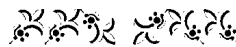
قلت: وكذلك أنا لك وكذلك كنت لأبيك.

فقال: ادنُ فدنوت، فقبَّلت يده ورجله.

فأمر بخُلْعِ فُصْبَتِ عليٍّ وقال: قد وليتك ما كنت تتولاه فامضِ راشداً، فخرجت وسِرْتُ إلى منزلي مفكراً في أمري وأمره ثُمَّ قلت: لعل القوم الذين أسأت إليهم ندماءؤه ووزرائه وكُتَّابه وكأنى بهم حين يغلب عليه الشراب قد أزالوا رأيَه في وحملوه في أمري على ما كنت أتخوفه.

قال: فإنني لجالس وبين يديه بنية لى إذ سمعت وقع الحوافر وكثرة الضوضاء فقلت: كان والله ما ظننت ووافاني ما تخوفت به. فإذا الباب قد فُتح وإذا الخدم قد دخلوا بين يدي أمير المؤمنين الهادي وهو على الحمار.

فلما رأيته وثبت عن مجلسي مبادراً فقبلت يده ورجله فقال لى: يا عبد الله إنى فكرت فى أمرك فقلت: يسبق إلى قلبك أنى إذا شربت وحولى أعدائك أزالوا ما حسن من رأى فيك، وأقلقك وأوحشك، فصرت إلى منزلك لأؤنسك وأعلمك أن الضغينة قد زالت عن قلبى لك، فهات فأطعمنى مما كنت تأكل لتعلم أنى قد تحرمت بطعامك، ووافيت منزلك فتزول وحشتك فأدريت ذلك الرقاق والطعام فأكل منه ثم قال لأحد رجاله: هات المنحة التي منحتها لعبد الله من مجلسي فأدخلت إلى أربعمائة بغل موقرة مالا وأثاثاً فقال: هذه هديتك فاستعن بها على أمرك واحفظ لى هذه البغال عندك لعلى أحتاج إليها إلى بعض أسفارى، ثم قال: أظلك الله بخير وانصرف^(١).



قد وهبتك لله ورسوله

❁ قال إسحاق بن إبراهيم المصعبى:

رأيت النبى ﷺ فى النوم ذات ليلة وهو يقول: أطلق القاتل. فارتعتُ لذلك ودعوت بالشموع ونظرت فى الكتب الواردة لأصحاب السجون، فلم أجد كتاباً فيه ذكر قاتل، فأمرت بإحضار السندى وعياش، وسألتهما هل رُفع إليهما أحد ادّعى عليه القتل؟

فقال لى عياش: نعم، وقد كتبنا بخبره... فأعدت النظر فوجدت الكتاب فى أضعاف القراطيس، وإذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقرّ به. فأمرت بإحضاره، فلما رأيت ما به من الارتياح قلت له: إن صدقتنى أطلقتك.

فانبرى يحدثنى، وذكر أنه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كلّ عزيمة ويستحلون كل محرّم، وأنه كان اجتماعهم فى منزل بمدينة أبى جعفر المنصور يعكفون فيه على كل بليّة؛ فلما كان هذا اليوم جاءتنا عجوز كانت تختلف للفساد ومعها جارية بارعة الجمال، فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة عظيمة ثم أغمى عليها؛ فلما أفاقت قالت: الله! الله! فى! فإن هذه العجوز خدعتنى وأعلمتنى أن فى جيرانها قومًا لهم حقّ عظيم لم يكن مثله، وشوقتنى إلى النظر إلى ما فيه، فخرجت معها واثقة بقولها، فهجمت بى عليكم... وجدّى رسول الله ﷺ، وأمى فاطمة وأبى الحسين ابن على، فاحفظوهم فى! قال: فكأنها أغرتهم بنفسها. فقامت دونها ومنعت منها، وقاتلت من أرادها، ونالتنى جراحات (أظهرها فرأيتها)، قال: وعمدت إلى أشدهم كان فى أمرها، فقتلته وخلّصت الجارية آمنة ممّا

خافته؛ فسمعتها تقول: سترك الله كما سترتنى، وكان لك كما كنت لى! وسمع الجيران فدخلوا إلينا، والرجل متشحط بدمائه، والسكين فى يدى، فرُفعت على هذه الحال.

قال إسحاق: فقلت له: قد وهبتك لله ورسوله، قال: فَوَحَق الذى وهبتنى لهما لا عاودت معصية ولا دخلت فى ريبة أبداً^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أورده ابن حمدون (٥٢ / ٨) برقم (٨٦) فى التذكرة الحمدونية، والإبشيهى (٨٠ / ٢) فى المستطرف.



﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ تَذَكَّرُ﴾

✽ يقول على بن يحيى بن أبي منصور: حدثني بعض التجار فقال: حملنا متاعاً من الصين إلى الأبلّة، وكان قد اجتمع ركبٌ فيه مقدار عشر سفن.

فقال: فبينما أنا قد أصلحت ما أردت من السفر إذا شيخ قد وقف عليّ وسلّم فرددت عليه السلام، فقال: يا هذا، إني قد صرت إلى التجار في هذه السفن، فسألتهم قضاء حاجتي فلم يقضوها وأنا أسألك أن تقضيها لي. فقلت: وما حاجتك عافاك الله؟

قال: أقول لك بعد أن تضمن لي قضاءها؟ قلت: أفعل... فأحضرها رصاصة مثل الكرة فيها نحو من مائة منّ، وقال لي: تأمر بحمل هذه الرصاصة معك، فإذا صرت في لجة بحر كذا وكذا - وذكر لُجة هائلة - تطرحها في البحر. قلت: يا هذا ليس هذا مما أفعله.

قال: قد ضمنت لي وسبق فيه وعدك ولا بد لك من الوفاء به. قال: فلم يزل حتى قبلتها، ثم قال لي: أحضر برنامجاً واكتب ذكرها فيه، لئلا تنساها، وتذكرني إذا رجعت فتخبرني بما صنعت ومنزلي في موضع كذا وكذا، فكتبت ما قاله من صفته وخرجنا حتى إذا مررنا بتلك اللُجة وصرنا نسيت حتى إذا وافينا موضعنا بعث فيه ما كان معي وحضرني رجل فقال:

ما هذا الذي معك؟ رصاص؟



فقلت: ليس معى رصاص وكنت نسيت الرصاصة، فقال لى غلامى:
معنا رصاص.

قلت: لم أحمل معى رصاصًا.

فقال: بلى رصاص الشيخ فذكرته.

فقلت: خالفناه وبلغت إلى هذا الموضع وينبغى أن أبيع له، فإن ذلك
خير مما أراد به.

فقلت للغلام: أحضرها. فأحضرها وساومنى الرجل بها، فبعتها منه
بمائة وثلاثين دينارًا، وابتعت للشيخ بها من طرائف الصين.

وخرجنا حتى وافينا الأبلّة فبعث ما كان معى وبعث تلك الطرائف فبلغ
ثمنها سبعمائة دينار وسرت إلى البصرة إلى الموضع الذى كان الشيخ
وصفه لى، ووقفت بباب داره وسألت عنه فقيل لى إنه قد مات.

فقلت: هل خلف أحدًا يرثه؟

قالوا: لا نعلم له إلا ابن أخ فى بعض نواحي البحر، فسقط فى يدى
وبقيت لا أدرى ما أعمل بما كان له عندى.

وقيل لى: إن داره موقوفة بيد أمين القاضى، فرجعت إلى الأبلّة، والمال
معى لا أدرى ما أعمل به.

فبينما أنا ذات يوم جالس إذا وقف على رأسى رجل فقال: أنت فلان بن
فلان؟

قلت: نعم.

قال: كنت خرجت إلى الصين؟

قلت: نعم.



قال: وبعث رجلاً هناك رصاصة؟

قلت: نعم.

قال: أفتعرف الرجل؟ فتأملت، وقلت: أنت؟!!!

قال: نعم يا هذا، إنى قطعت من تلك الرصاصة شيئاً لأستعمله، فوجدتها مجوفة، ووجدت فيها اثني عشر ألف دينار وقد جئت بالمال، فخذ مالك عافاك الله.

قلت: ويحك، والله ما المال لى، ولكنه كان من خبره كذا وكذا، وحدثه بحديث الشيخ كله، وأنه قد اجتمع من ثمن الطرائف سبعمائة دينار أيضاً لا أدري ما أصنع بها.

فتبسم الرجل ثم قال لى: أتعرف نسبى من الشيخ؟

قلت: لا.

قال: فأنا والله ابن أخيه وليس له وارث غيرى، وأراد أن يزول هذا المال عنى، وهو غرب بى من البصرة منذ تسعة عشر عاماً، فأبى الله إلا وصول المال إلى على رغمه.

قال: فأعطيته السبعمائة دينار التى كانت معى، ومضى إلى البصرة وأخذ متاعه وأقام بها^(١).

قال أبو يحيى الغرناطى: من تأمل هذه الحكاية حق التأمل تعجب من التصرف القدرى والتدبير الإلهى، وشاهد من جميل صنع الله فى تصيير هذا المال لمستحقه، وعكس قصد من أراد قطع رحمه بصرفه عن وارثه من

(١) أخرجه محمد بن عاصم الغرناطى (١ / ١٨١) فى «جنة الرضا».

غير أن يستعويض من ذلك في الآجلة أجراً ولا يكسب في العاجلة شكراً.
فقد كان صرفه في وجوه البر على معارضة لقوله ﷺ: «إِنَّكَ إِنْ تَدَعَ
وَرَثَتِكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»^(١).
أولى من رَمِيهِ في لُجَّةِ البحر، لولا أن الله زَيَّنَ له سوء عمله فرآه حسناً،
حتى يكون ذلك القصد من إتلافه على مستوجه هو السبب في تلافيه له
وجبره عليه.

وقد كان ذلك الوارث من التَحَرُّجِ عن أخذ ما ليس له بالمنزلة التي
اقتحم بها تلك الشُّقَّة في التقصّي عن عهدة ما ليس له، والخروج عما بيده
مما اعتقده ملكاً لغيره، لما قيض الله له من أمانة التاجر تتمّة لما جبر عليه
من المال، ولما تحقّق من قبله أن ما بيده هو مال موروثة السائغ له الانتفاع
به.

إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ تَذَكَّرَ وَتَبَصَّرَ لِمَنْ اسْتَبَصَّرَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨).



﴿الله يجعل للمتقين فرجاً ومخرجاً﴾

﴿قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١)

﴿وقد جاء في مناقب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: «خرجت يوماً إلى صلاة الفجر وكان حُصَّادُهُ وَخُصُومُهُ يَنكُرُونَ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنْ مَوَاقِفِهِ وَيَتَرَبَّصُونَ بِهِ الدَّوَائِرَ، وَيَنْصَبُونَ لَهُ الْفَخَاخَ وَالشُّبَّاكَ حَتَّى يَنَالُوا مِنْ مَكَانَتِهِ وَيَحْطُطُوا مِنْ كِرَامَتِهِ وَيَزْعَزِعُوا مَنْزِلَتَهُ فِي نَفُوسِ النَّاسِ وَخَاصَّةً أَتْبَاعِهِ وَمُحْبِيهِهِ.﴾

قال الشيخ الإمام: فبينما أنا آخذ طريقى إلى المسجد إذ بخصومى قد أوقفوا امرأة فى طريقى، وقد جعلوا لها جعلاً من المال على أن تخذعنى عن نفسى وتدخلنى بيتها، وقد تقدمت إلى هذه المرأة فى ضراعة ومَسْكَنَةٍ وقالت يا سيدى: أراك رجلاً صالحاً تحب الخير وتميل إليه وإن زوجى مريض ويريد أن يكتب وصيته وليس عنده من يعينه على أمره. فهل لك فى خير ساقك الله إليه؟

فأجبتها طمعاً فى فضل الله ورغبة فى ثوابه فغلقت الأبواب ثم صاحت بأعلى صوتها وجعلت تستغيث بالأهل والجيران، فأقبل الناس من كل صَوْبٍ وَحَدَبٍ، فدخلوا البيت ومعهم رجال الشرطة، فلم يجدوا إلا أنا وهذه المرأة فقبضوا علىّ وساقونى إلى مقر الأمير، فأمر القائم بالأمر بحبسى حتى تطلع الشمس، وكنت لا أزال على وضوئى فحمدت الله إذ نجوت من شرّها دون أن أعصى الله فقامت إلى صلاتى وكانت المرأة معى،

فلما سمعتنى أقرأ القرآن فى الصلاة وأردد قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١)، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۚ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾^(٢).

لما سمعت المرأة منى كتاب الله خضع قلبها وطهرت نفسها وندمت على ما كان منها وأخبرتني بما قيل لها وما أخذته من الخصوم والحاسدين أجراً على تنفيذ هذه المكيدة، وأخبرتني أنها تائبة إلى الله من هذا الذنب، وألحّت فى طلب العفو والصفح وسألتني المخرج مما هى فيه بعدما ذهب شيطانها، واستيقظ ضميرها.

ففكر الإمام فى مخرج يخلصها من هذه الورطة ويرد سهم الأعداء إلى صدورهم، فقال لها: يا سيدتى عفا الله عنك وسوف تخرجين من هذا الأمر دون أن يمسّك سوء أو يصيبك مكروه، فإن كنت صادقة فى توبتك فقولى للسجان: إن لى حاجة فى البيت وسأعود إليك سريعاً قبل أن يجىء الأمير، ثم اذهبى إلى أم حماد يعنى: زوجته وقولى لها القصة كما وقعت وأمرها أن تكون عندى سريعاً وأن تتزىا بزيك هذا ليسمح السجان لها بالدخول، ففعلت المرأة ما قاله الإمام وما هى إلا لحظات حتى كانت زوجته عنده داخل السجن فلما أبصرته أخذها بالبكاء وتوجست شراً، وخافت أن يلحقه ضرر أو يصيبه أذى ما دام هذا الأمر من تدبير أعدائه وخصومه، وأراد الإمام أن يهدئ روعها ويطمئن نفسها فلم يزد على أن قال لها: يا أم حماد إن الله وعد عباده الأتقياء بالسلامة والنجاة من كل ضيق ومحذور

(١) سورة الطلاق: الآيتان (٢، ٣).

(٢) سورة الطلاق: الآيتان (٤، ٥).



أليس هو القائل: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)، وقد فعلنا ما أمرنا به من التقوى وسينجز لنا ما وعدنا من الخلاص والنجاة، فلما حضر الأمير حُملنا إليه. فقال الأمير: أيحل لك أيها الشيخ أن تخلو بأجنبية دون أن يكون معكما ثالث إلا الشيطان؟ فقلت: أصلح الله الأمير، قبل أن أجيبك عن سؤالك هذا أريد منك أن تحضر إلى ههنا فلانًا، فقال الأمير: وما شأنك به؟ فقلت: إني في حاجة إليه، وكان هذا الرجل هو والد أم حماد فأحضره الأمير، فلما مثل بين يدي الأمير وأبو حنيفة وزوجه حاضرا أمر المرأة أن تكشف عن وجهها ففعلت، فلما نظر إليها صهر أبي حنيفة نظر إلى الأمير وقال له: إن هذه ابنتي وقد زوجتها لأبي حنيفة منذ سنين ولها منه أولاد، وليسأل الأمير عن قولي هذا من شاء من أهل الكوفة، فحجل الأمير وبُهِتت رجال الشرطة واغتاض الخصوم والأعداء، وخرج أبو حنيفة من مأزقه سالماً بفضل صلاحه وتقواه، والتفت إلى زوجته وصهره وهو يردد قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٢).

وحق له ذلك فقد أظهر الله حجته وأعلى كلمته ونصره على حُساده ومنافسيه، وكان ﷺ كثيراً ما يردد هذين البيتين:

إِنْ يَحْسُدُونِي فإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بَى وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيْظًا بِمَا يَجْدُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة الزمر: الآية (٦١).

(٢) سورة النور: الآية (٥٢).

تصدق بثلاثة دنانير فأخلف الله عليه ثلاثمائة

قالت مولاة أبي أمامة: كان أبو أمامة يحبُّ الصَّدقة ويجمع لها من بين الدينار والدرهم والفلوس وما يأكل حتى البصلة ونحوها ولا يقف به سائل إلا أعطاه ما يتهيأ له حتى يضع في يد أحدهم البصلة.

قالت: فأصبحنا ذات يوم وليس في بيته شيء من الطعام وليس عنده إلا ثلاثة دنانير فوقف به سائل فأعطاه دينارًا ثم وقف به سائل فأعطاه دينارًا ثم وقف به سائل فأعطاه دينارًا.

قالت: فغضبت وقلت: لم يبقَ لنا شيء! فاستلْقَى على فراشه، وأغلقتُ عليه بابَ البيت حتى أذنَّ المؤذن للظهر، فجئته فأيقظته، فراح إلى مسجده صائمًا، فرققتُ عليه فاستقرضت ما اشتريت به عشاءً فهيأت سراجًا وعشاءً ووضعت مائدة ودنوت من فراشه لأمهده فرفعت المرفقة^(١) فإذا بذهبٍ فقلت في نفسي: ما صنع ما صنع إلا ثقة بما جاء به... قالت: فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار فتركها على حالها حتى انصرف عن العشاء.

قالت: فلما دخل ورأى ما هيأت له حمد الله تعالى وتبسّم في وجهي وقال: هذا خير من غيره فجلس فتعشّى فقلت: يغفر الله لك جئت بما جئت به ثم وضعته بموضع مضیعة^(٢) فقال: وما ذاك؟ فقلت: ما جئت به من الدنانير ورفعت المرفقة عنها ففزع لما رأى تحتها وقال: ويحك ما هذا؟ فقلت: لا علم لي به إلا أني وجدته على ما ترى^(٣).

(١) المرفقة: المخدة.

(٢) موضع مضیعة: أي أنك وضعته تحت المخدة، وقد تصل إليه الأيدي بسهولة فيضيع.

(٣) صفة الصفوة (١/ ٧٣٤-٧٣٦).



يا بُنَى هَكَذَا مَنْ رَجَا الْخَالِقَ وَلَمْ يَرْجُ الْمَخْلُوقَ

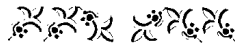
كان الحسن بن على يَفِد كل سنة إلى معاوية فيصله بمائة ألف درهم، فقعد سنة عنه ولم يبعث إليه معاوية بشيء، فدعا بدواة ليكتب إليه، فأغفى قبل أن يكتب، فرأى النبي ﷺ، في منامه كأنه يقول: «يا حسن أتكتب إلى مخلوق تسأله حاجتك وتدع أن تسأل ربك؟!»!

قال: فما أصنع يا رسول الله وقد كثر ديني؟ قال: «قل: اللهم إني أسألك من كل أمرٍ ضعفت عنه قوتي وحيلتي ولم تنته إليه رغبتى ولم يخطر ببالى ولم يبلغه أملى ولم يجبر على لسانى من اليقين الذى أعطيته أحداً من المخلوقين الأولين والمهاجرين والآخرين فخصّنى به يا أرحم الراحمين».

❁ وعن أبى المنذر هشام بن محمد عن أبيه قال: أضاق الحسن بن على، وكان عطاؤه في كل سنة مئة ألف، فحبسها عنه معاوية في إحدى السنين؛ فأضاق إضاقة شديدة. قال: فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره بنفسى، ثم أمسكت، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لى: كيف أنت يا حسن؟ فقلت: بخير يا أبت. وشكوت إليه تأخر المال عنى فقال أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك؟ قلت: نعم يا رسول الله فكيف أصنع؟ قال: قل: اللهم اقذف في قلبى رجاءك واقطع رجائى عمّن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملى ولم تنته إليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى، ولم يجبر على لسانى مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين، فخصّنى به يا رب العالمين.

قال: فوالله ما ألححت به أسبوعًا حتى بعث إليَّ معاوية بألف ألف وخمسة مئة ألف. فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى مَنْ ذَكَرَهُ، ولا يُخَيِّبُ مَنْ دَعَاهُ.

فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله وحدثته حديثي. فقال: يا بني، هكذا مَنْ رجا الخالق ولم يَرْجُ المخلوق^(١).



(١) انظر «تاريخ دمشق» (١٣/١٦٦، ١٦٧).



هكذا ينجي الله من لجأ إليه

عن علي بن الحسن قال: ولَّى علينا عبد الملك بن مروان طارقاً مولى عثمان بن عفان. قال عليٌّ: فمشيت إلى سالم بن عبد الله وإلى القاسم ابن محمد وإلى أبي سلمة بن عبد الرحمن فقلت: اذهبوا بنا إلى هذا الرجل حتى نُسلِّم عليه ندفع بذلك عن أنفسنا قال: فأتيناه، فسَلَّمنا عليه، فأجلسنا عنده، ثم قال: أيكم سعيد بن المسيب؟ قال: فكلمه القاسم بن محمد، فقال له: أصلحك الله، إن سعيد بن المسيب قد رفعت عنه الولاية إتيانها، وقد ألزم نفسه المسجد، فليس ينزح منه قال: رغب أن يأتيني، والله لأقتلنه، والله لأقتلنه - ثلاثاً.

قال القاسم: فضاق بنا المجلس حتى قمنا، فجئت المسجد، فتطلعت فيه، فإذا سعيد عند أسطوانة جالس، فدخلت إليه، فأخبرته بما كان، وقلت له: أرى لك أن تخرج الساعة إلى مكة، فتعتمر، وتقيم بها.

قال: ما حضرني في ذلك نية، وإن أحب الأعمال إليَّ ما نويت.

فقلت له: إني أرى أن تخرج إلى بعض منازل إخوانك، فتقيم فيه حتى تنظر ما يكون من الرجل. قال: فكيف أصنع بهذا الداعي الذي يدعوني في كل يوم وليلة خمس مرات، والله لا دعاني إلا أجبته على أي حال كان!

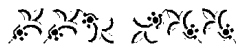
قلت: فإني أرى أن تقوم من مجلسك هذا، فتجلس إلى بعض هذه الأساطين، فإنك إن طلبت فإنما تُطلب عند أسطوانتك! قال: ولم أقوم من موضعي هذا الذي قد أبلاني الله فيه العاقبة من كذا وكذا سنة.

قلت: يرحمك الله، أما تخاف على نفسك كما يخاف الناس؟ فقال لي:

والله ولا أحلف بالله كاذبًا، ما خفت شيئًا سواه. قلت له: فماذا أقوم من عندك رحمك الله؟ فقد غممتني، فقال: تقوم بخير، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يُنسيه ذكري.

قال: فانصرف من عنده، فجعلت أسأل هل كان في المسجد خبر؟ ولا أُخبر إلا بخير. قال: فأقام علينا واليًا سنة لا يذكره ولا يخطر بباله حتى إذا عُزل وصار بوادي القرى من المدينة على خمس مراحل قال لغلامه وهو يوبخه: ويحك!

واسوءتاه من على بن الحسين والقاسم بن محمد ومن سالم بن عبد الله ومن أبي سلمة بن عبد الرحمن حلفت بين أيديهم ثلاثة أيمان لأقتلن سعيد بن المسيب، والله ما ذكرته إلا في ساعتى هذه! فقال له غلامه: يا مولاي تأذن لي أن أكلمك؟ قال له: نعم قال: فما أراد الله لك خيرًا مما أردته لنفسك إذ أنساك ذكره! قال: فقال له: اذهب، فأنت حر لوجه الله تعالى^(١).





إن زدتنى فى العمل زدتك فى الأجرة

عن وهب بن منبه قال: كان فى بنى إسرائيل عابد فلبث سبعة لم يطعم هو وغياله شيئاً، فقالت له امرأته: لو خرجت فطلبت لنا شيئاً، فخرج فوقف مع العمال، فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق، فقال: والله لأعملن اليوم مع ربى، فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل وما زال راکعاً وساجداً حتى إذا أمسى أتى أهله، فقالت له امرأته: ماذا صنعت؟ قال: قد عملت مع أستاذ لى وقد وعدنى أن يعطينى، ثم غدا إلى السوق، فوقف مع العمال، فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق، ولم يستأجره أحد.

فقال: والله لأعملن مع ربى فجاء إلى ساحل البحر، فاغتسل وما زال راکعاً وساجداً حتى إذا أمسى أقبل إلى منزله، فقالت له امرأته: ماذا صنعت؟ قال: إن أستاذى قد وعدنى أن يجمع لى أجرتى، فخاصمته امرأته، وبرزت عليه، فلبث ينقلب ظهراً البطن وبطناً الظهر، وصبيانهم يتضاغون جوعاً، ثم غدا إلى السوق فاستؤجر العمال، وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد.

فقال: والله لأعملن اليوم مع ربى، فجاء إلى ساحل البحر، فاغتسل وما زال راکعاً وساجداً حتى إذا أمسى قال: إلى أين أمضى؟ تركت أقواماً يتضاغون جوعاً، ثم تحامل على جهده منه، فلما قرب من باب داره سمع ضحكاً وسروراً، وشم رائحة قديد وشواء، فأخذ على بصره، وقال: أنا نائم أم يقظان، تركت أقواماً يتضاغون جوعاً، وأشم رائحة شواء، وأسمع ضحكاً وسروراً، ثم دنا من باب داره، فطرق الباب، فخرجت امرأته وقد حسرت عن ساعديها وهى تضحك فى وجهه، ثم قالت: يا فلان، قد جاءنا

رسول أستاذك جاءنا بدنانير ودراهم وكساء وودك ودقيق، وقال: إذا جاء فلان فأقرؤوه السلام، وقولوا له: إن أستاذك يقول لك: قد رأيتُ عملك، فرضيته، فإن أنت زدتنى فى العمل زدتك فى الأجرة^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) عيون الحكايات (ص ١٩٨ - ١٩٩).



لا يكشف الكرب والهم إلا الله

قال الربيع حاجب المنصور: كنت جالساً مع أبي جعفر المنصور يوماً فقال لي: يا أبا الفضل، أريد أن تُحضر إليّ جعفر بن محمد العلوي مُكبَّلاً بالسلاسل والقيود، قال الربيع: فقلت في نفسي: أية بليّة هذه؟ ثم قمت من ساعتى ومعى الجنود والأعوان وتوجهت إلى منزل جعفر بن محمد فدخلت عليه وقلت له: أجب أمير المؤمنين الساعة، فقال: وماذا يريد منى أمير المؤمنين؟! فقلت له: ألا تجب عليك طاعته؟ فقال: دعنا من هذا حتى أتوضأ وأصلى ركعتين فلعل ذلك يكون ختام عملى، فتركته حتى صلى فأوثقته بالسلاسل والقيود فجعل يحرك شفّتيه بكلمات ما سمعتها، فلما وصلنا إلى الخليفة وجدناه قد أنهى مجلسه ودخل منزله، فأودعت جعفر فى السجن حتى يطلع النهار، فلما أشرق الشمس وعُقد مجلس الخلافة أخذ أبو جعفر مكانه من صدر المجلس وأذن لى بإحضار جعفر فدخلت به عليه مُكبَّلاً مغلولاً، فسلم على الخليفة فلم يرد عليه السلام ولكنه قال: يا جعفر إن مما نحفظه وتحفظه معنا قول النبى ﷺ: «يُنصب للغادر لواء يُعرف به يوم القيامة» وقد بلغنى أنك تؤلب على دولتى الناس وتجمع العدة والعتاد لإزالة ملكى، فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إن مما أحفظه وتحفظه قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجهَلَةٍ فَتُصِيحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ﴾^(١).

فلم يسكن غضبه وقال: يا ربيع أدخله السجن حتى أرى فيه رأى غداً،

قال الربيع: فأخذته وأنا لا أشك أن الخليفة سيقتله، فلما كان الغد جلس الخليفة مجلسه فرأيته متهلل الوجه باسم الثغر مثلوج الفؤاد فتفاءلت خيراً ودخلت عليه لأسمع ما يقول فقال: يا ربيع، علىّ بأبى محمد اذهب فأزل عنه قيده وفك غله وأنس وحشته وطيب خاطره ثم ائتنى به مُعزّزاً مكرماً، فخرج والله همى بقوله وزحزح عن صدرى جبلاً كان جاثماً عليه، فما كان أبغض إلّى من شىء كدخول علوى وشى به إلى الخليفة فبادرت إلى جعفر وفعلت به ما قال الخليفة وأكثر، وكان لا يزال يحرك شفّتيه كما كان يحركها ساعة القبض عليه فلما دخلنا على الخليفة قام إجلالاً له، وخرج من مجلسه فسعى إليه وعانقه وأجلسه إلى جواره وقال: معذرة، يا أبا محمد. فأنتم معدن النبوة ونبع الرسالة وإليكم ينتهى كل خُلق حميد وعنكم تؤخذ السنة والكتاب، وأنا أستغفرُك هذه الإساءة، فقد قطعت عليك خلوتك وأفسدت عليك عبادتك وما كانت إلا وشاية ماكر كذاب، فلقد رأيت جدك محمداً ﷺ في منامى الليلة آخذاً بيد عمه العباس فجعل يعاتبني في شأنك ويقرأ علىّ هذه الآية من كتاب الله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(١)، ثم ولى عنى مقطباً، فاستيقظت من نومى فزعاً مذعوراً فهل أنت غافر لى تلك الزلة يا أخى؟ فبكى جعفر وقال: يغفر الله لى ولك يا أمير المؤمنين.

وعند ذلك التفت إلى الخليفة وقال: يا ربيع علىّ بالغالية وهى نوع من الطيّب الفاخر كان لا يستعمله إلا الخلفاء وكانوا إذا أرادوا إعزاز رجل طيبوه منه، فلما أحضرته طيبه قال: يا ربيع ضاعف لجعفر جائزته ففعلت



وانصرفت معه، فلما خلونا معاً سألتته عما كان يقول في سره ساعة دخولي عليه، قال: يا أخى كنت أردد هذا الدعاء وهو الدعاء الذى ما ذكره أحدٌ عند الشدة إلا ويفرج الله همه ويكشف كربته، فقلت: أسمعني يا أخى آخذه عنك، فقال لى هذا الدعاء: «يا ودود، يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أسألك بعزك الذى لا يرام، وبملكك الذى لا يضام، وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تكفينى شر هذا الرجل يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى ثلاث مرات».

قال الربيع: فحفظته منه فكنت لا أدعوه به فى همٍّ إلا فرّجه الله عنى ولا فى حرج إلا أخرجنى الله منه، فكنت أحفظه أولادى وأحبائى ليتفعدوا ببركته.



قصة صبر تفوق الخيال

أراد الله ﷻ أن يمتحن عروة بن الزبير، وانصرفت مشيئته ﷻ إلى أن يمتحن عروة بن الزبير بقدر إيمانه القوى امتحاناً لا يثبت له إلا أهل التقوى، وذوو الأفئدة التي ملأها الإيمان، وفاضت بالخشوع لله ﷻ.

لقد كان الخلفاء في عصر بني أمية يُجلون فقهاء المدينة ويعتزون بهم، وكان منهم الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي دعا عروة بن الزبير لزيارته في دمشق، فلبى عروة دعوته وصحب معه أكبر بنيهِ، وبوصوله دمشق لقي من الترحيب ما يناسب مقام العلماء وشأنهم لدى الخليفة الذي رحب بمقدمه أعظم الترحيب، وبالع في الحفاوة به، فأفسح له المجلس، وأطلق له العنان ليرى من مباهج قصره، وطبيعة دمشق ما يرى، ويمتع نفسه وابنه، وكان من الطبيعي أن يأخذ عروة مكانه في مجلس الخليفة بينما كان ابنه يخلو لسباق خيل أو استطلاع ومعرفة لهذا المكان وتلك الأشياء المحببة للفتية والغلمان.

فكان مما أخذ بقلب ابن عروة مربط الخيل واصطبلها الموجود في ناحية من القصر، وبينما هو يسرح ويمرح بين جياذ الخليفة الصافنات إذ بواحدة منها تضربه ضربات قاضية؛ فترفسه في وجهه وجسمه فيُلقي على الأرض بينما تطوّه أقدام البقية الباقية من الخيل التي انطلقت تمر فوق جسمه حتى أودت بحياته، وفُجع عروة بن الزبير بوفاة ابنه، فاحتسبه عند الله، ولم يجد بُدّاً من الإذعان إلى أمر الله ﷻ فسوى له قبره، وواراه التراب بيده، وعاد حزيناً تأخذه الحسرات، فيعالجها بالصبر والتقوى، وتنال منه عاطفة الأبوة فيقتفى أثر الصابرين الممتحنين مسترجعاً قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا



لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١﴾

ولم تمر أيام على هذه المحنة حتى شعر عروة وهو جالس في مجلس الخليفة، ساهم الفكر، يردد آيات القرآن الكريم بلسانه الرطب بذكر الله عسى أن يمنحه الصبر فيما أصابه، وبينما هو على هذه الحال إذ بآلام في ساقه، فتذكر أن هذه الآلام قد بدأت عند خروجه إلى الوليد بن عبد الملك في وادي القرى، ولقد وجد في هذا اليوم في رجله شيئاً من الألم، ثم تبعته قرحة فيها فعانى منها الكثير، وها هو قد عاودته الآلام بشدة، فلم يعد قادراً على الاحتمال، إذ تورمت ساقه، وانتشر الورم بسرعة مذهلة.

عند ذلك استدعى الخليفة لضيفه عروة بن الزبير الأطباء وحثهم على معالجته بكل ما أوتوا من علم الطب وفنونه.

وبعد فحص دقيق أجمع الأطباء على ضرورة بتر ساق عروة حتى يتوقف زحف هذه الآكلة اللعينة إلى بقية جسمه، فيتورم ويقضى المرض عليه.

امثل عروة لرأى الأطباء، وأسلم الأمر كله لله، وجاء الطبيب لبتر ساقه ومعه أداة البتر والنشر، وكان لابد من تخدير عروة لما عُرف عن الآلام التي تصحب بتر وقطع جزء من جسد الإنسان، فقال الطبيب لعروة: سوف نسقيك جرعة من مُسكِرٍ لكيلا تشعر بآلام البتر والتي ستكون مُبرحة شديدة الألم.

فقال: لا... لا أستعين بحرام على ما أرجوه من العافية.

فقال الطبيب: إن هذا الأمر جدّ خطير ولا بدّ من مُخدّر قبل البتر،

وأخشى أن تهتز ونحن نؤدي عملنا فيكون فيه ضرر لك.

فقال عروة في إيمان الفقيه وتقوى العبد الطائع لربه المؤمن بقضائه وقدره: «ما أحب أن أُسَلَبَ عُضْوًا من أعضائي دون أن أشعر بألمه، وأحتسب ذلك عند الله».

عند ذلك جاء الطبيب بطائفة من الرجال ليمسكوه خوفًا من تحريك جسمه أثناء العمل فرفض قائلًا: لا حاجة لى بهم، سأنصرف إلى الذكر والتسبيح وأنتم تؤدّون عملكم،... وأقبل الطبيب عليه وشرع بكشط اللحم عن ساقه، وجيء بالمنشار وبدأ الطبيب نشر الساق وعروة يكبر ويُسَبِّح حتى بُترت ساقه.

ولابد لوقف النزيف في جراح كهذه من غلى الزيت وغمس الجراح فيه، حتى يوقف تدفق الدم ومعالجة الجراح، وهنا راح عروة في غيبوبة طويلة،... ذكر المؤرخون أنه اليوم الوحيد الذي لم يقرأ فيه القرآن أو حصته اليومية منه منذ أن أصبح شابًا حافظًا له قارئًا لآياته.

وأفاق من غيبوبته ونظر حوله فشهد قدمه المبتورة وقد وُضعت في إناء فأشار إليها قائلًا: «أما والذي حملني عليك في عتمات الليل إلى المساجد إنه ليعلم أنني ما مشيتُ بك إلى حرامٍ قط»^{(١) (٢)}.

❁ ثم تمثل بتلك الأبيات:

لعمرك ما أهويت كفى لريبة ولا حملتنى نحو فاحشةٍ رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأبى عليها ولا عقلى

(١) تاريخ ابن عساكر ج ١١، ص ٢٨٧، سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤، ص ٤٣١.

(٢) عصر التابعين (ص: ٥٢-٥٤) بتصرف.



وأعلم أنى لم تُصبنى مُصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى

❁ وهنا جلس الوليد بن عبد الملك حزينا بسبب ما حدث لضييفه العزيز فقد بُترت ساقه واحتسب ابنه في أيام معدودات... فأخذ يفكر في حيلة يُصبره بها على ما أصابه.

❁ وفي تلك الأيام كان هناك جماعة من بنى عَبَسٍ قد نزلوا بدار الخلافة وكان فيهم رجل ضرير.

فسأله الوليد عن سبب فقدته لنعمة البصر فقال:

يا أمير المؤمنين إنها قصة عجيبة جداً.. فقد كنت أغنى الناس في بنى عبس وكنت أكثرهم أهلاً وأولاداً.

وفي يوم من الأيام نزلت مع أولادى في بطن وادى قريب من أرضنا فجاء سيلٌ رهيب ما رأينا مثله قط.. ففضى السيل على أهلى وأموالى وأولادى ولم يترك لى غير بغيرٍ واحدٍ وطفلٍ صغيرٍ فى سن الرضاعة... فأردت أن أدرك البعير لأركب عليه أنا وطفلى الصغير فسمعت صيحة الطفل من خلفى فنظرت فوجدت الذئب يأكله فأسرعت إليه ولكنه كان قد فارق الحياة.. فلحقت بالبعير فلما اقتربت منه ضربنى برجله على وجهى فحطمت جبينى وأفقدنى نعمة البصر فوجدت نفسى فى لحظة واحدة بلا أهل ولا مال ولا ولدٍ ولا بصر ومع كل هذا يا أمير المؤمنين ما ازددت إلا شكراً لله فتعجب أمير المؤمنين وقال لحاجبه: انطلق بهذا الرجل واذهب به إلى عروة ابن الزبير ليُقص عليه قصته حتى يعلم أن فى الناس من هو أعظم منه بلاءً.

عودته إلى المدينة

ولم تمضِ أيام حتى حُمِلَ عروة بن الزبير إلى المدينة حيث أهله وتلاميذه ومُريدوه الذين افتقدوا وجوده طوال هذه الفترة الزمنية، وعندما وصل الرُّكْبُ وادى القرى بالقرب من مكة، هتف عروة قائلاً وهو يتضرع إلى السماء:

«اللهم إنه كان لى أطرافُ أربعة فأخذت منهم واحداً، وأبقيت ثلاثة فلك الحمد، وكان لى بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة فلك الحمد، وإيُّمُ الله لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن أبليت طالماً عافيت»^(١).

وصل عروة المدينة وامتلاً داره - بالعقيق - بالزائرين والمواسين والمُعزِّين، ودخل عليه الشيخ عيسى بن طلحة، فرحب به وقال لابنه: اكشف يا بنى لعمك عن رجلى، ففعل الفتى، فقال عيسى بن طلحة: إنا والله يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع، ولا للسباق، ولقد أبقي الله منك لنا ما كنا نحتاج إليه، رأيك وعلمك.

فأخذت هذه الكلمات بنفس عروة، وحملها بمشاعر وفاء التلميذ لأستاذه فنظر إليه فى امتنان وحب وقال: يا عيسى ما عَزَّانى أحدٌ مثلك^(٢).

ولم يكد ينصرف عيسى عن شيخه خارجاً من الدار؛ حتى أقبل عليه رجل آخر هو إبراهيم بن محمد بن طلحة فحياه وقال له: «والله ما بك حاجة إلى المشى، ولا أرب فى السعى، وقد تقدمك عُصُوٌّ من أعضائك،

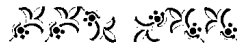
(١) الحلية لأبى نعيم ج ٢، ص ١٧٩.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٦/١١، سير أعلام النبلاء ج ٤، ص ٤٣٤.



وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل يتبع البعض إن شاء الله، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، من علمك ورأيك، والله ولى ثوابك والضمين بحسابك».

شكر عروة بن الزبير ضيفه واحتسب ما أصابه عند الله ﷻ، ونظر إلى بنيه نظرة العالم وقال لهم:
«يا بنى، سلونى، فقد تركت حتى كدت أنسى، وإنى لأسأل عن الحديث فيفتح لى حديث يومين»^(١).



ارحموا عزيز قوم ذلّ

✽ عن أبي موسى الفضل عن أبيه قال: سمعت زينب بنت سليمان بن علي ابن عبد الله بن عباس، قالت: كنت عند الخيزران جارية المهدى، وعادتها إذا كنتُ عندها تجلس في عتبة باب الرواق مقابل الإيوان، وأجلس أنا بإزائها في الصدر في مجلس كان «المهدى» يجلس فيه، وهو يقصدنا في كل وقت يجلس عندنا في بعض الأوقات ساعة ثم ينهض، فبينما نحن كذلك إذا دخلت علينا جارية من جوارى الخيزران اللاتي يحجبنا.

فقلت: أعز الله السيدة، إن بالباب امرأة ذات حُسنٍ وجمال، وخلقة حسنة، وهي على غاية من سوء الحال، تستأذن عليك، فسألتها عن اسمها فامتنعت من ذلك.

قالت زينب: فأشارت الخيزران إليّ، وقالت: ما ترين؟

فقلت: ما يضر من دخولها شيء، فلا بد من فائدة أو ثواب فدخلت امرأة أجمل ما يكون من النساء وأكملهن، فوقفت إلى جانب الباب وسلّمت.

وقالت: أنا «مريّة بنت مروان بن محمد الأموى» قالت زينب: وكنت متكئة، فقامت جالسة، فقلت: مريّة، قاتلك الله! ولا حياك، ولا رعاك، ولا سلّم عليك! والحمد لله الذى أزال النعمة عنك، وهتك سِتْرَكَ، وأهانك بين الناس، أتذكرين يا عدوة الله، حين أتاك نساء بنى العباس يسألنك أن تكلمى أباك في الإذن في دفن «إبراهيم بن محمد» فوثبت عليهن، وأسمعتهن أخشن الكلام، وأغلظ القول، وخرجن على الحالة التي علمتها.



قالت زينب: فلما سمعت كلامي، ضحكت، فوالله، ما أنسى حُسن ثغرها، وعلو صوتها بالقهقهة.

ثم قالت: أي بنية عمي، أي شيء أعجبك من حُسن صنع الله بي حتى أردت أن تسيئ بي؟ والله، لقد فعلت بنساء أهلك ما ذكرت، ولكن كان حقاً على الله أن يُسلمني إليك ذليلة جائعة، عريانة، شعثة، خاضعة، فكان هذا جزاء لشكرك لله - تعالى - على ما أولاك، ثم قالت: سلام عليكن، وولّت خارجة.

قالت زينب: فالتفتُ إلى «الخيزران» فإذا هي تبكي، ونادت الخيزران: يا مريّة، دخلتِ بإذني، فلا تخرجي إلا بإذني، وصاحت بحُجّابها: رُدّوها، فرجعت.

وقالت: والله ما ساقني إليك إلا الضرورة والجهد وسوء الحال. قال: فنهضت الخيزران فعانقتها، فقالت: ما فيّ لذلك موضع للحال الذي أنا عليه.

فقالت الخيزران لجواربها: عليكنّ بالحمام بسرعة، فعبروا بها إلى الحمام من وقتها وأمرتهن بخدمتها، ثم وافتها الخلع المذهبة، والطيب، ثم قامت إليها الخيزران، واعتنقتها وأجلستها المجلس الذي يجلس فيه أمير المؤمنين «المهدي»، وقدمت إليها الموائد الفاخرة، وجعلت تأكل وتلقمها، حتى اكتفت وغسلت يديها.

فقالت لها الخيزران: هل عندك أحد ينتظرك؟ فقالت: ما لي أحد. فقالت الخيزران: قومي إلى إحدى مقاصيري فاخترى أحسنها، واسكني بها عندي، ولا تفرقي إلى الممات، فقامت إلى المقصورات،

وأقامت بأحسنها وحُوِّلَ إليها جميع ما تحتاج إليه من الفرش، والقماش، والآنية، والخدم ثم تركنها، وخرجن من عندها.

فقالت الخيزران: هذه امرأة قد مسَّها من الضُّر ما لا مزيد عليه، ولا يغسل صدأ قلبها إلا المال، احملوا إليها خمسمائة ألف درهم، فحُمِلت إليها لوقتها.

ودخل المهدي في عقيب ذلك فقال: ما بالكن؟ فقامت إليه زينب وأعلمته بجميع ما وقع، وما قالت لها حين دخلت عليها، فغضب المهدي غضباً شديداً وقال: ما هذا بجودك لله على ما أنعم عليك، والله لولا لك على حُرمة لأحلفن أني ما أكلمك أبداً.

قالت: يا أمير المؤمنين، قد طاب قلبها، واعتذرتُ إليها، وفعلت معها الخيزران كذا وكذا، فسره ذلك، وقال: احملوا إليها من عندي مئة ألف درهم وقال لخدام كان على رأسه: بلِّغها مني السلام، وقال لها: إنني ما سُررت بشيء منذ عمري كسروري اليوم بمقامك عندنا، فلا تدعى في نفسك حاجة إلا ذكرتها لنا، ولولا أكبر أن أحشمك لسِرْتُ إليك مُسلماً عليك، وقاضياً لحقك.

فمضى الخادم بالرسالة إليها، فجاءت إلى «المهدي» وسلَّمت عليه، وقالت ما علىَّ من أمير المؤمنين من حشمة، وإنني صرت من بعض جواريه، فقال: لا والله، بل أعز عندي من ولدي.

ولم تزل عند الخيزران حتى ماتت^(١).

❦ وهكذا تكون المروءة مع الملهوف الذي فقد ماله وجاهه ومكانته.

(١) المختار من نوادر الأخبار (ص ٤٥).

❁ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل مسلم صدقة» قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال ﷺ: «يعتمل بيده فينفع نفسه، ويتصدق»، قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال ﷺ: «يعين ذا الحاجة الملهوف» قيل: أرأيت إن لم يستطع؟ قال ﷺ: «يأمر بالمعروف أو الخير» قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يمسك عن الشر؛ فإنها صدقة»^(١).

❁ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والجلوس بالطرقات» قالوا: يا رسول الله، ما بُد لنا من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: «إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه». قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال: «غُضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإرشاد السبيل، وتُغِيثُوا الملهوف، وتُهدُّوا الضال»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه البخارى (١٤٤٥) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٢٤٢).

دافع عن أصحاب النبي ﷺ فشفع له النبي ﷺ

❁ قال حمدة الخشاب المصري:

كنت كثير التخليط في شببتي، مرتكبًا للمعاصي، وكنت مخالطًا لغلام حَدَثٍ على ريبة، فوجدت عليه يومًا موجدة شديدة لرؤيتي له مع غيري. فلما خلوت معه حملني الغيظ عليه أن قتلته وقطعت أعضاءه وجعلته في مكمل، ورميت به في النيل.

وكان أبواه قد عرفا صحبته إياي، وكانا لا يمنعانني مخافة عليه مني، فلما فقدها سألاني عنه، فقلت لهما: مالي به علم، فقالا: نخشى أنك قتلته، فقال لهما: لم أفعل ولقد ذهب مع غيري، وأنا أجتهد في طلبه حيث أطمع به.

ثم خرجت، فإذا بنفسي لا أستقر في بلد حتى أتيت دمشق. فبينما أنا ليلة من الليالي ساهر، إذ سمعت ضربًا شديدًا بجانب بيتي حتى قلقت من سماعه، فلما أصبحت نقبت الجدار الذي بيني وبين البيت حتى فتحت فيه مقدار ما أبصر بعيني الواحدة.

فلما جنَّ الليل، وهدأت الأصوات سمعت الحركة والكلام، فتأملت، فإذا شيخ يقول: هاتوا أبا بكر. فقدمت بين يديه صورة رجل فخطبها فقال: يا أبا بكر، فعلت كذا وصنعت كذا، ثم أمر بضرب الصورة حتى عددت مئتي جلدة، ثم قال: ارفعوا عنه. هاتوا عمر، فأُتِيَ بصورة أخرى، فضربت مثل ذلك، ثم قال:

ارفعوا عنه، هاتوا عثمان، فأُتِيَ بصورة أخرى، فضربت مثل ذلك، ثم قال: ارفعوا عنه. هاتوا عليًا، فأُتِيَ بصورة أخرى فقال: يا علي من اضطرك



أن تصعد منبر الكوفة في جمع الناس، فتقول: ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، ولو شئت لسمّيت الثالث؟ ما الذي أردت بهذا؟ ما حملك على هذا؟ ثم أمر بضربها، فضرب أربعمئة جلدة، ضاعف عليه الضرب ثم قال: ارفعوا عنه الضرب.

قال: فقلت في نفسي: حمديّة، أليس قد قتلت غلامًا لا ذنب له، وعصيت الله إلى وقتك هذا؟ فلئن يُسرّ لك قتل هذا الشيخ ليتوبن الله عليك من كل ما اكتسبت يداك ثم ترجع إلى أبوى الغلام، فتعطيهم القود^(١) من نفسك.

فأصبحت ولم يكن أول عملي إلا شحذ سكينى حتى رضيت، فلما أمسيت إلى قريب من وقت الشيخ في الليل خرجت حتى وقفت على باب الشيخ، فقرعت عليه بابه فقال: من هذا؟ فقلت: أنا جارك في هذا البيت الذى يليك، فلما فتح الباب، قلت له: أنا رجل غريب، وجئت وقتًا فائتًا بغير عدة، وقد أدركنى عطش شديد فاسقنى، فقال: نعم.

فلما ولى ليأتينى بالماء، اقتحمت عليه الباب فضربته بين كتفيه بالخنجر أنفذته بها، ثم صرعته فذبحته، وخرجت ساعتى تلك من البيت. فلما أصبحت عزمت على الرجوع إلى مصر لألقى أبوى الغلام، فأقرّ لهما، فيفعلا بى ما أحبّا.

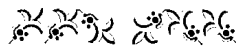
فلما بلغت الشام، ركبت البحر، فنزلت بساحل تنيس، فإذا أنا بأبوى الغلام، فسلمت عليهما، فردّا علىّ السّلام، وسألانى عن حالى، فقلت لهما: إنى قتلت ابنكما، فاذهبا بى إلى بدر وإلى تنيس، يأخذ لكما منى القود.

فقالا: اذهب معنا إلى البيت، فذهبت فوضعا بين يدي طعامًا.

فأكلت وأكلا معي، وأظهرنا إلى الترحيب والإكرام؛ فعجبت لذلك.

فقالا لى: بأى عمل نلت عناية سيدنا رسول الله ﷺ بك وشفاعته عندنا فيك؟ قلت: فكيف ذلك؟ فقال أبو الغلام: إني لنائم ذات ليلة وهى الليلة التى قتلت فيها الشيخ رأيت النبى ﷺ فقال لى: أحب أن تهب لى دم ابنك الذى قتله حمدية، قلت: قد فعلت يا رسول الله، فأيقظتنى هذه يعنى زوجته وأخبرتني أنها رأت رسول الله ﷺ فى النوم، فسألها فيما سألنى، ففعلت فعلى، وخرجنا نلتمسك، وقد وهبنا دم ابننا لك، فاذهب حيث شئت لا سبيل عليك.

قال: فلزم حمدية بعد ذلك الغزو والجهاد، لم يفارقه، ولم يأو تحت سقف بيت حتى لقي الله ﷻ رحمه الله.





فى حبسك رجلان مظلومان

عن أبي مُحَمَّد عَبْدَ اللَّهِ بن أَحْمَدَ بن حمدان قَالَ:

انصرف جلساء المعتمد على الله ليلة عنه وانصرفت إلى حجرة مرسومة في الدار اختص بها، فلما انتصف الليل وأنا نائم إذا أنا بالخدم يدقون باب حجرتي ويوقظونني بشدة، فانزعجت فقالوا: أجب أمير المؤمنين. فأجبت وأنا مذعور، وقلت: إنا لله ... بلاء تجدد، فلما صرت بحضرته قائماً لم يستجلسني وَقَالَ: يا غلام صاحب الشرطة الساعة فقلت فرغاً. فحضر فقال له: في حبسك رجل يقال له فلان بن فلان الجمال. فقال له: نعم. قَالَ: أحضره. فحضر. فقال له المعتمد: بأي شيء تُعرف؟ قَالَ: أنا فلان بن فلان الجمال. قَالَ: منذ كم حُبست؟ قَالَ: منذ كذا وكذا. قَالَ: في أي شيء؟ قَالَ: مظلوم. قَالَ: فاشرح لي قصتك. قَالَ: أنا رجل من أهل الجبل، وكان يتقلدنا فلان بن فلان إلى الأمير فاستدعى إلى الحضرة يُسخر جِمالِي، فتظلمت إليه فلم ينفع، فخرجت أمشي وراء الجمال إلى أن قربنا من حلوان، فسُلَّ الأكراد منها جملاً محملاً، فضربنى مقارع كثيرة وقيدنى، فقلت: ما ذنبى؟ قَالَ: أنت سرقت جملك وأخذت ما كان عليه. فقلت: غلمانك يعلمون أن الأكراد سلَّوه فقال الأكراد ما جاءوا إلا بمواطأتك ثم أمر بي فحُمِلت على بَعْض الجمال مقيداً، فلما وردت هذا البلد طرحني في الحبس ومَلَكَ الجِمال، ... فقال: امضي الساعة إلى الأمير فلان واقعد على دماغه، ولا تبرح أو يرد جِمال هذا عليه أو قيمتها على ما يقوله الجِمال، وادفع ذلك إليه وَقَالَ للخدام ادفع إلى هذا الجِمال كذا وكذا دينار أو كسوة، وأدخله الحمام، وأطعمه واسقه، ثم قَالَ لصاحب الشرطة: لا

تعرض له. ثم قَالَ له: في حبسك فلان بن فلان الحداد؟ قَالَ: نعم. قَالَ: هاته. فأحضره، فقال: ما قصتك؟ قَالَ: أنا رجل حُبِسْتُ ظلمًا منذ كذا وكذا سنة. قَالَ: وما كان سبب حبسك؟ فقَصَّ قصة طويلة. فقال لصاحب الشرطة: خَلِّ عنه، وَقَالَ للخادم: خذه فغيِّر من حاله وأطعمه واسقه، وأدخله الحمام واكسه، وادفع كذا وكذا دينارًا. وَقَالَ للشرطي: انصرف، ثم رفع رأسه وَقَالَ: الحمد لله الذي وفقني لهذا الفعل يا ابن حمدان. فقلت: كيف تكلف أمير المؤمنين النظر في هذا الأمر بنفسه في مثل هذا الوقت، وانزعج من نومه؟

فقال: ويحك جاءني رجل الساعة في النوم صفته كيت وكيت، فقال: في حبسك رجلان مظلومان يَقَالُ لأحدهما فلان بن فلان الجمال، والآخر فلان بن فلان الحداد، فأطلقهما وأنصفهما من خصومهما، وأحسن إليهما. فانتبهت مذعورًا، ولعنت إبليس، وصليت على رسول الله ﷺ، وتحولت إلى الجانب الآخر وقمت فرأيت الشخص بعينه، فقال لي: ويلك، أمرك أن تطلق رجلين محبوسين مظلومين من حبسك قد طال حبسهما، وأن تنصفهما من خصومهما ولا تفعل، وترجع إلى نومك؟ لقد هممت أن أفعل بك. قَالَ: وكاد يمد يده إليَّ. فقلت: يا هذا، ارفق بي وقل لي من أنت. قَالَ: أنا مُحَمَّد رسول الله قَالَ: فكأنني قد قَبَلْتُ يده، وقلت: يا رسول الله، ما عرفتكَ. ولو كنت عرفتكَ ما تجاسرت على مخالفتكَ. قَالَ:

فقم فعجِّل في أمرهما الساعة كما أمرتك. فانتبهت فاستدعيتك لتشاهد ما يجري، وطلبت صاحب الشرطة، فجرى ما رأيت. فدعوت له فعظمت



في نفسي ما جرى، وقلت: هذه عناية من رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين،
ومنة من الله عليه، فليشكر الله.

فقال: امض فقد أزعجتك. فمضيت إلى حجرتي^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) انظر المنتظم (١٢/ ١٠٥-١٠٨) حوادث سنة ٢٥٦ هـ.

حسن الظن بالله أنجاه

❁ حكى مُحَمَّد بن الحسن بن المظفر، قَالَ: حضرت العرض في مجلس الجانب الشرقي ببغداد، أيام نازوك، فأخرج خليفة نازوك على المجلس جماعة، فقتل بعضهم.

ثم أخرج غلاما حدث السن، مليح المنظر، فرأيته لما وقف بين يدي خليفة نازوك، تبسم.

فقلت: يَا هَذَا، أحسبك رابط الجأش، لِأَنِّي أَرَاكَ تضحك في مقام يُوجب البكاء، فَهَلْ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ تَشْتَهِيهِ؟ فَقَالَ: نعم، أُرِيدُ رَأْسًا حَارًّا ورقاقًا.

فَسَأَلْتُ صَاحِبَ الْمَجْلِسِ أَنْ يُؤَخِّرَ قَتْلَهُ إِلَى أَنْ أُطْعِمَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ أزلُ الْطِفَ بِهِ، إِلَى أَنْ أَجَابَ، وَهُوَ يَضْحَكُ مِنِّي، وَيَقُولُ: أَيُّ شَيْءٍ يَنْفَعُ هَذَا، وَهُوَ يَقْتُلُ؟ قَالَ: وَأَنْفَذْتُ مِنْ أَحْضَرِ الْجَمِيعِ بِسُرْعَةٍ، وَاسْتَدْعَيْتُ الْفَتَى، فَجَلَسَ يَأْكُلُ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ بِالْحَالِ، وَالسِّيفَ قَائِمًا، وَالْقَوْمَ يَقْدُمُونَ، فَتَضَرَّبَ أَعْنَاقَهُمْ.

فَقُلْتُ: يَا فَتَى، أَرَاكَ تَأْكُلُ بِسُكُونٍ، وَقِلَّةِ فِكْرٍ.

فَأَخَذَ قَشَةً مِنَ الْأَرْضِ، فَرَمَى بِهَا، رَافِعًا يَدَهُ، وَقَالَ وَهُوَ يَضْحَكُ: يَا هَذَا، إِلَى أَنْ تَسْقُطَ هَذِهِ إِلَى الْأَرْضِ مِائَةً فَرَجٍ.

قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا اسْتَمْتُ كَلَامَهُ، حَتَّى وَقَعَتْ صَيْحَةً عَظِيمَةً، وَقِيلَ: قَدْ قُتِلَ نَازُوكُ.

وَأَغَارَتِ الْعَامَّةُ عَلَى الْمَوْضِعِ، فَوَثَبُوا بِصَاحِبِ الْمَجْلِسِ، وَكَسَرُوا بَابَ

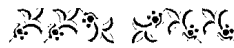


الْحَبْسِ، وَخَرَجَ جَمِيعٌ مِنْ كَانَ فِيهِ.

فَاشْتَغَلْتُ أَنَا عَنْ الْفَتَى، وَجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، بِنَفْسِي، حَتَّى رَكَبْتُ دَابَّتِي
مَهْرُوْلًا، وَصَرْتُ إِلَى الْجَسْرِ، أُرِيدُ مَنْزِلِي.

فَوَاللَّهِ، مَا تَوَسَّطْتُ الطَّرِيقَ، حَتَّى أَحْسَسْتُ بِإِنْسَانٍ قَدْ قَبِضَ عَلَى
إِصْبَعِي بِرَفْقٍ، وَقَالَ: يَا هَذَا، ظَنَّنَا بِاللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، أَجْمَلَ مِنْ ظَنِّكَ، فَكَيْفَ
رَأَيْتَ لَطِيفَ صَنْعِهِ.

فَالْتَفَتْتُ، فَإِذَا الْفَتَى بِعَيْنِهِ، فَهَنَأَتْهُ بِالسَّلَامَةِ، فَأَخَذَ يَشْكُرُنِي عَلَى مَا فَعَلْتَهُ،
وَحَالَ النَّاسُ وَالزَّحَامُ بَيْنَنَا، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهِ ^(١).



(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٣٦٢-٣٦٣).

أصلح بين متخاصمين بدرهم
فوهب الله له درة بمائة وعشرين ألفاً

عن الفضيل بن عياض، قال: حدثني رجل: أن رجلاً خرج بغزْلٍ، فباعه بدرهم؛ ليشتري به دَقِيقًا، فمرَّ على رجلين، كل واحد منهما أخذ برأس صاحبه.

فقال: ما هذا؟ فقليل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم، وليس له شيء غيره.

فأتى إلى امرأته، فأخبرها بما جرى له، فجمعت له أشياء من البيت، فذهب لبيعها، فكسدت عليه، فمرَّ على رجل ومعه سمكة قد أروحت. فقال له: إن معك شيئاً قد كسد، ومعي شيء قد كسد، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه.

وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت، وقال لزوجته: قومي فأصلحي أمر هذه السمكة، فقد هلكنا من الجوع.

فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكة، فإذا هي بلؤلؤة، قد خرجت من جوفها.

فقالت المرأة: يا سيدي، قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج، وهو يقارب بيض الحمام.

فقال: أريني، فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله، فطار عقله، وحر قلبه.

فقال لزوجته: هذه أظنها لؤلؤة.

فَقَالَتْ: أتعرف قدر اللؤلؤة؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنِّي أعرف من يعرف ذَلِكَ،
ثُمَّ أَخَذَهَا، وَأَنْطَلَقَ بِهَا إِلَى أَصْحَابِ اللُّؤْلُؤِ؛ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ جَوْهَرِي، فَسَلَّمَ
عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ يَتَحَدَّثُ، وَأَخْرَجَ تِلْكَ الْبَيْضَةَ.

وَقَالَ: انْظُرْ كَمْ قِيَمَةٌ هَذِهِ؟ قَالَ: فَظَرَّ زَمَانًا طَوِيلًا، ثُمَّ قَالَ: لَكَ بِهَا عَلَى
أَرْبَعُونَ أَلْفًا، فَإِنْ شِئْتَ أَقْبَضْتُكَ الْمَالَ السَّاعَةَ، وَإِنْ طَلَبْتَ الزِّيَادَةَ؛ فَاذْهَبْ
بِهَا إِلَى فُلَانٍ، فَإِنَّهُ أَثْمَنُ بِهَا لَكَ مِنِّي.

فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ، فَظَرَّ إِلَيْهَا وَاسْتَحْسَنَهَا، وَقَالَ: لَكَ بِهَا عَلَى ثَمَانُونَ أَلْفًا،
وَإِنْ شِئْتَ الزِّيَادَةَ؛ فَاذْهَبْ بِهَا إِلَى فُلَانٍ، فَإِنِّي أَرَاهُ أَثْمَنُ بِهَا لَكَ مِنِّي.

فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَكَ بِهَا عَلَى مِائَةِ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، وَلَا أَرَى أَحَدًا
يَزِيدُكَ فَوْقَ ذَلِكَ شَيْئًا.

فَقَالَ: نَعَمْ، فَوُزِنَ لَهُ الْمَالَ، فَحَمَلَ الرَّجُلُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
بَدْرَةً، فِي كُلِّ بَدْرَةٍ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ؛ لِيَضَعَهَا فِيهِ،
فَإِذَا فَقِيرٌ وَقَافٍ بِالْبَابِ، يَسْأَلُ.

فَقَالَ: هَذِهِ قِصَّتِي الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا، ادْخُلْ، فَدَخَلَ الرَّجُلُ.

فَقَالَ: خُذْ نِصْفَ هَذَا الْمَالَ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ الْفَقِيرُ، سِتَّةَ بَدَرٍ، فَحَمَلَهَا، ثُمَّ
تَبَاعَدَ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ.

وَقَالَ: مَا أَنَا بِمَسْكِينٍ، وَلَا فَقِيرٍ، وَإِنَّمَا أُرْسَلُنِي إِلَيْكَ رَبِّكَ ﷺ، الَّذِي
أَعْطَاكَ بِالْدَّرْهَمِ عَشْرِينَ قِيرَاطًا، فَهَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ، قِيرَاطٌ مِنْهُ، وَذَخِرَ لَكَ
تِسْعَةُ عَشْرِ قِيرَاطًا^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَوْمَ الْوُشَاحِ مِنْ تَعَاجِيبِ رَبِّنَا

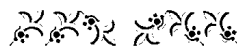
❖ روي أن أعرابية كانت تخدم نساء النبي ﷺ، وكانت كثيرًا ما تتمثل: وَيَوْمَ الْوُشَاحِ^(١) من تعاجيب ربنا إِلَّا أَنَّهُ مِنْ ظِلْمَةِ الْكُفْرِ نَجَّانِي فَقِيلَ لَهَا: إِنَّكَ تُكْثِرِينَ مِنَ التَّمَثُّلِ بِهَذَا الْبَيْتِ، وَإِنَّا نَظْنُهُ لِأَمْرٍ، فَمَا هُوَ؟ قَالَتْ: أَجَلٌ، كُنْتُ عَسِيفَةً^(٢) عَلَى قَوْمٍ بِالْبَادِيَةِ.

فَوَضَعْتُ جَارِيَةً مِنْهُمْ وَشَاحًا، فَمَرَّتْ عِقَابَ (طَائِرٍ)، فَاخْتَطَفَتْهُ وَنَحْنُ لَا نَدْرِي، فَفَقَدْنَاهُ، وَقُلْنَا أَيْنَ هُوَ؟ أَنْتِ صَاحِبَتُهُ، فَحَلَفْتَ، وَاعْتَذَرْتَ، فَأَبَيْنَ قَبُولَ قَوْلِي وَعُذْرِي، وَاسْتَعْدِينَ بِالرَّجَالِ، فَجَاءُوا فَفَتَشُونِي، فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: احْتَمَلْتَهُ فِي فَرْجِهَا.

فَأَرَادُوا أَنْ يَفْتَشُوا فَرْجِي، فَمَا ظَنُّكُمْ بِأَمْرَأَةٍ تَخَافُ ذَلِكَ.

فَلَمَّا خَفْتُ الشَّرَّ، رَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَقُلْتُ: يَا رَبِّاهُ، أَغْنِنِي، فَمَرَّتْ الْعِقَابُ فَطَرَحَتْهُ بَيْنَنَا، فَندموا، وقالوا: ظلمنا المسكينة، وجعلوا يَعتذرونَ إِلَيَّ، فَمَا وَقَعْتُ فِي كَرْبَةٍ إِلَّا ذَكَرْتَ ذَلِكَ، وَهُوَ يَوْمُ الْوُشَاحِ، فَرجوت الفرج^(٣).



(١) نسيج عرض يرصع بالجواهر.

(٢) العسيف: الأجير.

(٣) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٨٧-٨٨).



النبي ﷺ يلومه في المنام... فيعود إلى بذل الخير

عن أبي القاسم بن أماجور المنجم، قال: كنت إذا حججت، دخلت على طاهر بن يحيى العلوي، فرأيت عنده خراسانيًا، كان يحج في كل سنة، فإذا دخل المدينة، جاء إلى طاهر بن يحيى فأعطاه مائتي دينار، فكانت كالجراية له منه.

فلما كان في بعض السنين، جاء يريد داره؛ ليعطيه المائتي دينار، فاعترضه رجل من أهل المدينة، فشنع بطاهر عنده، وقال له: تضع دنائرك التي تدفعها إلى طاهر، وهو يأخذها منك ومن غيرك، فيصرفها فيما يكرهه الله تعالى، ويفعل ويصنع،... وتكلم فيه بقبيح.

قال الخراساني: فأنصرفت عنه، وتصدقت بالدنانير، وخرجت من المدينة، ولم ألق طاهرًا.

فلما كان في العام الثاني دخلت المدينة، فتصدقت بالمال، وطويت طاهرًا.

فلما كان في العام الثالث تأهبت للحج، فرأيت النبي ﷺ في منامي، يقول لي: ويحك قبلت في ابني طاهر قول أعدائه، وقطعت عنه ما كنت تبره به؟ لا تفعل، فاقصده، وأعطه ما فاتته، ولا تقطعه عنه ما استطعت.

فانتبهت فرعًا، ونويت ذلك، وأخذت صرة فيها ست مائة دينار، وحملتها معي، فلما صرت بالمدينة بدأت بدار طاهر، فدخلت عليه وجلست، ومجلسه حفل.

فحين رأيته، قال: يا فلان، لو لم يبعث بك إلينا ما جئتنا.

فقلت: كلمة وافقت أمراً، ليس إلا أن أتغافل، فقلت: ما معنى هذا الكلام أصلحك الله؟ فقال: قلت في قول عدو الله، وعدو رسوله، وقطعت عادتك عني، حتى لامك رسول الله ﷺ في منامك وأمرك أن تعطيني الست مائة دينار، هاتبها، ومد يده إليّ.

فتداخلى من الدهش ما ذهلت معه، فقلت: أصلحك الله، هكذا والله كانت القضية، فمن أعلمك بذلك؟ فقال لى: بلغنى خبر دخولك المدينة في السنة الأولى، فلما رحل الحاج ولم تأتنى أثر ذلك في حالى، وسألت عن القصة، فعرفت أن بعض أعدائنا لقيك، فشنع بى عندك، فالمنى ذلك. فلما كان في الحول الثانى، بلغنى دخولك وخروجك، وأنت قد عملت على قوله في فازددت غماً لذلك.

فلما كان منذ شهر، ازدادت إضاقتى، وامتنع منى النوم غماً لما دفعت إليه، ففرغت إلى الصلاة، فصليت ما شاء الله، وأقبلت أَدْعُو بالفرج، فحملتنى عينى فى المحراب، فمنت، فرأيت النبى ﷺ فى منامى، وهو يقول لى: لا تهتم، فقد لقيت فلاناً الخراسانى، وعاتبته على قبوله فيك قول أعدائك، وأمرته أن يحمل إليك ما فاتك، ولا يقطع عنك بعدها ذلك، ويبرك ما استطاع، وانتبهت، فحمدت الله وشكرته، فلما رأيتك علمت أن المنام جاء بك.

قال: فأخرجت الصرة التى فيها ست مائة دينار، فدفعتها إليه، وقبلت يده، وسألته أن يحلنى من قبول قول ذلك الرجل فيه^(١)

اللهم اجعل لى فى ساعتى هذه فرجاً ومخرجاً

❖ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّائِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدِ الْبُقَّال، قَالَ: كُنْتُ مَحْبُوسًا فِي دِيْمَاسٍ ^(١) الْحَجَّاجِ، وَمَعَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، فَبَاتَ فِي السَّجْنِ، فَأَتَى رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فِي أَيِّ شَيْءٍ حُبِسْتَ؟ فَقَالَ: جَاءَ الْعَرِيفُ، فَتَبَرَأَ مِنِّي، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا كَثِيرُ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، وَأَخَافُ أَنَّهُ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ.

فَإِنَّا لَنَتَحَدَّثُ مَعَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، وَمَعَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ السَّجْنِ، فَقُلْنَا: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا قِصَّتُكَ، وَأَمْرُكَ؟

فَقَالَ: لَا أَدْرِي، وَلَكِنِّي أَخَذْتُ فِي رَأْيِ الْخَوَارِجِ، وَوَاللَّهِ، إِنَّهُ لَرَأَى مَا رَأَيْتَهُ قَطُّ، وَلَا أَحِبَّتَهُ، وَلَا أَحْبَبْتُ أَهْلَهُ، يَا هَؤُلَاءِ، ادْعُوا لِي بِوَضُوءٍ، فَدَعُونَا لَهُ بِهِ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ، أَنِّي كُنْتُ عَلَى إِسَاءَتِي وَظُلْمِي، وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي، لَمْ أَجْعَلْ لَكَ وَلَدًا، وَلَا شَرِيكًا، وَلَا نَدًّا، وَلَا كُفُوءًا، فَإِنْ تَعَذَّبَ فَعَدَلْ، وَإِنْ تَعَفُّ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ لَا تَغْلُطُهُ الْمَسَائِلُ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَيَا مَنْ لَا يَبْرِمُهُ الْحَاحُ الْمُلْحِنُ، أَنْ تَجْعَلَ لِي فِي سَاعَتِي هَذِهِ، فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنَا فِيهِ، مِنْ حَيْثُ أَرْجُو، وَمِنْ حَيْثُ لَا أَرْجُو، وَخَذْ لِي بِقَلْبِ عَبْدِكَ الْحَجَّاجِ، وَسَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ، حَتَّى تُخْرِجَنِي فِي سَاعَتِي هَذِهِ، فَإِنْ قَلْبَهُ، وَنَاصِيَتَهُ بِيَدِكَ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ.

قَالَ: وَأَكْثَرُ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا انْقَطَعَ دَعَاؤُهُ، حَتَّى ضُرِبَ بَابُ

(١) أصل الديماس: الحمام، والمراد، حفرة عميقة تحت الأرض لا ينفذ إليها الضوء.

السَّجْنُ وَقِيلَ أَيْنَ فَلَان؟ فَقَامَ صَاحِبُنَا، فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ، إِنْ تَكُنَ الْعَافِيَةُ،
فَوَاللَّهِ، لَا أَدْعِي الدُّعَاءَ لَكُمْ، وَإِنْ تَكُنَ الْأُخْرَى، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فِي
مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ.

قَالَ: فَبَلَّغْنَا مِنَ الْغَدِّ، أَنَّهُ خُلِّيَ سَبِيلُهُ (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ

❁ قَالَ أَبُو عمرو الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُرَابِطًا وَكَانَ رِبَاطُنَا يَوْمَئِذٍ عَرِيشَ مِصْرَ، قَالَ:

فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى السَّاحِلِ فَإِذَا أَنَا بِبُطِيحَةٍ وَفِي الْبُطِيحَةِ خِيمةٌ فِيهَا رَجُلٌ قَدْ ذَهَبَ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَثَقُلَ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَمَا لَهُ مِنْ جَارِحَةٍ تَنْفَعُهُ إِلَّا لِسَانُهُ وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَحْمَدَكَ حَمْدًا أَكْفَى بِهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ وَفَضَّلْتَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْتَ تَفْضِيلًا.

قَالَ الأَوْزَاعِيُّ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: قُلْتُ: وَاللَّهِ، لَا تَيْنَ هَذَا الرَّجُلَ، وَلَا سَأَلَنَّهُ أَنِّي لَهُ هَذَا الْكَلَامُ: فَهَمْ أَمْ عَلِمَ أَمْ إِلْهَامٌ أُلْهِمَ بِهِ؟

فَأَتَيْتُ الرَّجُلَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ تَقُولُ:

«اللَّهُمَّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَحْمَدَكَ حَمْدًا أَكْفَى بِهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ وَفَضَّلْتَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْتَ تَفْضِيلًا».

فَأَيُّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكَ تَحْمَدُهُ عَلَيْهَا وَأَيُّ فَضِيلَةٍ تَفْضُلُ بِهَا عَلَيْكَ تَشْكُرُهُ عَلَيْهَا؟!

قَالَ: وَمَا تَرَى مَا صَنَعَ رَبِّي!!

وَاللَّهِ لَوْ أَرْسَلَ السَّمَاءَ عَلَى نَارًا فَأَخْرَقَتْنِي وَأَمَرَ الْجِبَالَ فَدَمَّرَتْنِي وَأَمَرَ الْبَحَارَ فَغَرَّقَتْنِي وَأَمَرَ الْأَرْضَ فَبَلَعَتْنِي مَا أزدَدْتُ لِرَبِّي إِلَّا شُكْرًا لِمَا أَنْعَمَ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي هَذَا وَلَكِنْ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِذْ أَتَيْتَنِي لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ قَدْ تَرَانِي عَلَى

أَيَّ حَالَةٍ أَنَا لَسْتُ أَقْدِرُ لِنَفْسِي عَلَى ضُرٍّ وَلَا نَفْعٍ وَلَقَدْ كَانَ مَعِيَ ابْنٌ لِي يَتَعَاهِدُنِي فِي وَقْتِ صَلَاتِي فَيُوضِيئُنِي، وَإِذَا جُعْتُ أَطْعَمَنِي، وَإِذَا عَطِشْتُ سَقَانِي، وَلَقَدْ فَقَدْتُهُ مُنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَتَحَسَّسْتُ لِي رَحِمَكَ اللَّهُ، فَقُلْتُ:

وَاللَّهِ مَا مَشَى خَلْقٌ فِي حَاجَةٍ خَلَقَ كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرًا مِمَّنْ يَمْشِي فِي حَاجَةٍ مِثْلِكَ، فَمَضَيْتُ فِي طَلَبِ الْغُلَامِ فَمَا مَضَيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ حَتَّى صِرْتُ بَيْنَ كُثْبَانٍ مِنَ الرَّمْلِ، فَإِذَا أَنَا بِالْغُلَامِ قَدْ افْتَرَسَهُ سَبْعٌ وَأَكَلَ لَحْمَهُ، فَاسْتَرَجَعْتُ وَقُلْتُ: أَنَّى لِي وَجْهٌ رَقِيقٌ آتَى بِهِ الرَّجُلُ؟ فَبَيْنَمَا أَنَا مُقْبِلٌ نَحْوَهُ إِذْ خَطَرَ عَلَى قَلْبِي ذِكْرُ أَيُّوبَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقَالَ: أَلَسْتُ بِصَاحِبِي؟ قُلْتُ: بَلَى!

قَالَ: مَا فَعَلْتَ فِي حَاجَتِي؟ فَقُلْتُ: أَنْتَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ أَمَّ أَيُّوبَ النَّبِيِّ؟ قَالَ: بَلْ أَيُّوبُ النَّبِيِّ.

قُلْتُ: هَلْ عَلِمْتَ مَا صَنَعَ بِهِ رَبُّهُ؟ أَلَيْسَ قَدْ ابْتَلَاهُ بِمَالِهِ وَآلِهِ، وَوَلَدِهِ؟! قَالَ: بَلَى. قُلْتُ: فَكَيْفَ وَجَدَهُ؟

قَالَ: وَجَدَهُ صَابِرًا، شَاكِرًا، حَامِدًا.

قُلْتُ: لَمْ يَرْضَ مِنْهُ ذَلِكَ حَتَّى أَوْحَشَ مِنْ أَقْرِبَائِهِ وَأَحْبَابِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَكَيْفَ وَجَدَهُ رَبُّهُ؟ قَالَ: وَجَدَهُ صَابِرًا، شَاكِرًا، حَامِدًا.

قُلْتُ: فَلَمْ يَرْضَ مِنْهُ بِذَلِكَ حَتَّى صَيَّرَهُ عَرَضًا لِمَارِّ الطَّرِيقِ، هَلْ عَلِمْتَ؟

قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: فَكَيْفَ وَجَدَهُ رَبُّهُ؟ قَالَ: صَابِرًا، شَاكِرًا، حَامِدًا، أَوْجَزُ رَحِمَكَ اللَّهُ.

قُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي أُرْسَلْتَنِي فِي طَلَبِهِ وَجَدْتُهُ بَيْنَ كُثْبَانِ الرَّمْلِ، وَقَدْ افْتَرَسَهُ سَبْعٌ فَأَكَلَ لَحْمَهُ فَأَعْظَمَ اللَّهُ لَكَ الْأَجْرَ، وَالْهَمَّكَ الصَّبْرَ.

فَقَالَ الْمُبْتَلَى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ مِنْ ذُرِّيَّتِي خَلْقًا يَعَصِيهِ فَيَعَذِّبُهُ
بِالنَّارِ» فَاسْتَرْجَعَ وَشَهَقَ شَهَقَةً فَمَاتَ.

فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عَظُمْتَ مُصِيبَتِي، رَجُلٌ مِثْلُ هَذَا إِنْ
تَرَكْتُهُ أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ، وَإِنْ قَعَدْتُ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى ضَرٍّْ وَلَا نَفْعٍ، فَسَجَّيْتُه بِشَمْلَةٍ
كَانَتْ عَلَيْهِ، وَقَعَدْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ بَاكِيًا.

فَبَيْنَمَا أَنَا قَاعِدٌ إِذْ تَهَجَّمَ عَلَى أَرْبَعَةِ رِجَالٍ قَالُوا: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا حَالُكَ؟
وَمَا قَصَّتْكَ؟

فَقَصَصْتُ عَلَيْهِمْ قِصَّتِي، وَقِصَّتَهُ، فَقَالُوا إِلَى:

اكْشِفْ لَنَا عَنْ وَجْهِهِ فَعَسَى أَنْ نَعْرِفَهُ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِهِ، فَانْكَبَّ
الْقَوْمُ عَلَيْهِ يَقْبَلُونَ عَيْنِيهِ مَرَّةً وَيَدَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُونَ: بِأَبِي؛ عَيْنٌ طَالَ مَا
غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَبِأَبِي؛ وَجْسُمُهُ طَالَ مَا كُنْتَ سَاجِدًا، وَالنَّاسُ نِيَامٌ.
فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ؟

فَقَالُوا: هَذَا أَبُو قِلَابَةَ الْجَرْمِيِّ صَاحِبِ ابْنِ عَبَّاسٍ، لَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ
لِلَّهِ وَلِلنَّبِيِّ ﷺ، فَغَسَّلْنَاهُ وَكَفَّنَاهُ بِأَثْوَابٍ كَانَتْ مَعَنَا، وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ وَدَفَّنَاهُ
فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ، وَانْصَرَفْتُ إِلَى رَبَاطِي.

فَلَمَّا أَنْ جَنَّ عَلَى اللَّيْلِ وَضَعْتُ رَأْسِي، فَرَأَيْتُهُ - فِيمَا يَرَى النَّائِمُ -
فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَتْلُو
الْوَحْيَ:

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

فَقُلْتُ: أَلَسْتُ بِصَاحِبِي؟ قَالَ: بَلَى.

قُلْتُ: أَنَّى لَكَ هَذَا؟

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ دَرَجَاتٍ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ مَعَ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ^(١).

قال العلامة الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ^(٢):

أخبرني عبد المؤمن - شيخنا - أن أبا قلابة ممن ابتلى في بدنه ودينه أُريد على القضاء فهرب إلى الشام، فمات بعريش مصر سنة أربع ومائة وقد ذهب يداه، ورجلاه، وبصره، وهو مع ذلك حامد شاكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخرجه ابن حبان (٥/٣-٥) في الثقات.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٧٤).



﴿ قد فرج الله عنك فقومي ﴾

❁ عن أبي مُحَمَّد يحيى بن مُحَمَّد بن سُليمان بن فهد الأزدي، قال: كَانَ فِي شَارِع دَار الرَّقِيق، جَارِيَةٌ عَلَوِيَّة، أَقَامَتْ زَمَنَةً خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ أَبِي فِي جَوَارِهَا، أَيَّامَ نَزُولِنَا بِدَرْبِ الْمَعُوجِ مِنْ هَذَا الشَّارِعِ، فِي دَارِ شَفِيعِ الْمُقْتَدِرِ، الَّتِي كَانَ اشْتَرَاهَا، يَتَفَقَّدُهَا، وَيَبْرَهَا، وَكَانَتْ مُسْجَاةً، لَا يُمْكِنُهَا أَنْ تُقْلَبَ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ، أَوْ تُقْلَبَ، وَلَا تُقْعَدَ، أَوْ تُقْعَدَ، وَكَانَ لَهَا مِنْ يَخْدُمِهَا فِي ذَلِكَ، وَفِي الْإِنْجَاءِ، وَالْأَكْلِ، لِقُصُورِ أَطْرَافِهَا، وَأَعْضَائِهَا، وَكَانَتْ فَقِيرَةً، إِنَّمَا قُوتُهَا وَقُوتُ خَادِمَتِهَا مِنْ بَرِ النَّاسِ.

فَلَمَّا مَاتَ أَبِي اخْتَلَّ أَمْرُهَا، وَبَلَغَ (تَجَنَّى)، أُمٌ وَلَدَ الْوَزِيرِ الْمَهْلَبِي خَبَرَهَا، فَكَانَتْ تَقُومُ بِأَمْرِهَا، وَأَجَرَتْ عَلَيْهَا جَرَايَةَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَكِسُوةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ.

فَبَاتَتْ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عَلَى حَالِهَا، وَأَصْبَحَتْ مِنَ الْغَدِ، وَقَدْ بَرَأَتْ، وَمَشَتْ، وَقَامَتْ، وَقَعَدَتْ.

وَكَنتُ مُجَاوِرًا لَهَا، وَكَنتُ أَرَى النَّاسَ يَأْتُونَ بَابَ دَارِهَا، فَأَنْفَذْتُ امْرَأَةً مِنْ دَارِي، ثِقَةً، حَتَّى شَاهَدَتْهَا، وَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: إِنِّي ضَجَرْتُ بِنَفْسِي ضَجْرًا شَدِيدًا، فَدَعَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى بِالْفَرْجِ مِمَّا أَنَا فِيهِ، أَوِ الْمَوْتَ، وَبَكَيْتُ بِكَاءٍ شَدِيدًا مُتَّصِلًا، وَبِئْتُ وَأَنَا مُتَأَلِّمَةٌ، قَلْقَةً، ضَجْرَةً، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ، أَنَّ الْجَارِيَةَ الَّتِي كَانَتْ تَخْدُمُنِي تَضَجَرْتُ بِي، وَخَاطَبَتْنِي بِمَا ضَاقَ صَدْرِي مَعَهُ.

فَلَمَّا اسْتَقَلْتُ فِي نَوْمِي رَأَيْتُ كَأَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَيَّ، فَارْتَعَتْ مِنْهُ،

وَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا، كَيْفَ تَسْتَحِلُّ أَنْ تَرَانِي؟ فَقَالَ: أَنَا أَبُوكَ، فَظَنَنْتُهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ ذَا تَرَى مَا أَنَا فِيهِ.

فَقَالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَبَكَيْتُ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ لِي بِالْفَرَجِ وَالْعَافِيَةِ.

فَحَرَكَ شَفَتَيْهِ بِشَيْءٍ لَا أَفْهَمُهُ، ثُمَّ قَالَ: هَاتِي يَدِيكَ، فَأَعْطَيْتُهُ يَدِي، وَأَخَذَهُمَا، وَجَذَبَنِي بِهِمَا، فَقُمْتُ.

فَقَالَ: امْشِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ.

فَقُلْتُ: كَيْفَ أَمْشِي؟ فَقَالَ: هَاتِي يَدِيكَ، فَأَخَذَهُمَا، وَمَا زَالَ يَمْشِي بِي، وَهُمَا فِي يَدَيْهِ سَاعَةٌ، ثُمَّ أَجْلَسَنِي، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

ثُمَّ قَالَ لِي: قَدْ وَهَبَ اللَّهُ لَكَ الْعَافِيَةَ، فَاحْمَدِيهِ وَاتَّقِيهِ، وَتَرَكَنِي وَمَضَى.

فَانْتَبَهْتُ، وَأَنَا لَا أَشْكُ أَنَّهُ وَقِفٌ، لِسُرْعَةِ الْمَنَامِ، فَصَحْتُ بِالْخَادِمَةِ، فَظَنْتُ أَنِّي أُرِيدُ الْبُؤْلَ، فَتَثَاقَلْتُ.

فَقُلْتُ لَهَا: وَيْحَكَ، أَسْرَجِي، فَلِإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَانْتَبَهْتُ، فَوَجَدْتَنِي مُسَجَّاةً، فَشَرَحْتُ لَهَا الْمَنَامَ.

فَقَالَتْ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ وَهَبَ لَكَ الْعَافِيَةَ، هَاتِي يَدَكَ، فَأَعْطَيْتُهَا يَدِي، فَأَجْلَسْتَنِي.

ثُمَّ قَالَتْ لِي: قَوْمِي، فَقُمْتُ مَعَهَا، وَمَشَيْتُ مَتَوَكِّئَةً عَلَيْهَا، ثُمَّ جَلَسْتُ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، الْأَخِيرَةَ فِيهِنَّ مَشَيْتُ وَحْدِي.

فَصَاحَتِ الْخَادِمَةُ سُرُورًا بِالْحَالِ، وَإِعْظَامًا لَهَا، فَقَدَّرَ الْجِيرَانُ أَنِّي قَدْ مِتُّ، فَجَاءُوا، فَقُمْتُ أَمْشِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.



قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَمَا زَالَتْ قوتها تزید، إلی أن رَأیتها قد جَاءَتْ إلی والدتی فی خُفٍّ وَإِزَارٍ، بعد أيام، وَلَا دَاءَ بَهَا، فبررناها، وَهِيَ إلی الآن بَاقِيَةٌ، وَهِيَ من أَصْلَحَ وَأَوْرَعَ أَهْلَ زَمَانِنَا، وَقَدْ تزوجت بِرَجُلٍ علوی مُوسرٍ، وصلحت حَالَهَا، وَلَا تُعَرَفُ إلی الآن، إِلَّا بالعلوية الزمنة.

فَمَضَى على هَذَا الْحَدِيثِ سَنُونَ كَثِيرَةٌ، وَجَرى بيني وَبَيْنَ الْقَاضِي أَبِي بكرٍ مُحَمَّدَ بن عبد الرَّحْمَنِ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ قَرِيعة، مذاكرة بالمنامات، فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ مَنَامٍ هَذِهِ الْعُلُويَّةُ، وقصتها، وعلتها، على مثل مَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: وَأَنَا كُنْتُ أَحْمِلُ إِلَيْهَا جَرَايَتَهَا مِنْ عِنْدِ (تَجْنِي)، جَارِيَةِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَهْلَبِيِّ، وكسوتها على طول السنين، وَسَمِعْتُ مِنْهَا هَذَا الْمَنَامَ، ورأيتها تمشي بعد ذَلِكَ صَحِيحَةً، بِلَا قَلْبَةٍ، وتجيء إلی تَجْنِي، وتَجْنِي زَوْجَتَهَا بِالْعُلُويِّ، وأعطتني مَالًا، فَقُمْتُ بتجهيزها، وأمرها، حَتَّى أَعْرَسَ بِهَا زَوْجَهَا، وَهِيَ إلی الآن من خِيَارِ النِّسَاءِ.

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ: وَحَدَّثَنِي بعد هَذَا جَمَاعَةٌ أَسْكَنَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ شَارِعِ دَارِ الرَّقِيقِ، بِخَبَرِ هَذِهِ الْعُلُويَّةِ، على قَرِيبٍ مِنْ هَذَا، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إلی حِينٍ مَعْرِفَتِي بِخَبَرِهَا فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ.

ثُمَّ كُنْتُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ عِنْدَ أَبِي الْفَتْحِ أَحْمَدَ بنِ عَلِيِّ ابْنِ هَارُونَ الْمَنْجَمِ، فَرَأَيْتُ فِي دَارِهِ بِدَرْبِ سُلَيْمَانَ مِنْ شَارِعِ دَارِ الرَّقِيقِ وَأَنَا عِنْدَهُ، امْرَأَةً عَجُوزًا، قد دخلت، فأعظمها.

فَقُلْتُ: مِنْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: الْعُلُويَّةُ الزَّمَنَةُ، صَاحِبَةُ الْمَنَامِ، وَكَانَتْ تَمْشِي بِخُفٍّ وَإِزَارًا.

فَسَأَلْتُهَا أَنْ تَجْلِسَ، فَفَعَلَتْ، واستخبرتها، فحدَّثتني، فَقَالَتْ: اعْتَلَلْتُ

من برسام، وأنا في حُدود عشرين سنة من عمري، ثم انجلى عني، وقد لحق حقوى شىء أزممني، فكنت مطروحة على الفراش سبعة وعشرين سنة، لا أقدر أن أقعد، ولا أقوم أصلاً، وأنجو في موضعي، وأغسل، وكنت مع ذلك، لا أجد المأ.

ثم بعد سنين كثيرة من علتى، رأيت النبي ﷺ، في منامي، وأنا أقول له: يا جدى، ادع الله ﷻ أن يفرج عني، فقال: ليس هذا وقتك.

ثم رأيت أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقلت له: أما ترى ما أنا فيه، فاسأل رسول الله أن يدعو لى، أو ادع لى أنت، فكانه قد دافعنى.

ثم توالى على بعد ذلك رؤيتى لهما فى النوم، فجرى بينى وبينهما قريب من هذا، ورأيت الحسن والحسين (عليهما السلام)، وكأننى أسأل كل واحد منهما الدعاء بالعافية، فلا يفعل.

فلما مضت سبع وعشرون سنة لحقنى ألم شديد، أياماً فى حقوى فقايسيت منه شدة شديدة، فأقبلت أبكى، وأدعو الله بالفرج.

فرأيت ليلة فى منامى، النبي ﷺ، فعرفته؛ لأننى كنت أراه طول تلك السنين على صورة واحدة، وكأننى أقول له: يا جدى، متى يفرج الله عني؟ فكانه أدخل يده فى طرف كمي، وجس بدنى، من أوله إلى آخره، حتى بلغ حقوى، فوضع يده عليه، وتكلم بكلام لا أفهمه، ثم ردنى على قفاى، كما كنت نائمة، وقال: قد فرج الله عنك، فقومى.

فقلت: كيف أقوم؟ فقال: هاتى يدك، فأعطيته يدى، فأقعدنى.

ثم قال: قومى على اسم الله.

فقممت، ثم خطا بى خطوات يسيرة، وقال: قد عوفيت.

فانتبهت، وأنا مستلقية على ظهري، كما كنت نائمة، إلا أنني فرحانة، فرُمت القُعود، فقَعَدت لِنَفْسِي وحدي، ودَلَّيت رجلي من السرير، فتدللتا، فرُمت القيام عليهما، فَقُمْتُ، ومشيت، فقلت للمرأة التي تخدمني: لست آمن أن يشيع خبري، فيتكاثر الناس عليّ، فيؤذوني، وأنا ضعيفة من الألم الذي لحقني، إلا أنني كنت لما انتبهت، لم أحس بشيء من الألم، ولم أجد غير ضعفٍ يسير.

فقلت: اكْتُمِي أَمْرِي يَوْمَيْنِ، إِلَى أَنْ صَلَحَتْ قوتِي فيهما، وزادت قدرتي على المَشْيِ وَالْحَرَكَةِ، وَفَشَا خبري، وَكَثَرَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَلَا أُعْرِفُ إِلَى الْآنَ، إِلَّا بِالْعُلُويَةِ الزَّمَنَةِ.

فسألتها عَنْ نَسَبِهَا، فَقَالَتْ: أَنَا فَاطِمَةُ بنت علي بن الحسن بن القَاسِمِ ابن عبد الله بن موسى بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن علي بن الحُسَيْن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لم تذكر لي غير هذا، وَلَا سَأَلْتُهَا عَنْهُ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٢٠١-٢٠٤).

الوزير ابن مقله ينكب رجلاً ثم يحسن إليه

عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ فَهْدٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْخَبَّازِ، قَالَ: كَانَ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ مَقْلَةٍ نَكَبْنِي، وَصَادَرْنِي لَشَيْءٍ كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَيَّ، فَأَفْقَرَنِي، حَتَّى لَمْ يَدَعْ لِي شَيْئًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

وَأَطْلَقَنِي مِنَ الْحَبْسِ، فَلَزِمْتُ بَيْتِي حَزِينًا، فَقِيرًا يَتَعَذَّرُ عَلَيَّ الْقُوتُ. ثُمَّ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِضْطِرَابِ فِي مَعَاشِي، فَأَشِيرُ عَلَيَّ أَنْ أُلْزِمَ ابْنَ مَقْلَةٍ وَأَسْتَعِظِفَهُ، وَقِيلَ لِي: إِنَّهُ إِذَا نَكَبَ إِنْسَانًا فَخَدَمَهُ؛ رَقَّ عَلَيْهِ. قَالَ: فَلَزِمْتُهُ مُدِيدَةً، لَا أَرَاهُ يَرْفَعُ إِلَيَّ رَأْسًا، وَلَا يَذْكُرْنِي. قَالَ: وَكَانَ يَعْرِفُنِي بِحَسَنِ الثِّيَابِ وَنِظَافَتِهَا، وَالتَّفَقُّدِ فِي أَمْرِ نَفْسِي، أَيَّامَ يَسَارِي.

وَاتَّفَقَ أَنِّي حَضَرْتُ دَارَهُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ غَدَوَةٍ، وَلَمْ أَكُنْ دَخَلْتُ الْحَمَامَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَسْبُوعٍ، وَلَا حَلَقْتُ شَعْرِي، وَلَا غَيَّرْتُ ثِيَابِي، وَأَنَا وَسَخَ الْجَسَدِ وَالثِّيَابِ، طَوِيلَ الشَّعْرِ، وَإِنَّمَا أَخَرْتُ ذَلِكَ؛ لِإِضَاقَتِي عَنْ مِقْدَارِ مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَلِشُغْلِ قَلْبِي أَيْضًا وَغَمِّي بِالْفَقْرِ الْمَدْقَعِ الَّذِي دُفِعْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَنْ نَفْسِي عَلَيَّ.

فَخَرَجَ ابْنُ مَقْلَةٍ لِيَرْكَبَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فِي جَمَلَةِ النَّاسِ، فَدَعَوْتُ لَهُ. فَحِينَ رَأَيْتِي، تَأْمَلَنِي طَوِيلًا، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَيَّ خَادِمٌ لَهُ بِكَلَامٍ لَا أَفْهَمُهُ، وَرَكِبَ.

فَجَاءَنِي الْخَادِمُ، فَقَالَ: الْوَزِيرُ يَأْمُرُكَ أَنْ لَا تَبْرَحَ مِنَ الدَّارِ، إِلَيَّ أَنْ يَعُودَ،



وأخذني إلى حجرة، فأجلسني فيها.

فَقَامَتْ قِيَامَتِي، وَخَفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْرُ أَنْ تَكُونَ لِي بِقِيَةِ حَالٍ، وَيُرِيدَ الرَّجُوعَ عَلَيَّ بِالْمَطَالِبَةِ، وَلَيْسَ وَرَائِي شَيْءٌ، فَأَتَلَفَ.

فَتَدَاخَلَنِي مِنَ الْجَزَعِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَحَصَلَتْ فِي شِدَّةٍ كَانَتْ أَشَدَّ عَلَيَّ مِمَّا مَرَّ بِي، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ عَادَ.

فَجَاءَنِي الْخَادِمُ، فَقَالَ: قُمْ إِلَى الْوَزِيرِ، فَقَدْ طَلَبَكَ.

فَجِئْتُ، حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ خَالٍ وَحْدَهُ، وَلَيْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ غَيْرُ أَبِي الْحُسَيْنِ، ابْنِهِ، فَرَحَّبَ بِي، وَأَكْرَمَنِي، وَرَأَيْتُ مِنْ بَرِّهِ مَا زَالَ عَنِّي مَعَهُ الْخَوْفُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، أَعْرَفَكَ نَظِيفَ الثُّوبِ، حَسَنَ الْقِيَامِ عَلَى نَفْسِكَ، فَلِمَ أَنْتَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ؟ قَالَ: فَفُطِنْتُ أَنَّهُ لَمَّا رَأَيْتُ عَلَى صُورَتِي تِلْكَ رَقًّا لِي.

فَقُلْتُ: أَيُّهَا الْوَزِيرُ، لَمْ يَبْقَ لِي، وَاللَّهِ، حَالٌ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَذَّرُ عَلَيَّ مَا أُغِيرَ بِهِ هَذَا الْمِقْدَارَ مِنْ أَمْرِي، وَفَتَحْتُ أَبْوَابَ الشَّكَايَةِ، إِلَى أَنْ بَكَيْتُ.

فَقَالَ: إِنَّا لِلَّهِ، إِنَّا لِلَّهِ، مَا ظَنَنْتُ أَنْ حَالَكَ بَلَغْتَ إِلَيَّ هَذَا، وَلَقَدْ أَسَانَا إِلَيْكَ.

قَالَ: ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الدَّوَاةِ، فَكَتَبَ لِي عَلَى الْجِهْبَذِ، بِأَلْفِ دِينَارٍ صَلَّةً، وَوَقَعَ تَوْقِيعًا آخَرَ، بِأَنْ أَبَايَعُ ضَيْعَةً مِنَ الْبَيْعِ بِأَلْفِي دِينَارٍ، بِحَيْثُ اخْتَارَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: خُذْ هَذِهِ الدَّنَانِيرَ فَاتَّجِرْ بِهَا، وَأَصْلَحْ مِنْهَا حَالَكَ، وَابْتَاعَ بِهَذِهِ الْأَلْفِي دِينَارٍ ضَيْعَةً مِنَ الْمَبِيعِ، تَغْلُ لَكَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي السَّنَةِ، وَاخْتَرَهَا وَشَاوَرَهَا فِيهَا، فَإِذَا وَقَعَ اخْتِيَارُكَ عَلَيْهَا؛ فَأَسْمَهَا لِي؛ لِأَكْتُبَ بِمَبَايِعَتِكَ إِيَّاهَا؛ لِتُسْتَكْفَى بِغَلَّتْهَا سَنَتُكَ، إِلَى أَنْ أَنْظُرَ لَكَ بَعْدَ هَذَا، فَأَرُدَ جَاهُكَ... فَشَكَرْتَهُ وَدَعَوْتُ لَهُ، وَنَهَضْتُ.

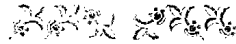
فَقَالَ: قَفْ، فَوَقَفْتُ.

فَقَالَ لِابْنِهِ أَبِي الْحُسَيْنِ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَعَاوَنَ أَبَا عَلِيٍّ حَتَّى يَحْصَلَ لَهُ هَذَا كُلُّهُ فِي أُسْبُوعٍ، وَفِي دَفْعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا يَنْمَحِقَ عَلَيْهِ.

قَالَ: فَوَعَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بِذَلِكَ، وَأَمَرَنِي بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ، فَأَنْصَرَفْتُ.

وَرُحْتُ إِلَى أَبِي الْحُسَيْنِ، فَأَعَانَنِي، فَحَصَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ لِي فِي أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، وَحَصَلْتُ لِي الضَّيْعَةُ، فَاسْتَغْلَلْتُهَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ بِأَلْفٍ دِينَارٍ.

وَلَزِمْتُ أَبَا عَلِيٍّ، فَعَوَضَنِي بِمَكَاسِبِ جَلِيلَةٍ، عَادَ إِلَيَّ مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا خَرَجَ عَن يَدِي بِنَكْبَتِهِ^(١).



(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٢٤١-٢٤٣).



لَا أَقْتُلُ قَوْمًا سَقَاهُمُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ

عن السري بن يحيى قال: بلغنا أن ملكاً من الملوك الأعاجم أقبل في جيش فلقى عصابة من المسلمين، فلما رأوه اعتصموا بربوة فصعدوا فوقها فقال ذلك الملك: ما أحد ولا شيء أشد عليهم من أن نحيط بهم ثم نُنزلهم مكانهم حتى يموتوا من العطش، فأحاطوا بهم فأصابهم حر شديد وعطش فاستقوا الله ﷻ فأقبلت سحابة فجعل الرجل يحمل بُرنسه يتلقى به الماء حتى يمتلئ ثم يشرب حتى يروى، فقال ذلك الملك: ارتحلوا فوالله لا أقتل قوماً سقاهم الله من السماء وأنا أنظر^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) كتاب مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا (ص ٦٤).

صدق الله.. وكذب بطن أخيك

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ.

وفي رواية: اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» فَذَهَبَ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: قَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ شَيْئًا، وَفِي لَفْظٍ: فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتَطْلَاقًا مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ: «اسْقِهِ عَسَلًا» فَقَالَ لَهُ فِي الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ: «صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ»^(١).

«وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ»: أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ، يقال: كذب سمعك أي: زلّ فلم يدرك حقيقة ما قيل له، فمعنى كذب بطنه أي: لم يصلح لقبول الشفاء، بل زلّ عنه.

وقد اعترض بعض الملاحدة فقال: العسل مسهل، فكيف يوصف لمن وقع به الإسهال؟ والجواب أن ذلك جهل من قائله، بل هو كقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾^(٢).

فلقد اتفق الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة، والزمان والغذاء المألوف، والتدبير، وقوة الطبيعة.

فكأن هذا الرجل كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته، فوصف له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء لما في العسل من الجلاء، ودفع الفضول التي تصيب المعدة من أخلاط لزجة

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧١٦)، ومسلم (٢٢١٧).

(٢) سورة يونس: الآية (٣٩).



تمنع استقرار الغذاء فيها، والمعدة حملٌ كخمل المنشفة، فإذا علقّت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها، وأفسدت الغذاء الواصل إليها، فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الأخلاط، ولا شيء في ذلك مثل العسل، لا سيما إن مُزج بالماء الحار.

وإنما لم يفده في أول مرة؛ لأن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب الداء، إن قصر عنه لم يدفعه بالكلية، وإن جاوزه أوهى القوة وأحدث ضررًا آخر، فكأنه شرب منه أولاً مقداراً لا يفى بمقاومة الداء، فأمره بمعاودة سقيه، فلما تكررت الشرابات بحسب مادة الداء برأ بإذن الله تعالى.

فقول الرسول ﷺ: «صدق الله وكذبت بطن أخيك» إشارة إلى تحقق نفع هذا الدواء، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه، ولكن لكذب البطن، وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمره بتكرار الدواء لكثرة المادة. وليس طِبُّهُ ﷺ كطب الأطباء، فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعى إلهى، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطب غيره أكثره ظنون، وتجارب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقى له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذى هو شفاء لما فى الصدور، إن لم يتلق هذا التلقى - لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجساً إلى رجسهم، ومرضاً إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه؟!!

فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية، فأعراض الناس عن طب النبوة

كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك
لقصور في الدواء، ولكن لخُبث الطبيعة، وفساد المحل، وعدم قبوله، والله
الموفق^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قصة شفاء اللديغ بفاتحة الكتاب

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة، سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم، فلُدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم قالوا: يكون عند بعضهم شيء فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟

فقال بعضهم: نعم والله إنني لأرقي، ولكن استضفناكم، فلم تُضيفونا، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعلًا، فصالحوهم على قطع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١). فكانما أنشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبه^(٢).

قال: فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقتسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا له ذلك، فقال: «وما يدريك أنها رقية؟».

ثم قال: «قد أصبتم، اقسموها واضربوا لي معكم سهمًا»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة الفاتحة: الآية (٢).

(٢) قلبه: أي علة، وقيل لليلة قلبه لأن الذي تصيبه يقلب من جنب إلى جنب ليعلم موضع الداء، والقلبة داء مأخوذ من القلاب يأخذ البعير فيألم قلبه فيموت من يومه.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٣٦)، ومسلم (٢٢٠١).

ماء زمزم شفاء لكل داء

عن ابن أبي مليكة قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال له: من أين جئت؟

قال: شربت من زمزم. فقال: أشربت منها كما ينبغي؟

فقال: وكيف يا أبا العباس؟ قال: إذا شربت منها فاستقبل القبلة، واذكر اسم الله تعالى، وتنفس وتضلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله تعالى: وفي رواية أخرى: كان ابن عباس إذا شرب من زمزم، قال: اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كل داء^(١).

وقال ابن جريج أن ابن عباس رضي الله عنه قال:

إذا شربت ماء زمزم فاستقبل القبلة، ثم قل: اللهم اجعله شفاءً من كل داء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استحضر النية عند شرب ماء زمزم

- قال الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول (ص ٣٤١):

* الشارب لزمزم، إن شرب لشبع أشبعه الله.

* وإن شربه لرىّ أرواه الله.

* وإن شربه لشفاء شفاه الله.

* وإن شربه لسوء خلق حسّنه الله.

* وإن شربه لضيق صدرٍ شرّحه الله.

* وإن شربه لانغلاق ظلمات الصدر فلقها الله.

* وإن شربه لغنى النفس أغناه الله.

* وإن شربه لحاجة قضاها الله.

* وإن شربه لأمرٍ نابه - أصابه - كفاه الله.

* وإن شربه لكربة كشفها الله.

* وإن شربه لنصرة نصره الله.

وبأية نية شربها من أبواب الخير والصلاح، وفى الله له بذلك، لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غيًّا.

* قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت تُسمى فى الجاهلية شِبَاعَة - يعنى زمزم -

وتزعم العرب أنها نعم العون على العيال.

وكان أهل مكة لا يسابقهم أحدٌ إلا سبقوه، ولا يصارعهم أحدٌ إلا

صرعوه حتى رغبوا عن ماء زمزم، فأصابهم المرض فى أرجلهم^(١).

❁ وقال الربيع بن خثيم رَحِمَهُ اللهُ:

قَدِمَ عَلَيْنَا وَهَبُ بْنُ مِنْبِهٍ رَحِمَهُ اللهُ فَاشْتَكَى - يَعْنِي أَصَابَهُ الْمَرَضُ - فَجِئْنَاهُ نَعُودُهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمٍ، فَقُلْنَا لَهُ: لَوِ اسْتَعْذِبْتَ، فَإِنْ هَذَا الْمَاءُ فِيهِ غُلْظٌ؟!!

فَقَالَ: مَا أُرِيدُ أَنْ أَشْرَبَ حَتَّى أَخْرَجَ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَهُ، وَالَّذِي نَفْسُ وَهَبٍ بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى زَمْزَمٌ لَا تَنْزِفُ وَلَا تُدَمُّ.
وإنها لفى كتاب الله تعالى برة شراب الأبرار.
وإنها لفى كتاب الله تعالى مضمونة.
وإنها لفى كتاب الله تعالى طعام طعم، وشفاء سقم.
والذى نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحدٌ فيشرب حتى يتضلع إلا نزعَتْ مِنْهُ دَاءٌ وَأَحْدَثَتْ لَهُ شِفَاءً^(١).



(١) إتحاف السادة (٤ / ٦٩٥) للزبيدي، وعزاه للأزرقي، وسعيد بن منصور.

قصة استشفاء الإمام ابن القيم بماء زمزم

✽ قال الإمام ابن القيم:

«ماء زمزم»: سيّد المياہ وأشرفها وأجلّها قدرًا، وأحبّها إلى النفوس، وأغلاها ثمنًا، وأنفسها عند الناس، وهو هَزْمَةٌ جبريل^(١) وسُقيا الله^(٢) إسماعيل^(٣).

وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ، أنه قال لأبى ذر وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة، وليس له طعام غيره، فقال النبي ﷺ: «إنها طعام طعم»^(٤) وزاد غير مسلم: «وشفاء سُقم»^(٥).

وفي «سنن ابن ماجه». من حديث جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ أنه قال: «ماء زمزم لما شُرب له»^(٦).

وقد روينا عن عبد الله بن المبارك، أنه لما حج، أتى زمزم، فقال: اللهم إن ابن أبى الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر، عن جابر^(٧)، عن نبيك ﷺ أنه قال: «ماء زمزم لما شُرب له» وإنى أشربه لظمًا يوم القيامة.

✽ ماء زمزم شفاء من الأمراض:

يقول ابن القيم: وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أمورًا

(١) هزمة جبريل: أي: ضربها برجله فنبع الماء، والهزمة: النقرة في الصدر، وهزمت البئر إذا حفرتها.

(٢) سقيا الله إسماعيل: أي: أظهره الله ليسقي به إسماعيل في أول الأمر.

(٣) رواه مسلم (٢٤٧٣).

(٤) رواه الطيالسي (١٥٨/٢) والبخاري، والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٧٢).

(٥) رواه أحمد، وابن ماجه، والبيهقي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٢).

عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض، فبرأت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقى عليه أربعين يوماً، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم ويطوف مراراً^(١).

ويواصل ابن القيم كلامه فيقول:

ولقد مر بي وقت بمكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أعالج بها أخذ شربة من ماء زمزم وأقرأها عليها مراراً - يعني: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ -، ثم أشربه فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنفع بها غاية الانتفاع^(٢).

✽ وقال أيضاً:

عندما كنت مقيماً في مكة، كان يعرض لى آلام مزعجة. بحيث تكاد تنقطع الحركة منى، وذلك في أثناء الطواف، وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسح بها على محل الألم، فكأنه حصاة تسقط، جربت ذلك مراراً عديدة.

وكنت أخذ قدحاً من ماء زمزم، فأقرأ عليه الفاتحة مراراً، فأشربه، فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء والأمر أعظم من ذلك بكثير، ولكن بحسب قوة الإيمان وصحة اليقين، والله المستعان^(٣).

﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ رِزْقًا وَسِعًا ۖ يَمْلَأُ لَهُ مِثْلَ الْمَسَارِكِ﴾

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٩٠).

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٧٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (ص: ٢٧٠) لابن القيم، ومدارج السالكين (١/ ٥٧) لابن القيم.



قصة استشفاء الإمام ابن القيم بالعسل

عاش ابن قيم الجوزية قصة طريفة تبين قيمة الاستشفاء بالعسل، يقول:

إِذَا تَأَمَّلْتَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالشِّفَاءِ وَدُخُولِهِ فِي غَالِبِ الْأَدْوِيَةِ حَتَّى كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ لَا يَعْرِفُونَ السَّكْرَ، وَلَا هُوَ مَذْكُورٌ فِي كِتَابِهِمْ أَصْلًا وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي يَسْتَعْمَلُونَهُ فِي الْأَدْوِيَةِ هُوَ الْعَسَلُ، وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي كِتَابِ الْقَوْمِ.

ولعمرك الله إنه لأنفع من السكر، وأجدي، وأجلى للأخلاق، وأقمع لها، وأذهب لضررها، وأقوى للمعدة، وأشد تفريحاً للنفس، وتقوية للأرواح، وتنفيذاً للدواء، وإعانة له على استخراج الداء من أعماق البدن، ولهذا لم يجيء في شيء من الحديث قط ذكر السكر ولا كانوا يعرفونه أصلاً، ولو عدم من العالم لما احتاج إليه، ولو عدم العسل لاشتدت الحاجة إليه.

وَإِنَّمَا غَلَبَ عَلَى بَعْضِ الْمَدَنِ اسْتِعْمَالُ السَّكْرِ حَتَّى هَجَرُوا الْعَسَلَ وَاسْتَطَابُوهُ عَلَيْهِ، وَرَأَوْهُ أَقْلَ حِدَةٍ وَجَرَارَةٍ مِنْهُ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ مِنْ مَنَافِعِ الْعَسَلِ مَا فِيهِ مِنَ الْحِدَةِ وَالْحَرَارَةِ، فَإِذَا لَمْ يَوَافِقْ مَنْ يَسْتَعْمِلُهُ كَسَرَهَا بِمُقَابِلِهَا فَيَصِيرُ أَنْفَعَ لَهُ مِنَ السَّكْرِ.

وَمَتَى رَأَيْتَ السَّكْرَ يَجْلُو بَلْغَمًا وَيَذِيبُ خَلْطًا أَوْ يَشْفِي مِنْ دَاءٍ، وَإِنَّمَا غَايَتُهُ بَعْضُ التَّنْفِيزِ لِلدَّوَاءِ إِلَى الْعُرُوقِ لِلطَّافَةِ وَحَلَاوَتِهِ.

وَأَمَّا الشِّفَاءُ الْحَاصِلُ مِنَ الْعَسَلِ فَقَدْ حَرَّمَهُ اللَّهُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى صَارُوا يَذْمُونَهُ وَيَخْشَوْنَ غَائِلَتَهُ مِنْ حَرَارَتِهِ وَحِدَّتِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ كَوْنَهُ شِفَاءً وَكَوْنُ الْقُرْآنِ شِفَاءً وَالصَّلَاةُ شِفَاءً وَذَكَرَ اللَّهُ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ شِفَاءٌ أَمْرٌ لَا يَعْمُ الطَّبَّاعُ وَالْأَنْفُسُ فَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ هُوَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ وَهُوَ أَعْظَمُ الشِّفَاءِ وَمَا أَقْلُ الْمُسْتَشْفِينَ بِهِ بَلْ لَا يَزِيدُ الطَّبَّاعُ الرَّدِيئَةَ

إِلَّا رَدَاءَةً وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا.

وَكَذَلِكَ ذَكَرَ اللَّهُ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةَ إِلَيْهِ وَالْفَرْجَ إِلَى الصَّلَاةِ كَمَا قَدْ شَفَى بِهِ مِنْ عَلِيلٍ وَكَمْ قَدْ عَوَفَى بِهِ مِنْ مَرِيضٍ؟! وَكَمْ قَامَ مَقَامَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي لَا تَبْلُغُ قَرِيبًا مِنْ مَبْلَغِهِ فِي الشِّفَاءِ وَأَنْتَ تَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، بَلْ أَكْثَرَهُمْ لَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنَ الشِّفَاءِ بِذَلِكَ أَصْلًا.

وَلَقَدْ رَأَيْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْأَطْبَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي ذِكْرِ الْأَدْوِيَةِ الْمَفْرَدَةِ ذِكْرَ الصَّلَاةِ، وَالْمَقْصُودُ: أَنْ تَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْإِسْتِشْفَاءَ بِالْعَسَلِ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ شِفَاءً كَمَا أَنْ تَرَكَ أَكْثَرَهُمُ الْإِسْتِشْفَاءَ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ شِفَاءً لَهَا وَهُوَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَإِنْ لَمْ يُسْتَشْفَ بِهِ أَكْثَرُ الْمَرْضَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) (١).

فَعَمَّ بِالْمَوْعِظَةِ وَالشِّفَاءِ وَخَصَّ بِالْهُدَى وَالْمَعْرِفَةِ فَهُوَ نَفْسُهُ شِفَاءً اسْتُشْفِيَ بِهِ أَوْ لَمْ يُسْتَشْفَ بِهِ وَلَمْ يَصِفِ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِالشِّفَاءِ إِلَّا الْقُرْآنَ وَالْعَسَلَ فَهُمَا الشِّفَاءَانِ... هَذَا شِفَاءُ الْقُلُوبِ مِنْ أَمْرَاضٍ غِيهَا وَضَلَالِهَا وَأَدْوَاءِ شَبَهَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا وَهَذَا شِفَاءٌ لِلْأَبْدَانِ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَسْقَامِهَا وَأَخْلَاطِهَا وَأَفَاتِهَا. وَلَقَدْ أَصَابَنِي أَيَّامَ مَقَامِي بِمَكَّةَ أَسْقَامٌ مُّخْتَلِفَةٌ وَلَا طَبِيبَ هُنَاكَ وَلَا أَدْوِيَةَ كَمَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَدَنِ فَكُنْتُ اسْتُشْفَى بِالْعَسَلِ وَمَاءِ زَمْزَمَ وَرَأَيْتُ فِيهِمَا مِنَ الشِّفَاءِ أَمْرًا عَجِيبًا (٢).

(١) سورة يونس: الآية: (٥٧).

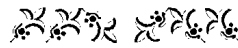
(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٣٤) لابن القيم.



الشفاء من العمى بماء زمزم

✽ يقول تقي الدين الحسيني صاحب «العقد الثمين»:

قد شربه - ماء زمزم - جماعة من السلف والخلف لمقاصد جليلة،
فنالوها، وروينا في ذلك أخباراً، منها: أن أحمد بن عبد الله الشريف الفراهيدي
بالحرم الشريف المكي شربه للشفاء من العمى، فشُفي على ما أخبرنا به
شيخنا المفتي عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسي.
وفي هذا دليلٌ لصحته^(١).



(١) العقد الثمين (١/ ٩٣) للفاسي.

وهكذا عاد للإمام البخارى بصره

✽ قال أحمد بن الفضل البلخي:

ذهبت عينا محمد بن إسماعيل البخارى في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها:
يا هذه قد ردَّ الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو كثرة دعائك،
فأصبحنا وقد ردَّ الله عليه بصره^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عطس عطسة فعاد إليه بصره!!

روى زكريا بن عدى فقال: «كَانَ الصَّلْتُ بْنُ سَطَامٍ التَّمِيمِيُّ يَجْلِسُ فِي حَلَقَةِ أَبِي خَبَّابٍ يَدْعُو مِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.
قَالَ: فَجَلَسُوا يَوْمًا يَدْعُونَ، وَقَدْ نَزَلَ الْمَاءُ فِي عَيْنَيْهِ فَذَهَبَ بَصَرُهُ،
فَدَعَوْا وَذَكَرُوا بَصَرَهُ فِي دُعَائِهِمْ.
فَلَمَّا كَانَ قَبِيلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عَطَسَ عَطَسَةً، فَإِذَا هُوَ يَبْصُرُ بِعَيْنَيْهِ، وَإِذَا
قَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ.

قَالَ زَكْرِيَا: فَقَالَ لِي ابْنُهُ: قَالَ لِي حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ: أَنَا رَأَيْتُ النَّاسَ
عَشِيَّةً إِذْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْمَسْجِدِ مَعَ أَبِيكَ يَهْتَوْنَهُ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخرجه ابن أبى يعلى (٢٧٤/١) في طبقات الحنابلة، والمزى (١١٧٠) في تهذيب الكمال،
والخطيب (١٠/٢) في تاريخ بغداد، والسبكي (٢١٦/٢) في طبقات الشافعية.

(٢) مجابو الدعوة (ص: ١٤٣) لابن أبى الدنيا.



وقع على الأرض فشفاه الله من العمى والشلل

مواطن سوري فقد بصره وأصبح مشلولاً منذ ٧ سنوات وقع على الأرض واصطدم رأسه صدمة قوية فقام ليجد نفسه مبصراً غير مشلول، فماذا حدث؟

يروى المواطن السوري قصته. يقول:

إنه متزوج منذ أحد عشر عاماً ولديه ولدان: سمية عشر سنوات وفراس سبع سنوات.

وفي يوم تعرض لحادث صدم من سيارة في أثناء ركوبه دراجته الهوائية عائداً على بيته بعد يوم عمل.

الصدمة لم تكن قوية ... صحيح أنه وقع من على دراجته بفعل الصدمة ولكن لا خدوش ولا جروح ظاهرة.

بل لم يشعر بأى ألم من جراء الحادث.

بعد عشر دقائق سمع صوتاً يشبه الانفجار المكتوم في رأسه وشعر بأن عينه اليسرى كأن دخل بها جسم غريب أوقف دراجته وسأل أحد أصدقائه أن ينظر في عينه لعل فيها شيئاً.

قال له: إنه لا يرى شيئاً.

وأسرع بعد ذلك إلى البيت بعد أن شعر بأنه لم يعد قادراً على أن يرى بعينه اليمنى.

ذهب إلى الأطباء لعلاج عينه، الأطباء قالوا له:

لا أمل لأن انسداداً وقع في الشريان المركزي الذي يغذى العينين

بالنظر، بعد أربع سنوات فقد النظر بعينه اليسرى، وأصابه العمى تمامًا. الأطباء أجمعوا على أنه لا أمل بالنسبة إلى العينين .. ومما زاد من عمق مأساة المواطن الدمشقي أبي فراس أنه بعد ذلك أصيب بشلل تام في يديه وشلل شبه تام في رجله.

راجع الأطباء لعل الطب يساهم في تخفيف حجم المأساة المحيطة به. تقارير الأطباء كانت نتيجتها واضحة وصريحة ومتكررة من طبيب إلى آخر ومن مستشفى إلى آخر في سورية، أن لا أمل في ضوء المعطيات الطبية والعلاجية.

وزارة الصحة في سورية أرسلت تقارير الأطباء إلى بعض المؤسسات الطبية الكبرى في الدول الأوروبية وجاءت النتيجة أنه لا علاج ولا مجال لاستمرار المحاولات العلاجية لأن الإصابة أسفرت عن انسداد في الشريان المركزي الذي يغذي الأعصاب في الجسم.

أبو فراس يقول: لم أحزن ولجأت إلى الطبيب الواحد الذي هو الله.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(١).

في ليلة العيد الماضي ذهبت زوجتي وولدي للمبيت عند أصهارى لقضاء العيد بينهم فيما ذهبت أنا لقضاء العيد عند والدتي، وفي نفس الليلة أردت النهوض لقضاء حاجتي، جاءت والدتي لمساعدتي ولكنني سقطت أرضاً على ظهري وجاءت الصدمة على الأرض قوية على عقب رأسي وفقدت الوعي وبعد برهة شعرت بأن أخي ووالدتي يساعدنني على الوقوف وشعرت بأن إحدى يدي بدأت تتحرك وفعلاً تحركت اليد



الأولى، ثم اليد الثانية وبدأت أرى وشاهدت وجه أمى ووجه أخى. العملية تمت فى أقل من دقيقة.

والأغرب من ذلك كله أن يدى اليسرى كان بها بفعل الشلل ضمور وتجعّدات، سرعان ما عادت إلى ما كانت عليه، نزلت على الأرض لأقبل قدمى أمى لأنى شعرت بأن الله منحنى الشفاء إكراماً لها.

ذهبت إلى الطبيب الذى كان يتابع حالتى.

قال لى: كيف حال أبى فراس أنت أخوه؟

قلت له: بل أنا هو.

ذهل الطبيب ولاذ بالصمت فقلت له ما جرى.

ومن ثم فحصنى وقال الشرايين المقفلة أصبحت مفتوحة ويجرى فيها الدم بشكل طبيعى جداً.

أبو فراس يقول: شعرت بأنى أملك الدنيا وأطلب من الله أن يمنحنى القدرة كى أعوض أولادى وزوجتى على ما فات^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



عاد إليه بصره فعاد لكتابة الحديث

عن يعقوب بن سُفيان قال:

كُنْتُ فِي رِحْلَتِي فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، فَدَخَلْتُ إِلَى بَعْضِ الْمُدُنِ، فَصَادَفْتُ بِهَا شَيْخًا، احْتَجْتُ إِلَى الْإِقَامَةِ عَلَيْهِ لِلاِسْتِكْثَارِ عَنْهُ، وَقُلْتُ نَفَقَتِي، وَبَعَدْتُ عَنْ بَلَدِي، فَكُنْتُ أُدْمِنُ الْكِتَابَةَ لَيْلًا، وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ نَهَارًا، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، كُنْتُ جَالِسًا أَنْسَخُ، وَقَدْ تَصَرَّمَ اللَّيْلُ، فَنَزَلَ الْمَاءُ فِي عَيْنِي، فَلَمْ أَبْصِرِ السَّرَاجَ وَلَا الْبَيْتَ، فَبَكَيْتُ عَلَى انْقِطَاعِي، وَعَلَى مَا يَفُوتُنِي مِنَ الْعِلْمِ، فَاسْتَدَّ بُكَائِي حَتَّى اتَّكَأْتُ عَلَى جَنْبِي فَنِمْتُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ - فِي النَّوْمِ، فَنَادَانِي: يَا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ! لِمَ أَنْتَ بَكَيْتَ؟

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ذَهَبَ بَصْرِي، فَتَحَسَّرْتُ عَلَى مَا فَاتَنِي مِنْ كُتُبِ سُنَّتِكَ، وَعَلَى الْانْقِطَاعِ عَنْ بَلَدِي.
فَقَالَ: أُدْنُ مِنِّْي.

فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَأَمَرَ يَدَهُ عَلَى عَيْنِي، كَأَنَّهُ يَقْرَأُ عَلَيْهَا.
قَالَ: ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فَأَبْصَرْتُ، وَأَخَذْتُ نُسخِي وَقَعَدْتُ فِي السَّرَاجِ أَكْتُبُ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) انظر: تهذيب التهذيب: (١١/٣٨٦، ٣٨٧)، سير أعلام النبلاء (١٣/١٨٢) للذهبي.



خلع ضرسه فعاد إليه بصره!!!

✽ استعاد أحد الشباب بصره بعد أن فقدّه خمس سنوات ففى أثناء عملية جراحية عادية لخلع ضرس العقل عاد إليه البصر.

قال الأطباء: إن شدة الضوء الباهر الذى وضعه طبيب الأسنان أمام وجهه أثناء خلع الضرس جعلته يفتح حدقتى عينيه بشدة حيث إنه فوجئ باستعادته القدرة على البصر بعد العملية!!.

وكان الشاب قد فقد بصره منذ خمسة أعوام على أثر سقوطه من فوق سلم خشبى أثناء قيامه بتثبيت ستائر منزله، وبعد فحص الأطباء له أكدوا أنه لم يحدث أى تلف لخلايا المخ، وأن فقدانه للبصر ربما يرجع لعامل نفسى!!

لكنه لم يستعد بصره طوال خمس سنوات لم يستطع خلالها ممارسة حياته بشكل طبيعى، وتعثر فى دراسته، وانطوى على نفسه، وعبثًا حاول أبواه عرضه على الأطباء النفسيين دون جدوى، أو حدوث تقدّم فى حالته الصحية.

واستيقظ الشاب فى أحد الأيام على ألم شديد بأسنانه، وتورم فى وجهه أسبوعًا بسبب ضرس العقل فذهب للطبيب الذى أعطاه مضادًا حيويًا، وحدد له موعدًا لخلع ضرس العقل بعد زوال الالتهاب.

وأثناء إجراء عملية الخلع فتح حدقتى عينيه بشدة، وفوجئ باستعادته القدرة على الإبصار!!.

نزلت الحصاة من أذنه بالدعاء

❖ روى سعيد بن عنبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال:

بَيْنَمَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَهُوَ يَعْثُ بِالْحَصَى وَيَحْذِفُ بِهَا، إِذْ رَجَعَتْ حَصَاةٌ مِنْهَا فَصَارَتْ فِي أُذُنِهِ، فَجْهَدَ بِكُلِّ حِيلَةٍ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِخْرَاجِهَا، فَبَقِيَتْ الْحَصَاةُ فِي أُذُنِهِ دَهْرًا تَوَلَّمَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ، إِذْ سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ ^(١).

فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَبَّ أَنْتَ الْمُجِيبُ، وَأَنَا الْمُضْطَرُّ، فَاكْشِفْ ضُرَّ مَا أَنَا فِيهِ، فَنَزَلَتِ الْحَصَاةُ مِنْ أُذُنِهِ. ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة النمل: الآية (٦٢).

(٢) الفرج بعد الشدة / للتوخي (١/ ٩٠).



وهكذا خرجت الحصاة من أذنه

❖ وقال عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ البصري:

«دَخَلَتْ فِي أُذُنِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ حَصَاةٌ، فَعَالَجَهَا الْأَطِبَّاءُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى صُمَاخِهِ^(١)، فَأَسْهَرَتْ لَيْلَهُ، وَنَغَّصَتْ عَيْشَ نَهَارِهِ.

فَأَتَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنْ كَانَ شَيْءٌ يَنْفَعُكَ فَدَعُوهُ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ الَّتِي دَعَا بِهَا فِي الْبَحْرِ وَفِي الْمَفَازَةِ.

قَالَ: وَمَا هِيَ يَرْحُمُكَ اللَّهُ؟

قَالَ: يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ، يَا عَلِيمُ يَا حَلِيمُ.

قَالَ: فَدَعَا بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا بَرَحْنَا حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ أُذُنِهِ وَلَهَا طَنِينٌ حَتَّى صَكَّتِ الْحَائِطَ، وَبَرَأَ^(٢).



(١) داخل أذنه.

(٢) مجابو الدعوة (٤٢)، صفة الصفوة (١/٣٥٣).

يذهب عنه الشلل عند الوضوء

كان هناك رجل من العُباد المعروفين اسمه عبد الواحد بن زيد رَحِمَهُ اللهُ..
وكان مشهورًا بكثرة العبادة وبالمواعظ المؤثرة وأُصيب هذا العابد في آخر
عمره بالشلل النصفى (الفالج).

قال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ:

أصاب عبد الواحد بن زيد الفالج، فسأل الله تعالى أن يُطْلِقَهُ في وقت
الوضوء، فكان إذا أراد الوضوء انطلق.
وإذا رجع إلى سريره فُلج^(١) - أي أُصيب بالشلل النصفى -.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دعاء المخلصين كان سبباً للشفاء

✽ عن العباس بن رزيق السلمي (وقد أدرك مالكا) قال:

كَانَتْ امْرَأَةٌ قَدْ أَصَابَهَا الْمَاءُ الْأَصْفَرُ فِي بَطْنِهَا، فَعَظُمَتْ بَلِيَّتُهَا، فَأَتَتْ مَالِكًا فَقَالَتْ: يَا أَبَا يَحْيَى، ادْعُ اللَّهَ لِي، فَقَالَ لَهَا: إِذَا كُنْتَ فِي الْمَجْلِسِ فَقُومِي حَيْثُ أَرَاكِ .. فَأَتَتْهُ فِي مَجْلِسِهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ قَدْ ابْتَلَيْتِ بِمَا قَدْ تَرَوْنَ، وَقَدْ فَرَعَتْ إِلَيْنَا، فَادْعُوا اللَّهَ لَهَا، فَرَفَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ، فَقَالَ: يَا ذَا الْمَنْ الْقَدِيمِ، يَا عَظِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَافِهَا وَفَرِّجْ عَنْهَا فَاَنْخَمَصْ بَطْنُهَا وَعُوفِيَتْ، فَكَانَتْ تَكُونُ مَعَ النِّسَاءِ تُحَدِّثُهُمْ^(١).

✽ وروى بعضهم فقال: كانت لي أم مُقْعَدَة نحو عشرين سنة، فقالت لي: اذهب إلي أحمد بن حنبل، فإنه يدعو الله لي، فوقفت على بابه، فقال: من هذا؟ قلت: رجل من ذلك الجانب سألتني أمي وهي زَمِنَة مُقْعَدَة أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب وقال: نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا.

فوليت منصرفاً فخرجت عجوز من داره قالت: أنت الذي كلمته؟ قلت: نعم. قالت: قد تركته يدعو الله لها.

قال: فجئت من فوري فددقت الباب فخرجت على رجليها تمشي وقالت: قد وهب الله لي العافية^(٢).

﴿مَنْ دَعَا اللَّهَ لِمَا يَحِبُّهُ﴾

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (٨٠) في «مجاوب الدعوة».

(٢) أخرجه ابن أبي يعلى (٢٧٤ / ٤) في طبقات الحنابلة، والمزى (١١٧٠) في تهذيب الكمال، والخطيب (١٠ / ٢) في تاريخ بغداد.

قصة شفاء عجيبة

✽ قال أمير دجلة:

كَانَ بَعْضُ أَهْلِنَا قَدْ اسْتَسْقَى، فَأَيْسَ مِنْ حَيَاتِهِ، وَحُمِلَ إِلَى بَغْدَادَ، فَاسْتَشَارُوا أَهْلَ الطَّبِّ فِيهِ، فوصفوا لَهُ أَدْوِيَةَ كَثَارًا، فَعَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ تَنَاوَلَهَا بِأَسْرَهَا، فَلَمْ تَنْجَعْ، فَأَيْسُوا مِنْهُ، وَقَالُوا: لَا حِيلَةَ لَنَا فِي بُرْثِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ الْعَلِيلُ ذَلِكَ، قَالَ لِمَنْ مَعَهُ: دَعُونِي الْآنَ أَتَزُودَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَكُلَ مَا أَشْتَهَى، وَلَا تَقْتُلُونِي قَبْلَ أَجْلِي بِالْحَمِيَةِ. فَقَالُوا: كُلْ مَا تُرِيدُ.

فَكَانَ يَجْلِسُ عَلَى دُكَّانِ بَابِ الدَّارِ، وَمَهُمَا رَأَى مَا يَجْتَازُ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ، شَرَاهُ، وَأَكَلَهُ. فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ يَبِيعُ جَرَادًا مَطْبُوحًا، فَاشْتَرَى مِنْهُ عَشْرَةَ أَرْطَالٍ، وَأَكَلَهَا بِأَسْرَهَا.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَاعَةٍ، انْحَلَّ طَبْعُهُ^(١)، وَتَوَاتَرَ قِيَامُهُ^(٢)، حَتَّى قَامَ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ مَجْلِسٍ^(٣)، وَضَعَفَ، وَكَادَ يَتَلَف. ثُمَّ انْقَطَعَ الْقِيَامُ، وَقَدْ زَالَ كُلُّ مَا فِي جَوْفِهِ، وَعَادَتْ بَطْنُهُ إِلَى حَالِهَا فِي الصَّحَّةِ، وَثَابَتَ إِلَيْهِ قُوَّتُهُ، وَبَرَأَ.

فَخَرَجَ بِرَجْلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ، يَتَصَرَّفُ فِي حَوَائِجِهِ، فَرَأَاهُ أَحَدُ الْأَطْبَاءِ، فَعَجِبَ مِنْ أَمْرِهِ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْخَبَرِ، فَعَرَفَهُ.

(١) انحلال الطبع: كناية عن الإسهال.

(٢) القيام: كناية عن مراجعة بيت الخلاء.

(٣) المجلس: كناية عن خروج ما في البطن.

فَقَالَ: لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْجَرَادِ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي الْجَرَادِ الَّذِي فَعَلَ هَذَا خَاصِيَّةً، فَأَحْبَبُّ أَنْ تَدْلِنِي عَلَى الَّذِي بَاعَكَ الْجَرَادُ، فَلَمْ يَزَالُوا فِي طَلَبِهِ حَتَّى وَجَدُوهُ.

فَقَالَ لَهُ الطَّبِيبُ: مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْجَرَادُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَصِيدُهُ، وَأَجْمَعُ مِنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا، وَأَطْبَخُهُ، وَأَبِيعُهُ.

فَقَالَ: مَنْ أَيْنَ تَصِيدُهُ؟ فَذَكَرَ قَرْيَةً بِالْقُرْبِ مِنْ بَغْدَادَ.
فَقَالَ لَهُ الطَّبِيبُ: أُعْطِيكَ دِينَارًا، وَتَدْعُ شَغْلَكَ، وَتَجِيءُ مَعِيَ إِلَى الْمَوْضِعِ.

قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجَا وَعَادَ الطَّبِيبُ مِنْ غَدٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى الْجَرَادَ يَرْعَى فِي صَحْرَاءٍ أَكْثَرَ نَبَاتِهَا حَشِيشَةٌ يَقَالُ لَهَا: مَازِيُونَ^(١)، وَهِيَ دَوَاءٌ الِاسْتِسْقَاءِ^(٢).

وَإِذَا دُفِعَ إِلَى الْعَلِيلِ مِنْهَا وَزَنَ دِرْهَمٌ، أَسْهَلُهُ إِسْهَالًا يَزِيلُ الِاسْتِسْقَاءَ، وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ لَا يَنْظِبُطَ، وَلَا يَقِفَ، فَيَقْتُلُهُ الذَّرْبُ^(٣)، وَالْعِلَاجُ بِهَا خَطَرٌ جَدًّا، وَهِيَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الطَّبِيبَةِ، وَلَكِنَّهَا لِفَرْطِ خَطَرِهَا لَا يَصِفُهَا الْأَطِبَّاءُ، فَلَمَّا وَقَعَ الْجَرَادُ عَلَى هَذِهِ الْحَشِيشَةِ، وَانْطَبَخَتْ فِي مَعْدَتِهِ، ثُمَّ طَبَخَ الْجَرَادُ، ضَعَفَ فَعَلَهَا بِطَبَخِينَ اجْتَمَعَا عَلَيْهَا، وَقَضَى أَنْ تَنَاولَهَا هَذَا بِالِاتِّفَاقِ، وَقَدْ تَعَدَّلَتْ بِمِقْدَارِ مَا يَدْفَعُ طَبْعُهُ دَفْعًا لَا يَنْقَطِعُ، فَبَرَأَ^(٤).



(١) مَازِيُونَ: فارسية، شجر ورقه كورق الزيتون، وزهره إلى البياض، وله ثمر كالكمثرى.

(٢) الِاسْتِسْقَاءُ: داء يصيب الإنسان من جراء تجمع مصليه في تجويف، أو أكثر من تجاويف جسده، أو خلاياه.

(٣) الذَّرْبُ: الإسهال الشديد.

(٤) الفرج بعد الشدة (ص: ٢١٠-٢١٢) للتنوخي.

الإخلاص في النصيحة كان سبباً للشفاء

✽ روى عبيد الله بن سليمان فقال: كنت وأبو العباس أحمد بن الخصب مع خلق كثير من العمال والكتّاب، وأصحاب الدواوين مع محمد بن عبد الملك الزيات، وكان وزيراً للوائق بالله.

وكان ابن الزيات يطالبنا ببقايا من المال ومحاسبات ونحن في أعظم ما يكون من المصادرات والشدة! قال: فمرض الواثق بالله واشتد مرضه، وحُجب ستة أيام عن الناس، فدخل عليه أحمد بن أبي دؤاد يعوده وكان قاضى القضاة، فقال له الواثق بالله.

يا أبا عبد الله ذهبت منى الدنيا والآخرة، وقد أيقنت بالموت، فهل عندك من خير تدلنى عليه؟

فقال له أحمد: يا أمير المؤمنين، إن وزيرك ابن الزيات غشك في جماعة من الكتّاب، وأصحاب الدواوين، وقد ملأ بهم الحبوس^(١)، وأنكاهم بالمصادرة، ولم يحصل يا أمير منهم على طائل، وهم خلق كثير وخلفهم ألف يد تُرفع إلى الله تعالى بالدعاء على أمير المؤمنين، فيأمر أمير المؤمنين بإطلاقهم لتُرفع تلك الأيدي بالدعاء لأمر المؤمنين، فلعل الله سبحانه أن يهب لك العافية، فإن أمير المؤمنين محتاج في هذا الوقت إلى أن تقلَّ خصومته عند الله تعالى.

فقال الواثق بالله: والله إن هذا لنعم الرأي وقَّع لهم يا أبا عبد الله بإطلاقهم وفك قيودهم، قال أحمد: يا أمير المؤمنين، إن رأى خطى الوزير

(١) الحبوس: جمع حبس، وهو السجن.



عاند وتغافل، ولجَّ عليهم، ولكن يغنم أمير المؤمنين الأجر والثواب إذا تحمل المضض على نفسه، ووقعَّ لهم بخطه.

ف فعل الواثق ما أشار إليه أحمد، ووقع لهم بخطه، وهو يطلب إلى ابن الزيات أن يطلقهم، وكل من في السجن بغير مراجعة ولا مراودة، ودفع التوقيع لرجل من خاصته، وسيرَّ معه جماعة من غلمانِه، وأمرهم بالمضى إلى ابن الزيات ويأخذه بامثال الأمر عاجلاً، ويمنعه من الحضور إلى الواثق بالله قبل إطلاقهم!!

وتوجهوا بالتوقيع إلى ابن الزيات فوجدوه راكباً يريد دار الواثق بالله فمنعوه، وأمسكوا بغلته فارتاع لذلك، وظن أنه لحادثة قد وقعت به، فنزل عن بغلته وجلس، وقال: من تحدث في أمرهم مع أمير المؤمنين؟ قالوا: أحمد قاضى القضاة. قال: فإذا أطلقت هؤلاء من أين أجمع الأموال للأجناد؟!

انتظروا حتى أشار أمير المؤمنين؟ قالوا: لا سبيل إلى ذلك، ثم إنهم لم يدعوه حتى أطلق الجميع.

فلما دخل علينا الحاجب السجن أيسنا من أنفسنا، فقال: البشارة! إن أمير المؤمنين أمر بإطلاقكم... وعرفنا السبب وما فعل أحمد بن أبى دؤاد القاضى معنا، فخرجنا من السجن، ووقفنا لأحمد فى الطريق التى يمر فيها، فحين رأيناه دعونا له وشكرناه، فكره ذلك منا، وأراد أن ينزل عن فرسه فمنعناه، وجعل يخبرنا بخبره ونحن ندعو له، وهو يستصغر فعله ويقول:

هذا بعض ما يجب من حقوقكم، وستعلمون ما أفعله وقت عودتى إلى أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى، ثم رجع إلى الواثق بالله عشية النهار،



فوجده قد شُفى من مرضه، وأكل الخبز، فلما رآه الواثق بالله. قال: هذا بركة رأيك يا أبا عبد الله!

فقال أحمد: يا أمير المؤمنين، أما تعلم أن الأيدي التي كانت تدعو عليك صارت تدعو لك ويدعو لك خلق كثير من رعيك بسبب إطلاقهم، ولكنهم قد صاروا إلى دور الخراب، وأحوال قبيحة لا فرش فيها، ولا كسوة، ولا دواب، وإن كان أمير المؤمنين رغب أن يستكمل الأجر، ويستديم نعمة الله تعالى عليه، فليكمل نعمته عليهم.

قال: بماذا؟ قال: بالذي في خزائنك من آثارهم، وفي اصطبلاتكم من دوابهم، فإن أمرت برد ذلك عليهم، وتفرج عن ضياعهم ليعيشوا، وتقوى العافية، ويتضاعف الدعاء،.. فوقَّع لهم بذلك.

قال: فأخذنا جميع ما كان أخذ منا، ومات الواثق بالله، بعد ذلك بثلاثة أيام^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخرجه شمس الدين الأنباري (ص ٥٢) بسنده في نوادر الأخبار.



أطلق الله لسانه لينشر الكتاب والسنة

❁ رُوي أن أبا القاسم محمد بن إبراهيم اللخمي، المعروف بابن وضّاح لما رجع من سفرته الثانية، احتبس لسانه سبعة أيام، فكان لا يستطيع الكلام.

فقال: اللهم إن كان في إطلاق لساني صلاحٌ لنشر هذا العلم فأطلقه. فأطلق الله لسانه، وأحيا به أهل الأندلس، وانتفعوا به، فكانوا يرون ذلك من أفضل كراماته^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) جنة الرضا (٢/ ١٢٢، ١٢٣) للغرناطي.

سقاية المسلمين.. والشفاء من الأمراض

✽ قال الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللهُ:

حِكَايَةُ قُرْحَةٍ شَيْخِنَا الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللهُ، فَإِنَّهُ قَرِحَ وَجْهُهُ وَعَالَجَهُ بِأَنْوَاعِ الْمُعَالَجَةِ فَلَمْ يَذْهَبْ وَبَقِيَ فِيهِ قَرِيْبًا مِنْ سَنَةٍ، فَسَأَلَ الْأُسْتَاذَ الْإِمَامَ أَبَا عُمَانَ الصَّابُونِي أَنْ يَدْعُو لَهُ فِي مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَدَعَا لَهُ، وَكَثَرَ النَّاسُ فِي التَّائِمِينَ، فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى أَلْقَتِ امْرَأَةٌ فِي الْمَجْلِسِ رُقْعَةً بِأَنَّهَا عَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَاجْتَهَدَتْ فِي الدُّعَاءِ لِلْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَرَأَتْ فِي مَنَامِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهَا: قُولُوا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: يَوْسَعُ الْمَاءُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَجِئْتُ بِالرُّقْعَةِ إِلَى الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَأَمَرَ بِسِقَايَةِ الْمَاءِ بُنِيَتْ عَلَى بَابِ دَارِهِ وَحِينَ فَرَعُوا مِنَ الْبِنَاءِ أَمَرَ بِصَبِّ الْمَاءِ فِيهَا وَطُرِحَ الْجَمَدُ فِي الْمَاءِ، وَأَخَذَ النَّاسُ فِي الشُّرْبِ فَمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُسْبُوعٌ حَتَّى ظَهَرَ الشِّفَاءُ، وَزَالَتْ تِلْكَ الْقُرُوحُ، وَعَادَ وَجْهُهُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ سِنِينَ^(١).

✽ وقال علي بن الحسن بن شقيق رَحِمَهُ اللهُ:

سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قُرْحَةٌ خَرَجَتْ فِي رُكْبَتِي مُنْذُ سَبْعِ سِنِينَ، وَقَدْ عَالَجْتُ بِأَنْوَاعِ الْعِلَاجِ، وَسَأَلْتُ الْأَطِبَّاءَ فَلَمْ أَنْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ مَوْضِعًا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى الْمَاءِ فَاحْفَرْ هُنَاكَ بَيْرًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَتَّبِعَ هُنَاكَ عَيْنٌ، وَيَمْسِكُ عَنْكَ الدَّمُ فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرِيٌّ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



قصة رجل روسى مع ماء زمزم

وها هو رجلٌ مسلمٌ روسى اسمه عبد الرشيد إبراهيم كان يستشفى بماء زمزم من أمراض العيون وأمراض المثانة ويحكى ذلك بنفسه ويقول:

قد تكون «زمزم» عين ماء معدنى، إلا أننا نعدّه ماءً مباركاً، كنت أستطيع أن أشرب من ماء زمزم فى كل وقت أريد، وبالقدر الذى أريد، كنت أشرب كثيراً حتى وصل بى الأمر فى مجموع ما شربته إلى خمسة عشر كيلو جراماً. وأتصور أنى كنت أشرب يومياً أكثر من عشرة أوقات من هذا الماء المبارك، ماء زمزم، وكلما شربت أحببت أن أزيد، وتتملكنى الرغبة فى الشرب منه، ولقد لمست بحق معنى «زمزم لما شُرب له» كما جاء فى الأثر.

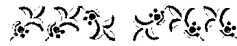
بقى معى ماء زمزم اثنتى عشرة سنة فلم يفسد، ولم يعتره أى تغيير وكنت أضعه فى زجاجة، إنى شاهدٌ على ذلك بنفسى، فلقد رأيت ذلك وشاهدته، وإنى أعتقد فى ماء زمزم اعتقاداً راسخاً، ولى فى ذلك تجربة عظيمة.

وها هى ذى تجاربى المادية والمعنوية مع ماء زمزم بأى نية شربته، فإنه بهذه النية ينفع... يعنى إذا كنت مريضاً - أيّاً كان المرض - وشربته بنية الشفاء فإنك تُشفى بإذن الله، لكن بشرط أن تشربه كما هو فى حالته الأصلية، وبنية خالصة لا يخالطها أدنى ريب.

«زمزم لما شُرب له» حقيقة ثابتة لا شك فيها ولا شبهة، لكن شرط تحققها إرادة الله أولاً، ثم حسن النية وإخلاصها، والاعتقاد التام فيها. فإذا نقص هذان الشرطان - أو أحدهما - كانت النتيجة سلبية قطعاً، إن

نقص الاعتقاد في ماء زمزم يجعل الأمر مثل أشهر أنواع أقراص «السلفاتو» المعروف، لا يمكن أن يكون دواء للحمى، ولا يسكن السخونة، ولا الحمى في جسم الإنسان.

وأنا جربتُ زمزم كثيرًا، جربته حرفيًا لعلاج أمراض عديدة لا سيما لأمراض المثانة، وللأمراض الداخلية، ولأمراض العيون. إن ما أشرت إليه جاء نتيجة من تجاربي الفعلية مع ماء زمزم، وكانت كلها حاسمة معي...





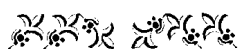
اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوكم

✽ عن بقية بن الوليد قال:

كنا في البحر فهبَّت الرياح وهاجت الأمواج، فبكى الناس وضجُّوا فقليل لمعيوف أو ابن معيوف: هذا إبراهيم بن أدهم، لو سألتَه أن يدعو الله، وإذا هو نائم في ناحية السفينة ملفوف في كساء فدنا منه، فقال: يا أبا إسحاق أما ترى ما الناس فيه؟ فقال:

اللهم قد أريتنا قدرتك، فأرنا عفوكم.

قال: فهدأت السفن^(١).

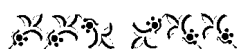


اللهم كما أريتَه ذُلَّ المعصية فأرِه عزَّ الطاعة

✽ نزل بيعقوب بن اللَّيث صاحب الدولة الصفارية علَّةً أعيت الأطباء، فقالوا له: في ولايتك رجل صالح يُسمى سهل بن عبد الله، لو دعا لك لعل الله تعالى أن يستجيبَ له؟ فاستحضر سهلاً، وقال: ادعُ الله ﷻ لى.

فقال سهل: كيف يُستجاب دعائى لك وفى مجلسك مظلومون؟!

فأطلق كل من فى حبسه فقال سهل: اللَّهُمَّ كما أريتَه ذُلَّ المعصية فأرِه عزَّ الطاعة ففرَّج الله عنه وعوفى من المرض. فعرض ما لا على سهل فأبى أن يقبل^(٢).



(١) خبر حسن: أخرجه أبو نعيم (٥ / ٨) في الحلية.

(٢) الرسالة القشيرية (ص / ٢٦٨) للقشيري، بتصرف.

اصنع كيف شئت فإن أرزاقنا عليك

✽ عن الأصمعي قال: نزلت بحى من قبيلة كلب مُجديين، قد توالى عليهم السنون^(١)، فماتت المواشى، ومُنعت الأرض من إخراج النبات، وأمسكت السماء قطرها، فجعلتُ أنظر إلى السحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء متقاربة، حتى تطبّق الأرض، فيتشوّق لها أهل الحى، ويرفعون أصواتهم بالتكبير، ثم يعدلها^(٢) الله عنهم مرارًا... فلما كثر ذلك خرجت عجوز منهم، فعَلتْ مكانًا من الأرض، ثم نادى بأعلى صوتها: يا ذا العرش! اصنع كيف شئت، فإن أرزاقنا عليك.

قال الأصمعي: فما نزلت من موضعها حتى تغيّمت السماء غيمًا شديدًا، وأمطروا مطرًا كاد أن يُغرقهم وأنا حاضر!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سنون القحط والجذب والجفاف.

(٢) يبعدها.



بركة الصدق

❖ ومن طرائف ما يُروى في تعويد السلف أولادهم على الصدق ومعاهدتهم عليه هذه القصة: يقول أحدهم: «بنيت أمرى من حين نشأت على الصدق، وذلك أنى خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمى أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان، خرج علينا جماعة من اللصوص، فأخذوا القافلة، فمر واحد منهم وقال لى: ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً، فظن أنى أهزأ به، فتركنى فرأنى رجل آخر، فقال: ما معك؟ فأخبرته بما معى فأخذنى إلى كبيرهم فسألنى، فأخبرته، قال: ما حملك على الصدق؟

قلت: عاهدتني أمى على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها!!

فأخذت الخشية رئيس اللصوص فصاح ومزق ثيابه، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟!!

ثم أمر برده ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه من اللصوص: أنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة فتابوا جميعاً ببركة الصدق.

نعم أيها الأخ الحبيب: إن الصدق منجاة، وإن العبد إذا كان صادقاً فإنه يجنى ثمار الصدق في دنياه وآخرته.

أما سمعت قول الله (جل وعلا): ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١).

﴿إِنْ رَبِّي اخْتَبَرَنِي فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَزِيدَهُ﴾

❖ عَنْ أَبِي عَمْرِو الْكِنْدِيِّ، قَالَ: أَغَارَتِ الرُّومُ عَلَى جَوَامِيسَ لِبَشِيرِ الطَّبَرِيِّ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِمِائَةٍ جَامُوسٍ قَالَ: فَاسْتَرْكَبَنِي فَرَكِبْتُ مَعَهُ أَنَا وَابْنٌ لَهُ قَالَ: فَلَقِينَا عَبْدَهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْجَوَامِيسِ مَعَهُمْ عَصِيهُهُمْ قَالُوا: يَا مَوْلَانَا ذَهَبَتِ الْجَوَامِيسُ فَقَالَ: «وَأَنْتُمْ أَيْضًا فَادْهَبُوا مَعَهَا فَأَنْتُمْ أَحْرَارٌ لَوَجْهِ اللَّهِ»، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: يَا أَبَاهُ أَفْقَرْتَنَا فَقَالَ: «اشْكُتْ يَا بَنِي إِنْ رَبِّي ﷻ اخْتَبَرَنِي فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَزِيدَهُ»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَفَوْنَا عَنْهُمَا بِصَدَقِكَ﴾

❖ قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَجَلِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: يُقَالُ: إِنْ رُبِعَى ابْنٌ حِرَاشٍ لَمْ يَكْذِبْ كَذِبَةَ قُطٍّ، وَكَانَ لَهُ ابْنَانِ عَاصِيَانِ زَمَنَ الْحَجَّاجِ فَقِيلَ لِلْحَجَّاجِ إِنْ أَبَاهُمَا لَمْ يَكْذِبْ كَذِبَةَ قُطٍّ لَوْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ فَسَأَلَتْهُ عَنْهُمَا، فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ فَقَالَ أَيْنَ ابْنَاكَ؟ قَالَ هُمَا فِي الْبَيْتِ، قَالَ قَدْ عَفَوْنَا عَنْهُمَا بِصَدَقِكَ^(٢).

وَقَالَ الْحَارِثُ الْغَنَوِيُّ: أَلَى^(٣) رُبِعَى بْنُ حِرَاشٍ أَنْ لَا يَضْحَكَ حَتَّى يَعْلَمَ فِي الْجَنَّةِ هُوَ أَوْ فِي النَّارِ. قَالَ الْحَارِثُ: فَلَقَدْ أَخْبَرَنِي غَاسِلُهُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَبَسِّمًا عَلَى سَرِيرِهِ وَنَحْنُ نَغْسِلُهُ حَتَّى فَرَعْنَا مِنْهُ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) كتاب «الرضا عن الله» لابن أبي الدنيا (١١).

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٤٣٣).

(٣) أي: حلف.

(٤) تاريخ بغداد (٨/ ٤٣٤).



لا نهلك وأنت رجاؤنا

ركب إبراهيم بن أدهم^(١) البحر، فتحرك ريح عاصف، فوضع إبراهيم رأسه ونام في ناحية السفينة وَلَفَّ نفسه في كساء.

فقال له بعض أصحابه: أما ترى ما نحن فيه من الشدة؟

قال: إنما الشدة: الحاجة للناس...، ثم قال: إلهي أريتنا قدرتك فأرنا عفوك!، فصار البحر كأنه قدح زيت^(٢).

وكان إبراهيم بن أدهم في بعض الطرق مع أصحابه، فَتَعَرَّضَ لهم أسد، فقال له أصحابه: يا إبراهيم هذا السبع قد ظهر لنا! فقال: أرونيه.

فلما نظر إليه إبراهيم قال: يا قسورة إن كنتِ أُمِرْتَ بشيء فامضي لما أُمِرْتَ به... وإلا فَتَنَحَّ عِنا.

فضرب الأسد بذيَّه وولَّى هاربًا^(٣).

وفي رواية: فَتَعَجَّبَ أصحابه كيف فهم السبع كلام إبراهيم، فأقبل إبراهيم عليهم فقال: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكُنْفُنَا بركنك الذي لا يُرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجاؤنا^(٤).

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي، أبو إسحاق، زاهد مشهور، أخذ العلم عن كثير من علماء العراق والشام والحجاز، مات سنة ١٦١ هـ. انظر ترجمته في: الأعلام (١/ ٣١)، الحلية (٧/ ٣٦٧)، فوات الوفيات (١/ ٣).

(٢) مجابو الدعوة (١٠٢)، الحلية (٨/ ٥).

(٣) مجابو الدعوة (١٠١)، الحلية (٨/ ٤).

(٤) الرواية في الحلية (٨/ ٤).

وعادت إليه جواهره بعد السجن والتعذيب

✽ عَلَى بن أبى عبد الله بن الجصاص، قَالَ: سَمِعْتُ أبى يَقُول: اتَّفَقَ أَنَّى كُنْتُ يَوْمَ قَبْضِ عَلِيٍّ الْمُقْتَدِرِ جَالِسًا فِي دَارِي، وَأَنَا ضَيْقُ الصَّدْرِ، ضَيْقًا شَدِيدًا، لَا أَعْرِفُ سَبِيهَ.

وَكَانَ مِنْ عَادَتِي إِذَا لَحِقَنِي مِثْلُ ذَلِكَ، أَنْ أُخْرِجَ جَوَاهِرَ عُنْدِي فِي درجٍ معزولةٍ لِهَذَا، مِنْ ياقوتٍ أَحْمَرَ وَأَزْرَقَ وَأَصْفَرَ، وَحَبًّا كَبَارًا وَدُرًّا فَاخِرًا، يَكُونُ قِيَمَةُ الْجَمِيعِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَكْثَرُ، وَأَسْتَدْعِي صِينِيَةَ ذَهَبٍ لَطِيفَةً، فَأَجْعَلُهُ فِيهَا، وَأَلْعَبُ بِهِ، وَأَقْلِبُهُ، فَيَزُولُ ضَيْقُ صَدْرِي.

فَأَسْتَدْعِي ذَلِكَ الدَّرَجَ، فَجَاءُونِي بِهِ بِلَا صِينِيَةَ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ، وَأَمَرْتُ بِإِحْضَارِهَا، وَفَتَحْتُ الدَّرَجَ، وَفَرَّغْتُ مَا فِيهِ فِي حَجَرِي، وَرَدَدْتُهُ عَلَى الْخَادِمِ، وَأَنْفَذْتُهُ يَجِيئُنِي بِالصِّينِيَةِ، وَأَنَا جَالِسٌ فِي بُسْتَانٍ، فِي صَحْنٍ دَارِي، فِي يَوْمٍ بَارِدٍ، طِيبَ الشَّمْسِ، وَهُوَ مَزْهَرٌ بِصَنُوفِ الشَّقَائِقِ وَالْمَنَاثِيرِ، وَأَنَا أَلْعَبُ بِتِلْكَ الْجَوَاهِرِ، إِذْ دَخَلَ النَّاسُ إِلَيَّ بِالصِّيَاحِ وَالْمَكْرُوهِ وَالْكَبَسِ، فَقَرَّبُوا مِنِّي.

فَذُهُشْتُ، وَلَمْ أَحِبْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيَّ مَا فِي حَجَرِي، فَفَنَضْتُ جَمِيعَهُ فِي ذَلِكَ الزَّهْرِ فِي الْبُسْتَانِ، وَلَمْ يَنْتَبَهُوا لَهُ.

فَأَخَذْتُ فَحُمَلْتُ، وَجَرَى عَلَيَّ مَا جَرَى مِنَ الْمَصَادِرَةِ، وَبَقِيَتْ فِي الْحَبْسِ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ، وَتَقَلَّبْتُ الْفُصُولَ عَلَى الْبُسْتَانِ، فَجَفَّ مَا فِيهِ، وَلَمْ يَفْكُرْ أَحَدٌ فِي قَلْعِهِ، أَوْ زِرَاعَتِهِ، وَإِثَارَتِهِ، وَأَغْلَقْتُ الدَّارَ، فَمَا قَرَّبَهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي وَلَا أَعْدَائِي، بَعْدَ الَّذِي أَخَذَ مِنْهَا، وَفَرَّغْتُ، وَوَقَعَ الْيَأْسُ مِنْ وَجُودِ شَيْءٍ فِيهَا.



ثُمَّ سَهَّلَ اللَّهُ إِطْلَاقِي، فَأُطْلِقْتُ، فَحِينَ جِئْتُ إِلَى دَارِي، وَرَأَيْتُ الْمَوْضِعَ الَّذِي كُنْتُ جَالِسًا فِيهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ؛ ذَكَرْتُ حَدِيثَ الْجَوْهَرِ الَّذِي كَانَ فِي حَجْرِي، وَنَفَضِي إِيَّاهُ فِي الْبُسْتَانِ.

فَقُلْتُ: تَرَى، بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ؟ ثُمَّ قُلْتُ: هَيْهَاتَ، هَيْهَاتَ، وَأُمْسَكَتُ. فَلَمَّا كَانَ فِي الْغَدِ، أَخْلَيْتُ الدَّارَ، وَقَمْتُ بِنَفْسِي وَمَعِيَ غُلَامٌ يَشِيرُ الْبُسْتَانَ بَيْنَ يَدَيَّ، وَأَنَا أَفْتَشُ شَيْئًا شَيْئًا مِمَّا يَشِيرُهُ، وَأَجِدُ الْوَاحِدَةَ بَعْدَ الْوَاحِدَةِ، مِنْ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ، وَكَلَّمَا وَجَدْتُ شَيْئًا؛ حَرَصْتُ عَلَى الْإِثَارَةِ، وَطَلَبْتُ الْبَاقِي، إِلَى أَنْ أَثَرْتُ جَمِيعَ الْبُسْتَانِ، فَوَجَدْتُ جَمِيعَ ذَلِكَ الْجَوْهَرِ، مَا ضَاعَ لِي مِنْهُ وَاحِدَةٌ.

فَأَخَذْتُهُ، وَحَمَدْتُ اللَّهَ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ لِي بَقِيَّةٌ مِنَ الْإِقْبَالِ صَالِحَةٌ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٢٤٠-٢٤١).

بَيْنَ الْأَصْمَعِيِّ وَالْبِقَالِ الَّذِي عَلَى بَابِ الرِّزْقِ

جاء في بعض الكتب عن الأصمعي، قال: كنت بالبصرة أطلب العلم، وأنا مُقَلٌّ، وكان على باب رُزقنا بقال، إذا خرجت باكراً؛ يقول لي: إلى أين؟ فأقول: إلى فلان المُحدث، وإذا عدت مساءً؛ يقول لي: من أين؟ فأقول: من عند فلان الأخباري، أو اللغوي.

فيقول: يا هذا، اقبل وصيتي، أنت شاب، فلا تضيع نفسك، واطلب معاشاً يعود عليك نفعه، وأعطني جميع ما عندك من الكتب، حتى أطرحها في الدن، وأصب عليها من الماء للعشرة أربعة، وأنبذه، وأنظر ما يكون منه، والله، لو طلبت مني، بجميع كتبك، جرزة بقل، ما أعطيتك.

فيضيق صدرى بمداومته هذا الكلام، حتى كنت أخرج من بيتي ليلاً، وأدخله ليلاً، وحالي، في خلال ذلك، تزداد ضيقاً، حتى أفضيت إلى بيع أجر أساسات دارى، وبقيت لا أهتدى إلى نفقة يومية، وطال شعري، وأخلق ثوبى، واتسخ بدنى.

فأنا كذلك متحيراً في أمرى، إذ جاءني خادِم للأمرير مُحَمَّد بن سُلَيْمَان الهاشمي، فقال: أجب الأمرير.

فقلت: ما يصنع الأمرير برجل بلغ به الفقر إلى ما ترى؟ فلمّا رأى سوء حالي، وقبح منظري؛ رجع فأخبر مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بخبرى، وعاد إليّ، ومعه تخوت ثياب، ودرج فيه بخور، وكيس فيه ألف دينار.

وقال: قد أمرنى الأمرير أن أدخلك الحمام، وألبسك من هذه الثياب، وأدع باقيها عندك، وأطعمك من هذا الطعام، وإذا بخوان كبير فيه صنوف الأَطعمة، وأبخرك؛ لترجع إليك نفسك، ثم أحملك إليه.



فَسُرَّرت سُروراً شديداً، ودعوت له، وعملت ما قال، ومضيت معه،
 حتَّى دخلت على مُحَمَّد بن سُلَيْمان، فَسَلَّمت عليه، فقرَّبني، ورفعني.
 ثمَّ قال: يا عبد الملك، قد اختَرْتُكَ لتأديب ابن أمير المؤمنين، فاعمل
 على الخُروجِ إلى بابهِ، وانظر كيف تكون؟ فشكرته ودعوت له، وقلت:
 سمعاً وطاعةً، سأُخرج شيئاً من كُتبي وأُتوجه.
 فقال: ودَّعني، وكن على الطَّريق غداً.

فَقَبَلت يده، وقمت، فأخذت ما احتجت إليه من كُتبي، وجعلت باقِها
 في بيت وسدَّدت بابهُ، وأقعدت في الدَّار عَجوزاً من أهلنا، تحفظها.
 وباكرني رَسول الأمير مُحَمَّد بن سُلَيْمان، وأخذني، وجاء بي إلى زلال
 قد اتَّخذ لي، وفيه جميع ما أحتاج إليه، وجلس معي ينفق عليَّ، حتَّى
 وصلت إلى بَغداد.

ودخلت على أمير المؤمنين الرشيد، فَسَلَّمت عليه، فردَّ عليَّ السَّلام.
 وقال: أنت عبد الملك بن قريب الأصمعيّ.
 قلت: نعم.

قال: اعْلَم أن ولد الرجل مهجة قلبه، وثمرة فؤاده، وها أنا أسلِّم إليك
 ابني مُحَمَّدًا بأمانة الله، فلا تُعلمه ما يُفسد عليه دينه، فلعلَّه أن يكون
 للمُسلمين إماماً.

قلت: السَّمع والطَّاعة.

فأُخرجهُ إلىَّ، وحولت معه إلى دار، قد أُخليت لتأديبه، وأُخدَم فيها من
 أصناف الخدم والفرش، وأُجرى عليَّ في كل شهر عشرة آلاف درهم، وأمر
 أن تُخرج إليَّ في كل يوم مائدة، فلزِمته.

وَكُنْتُ مَعَ ذَلِكَ، أَقْضَى حَوَائِجَ النَّاسِ، وَأَخَذَ عَلَيْهَا الرِّغَائِبَ، وَأَنْفَذَ جَمِيعَ مَا يَجْتَمِعُ لِي، أَوَّلًا فَأَوَّلًا، إِلَى الْبَصْرَةِ، فَأَبْنَى دَارِي، وَأَشْتَرَى عَقَارًا وَضِياعًا.

فَأَقَمْتُ مَعَهُ، حَتَّى قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَرَوَى الشَّعْرَ وَاللُّغَةَ، وَعَلَّمَ أَيَّامَ النَّاسِ وَأَخْبَارَهُمْ.

وَاسْتَعْرَضَهُ الرَّشِيدُ، فَأَعْجَبَ بِهِ، وَقَالَ: يَا عَبْدَ الْمَلِكِ، أُرِيدُ أَنْ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَاخْتَرَ لَهُ خُطْبَةً، فَحَفَّظَهَا بِهَا. فَحَفَّظْتُهُ عَشْرًا، وَخَرَجَ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَأَنَا مَعَهُ، فَأَعْجَبَ الرَّشِيدُ بِهِ، وَأَخَذَهُ نِشَارَ الدَّنَائِيرِ وَالْدَّرَاهِمِ مِنَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ، وَأَتَنَى الْجَوَائِزَ وَالصَّلَاتِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَجَمَعْتُ مَالًا عَظِيمًا.

ثُمَّ اسْتَدْعَانِي الرَّشِيدُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الْمَلِكِ، قَدْ أَحْسَنْتَ الْخِدْمَةَ، فَتَمَنَّ.

قُلْتُ: مَا عَسَى أَنْ أَتَمَنَّى، وَقَدْ حُزْتُ أَمَانِي.

فَأَمَرَ لِي بِمَالٍ عَظِيمٍ، وَكِسُوفَةٍ كَثِيرَةٍ، وَطَيْبٍ فَاحِرٍ، وَعَبِيدٍ، وَإِمَاءٍ، وَظَهْرٍ، وَفَرَشٍ، وَآلَةٍ.

فَقُلْتُ: إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي الْإِلْمَامِ بِالْبَصْرَةِ، وَالْكِتَابِ إِلَى عَامِلِهِ بِهَا، أَنْ يَطَالِبَ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَةَ، بِالسَّلَامِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَإِكْرَامِي بَعْدَ ذَلِكَ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِمَا أَرَدْتُ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَدَارِي قَدْ عَمَرْتُ، وَضِياعِي قَدْ كَثُرَتْ، وَنِعْمَتِي قَدْ فَشَتْ، فَمَا تَأَخَّرَ عَنِّي أَحَدٌ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ؛ تَأَمَّلْتُ أَصَاغِرَ مَنْ جَاءَنِي، فَإِذَا الْبُقَّالُ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ وَسُخَّةٌ، وَرَدَاءٌ لَطِيفٌ، وَجُبَّةٌ قَصِيرَةٌ، وَقَمِيصٌ طَوِيلٌ، وَفِي رِجْلِهِ



جرموقان، وَهُوَ بِلَا سَرَاوِيل.

فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ؟ فاستضحكت من حماقته، وخطابه لى
بِمَا كَانَ يَخاطبُنِي بِهِ الرَشِيد.

وَقُلْتُ: بِخَيْرٍ، وَقَدْ قَبِلْتُ وَصِيَّتَكَ، وَجَمَعْتُ مَا عِنْدِي مِنَ الْكُتُبِ،
وَطَرَحْتُهَا فِي الدَّنِّ، كَمَا أَمَرْتُ، وَصَبَبْتُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ لِلْعَشْرَةِ أَرْبَعَةَ،
فَخَرَجَ مَا تَرَى.

ثُمَّ أَحْسَنْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَجَعَلْتُهُ وَكِيلِي^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٢٦٢-٢٦٤).

وجاء الفرج

ذكر القاضى أَبُو الْحُسَيْنِ فِي كِتَابِهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: أَضْقَتْ إِضَاقَةٌ شَدِيدَةٌ فِي نَكْبَتِي، وَأَصْبَحْتُ يَوْمًا، وَمَا عِنْدِي دِرْهَمٌ وَاحِدٌ فَمَا فَوْقَهُ، وَكَانَ الْوَقْتُ شِتَاءً، وَالْمَطَرُ يَجِيءُ.

فَجَلَسْتُ ضَيْقَ الصَّدْرِ، مَفْكَرًا فِي أَمْرِي، إِذْ جَاءَنِي صَدِيقٌ لِي، فَقَالَ: قَدْ جِئْتُ لِأَقِيمَ عِنْدَكَ الْيَوْمَ، فَازْدَادَ ضَيْقَ صَدْرِي، وَقُلْتُ لَهُ: بِالرَّحْبِ وَالسَّعَةِ، وَأَظْهَرْتُ لَهُ السَّرُورَ بِمَجِيئِهِ.

وَدَخَلْتُ إِلَى النِّسَاءِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: احْتَلَنَ فِيمَا نَنْفِقُ فِي هَذَا الْيَوْمِ، عَلَى رَهْنٍ، أَوْ بَيْعِ شَيْءٍ مِنَ الْبَيْتِ، فَقَدْ طَرَقَنَا ضَيْفٌ.

وَخَرَجْتُ فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّجُلِ، وَأَنَا عَلَى نِهَآيَةِ مَنْ شَغَلَ الْقَلْبُ؛ خَوْفًا أَنْ لَا يَتَّفِقَ قَرْضٌ، وَلَا بَيْعٌ؛ لِأَجْلِ الْمَطَرِ.

فَأَنَا كَذَلِكَ، إِذْ دَخَلَ الْعُلَامُ، فَقَالَ: خَلِيفَةُ أَبِي الْأَعْرَ السَّلْمِيُّ بِالْبَابِ. فَقُلْتُ: أَيُّ وَقْتٍ هَذَا لِخَلِيفَةِ أَبِي الْأَعْرَ؟ وَأَمْرَتُهُ أَنْ يَخْرُجَ فَيَصْرِفَهُ، ثُمَّ تَذَمَّتْ مِنْ صَرْفِهِ، وَقَدْ قَصَدْنِي فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ. فَقُلْتُ: قُلْ لَهُ يَدْخُلُ.

فَدَخَلَ، وَحَادَثَنِي قَلِيلًا، ثُمَّ قَرَّبَ مِنِّي، وَأَخْرَجَ صِرَةً فِيهَا مِائَةُ دِينَارٍ. وَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَخُوكَ: وَجْهْتَ إِلَيْكَ بِهَذِهِ الصِّرَةِ، فَتَأْمُرُ بِصَرْفِهَا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ، فِي بَعْضِ مَا يَصْلَحُ حَالُكَ.

فَامْتَنَعْتُ مِنْ قَبُولِهَا، فَلَمْ يَزَلْ خَلِيفَتُهُ يُلَطِّفُ بِي، حَتَّى قَبِلْتُهَا^(١).



لبس ثوب الحياء ففرج الله همه

ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه: حُكي أن سعيد بن العاص، قدم الكوفة عاملاً لعثمان بن عفان، رضي الله عنه، وكان ممن يتعشى عنده، رجل من الفقراء، قد ساءت حاله.

فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: وَيْحَكَ، إِنَّهُ قَدْ بَلَّغْنَا عَنْ أَمِيرِنَا كَرَمًا، فَاذْكُرْ لَهُ حَالَكَ وَحَاجَتَكَ، لَعَلَّهُ أَنْ يَنْبِلِنَا شَيْئًا، فَلَمْ يَبْقَ لِلصَّبْرِ فِينَا بَقِيَّةٌ.

فَقَالَ: وَيْحَكَ، لَا تَخْلُقِي وَجْهِي.

قَالَتْ: فَاذْكُرْ لَهُ مَا نَحْنُ فِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

فَلَمَّا كَانَ بِالْعَشَى؛ أَكَلَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّاسُ؛ ثَبَتَ الرَّجُلُ.

فَقَالَ سَعِيدٌ: حَاجَتُكَ؟ فَسَكَتَ.

فَقَالَ سَعِيدٌ لِغُلَامَانِهِ: تَنَحَّوْا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا نَحْنُ أَنَا وَأَنْتَ، فَاذْكُرْ حَاجَتَكَ، فَتَعَقَّدَ وَتَعَصَّرَ، فَفَنَخَ سَعِيدُ الْمِصْبَاحِ فَأُطْفِئَهُ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، لَسْتُ تَرَى وَجْهِي، فَاذْكُرْ حَاجَتَكَ.

فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، أَصَابَتْنَا حَاجَةٌ، فَأَخْبَيْتُ أَنْ أَذْكُرَهَا لَكَ.

فَقَالَ: إِذَا أَصْبَحْتَ فَالِقَ فُلَانًا وَكَيْلِي.

فَلَمَّا أَصْبَحَ الرَّجُلُ؛ لَقِيَ الْوَكِيلَ، فَقَالَ: إِنَّ الْأَمِيرَ قَدْ أَمَرَ لَكَ بِشَيْءٍ، فَهَاتِ مَنْ يَحْمِلُهُ مَعَكَ، قَالَ: مَا عِنْدِي مَنْ يَحْمِلُ، فَانْصَرَفَ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَجَعَلَ يَلُومُهَا، وَيَقُولُ: قَالَ لِي وَكِيلُهُ: هَاتِ مَنْ يَحْمِلُ مَعَكَ، وَمَا أَظْنُهُ أَمَرَ لِي إِلَّا بِقُوصَرَةِ تَمْرٍ، أَوْ قَفِيزِ بُرٍّ، وَذَهَبِ مَاءِ وَجْهِي، وَلَوْ كَانَتْ دَرَاهِمٌ، أَوْ دَنَانِيرٌ، لَأَعْطَانِيهَا فِي يَدِي.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ؛ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: يَا هَذَا، قَدْ بَلَغَ بِنَا الْأَمْرَ إِلَى مَا تَرَى، وَمَهُمَا أَعْطَاكَ الْأَمِيرُ، يَقُوتُنَا أَيَّامًا، فَالْتَقِ وَكِيلَهُ، فَلَقِيَهُ.

فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ إِنِّي قَدْ أَخْبَرْتُ الْأَمِيرَ أَنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنْ يَحْمِلُ مَا أَمْرٌ بِهِ لَكَ مَعَكَ، فَأَمَرَنِي أَنْ أُوْجِهَ مِنْ يَحْمِلُ مَعَكَ مَا أَمْرٌ بِهِ لَكَ.

ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ مِنَ السُّودَانِ، عَلَى رَأْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَدْرَةٌ دَرَاهِمٍ، ثُمَّ قَالَ: امْضُوا مَعَهُ.

فَلَمَّا بَلَغَ الرَّجُلُ بَابَ مَنْزِلِهِ؛ فَتَحَ بَدْرَةَ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا دَرَاهِمَ، فَدَفَعَهَا إِلَى السُّودَانِ، وَقَالَ: امْضُوا.

فَقَالُوا: أَيْنَ نَمْضِي، نَحْنُ عِيِيدُكَ، مَا حَمَلَ مَمْلُوكٌ لِلْأَمِيرِ هَدِيَّةَ قَطٍّ، فَرَجَعَ إِلَى مَلِكِهِ.

قَالَ: فَصَلَحَتْ حَالُهُ، وَاسْتَظْهَرَ عَلَى دُنْيَاهُ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٢٩٩-٣٠٠).



الله هو الرزاق

✽ عن يزيد بن هارون قال: غدوت إلى أصبغ بن يزيد الوراق أريد أن أسمع منه فوجدته شديد الغم فقلت: يرحمك الله ممَّ غَمُّكَ؟ فقال لى: إن كنت تريد أن تكتب فاكتب وإلا فانصرف فكتبت وانصرفت، فلما كان في اليوم الثانى غدوت إليه فوجدته قد تضاعف فسألته عن ذلك فقال: إن كنت تريد أن تكتب فاكتب وإلا فانصرف فكتبت وانصرفت، فلما كان اليوم الثالث رحت إليه فوجدته طلق الوجه مسرورًا فقلت له: أراك اليوم والحمد لله مسرورًا وكنت بالأمس مغمومًا فما الخبر؟ فقال: أما إنك لولا سؤالك في اليوم الخالى ما أخبرتك، ولكنى أعلمك أنى مكثت أنا ومن عندى ثلاثًا لم نطعم طعامًا فلما كان اليوم خرجت إلى ابنتى الصغيرة وقالت: يا أبت الجوع، فتركته وأتيت الميضاة فتوضأت للصلاة وصليت ركعتين ومددت يدي لأدعو فأنسيت ما كنت أحسنه من الدعاء فقلت: اللهم إن حرمتنى الرزق فلا تحرمنى الدعاء فألهمت الدعاء... فقلت فيه (وافتح على رزقًا لا تجعل لأحد على فيه منة، ولا لك على فى الآخرة تبعة، برحمتك يا أرحم الراحمين) ثم انصرفت إلى البيت فإذا بابنتى الكبيرة قد قامت إلى وقالت يا أبت: جاء الساعة عمى بهذه الصبرة من الدراهم وبحمال عليه دقيق وحمال عليه من كل شىء فى السوق وقال: أقرئوا أخى السلام.. قال أصبغ بن زيد: والله ما كان لى من أحد ولا أعرف من كان هذا القائل ولكن الله على كل شىء قدير^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) انظر: المستغيثون بالله تعالى لابن بشكوال، ص ٦٤، ٦٥ بتصرف.

ثلاث دعوات للعلاء بن الحضرمي

عن سَهْمِ بْنِ مَنجَابٍ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ دَارِينَ^(١)، قَالَ: فَدَعَا بِثَلَاثِ دَعَوَاتٍ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فِيهِنَّ كُلُّهُنَّ قَالَ: سِرْنَا مَعَهُ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، وَطَلَبْنَا الْوُضُوءَ فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ فَقَامَ الْعَلَاءُ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ دَعَا اللَّهَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ يَا عَلِيمُ يَا حَكِيمُ، يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ، إِنَّا عَبِيدُكَ، وَفِي سَبِيلِكَ نُقَاتِلُ عَدُوَّكَ، فَاسْقِنَا غِيَا نَشْرَبُ مِنْهُ وَنَتَوَضَّأُ مِنَ الْأَحْدَاثِ، وَإِذَا تَرَكْنَاهُ فَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ نَصِيبًا غَيْرَنَا.

قَالَ: فَمَا جَاوَزْنَا غَيْرَ قَلِيلٍ، فَإِذَا نَحْنُ بِنَهْرٍ مِنْ مَاءٍ سَمَاءٍ يَتَدَفَّقُ، قَالَ: فَنَزَلْنَا فَتَرَوْنَا، وَمَلَأْتُ إِدَاوَتِي^(٢)، ثُمَّ تَرَكْتُهَا، فَقُلْتُ: لَا نَظُرَنَّ هَلْ اسْتُجِيبَ لَهُ؟ فَسِرْنَا مِيلًا أَوْ نَحْوَهُ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: إِنِّي نَسِيتُ إِدَاوَتِي فَذَهَبْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ، فَكَأَنَّمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَاءٌ قَطُّ فَأَخَذْتُ إِدَاوَتِي فَجِئْتُ بِهَا.

فَلَمَّا أَتَيْنَا دَارِينَ - وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الْبَحْرُ - فَدَعَا أَيُّضًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ يَا عَلِيمُ يَا حَلِيمُ، يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ، إِنَّا عَبِيدُكَ، وَفِي سَبِيلِكَ نُقَاتِلُ عَدُوَّكَ، فَاجْعَلْ لَنَا سَبِيلًا إِلَى عَدُوَّكَ.

ثُمَّ اقْتَحَمَ بَنُو الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ مَا ابْتَلَتْ سُرُوجُنَا حَتَّى خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ. فَلَمَّا رَجَعْنَا اشْتَكَى الْبَطْنُ فَمَاتَ، فَلَمْ نَجِدْ مَا نُغَسِّلُهُ بِهِ، فَكَفَّنَاهُ فِي ثِيَابِهِ، وَدَفَّنَاهُ، فَلَمَّا سِرْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ إِذَا نَحْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: ارْجِعُوا لِنَسْتَخْرِجْهُ فَنُغَسِّلْهُ فَرَجَعْنَا فَطَلَبْنَا قَبْرَهُ، فَخَفِيَ عَلَيْنَا قَبْرُهُ، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ،

(١) موضع بالبحرين.

(٢) إناء من الجلد يُحْمَلُ فِيهِ الْمَاءُ.



فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَدْعُو اللَّهَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ يَا عَلِيمُ يَا حَلِيمُ، يَا
عَلِيَّ يَا عَظِيمُ، أَخَفِ جُثَّتِي، وَلَا تُطْلِعْ عَلَيَّ عَوْرَتِي أَحَدًا فَرَجَعْنَا
وَتَرَ كُنَاهُ»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

^(١) حلية الأولياء (١/ ٧-٨)، البداية والنهاية (٦/ ١٧٧)، صفة الصفوة (١/ ٣٥٢-٣٥٣)، دلائل
النبوة للبيهقي (٦/ ٥٢-٥٣)، مجابو الدعوة (٤٠)، المستغيثون بالله (١٤٦).

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ لَا يَضِيعَ كُمْ﴾

❁ قال إبراهيم النعماني: قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: لَمَّا حُبِسَتْ الْحَبْسَةُ الْمَشْهُورَةُ، أُدْخِلَتْ السَّجْنَ، فَأُنْزِلَتْ عَلَى أَنْاسٍ فِي قَيْدٍ وَاحِدٍ، وَمَكَانٍ ضَيْقٍ، لَا يَجِدُ الرَّجُلُ إِلَّا مَوْضِعَ مَجْلِسِهِ، وَفِيهِ يَأْكُلُونَ، وَفِيهِ يَتَغَوَّطُونَ، وَفِيهِ يَصَلُونَ.

قَالَ: فَجِئْتُ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، فَأَدْخَلَ عَلَيْنَا، فَلَمْ نَجِدْ مَكَانًا، فَجَعَلُوا يَتَبَرَّمُونَ بِهِ، فَقَالَ: اضْبُرُوا، فَإِنَّمَا هِيَ اللَّيْلَةُ.

فَلَمَّا دَخَلَ اللَّيْلُ، قَامَ يَصَلِّي، فَقَالَ: يَا رَبِّ، مَنَنْتَ عَلَيَّ بِدِينِكَ، وَعَلِمْتَنِي كِتَابَكَ، ثُمَّ سَلَطْتَ عَلَيَّ شَرَّ خَلْقِكَ^(١)، يَا رَبِّ، اللَّيْلَةُ، اللَّيْلَةُ، لَا أَصْبِحُ فِيهِ.

فَمَا أَصْبَحْنَا حَتَّى ضُرِبَتْ أَبْوَابُ السَّجْنِ: أَيْنَ الْبَحْرَانِي، أَيْنَ الْبَحْرَانِي؟ فَقَالَ كُلُّ مَنْ: مَا دُعِيَ السَّاعَةَ، إِلَّا لِيُقْتَلَ، فَخُلِّي سَبِيلُهُ.

فَجَاءَ، فَقَامَ عَلَى بَابِ السَّجْنِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، وَقَالَ: أَطِيعُوا اللَّهَ لَا يَضِيعَ كُمْ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد (٤٠-٩٥ هـ) قائد، داهية، سفاك، خطيب، قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال ابن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله بن الزبير وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق. انظر ترجمته في الأعلام (٢/١٦٨)، وفيات الأعيان (١/١٢٣)، الكامل لابن الأثير (٤/٢٢٢).

(٢) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (ص ٣٢)، الفرج بعد الشدة للتوخي (١/٢٦٠).

أَبَى أَنْ يَعْطِيَهُ دِينَارًا فَأَعْطَاهُ الْفَيْنَ

عن الحسن بن محمد الأنباري الكاتب، قال: كان لي أيام مقامي بأرجان جار تاجر، يُعرف بجعفر بن محمد، وكنت آنس به، فحدثني، قال: كنت أحج دائماً، وأنزل على رجل علوي، حسيني فقير، مستور، فألففه، وأتفقده.

فتأخرت عن الحج سنة، ثم عاودت، فوجدته مثرىً، فسُرت، وسألته عن سبب ذلك.

فقال: كان قد اجتمع معي دريهمات على وجه الدهر، ففكرت، عام أول، في أن أتزوج، فإني كنت عزباً، كما قد علمت.

ثم علمت أن فرض الحج قد تعين عليّ، فرأيت أن أقدم أداء الفرض، وأتوكل على الله ﷻ، في أن يسهل لي -بعد ذلك- ما أتزوج به.

فلما حججت، طفت طواف الدخول، وأودعت رحلي، وما كان معي، في بيت من خان، وأقفلت بابه، وخرجت إلى منى.

فلما عدت، وجدت البيت مفتوحاً، فارغاً، فتحيرت، ونزلت بي شدة ما مربى قط مثلها.

فقلت هذا أعظم للثواب، فما وجه الغم، فاستسلمت لأمر الله ﷻ.

فجلست في البيت، لا حيلة لي، ولا تسمح نفسي بالمسألة، فاتصل مقامي ثلاثة أيام، ما طعمت فيها شيئاً.

فلما كان في اليوم الرابع، بدأ في الضعف سَحَرًا، وخفت على نفسي،

وذكرت قول جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ماء زمزم لما شرب له»، فخرجت أريدها حتى شربت منها، ورجعت أريد باب إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لأستريح فيه.

فبينما أنا أسير، إذ عثرت فى الطريق بشيء أوجع إصبعى، فأكبت عليه لأمسكه، ف وقعت يدي على هميان آدم أحمر كبير، فأخذه فلما حصل فى يدي، ندمت، وعلمت أن اللقطة - ما لم تُعرّف - حرام.

وقلت: إن تركته الآن، كنت أنا المضيع له، وقد لزمنى أن أعرفه، ولعل صاحبه، إذا رجع إليه، أن يهب لى شيئاً أقتاته حلالاً.

فجئت إلى بيتى، وفتحت الهميان، فإذا فيه دنانير صُفر، تزيد على ألفى دينار.

فسددته، ورجعت إلى المسجد، فجلست عند الحجر، وناديت: من ضاع له شيء، فيأتينى بعلامته، ويأخذه.

فانقضى يومى، وأنا أنادى، وما جاءنى أحد، وأنا على حالى من الجوع.

وبتُ فى بيتى، ليلتى كذلك، وعدت إلى الصفا والمروة، فعرفته عندهما يومى، حتى كان ينقضى، فلم يأتنى أحد.

فضعفت ضعفاً شديداً، وخشيت على نفسى، فرجعت متحاملاً، ثقيلاً، حتى جلست على باب إبراهيم الخليل، على نبينا وعليه السلام، وقلت قبل انصرافى: إني قد ضعفت عن الصياح وأنا ماض أجلس على باب إبراهيم، فمن رأيتموه يطلب شيئاً ضاع منه، فأرشدوه إلىَّ.



فلما قرب المغرب، وأنا في الموضع، إذا أنا بخراساني ينشد ضالة، فصحت به، وقلت له: صِف لى ما ضاع منك، فأعطاني صفة الهميان بعينه، وذكر وزن الدنانير وعددها.

فقلت: إن أرشدتك إلى من يرده عليك، تعطينى منه مائة دينار؟ قال: لا.

قلت: فخمسين دينارًا؟ قال: لا.

قلت: فعشرة دنانير؟ قال: لا.

فلم أزل أنزل معه، حتى بلغت إلى دينار واحد.

فقال: لا، إن رأى من هو عنده، أن يرده إيمانًا واحتسابًا، وإلا فهو أبصر، وولى لينصرف.

فورد على أعظم وارد، وهممت بالسكوت، ثم خفت الله ﷻ وأشفقت أن يفوتنى الخراساني.

فصحت به، ارجع، ارجع، وأخرجت الهميان، فدفعته إليه، فأخذه، ومضى، وجلست، ليس لى قوة على المشى إلى بيتى.

فما غاب عنى إلا قليلًا، حتى عاد، فقال لى: من أى البلاد أنت، ومن أى الناس؟

قال: فاغتظت منه غيظًا شديدًا، وقلت: ما عليك، هل بقى لك عندى شىء؟ قال: لا، ولكنى أسألك بالله العظيم، من أى الناس والبلاد أنت؟ فعرفنى، ولا تضجر.

فقلت: رجل من العرب، من أهل الكوفة.

فقال: من أيهم أنت، واختصر؟ فقلت: رجل من ولد الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام.

فقال: ما حالك ومالك؟ قلت: لا أملك في هذه الدنيا كلها إلا ما تراه، وقصصت عليه حال محنتي وما كنت طمعت فيه أن يعطينيه من الهميان، وما قد انتهيت إليه من الضعف من الجوع.

فقال: أريد من يعرفني صحة نسبك وحالك، حتى أقوم بجميع أمرك كله.

فقلت: ما أقدر على المشي للضعف، ولكن أئت الطواف، وصح بالكوفيين، وقل: رجل من بلدكم، علوى، بباب إبراهيم، يريد أن يجيئه منكم من ينشط لحال هو فيها، فمن جاء معك فهاته.

فغاب غير بعيد، ثم جاء ومعه من الكوفيين جماعة اتفق أنهم كلهم كانوا يعرفون باطن حالي.

فقالوا: ما تريد أيها الشريف؟ فقلت: هذا رجل يريد أن يعرف حالي، ونسبي، لشىء بينى وبينه، فعرفوه ما تعرفون من ذلك.

قال: فعرفوه صحة نسبى، ووصفوا له طريقتى، وعمى.

فمضى، وجاء فأخرج الهميان بعينه، كما سلمته إليه، فقال: خذ هذا بأسره، بارك الله لك فيه.

فقلت: يا هذا، ما كفاك ما عاملتنى به، حتى تهزأ بى، وأنا فى حال الموت.

قال: معاذ الله، هو لك، والله.

فقلت: فلمَ بخلت عليَّ بدينار منه، ثم وهبت لى الجميع؟ فقال: ليس الهميان لى، وما كان يجوز لى أن أعطيك منه شيئاً، قلَّ أو كثر، وإنما أعطانيه رجل من بلدى، وسألنى أن أطلب فى العراق، أو فى الحجاز، رجلاً علويّاً، حسيّناً، فقيراً، مستوراً، فإذا علمت هذا من حاله، أغنيته، بأن أسلم إليه هذا المال كله، ليصير أصلاً لنعمة تنعقد له، فلم تجتمع لى هذه الصفات قبلك فى أحد، فلما اجتمعت فيك، بما شاهدته من أمانتك، وفقرك، وعفتك، وصبرك، وصح عندى نسبك، أعطيتكه.

فقلت له: يرحمك الله، إن كنت تحب استكمال الأجر، فخذ منه ديناراً، وابتع لى به دراهم، واشتر بها ما آكله، وصر به إلى الساعة ها هنا.
فقال: لى إليك حاجة.

قلت: قل.

قال: أنا رجل موسر، والذى أعطيتك لى فيه شىء، كما عرفتك، وأنا أسألك أن تقوم معى إلى رحلى، فتكون فى ضيافتى إلى الكوفة، وتتوفر عليك دنائيرك.

فقلت: ما فى حركة، فاحتمل فى حملى، كيف شئت.

فغاب عنى ساعة، وجاء بمركوب، وأركبنيه إلى رحله، وأطعمنى فى الحال ما كان عنده، وقطع لى من الغد ثياباً وكان يخدمنى بنفسه، وعاد لى فى عماريته إلى الكوفة، فلما بلغتها، أعطانى من عنده دنائير أخر، وقال لى: تزود بها بضاعة.... وفارقتة، وأنا أدعو له، وأشكره، ولم أمس الهميان.

وأخذت أنفق من الدنائير التى أعطانيها الرجل، باقتصاد، إلى أن اتفقت

لى ضيعة رخيصة، فابتعتها بالهميان، فأغلت، وأثمرت، وأنا، من الله ﷻ في
نعمة جزيلة، وخير كثير، والحمد لله على ذلك^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة / للإمام التنوخي (ص ٣٠٠-٣٠٣).



سبحان الله.. ما أوسع فضله

✽ يُروى أنه كان فيما يجاور عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثى بقرطبة رجل من شيوخ قریش مختلفاً إليه، مقاعداً له يُكنى أبا الأصبغ. فلما كان في سنة ثمانين ومائتين أخذت الناس مجاعةً عظيمة، وتوالت الأمصار فأخبره ذلك القرشى قال: بقيت أنا وأهلى ثلاثة أيام لم نجد شيئاً يأكله ذو كبد.

قال: فأحسنا بالموت فلما كان صبيحة اليوم الرابع، قال لى أهلى: ما جلوسك في هذا البيت ونحن هكذا؟! وكان لى ثلاث بنات.

اخرج، واسع وابحث عن طعام حتى لا نموت كلنا جملة.

قال القرشى: فخرجت إلى أسطواني، وأغلقت الباب، وفكرت فيمن أقصد؟ إلى من أمضى؟ وقد يئست النفس من كل أحدٍ، وأسكبت السماء مطراً وابلاً دام حيناً وشهوراً.

فبينما أنا قاعد إذ دخل علىّ ماژ والمطر كأفواه القرب، فإذا بأبى مروان عبيد الله بن يحيى، قال: فقمتم إليه، وقلت له:

يا سيدى، أنت في مثل هذا اليوم؟!

فقال: إياك قصدى، بعد عهدي بك، وغمّنى فقرك، وأحسب أن يكون دخلت إليك الضيق مما أكب من هذا الشتاء، وهذه عشرة دنائير تنفقها فيما تحتاج إليه، وقد أمرت طريفاً (فتاى) بأن يُقبل إليك بحمل دقيقٍ، وربعين، من الزيت حتى يفتح الله.

قال القرشى: فشكرت الله تعالى وشكرته، ودعوت له، ثم خرج عنى،

فلم يكن إلا أن بلغ داره، وأتاني حمل الدقيق مع غلامه، وغلام ثانى بجرتين ربعين من الزيت قد غطاها عن المطر، وأنزل ذلك كله فى أسطوانى، ثم انصرف الأعوان عنى، فوقفت عند الباب، فیسّر الله لى رجلاً من جيرانى، فقلت له: تلطف لى فى ابتیاع حمل حطب وأغثنى به.

فقال لى: وأین يوجد الحطب فى مثل هذا اليوم؟!

فقلت: لعل الله یيسره، ثم أخرجت أربعة دراهم من كُمى وأعطيته، فلم يهبط إلا یسيرًا حتى صادف حمل الحطب، فابتاعه وأتاني به، فأنزله فى الأسطوان، ثم أقفلت باب الدار ودخلت إلى زوجتى وبناتى فما قدرن على القيام إلا بحيلة، فلما صرن معى قلت لهن.

هذا رزق ... فبدرت واحدة توقد النار، وأخرى تعجن فى الأسطوان، وأخرى تجعل المقلی على النار، حتى عُمِل لنا خبز مغلق، فأكلنا حتى شبعنا، وحمدت الله كثيرًا على ما مَنَّ به علينا.

قال أبو یحیی الغرناطى: ما أعجب ما تضمنته هذه الحکاية من تيسير الرزق وتهیئة اللطف، وتدارك الرمق بعد الإشراف على الهلاك، والإغاثة بالفرج بعد الإشراف على الفوت.

وما رأیت أفضل من ذلك الرجل الذى أعانه بمعروفه ونعشه للتفقد من الاهتمام بحاله والملاحظة لأمره فى مثل ذلك اليوم الذى تتعذر فيه المعيشة على من له قوة، ویصعب فيه التصرف على من له حيلة، فسبحان الله ما أوسع فضله، وأعمّ جوده، لا إله إلا هو^(١).

وقال أبو عمر أحمد بن خالد: بقى ابن وضاح يومًا لا قوت معه، فحركته

(١) انظر: جنة الرضا (١/ ٢٣١ - ٢٣٢).



امراته لطلب الرزق، ولا مته على لزوم البيت.

قال: فخرجت وقد ضاقت على الأرض، فقلت: إلى من أقصد؟

فقصدت الله تعالى في المسجد الجامع، فكنيت فيه إلى أن صليت العصر، فلما خرجت قلت: إن رجعت إلى الدار بغير شيء ضيقت على المرأة وفي الوقت فسحة، فنويت زيارة إخوان لي في قرية المرضا.

قال: فلما توسطت القنطرة إذا غلام صديق لي، ومعه دابة موقره بدقيق، وجرة من زيت، فقال لي: فلان يُقرئك السلام، وقد بعث إليك بهذا. فحمدت الله تعالى وصرت بذلك إلى داري^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افعل ما يليق بكرمك

❁ قَالَ سِبْطُ الْجَوْزِي: حَكَى لِي نَجْمُ الدِّينِ بْنِ سَلَامٍ عَنْ وَالِدِهِ:
أَنَّ الْفَرَنْجَ لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى دِمْيَاطَ، مَا زَالَ نُورُ الدِّينِ عِشْرِينَ يَوْمًا يَصُومُ،
وَلَا يَفْطِرُ إِلَّا عَلَى الْمَاءِ، فَضَعُفَ وَكَادَ يَتَلَفُ، وَكَانَ مَهِيئًا، مَا يَجْسُرُ أَحَدٌ
يَخَاطِبُهُ فِي ذَلِكَ.

فَقَالَ إِمَامُهُ يَحْيَى: إِنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ يَقُولُ: يَا يَحْيَى، بَشِّرْ نُورَ
الدِّينِ بِرَحِيلِ الْفَرَنْجِ عَنْ دِمْيَاطَ.
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! رُبَّمَا لَا يَصَدِّقُنِي.

فَقَالَ: قُلْ لَهُ: بِعَلَامَةِ يَوْمٍ حَارِمٍ.
وَأَنْتَبَهَ يَحْيَى، فَلَمَّا صَلَّى نُورُ الدِّينِ الصُّبْحَ، وَشَرَعَ يَدْعُو، هَابَهُ يَحْيَى،
فَقَالَ لَهُ: يَا يَحْيَى، تُحَدِّثُنِي أَوْ أُحَدِّثُكَ؟
فَارْتَعَدَ يَحْيَى، وَخَرَسَ، فَقَالَ: أَنَا أُحَدِّثُكَ، رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ هَذِهِ اللَّيْلَةَ،
وَقَالَ لَكَ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: نَعَمْ، فَبِاللَّهِ يَا مَوْلَانَا، مَا مَعْنَى قَوْلِهِ بِعَلَامَةِ يَوْمٍ حَارِمٍ؟
فَقَالَ: لَمَّا التَّقِينَا الْعَدُوَّ، خِفْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَانْفَرَدْتُ، وَنَزَلْتُ،
وَمَرَّغْتُ وَجْهِي عَلَى التُّرَابِ، وَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي مَنْ مَحْمُودٌ فِي الْبَيْنِ، الدِّينُ
دِينُكَ، وَالْجُنْدُ جُنْدُكَ، وَهَذَا الْيَوْمَ افْعَلْ مَا يَلِيقُ بِكَرَمِكَ.
قَالَ: فَنَصَرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ^(١).

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٢٠/٥٣٨) ترجمة نور الدين (٣٤٠)، وانظر «مرآة الزمان»
(٨/١٩٩، ٢٠٠).



أمير المؤمنين وأبو اليتامى

عن القاسم بن يزيد قال:

أخذ بيدي سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ فَقَمْنَا إِلَى رَجُلٍ يُكْنَى أَبَا هَمَامٍ مِنْ عِبَادِ
البصرة، فسأله عن حديث عمر بن عبد العزيز فقال: حدثني رجل من الحى
وذكر من شأنه، قال: سألت الله تعالى أن يرزقنى الحج، قلت: فأريت النبى
فأتانى فقال: احضر الموسم العام فانتبهت فذكرت أنه ليس عندى ما أحج
به فأتانى من الليلة الثانية فقال لى مثل ذلك فانتبهت فقلت مثل ذلك، قال:
فأتانى فى الليلة الثالثة، قال: وكنت قلت فى نفسى إن هو أتانى قلت: ليس
عندى ما أحج به، قال: فقلت له ذلك فقال لى: انظر موضع كذا وكذا من
دارك فاحتفره فإن فيه درعاً لجذك أو لأبيك قال: فصليت الغداة ثم
احتفرت ذلك الموضع فإذا درع كأنما رُفعت عنها الأيدى فأخرجتها فبعتها
بأربع مائة درهم ثم أتيت المربد فاشتريت بعيراً أو ناقة، وتهيات بما يتهيا
الحاج، ووعدت أصحاباً لى فخرجت معهم، حتى شهدت الموسم، ثم
أردت الإنصراف فذهبت لأودع وقدمت بعيرى إلى الأبطح، فإنى لأصلى
فى الحجر إذ غلبتنى عيناي، فأريت النبى ﷺ فقال لى: «يا هذا إن الله قد قبل
منك سعيك ائت عمر بن عبد العزيز فقل له إن لك عندنا ثلاثة أسماء عمر
ابن عبد العزيز وأمير المؤمنين وأبو اليتامى».

لا يفعل هذا المعروف إلا (زيد الخيل)

حدّث الأصمعي قال: أصابت قبيلة نبهان سنة جدباء ذهبت بأموالهم ومواشيهم ولم تترك فيهم زرعاً ولا ضرعاً فتفرقوا في البلاد يطلبون الرزق، وينشدون القوت وذهب منهم رجل بعياله حتى انتهى إلى جبل تهامة فترك أولاده به وقال لهم: كونوا قريباً من هذا البلد فعسى أن يصيبكم من فضله وخيره وإنى سأضرب في الأرض حتى آتيكم بأرزاقكم.

قال الأصمعي: فانصرف الرجل عن أهله، وما زال يسعى ويجد في السعى حتى انتهى إلى مكان إبل وغنم وماشية فاطمأنت نفسه إلى أن هذه الماشية مملوكة لأربابها.

قال الرجل: فنظرت حولى فإذا شيخ كبير مستظل بخبائه، فأويت إليه، فرحّب بي وعجّلوا بطعامي وإكرامى، وبينما أنا أتناول طعامهم إذا أقبل علينا فارس شجاع يسوق مائة من الإبل ومعها فحلها فلما رآه أهل الحى، فقاموا إليه مُعظمين، فعلمت أنه سيد من ساداتهم وقد حلب له الشيخ من لبنها فلما نظر إلىّ قام إلى شاة فذبحها وجدد ضيافتي، وضاعف في إكرامى على غير معرفة، ولكن على الرغم من هذا الكرم الكثير، وهذا الجود الوفير لم تطب نفسى، ولا سكن خاطرى فقد كنت مشغولاً بأهلى، قلقاً على عيالى فأضمرت في نفسى شراً، وبئيت للقوم مكرّاً فلما دخل الليل نام الجميع وتظاهرت بالنوم معهم حتى أخذهم فلما هدأ الحى وأطبق الظلام حللت فحل الإبل وفككت عقال النوق ثم اعتليت ظهر الفحل ولوّحت على بقيت الإبل فتبعت فحلها، وقد أسرع في السير، وأحشت الخُطى حتى أشرق النهار، وطلعت الشمس وأيقنت إنى في مكان آمن وقد



أصبحت قريباً من أهلى وأولادى ومعى ما يغنيهم إلى نهاية العمر، وبينما أنا أنعم بلذة الظفر، وحلاوة الغنيمة - إذ بفارس الأمس قد أقبل علىّ وأيقنت أنه قاتلى لا محالة فقممت إلى سيفى فاخرطه من غمده فلما أبصرنى الفارس قال قاتلى لا محالة فقممت إلى سيفى فاخرطه من غمده فلما أبصرنى الفارس قال وهو بعيد عنى: أخيانة وغدرًا؟ فقلت له: لا والله لا سيدى، ليس الغدر من شيمتى، ولا الخيانة طبيعتى ولكنى تركت خلفى عيالاً جياعاً وخلفت ورائى أناساً محاويع. فقال الرجل: إنك ميت لا محالة، وأخرج قوسه من جراب، ووضع فيه سهمًا رائشاً وشدّه بقوة وقال: يا هذا فى أى مكان تريد أن أضع سهمى؟ فأشرت إلى عقدة فى حبل كان فى جانبى وقلت له: ضعه فى هذه العقدة. فرمى به إليها فأصابها وكأنما وضعه بيده فيها. فتخوفت منه على نفسى وأدركت أن السيف لا يغنى عنى شيئاً فأعدته إلى غمده فأقبل علىّ وشدّ وثاقى وأعادنى إلى خيمته، فلما سار بى أيقنت أنى هالك ولا بد ولا سيما أنه قطع الطريق إلى خبائه صامتاً دون أن يحدثنى بشيء مما جعلنى أسىء الظن به، وأكثر من الهواجس والظنون، ولم يكد يستقر بنا المقام فى خيمته حتى قطع صمته الطويل قائلاً لى: ممن الرجل؟ فقلت من قبيلة «نبهان» فقال: وما حملك على ما صنعت؟ قلت الفقر وشدة الجوع، فقال: وكيف ظنك بى؟ فقلت له: أحسن الظن ولو شئت شرّاً لأمضيته. فتبسم وقال: والله لن ينالك شرٌّ أبداً. فتعجبت من كرمه، ودُهِشت لمعروفه، وقلت: والله لا يفعل هذا المعروف ويعفو هذا العفو عن عزيمة إلا «زيد الخيل» فتهلل وجهه بشراً، وتألّق جبينه سروراً وقال أو تعرف «زيد الخيل؟!» فقلت: إذا كنت لم أره فإنى لا أجهل مكارمه. فقال: يا أخى هأنذا «زيد الخيل» فقلت له: ألا تفك وثاقى حتى

أشبع النظر منك؟ فأقبل علىّ ففكّ وثاقي، ثم جدد كرامتي، وأحسن ضيافتي ثم قال لي: أو أعجبتك هذه الإبل التي فررت بها؟ فضحكت من قوله ثم قلت: يا أخى لولا أنها أعجبتني ما فررت بها. فقال زيد: والله لو كانت لي لوهبته لك - ولكنها لابنة «مهلهل» ولكن سأعطيك ما هو خير منها. فمكثت عنده ثلاثة أيام وبعدها أعطاني إبلًا تفوق المائة وأغنامًا ومالًا كثيرًا، فلما هممت بالانصراف قال لي الشيخ الذي كان جالسًا معنا بالأمس: أيها الرجل، احتفظ بإبلك هذه ولا تفرط في غنمك ومالك، فقد آن خروج نبيٍّ أُمِّيٍّ في هذه البلاد، وسيملك هذه الأرض، ويطرد اليهود من جزيرة العرب، وسوف يأخذ أموالهم غنيمة وفيئًا للمسلمين وسوف يبيعها لمن شاء بأزهد الأثمان حتى إن الرجل ليبْتَاع البستان النضير بثمن جمل أو بغير. قال النبّهاني: سمعت نصيحته ووعيت مقالته وأيقنت أنه ما قال هذا إلا لأن عنده فيه علم. وما زلت أسعى حتى أتيت أهلي وقد أضناهم الجوع وأجهد أجسامهم. فلما رأوني مقبلًا فرحوا بي، وهشّوا للقاءى فقلت لهم: إن أعظم مما ترون، وأجلّ مما تشاهدون ما سوف أبشركم به، لقد أظلنا زمن النبي الأُمِّي، وسوف يضاعف الله لنا الغنى والثراء على يديه فسروا بذلك أضعاف سروري، وتحولنا إلى أرض «نبهان» وأقمنا بها حتى ظهر رسول الله فجئت إليه مع أهلي وبايعته على الإسلام، وحدثته عن معروف «زيد الخيل» وما صنع بي وهو يقدر علىّ، وأخبرته ببشارة «الشيخ» لي فقال: «الشيخ» صادق إن شاء الله... وقد عشت حتى أجلى الرسول اليهود عن المدينة وابتعت بستانًا من حدائقهم بثمن بغير. جعلنا الله جميعًا ممن يحبون اصطناع المعروف وإسداء الجميل.

الفرج قريب

عن أبي الحسين بن شمعون، قال: قال لي أحمد بن سلمان القطيعي: أضقت إضاقة فمضيت إلى إبراهيم الحربى لأبثه ما أنا فيه، فقال لى: لا يضق صدرك، فإن الله من وراء المعونة، وإنى أضقت مرة حتى انتهى أمرى فى الإضاقة إلى أن عدم عيالى قوتهم، فقالت لى الزوجة: هب أنى وإياك نصبر، فكيف نصنع بهاتين الصبيتين؟ فهات شيئاً من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه، فقلت: اقترضى لهما شيئاً، وأنظرينى بقية اليوم واليلة، وكان لى بيت فى دهليز دارى فيه كتبى، فكنت أجلس فيه للنسخ والنظر، فلما كان فى تلك اليلة إذا دأق يدق الباب، فقلت: من هذا، فقال: رجل من الجيران، فقلت: ادخل، فقال: اطفئ السراج حتى أدخل فكبيت على السراج شيئاً، وقلت: ادخل فدخل وترك إلى جانبى شيئاً، وانصرف، فكشفت عن السراج ونظرت فإذا منديل له قيمة، وفيه أنواع من الطعام، وكاغد فيه خمس مائة درهم، فدعوت الزوجة، وقلت: أنبهى الصبيان حتى يأكلوا، ولما كان من الغد قضينا ديناً كان علينا من تلك الدراهم، وكان وقت مجيء الحاج من خراسان، فجلست على بابى من غد تلك اليلة، وإذا بجمل يقود جملين عليهما حملان ورقا وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربى، فأنتهى إلى، فقلت أنا إبراهيم الحربى، فحطَّ الجملين، وقال: هذان الجملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان، فقلت: من هو؟ فقال: قد استحلقتنى أن لا أقول من هو^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد (٦/ ٣٢)، وابن الجوزي فى صفة الصفوة (٢/ ٤٠٧).

الأيام دول

❖ مرَّ الحسن البصرى رَحِمَهُ اللهُ ذَاتَ مَرَّةٍ عَلَى قَوْمٍ يَبْنُونَ غُرْفًا ضَيِّقَةً جَدًّا تَحْتَ الْأَرْضِ فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذَا؟

فَقَالُوا: تِلْكَ سَجُونٌ نَبْنِيهَا لِمَنْ يَخَالِفُ أَمْرَ الْأَمِيرِ.

فَقَالَ لَهُمُ الْحَسَنُ: وَسَّعُوهَا لَعَلَّكُمْ أَنْ تَدْخُلُوهَا يَوْمًا مَا.

وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ... فَلَقَدْ سُجِنُوا فِيهَا بَعْدَ مَدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ.

❖ وَهَذِهِ قِصَّةٌ أُخْرَى تَصَبُّ فِي نَفْسِ الْمَعْنَى.

❖ كَانَ ابْنُ الزِّيَّاتِ قَدْ اتَّخَذَ تَنْوَرًا مِنْ حَدِيدٍ، وَأَطْرَافَ مَسَامِيرِهِ الْمَحْدَدَةِ إِلَى دَاخِلٍ، يَعْذِبُ بِهِ الْمَصَادِرِينَ وَأَرْبَابَ الدَّوَاوِينِ، فَكَلَّمَا تَحَرَّكَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مِنْ حَرَارَةِ الْعُقُوبَةِ تَدَخَّلَ الْمَسَامِيرُ فِي جِسْمِهِ، فَيَجِدُ لَذْلِكَ أَشَدَّ الْأَلَمِ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ، وَكَانَ إِذَا قَالَ لَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ: أَيُّهَا الْوَزِيرُ؛ ارْحَمْنِي، يَقُولُ: الرَّحْمَةُ خَوْرٌ فِي الطَّبِيعَةِ، فَلَمَّا اعْتَقَلَهُ الْمَتَوَكِّلُ أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ فِي التَّنُورِ، وَقَيَّدَهُ بِخَمْسَةِ عَشَرَ رُطْلًا مِنَ الْحَدِيدِ.

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ارْحَمْنِي؛ فَقَالَ: الرَّحْمَةُ خَوْرٌ فِي الطَّبِيعَةِ، كَمَا كَانَ هُوَ يَقُولُ لِلنَّاسِ، فَطَلَبَ دَوَاةً وَبَطَاقَةً فَأَحْضَرْتَا إِلَيْهِ، فَكُتِبَ:

هِيَ السَّبِيلُ فَمِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ كَأَنَّهُ مَا تُرِيكَ الْعَيْنُ فِي النَّوْمِ
لَا تَجْزَعَنَّ رَوِيْدًا إِنَّهَا دَوْلٌ دُنْيَا تَنْقَلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ

وَسَيَّرَهَا إِلَى الْمَتَوَكِّلِ وَاشْتَغَلَ عَنْهَا، وَلَمْ يَقِفْ عَلَيْهَا إِلَّا فِي الْغَدِ، فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ، فَجَاؤُوا إِلَيْهِ فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا، وَكَانَتْ مَدَّةُ إِقَامَتِهِ فِي ذَلِكَ التَّنُورِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.



ولما جُعِلَ في التنور قالت له خادمتها: يا سيدى؛ قد صرّت إلى ما صرّت
إليه، وليس لك حامد، فقال: وما نفع البرامكة صنيعهم؟ فقالت له: ذكراهم
هذه الساعة. قال: ثمّ^(١).

﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

(١) مرآة الجنان (٢/ ٨٤).

الله يفرج همه برؤيا!!!

✽ عن أبي سهل الرّازي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حسان الزيّادي، قَالَ: ضقت ضيقة بلغت فيها إلى الغاية، حتى ألحَّ عَلَيَّ القَصَاب والبقال والخباز وسائر المعاملين، ولم تبَقْ لِي حيلة، فإني ليومًا عَلَيَّ تلك الحال وأنا مفكر في الحيلة، إذ دخل عَلَيَّ الغلام، فَقَالَ: حاج بالباب يستأذن؟ فقلت لَهُ: ائذن لَهُ، فدخل الخراساني فسَلَّم، وَقَالَ: أأنت أبا حسان؟ قُلْتُ: نعم، فما حاجتك؟ قَالَ: أنا رجل غريب وأريد الحج، ومعى عشرة آلاف درهم، واحتجت إلى أن تكون قبلك إلى أن أقضى حجبى وأرجع. فقلت: هاتها، فأحضرها وخرج بعد أن وزنها وختمها.

فلما خرج فككت الخاتم عَلَيَّ المكان، ثم أحضرت المعاملين فقضيت كل من كَانَ لَهُ عَلَيَّ دين، واتسعت وأنفقت وقلت: أضمن هذا المال للخراساني، فإلى أن يجيء يكون قد أتى الله بفرج من عنده، فكنت يومى ذلك فى سعة وأنا لا أشك فى خروج الخراساني، فلما أصبحت فى غد ذلك اليوم دخل إلى الغلام، فَقَالَ: الخراساني الحاج بالباب يستأذن، فقلت: ائذن لَهُ، فدخل، فَقَالَ: إني كنت عازمًا عَلَيَّ ما أعلمتك، ثم ورد عَلَيَّ الخبر بوفاة والدى وقد عزمت عَلَيَّ الرجوع إلى بلدى، فتأمر لى بالمال الذى أعطيتك أمس.

فورد عَلَيَّ أمر عظيم لم يرد عَلَيَّ مثله قط، وتحيرت فلم أدْرِ بما أجيبه، وفكرت فقلت: ماذا أقول للرجل؟ ثم قُلْتُ لَهُ: نعم، عافاك الله، منزلى هذا ليس بالحريز، ولما أخذت مالك وجَّهت به إلى مَنْ هو قبْله، فتعود فى غدٍ لتأخذه، فانصرف وبقيت متحيرة لا أدري ما أعمل؟ إن جحدته فذمّنى



واستحلفنى، وكانت الفضيحة فى الدنيا والآخرة، والهتك، وإن دافعته صاح وهتكنى، وغلظ الأمر علىَّ جدًّا، وأدركنى الليل وفكرت فى بكور الخراسانى إلىَّ، فلم يأخذنى النوم ولا قدرت على الغمض، فقممت إلى الغلام، فقلت أسرج البغلة، فقال يا مولاي هذه العتمة بعد، وما مضى من الليل شىء، فإلى أين تمضى؟ فرجعت إلى فراشى فإذا النوم ممتنع، فلم أزل أقوم إلى الغلام وهو يردنى، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، وأنا لا يأخذنى القرار، وطلع الفجر فأسرج البغلة وركبت، وأنا لا أدرى أين أتوجه وطرحت عنان البغلة وأقبلت أفكر وهى تسير حتى بلغت الجسر، فعدلت بى إليه، فتركته فعبرت، ثم قُلْتُ: إلى أين أعبر، وإلى أين أمضى؟ ولكن إن رجعت وجدت الخراسانى على بابى، أدعها تمضى حيث شاءت، ومضت البغلة فلما عبرت الجسر أخذت بى يمينة ناحية دار المأمون، فتركته إلى أن قاربت باب المأمون والدنيا بعد مظلمة، فإذا فارس قد تلقانى، فنظر فى وجهى، ثم سار وتركنى، ثم رجع إلىَّ، فَقَالَ: أأست بأبى حسان الزيادى؟ قُلْتُ: بلى، قَالَ: أجب الأمير الحسن بن سهل، فقلت فى نفسى: وما يريد الحسن بن سهل منى؟ ثم سرت معه حتى صرنا إلى بابه، واستأذن لى عليه، فدخلت، فَقَالَ لى: أبا حسان ما خبرك؟ وكيف حالك؟ ولم انقطع عنا؟ فقلت: لأسباب، وذهبت لأعتذر، فَقَالَ: دع هذا عنك، أنت فى لوثة أو فى أمر، فما هو؟ فإنى رأيتك البارحة فى النوم فى تخليط كثير، فابتدأت فشرحت له قصتى من أولها إلى أن لقينى صاحبه، ودخلت عليه، فَقَالَ لا يغمك الله يا أبا حسان، قد فرج الله عنك، هذه بدرة للخراسانى مكان بدرته، وبدرة أخرى لك تتسع بها، وإذا نَعِدْتَ أعلمنا.

فرجعت من مكاني فقضيت الخراساني واتسعت وفرج الله، وله الحمد^(١).

❦ وروى هذه الحكاية التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة من طريق أخرى، وفيه أنه لما خرج لقيه قوم فرأوه، وَقَالُوا لَهُ: أتعرف منزل رجل يقال له: أَبُو حسان الزيادي؟ فَقَالَ: أَنَا هُوَ فَقَالُوا لَهُ: أجب أمير المؤمنين، فَحُمِلَ، فَأُدْخِلَ إِلَى الْمَأْمُون. فَقَالَ لَهُ: من أنت؟

فَقَالَ: رجل من أَصْحَاب أَبِي يَوْسُفَ الْقَاضِي مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَصْحَاب الْحَدِيث.

قَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ تُكْنَى؟ فَقَالَ: بِأَبِي حَسَان.

فَقَالَ: بِمَاذَا تُعْرَفُ؟ فَقَالَ: بِالزِّيَادِي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا نَزَلْتُ فِيهِمْ، فَنُسِبَتْ إِلَيْهِمْ.

فَقَالَ: قصتك، فشرحت له قصتي.

فَبَكَى بكَاءً شَدِيدًا، وَقَالَ: وَيْحَكَ، مَا تَرَكْنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أَنَامَ بِسَبِيكَ، أَتَانِي فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ فَقَالَ: أَغِثْ أَبَا حَسَانَ الزِّيَادِي، فَانْتَبَهْتُ وَلَمْ أَعْرِفَكَ، وَاعْتَمَدْتُ السُّؤَالَ عَنْكَ، وَاثْبِتْ اسْمَكَ وَنَسَبَكَ وَنَمْتَ، فَأَتَانِي، فَقَالَ كَمَقَالَتِهِ، فَانْتَبَهْتُ مِنْزَعَجًا، ثُمَّ نَمْتُ، فَأَتَانِي، وَقَالَ: وَيْحَكَ، أَغِثْ أَبَا حَسَانَ، فَمَا تَجَاسَرْتَ عَلَى النَّوْمِ، وَأَنَا سَاهِرٌ، وَقَدْ بَثْتُ فِي طَلَبِكَ، ثُمَّ أَعْطَانِي عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَقَالَ: هَذِهِ لِلْخِرَاسَانِي، ثُمَّ أَعْطَانِي عَشْرَةَ آلَافٍ

(١) أخرجهما الخطيب في تاريخ بغداد (٣٥٨/٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٦/١٣)،

دِرْهَم أُخْرَى، وَقَالَ: اتَّسَعَ بِهَذِهِ، وَأَصْلَحَ أَمْرُكَ، وَعَمَّرَ دَارُكَ، واشترى
مركوبًا سرِّيًّا، وثيابًا حَسَنَةً، وعبداً يمشى بين يدي دابتك، ثُمَّ أَعْطَانِي ثَلَاثِينَ
أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَقَالَ: جَهِّزْ بَهَا بَنَاتَكَ، وَزَوْجَهُنَّ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْمَوْكَبِ، فَصِرْ
إِلَيَّ، حَتَّى أَقْلِدَكَ عَمَلًا جَلِيلًا، وَأُحْسِنَ إِلَيْكَ.

فَخَرَجَتْ وَالْمَالُ بَيْنَ يَدَيِ مَحْمُولٍ، حَتَّى أَتَيْتَ مَسْجِدِي، فَصَلَّيْتُ
الْغَدَاةَ، وَالتَفْتُ فَإِذَا الْخُرَاسَانِيُّ بِالْبَابِ، فَأَدْخَلْتَهُ إِلَى الْبَيْتِ، وَأَخْرَجْتُ بَدْرَةَ
فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ.

فَقَالَ: لَيْسَ هَذِهِ بَدْرَتِي، أُرِيدُ مَالِي بِعَيْنِهِ.

فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي، فَبَكَى، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ صَدَقْتَنِي فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ عَنْ
خَبْرِكَ لَمَا طَالَبْتُكَ، وَأَمَّا الْآنَ، فَوَاللَّهِ لَا دَخَلَ مَالِي شَيْءٌ مِنْ مَالِ هَؤُلَاءِ،
وَأَنْتَ فِي حِلٍّ، وَأَنْصَرَفَ.

فَأَصْلَحَتْ أَمْرِي، وَبَكَرْتُ يَوْمَ الْمَوْكَبِ إِلَى بَابِ الْمَأْمُونِ، فَدَخَلْتُ،
وَهُوَ جَالِسٌ جُلُوسًا عَامًّا.

فَلَمَّا مَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ اسْتَدْعَانِي، ثُمَّ أَخْرَجَ عَهْدًا مِنْ تَحْتِ مُصَلَّاهُ، وَقَالَ:
هَذَا عَهْدُكَ عَلَى قِضَاءِ الْمَدِينَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ مَدِينَةِ
السَّلَامِ، وَقَدْ أُجْرِيَتْ عَلَيْكَ فِي كُلِّ شَهْرٍ كَذَا وَكَذَا، فَاتَّقِ اللَّهَ تَدْمَ عَلَيْكَ
عَنَايَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ الْمَأْمُونِ وَسَأَلُونِي عَنْ مَعْنَاهُ، فَأَخْبَرْتَهُمُ الْخَبَرَ،
فَانْتَشَرَ.

فَمَا زَالَ أَبُو حَسَانَ قَاضِي الشَّرْقِيَّةِ، حَتَّى مَاتَ^(١).

الحمد لله الذي عافاني

❁ يُروى أن عيسى عليه السلام مرَّ برجل أعمى، أبرص، مُقعَّد، مضروب الجبين بفالج، وقد تناثر لحمه من الجُدَام، وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من خلقه!

فقال له عيسى عليه السلام: يا هذا، أى شىء من البلاء أراه مصروفًا عنك؟!

فقال: يا روح الله، أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبى من معرفته.

فقال له: صدقت، هات يدك، فناوله يده، فأبرأه الله مما كان به، فإذا هو أحسن الناس وجهًا، وأفضلهم هيئة، قد أذهب الله عنه ما كان به ببركة رضاه عن ربه ... وصحب عيسى عليه السلام مدة، وتعبَّد معه ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أورده الزبيدي (١٢ / ٥٣٤) في الإتحاف.

«الفالج» يقال: فُلج الرجل: أصابه داء الفالج، فهو مفلوج، والفالج: شلل يصيب أحد شقَيَّ الجسم طولًا.



تفاؤل الإمام ابن القيم في العثور على ولده

✽ يعلم الفقيه العالم بدينه أن الإسلام نهى عن الطيرة، وحَبَّبَ إلى العباد التفاؤل والاستبشار الذي يشرح الصدر، ويقوى القلب^(١)، وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمته الله حادثة وقعت له في إحدى حجَّاته إلى البيت العتيق. ضاع فيها ولدٌ له صغير، وبعد تعب شديد تفاءل بالعثور عليه، بعد أن سمع كلامًا تفاءل به، وفي ذلك يقول: « وأخبرك عَنْ نَفْسِي بقضية من ذَلِكَ وَهِيَ أَنِّي أَضَلَلْتُ بَعْضَ الْأَوْلَادِ يَوْمَ التَّروِيَةِ بِمَكَّةَ وَكَانَ طِفْلاً فَجَهَدْتُ فِي طَلْبِهِ وَالنِّدَاءِ عَلَيْهِ فِي سَائِرِ الرِّكَبِ إِلَى وَقْتِ يَوْمِ الثَّامِنِ فَلَمْ أَقْدِرْ لَهُ عَلَى خَبَرٍ فَأَيْسَتْ مِنْهُ فَقَالَ لِي إِنْسَانٌ: إِنَّ هَذَا عَجَزَ ... اركب وادخل الآنِ إِلَى مَكَّةَ فَتَطْلُبْ فِيهَا فَرَكِبْتُ فَرَسًا فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ اسْتَقْبَلَتْ جَمَاعَةٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ فِي الطَّرِيقِ وَأَحَدُهُمْ يَقُولُ ضَاعَ لَهُ شَيْءٌ فَلَقِيَهُ فَلَا أَدْرِي انْقِضَاءَ كَلِمَتِهِ كَانَ أَسْرَعَ أُمَّ وَجَدَانِي الطِّفْلَ مَعَ بَعْضِ أَهْلِ مَكَّةَ فِي مُحْمَلَةٍ عَرَفْتَهُ بِصَوْتِهِ»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) روائع القصص الإسلامي / د. عمر الأشقر (ص ٢٦٢).

(٢) مفتاح دار السعادة (٣ / ٣١١).

قلبٌ مخلص... ومطرٌ غزير

قحط الناس آخر مدة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد. فأمر القاضي منذر بن سعيد بالبروز إلى الاستسقاء بالناس فتأهب لذلك، وصام بين يديه أيامًا، تنفلاً، وإنابةً، ورهبةً. واجتمع له الناس في مصلى الربض بقرطبة، بارزين إلى الله تعالى في جمع عظيم. وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانعه المرتفعة من القصر، ليشأرف الناس، ويشاركهم في الخروج إلى الله، والضراعة له، فأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس، وغصت بهم ساحة المصلى. ثم خرج نحوهم ماشياً، متضرعاً، مخبتاً، متخشعاً؛ وقام ليخطب. فلما رأى بدار الناس إلى ارتقابه، واستكانتهم من خيفة الله، وإخباتهم له، وابتهالهم إليه، رقت نفسه، وغلبته عيناه؛ فاستغفر، وبكى حيناً؛ ثم افتتح خطبته بأن قال: سلامٌ عليكم ثم سكت، ووقف شبه الحَصْرِ، ولم يكن من عادته. فنظر الناس بعضهم ببعض، لا يدرون ما عراه، ولا ما أراد بقوله. ثم اندفع تالياً بقوله: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءً أَوْ أَجْهَلَ لَهْ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ استغفروا ربكم، وتوبوا إليه، وتزلفوا بالأعمال الصالحات لديه قال: فهاج الناس بالبكاء، وجأروا بالدعاء، ومضى على تمام خطبته؛ فقرع النفوس بوعظه، وانبعث الإخلاص بتذكيره؛ فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماءٍ منهمر، روى الثرى، وطررد المَحَل، وسكَّن الأزل. والله لطيف بعباده.

وكان له في خطب الاستسقاء افتتاح عجيب؛ ومنه أن قال يوماً، وقد سرح طرفه في ملأ الناس، عندما شخصوا إليه بأبصارهم؛ فهتف بهم

كالمنادى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ - وكررها عليهم، مشيراً بيده في نواحيهم -
 ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) ^١ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ
 جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) ^٢ فاشتد وجل الناس، وانطلقت
 أعينهم بالبكاء، ومضى في خطبته (٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة فاطر: الآيات (١٥-١٧).

(٢) تاريخ قضاة الأندلس (ص ٧٠).

عليك بدعاء الكرب

❦ قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ قَالَ: كُنْتُ بِأَصْبَهَانَ عِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ أَكْتُبُ الْحَدِيثَ وَهُنَاكَ شَيْخٌ يَقَالُ لَهُ: أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ مَدَارُ الْفُتْيَا فَسُئِلَ بِهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ فَسُجِنَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ وَجَبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ يَحْرِّكُ شَفْتَيْهِ بِالتَّسْبِيحِ لَا يَفْتُرُ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «قُلْ لِأَبِي بَكْرٍ بْنُ عَلِيٍّ يَدْعُو بِدُعَاءِ الْكَرْبِ الَّذِي فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ حَتَّى يَفْرَجَ اللَّهُ عَنْهُ» قَالَ: فَأَصْبَحْتُ فَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَا بِهِ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أُخْرَجَ.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة له من طريق عبد الملك بن عمير قال: كَتَبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حِيَانَ: انْظُرِ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ فَاجْلِدْهُ مِائَةَ جَلْدَةٍ وَأَوْقِفْهُ لِلنَّاسِ، قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَجِئَ بِهِ فَقَامَ إِلَيْهِ عَلَى بَنِي الْحُسَيْنِ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَمِّ تَكَلَّمْ بِكَلِمَاتِ الْفَرَجِ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ فَذَكَرَ حَدِيثَ عَلِيٍّ بِاللَّفْظِ الثَّانِي، فَقَالَهَا فَرَفَعَ إِلَيْهِ عُثْمَانُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَرَى وَجْهَ رَجُلٍ كُذِبَ عَلَيْهِ خَلُّوا سَبِيلَهُ فَسَأَلْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِعُذْرِهِ فَأُتِلِقَ ...، وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ عَلَى قَالَ: لَمَّا زَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ابْنَتَهُ قَالَ لَهَا: إِنَّ نَزَلَ بِكَ أَمْرٌ فَاسْتَقْبِلِيهِ بِأَنْ تَقُولِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ الْحَسَنُ: فَأَرْسَلَ إِلَيَّ الْحَجَّاجُ فَقُلْتُهَا فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَكَ فَلَأَنْتَ الْيَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا ... وَزَادَ فِي لَفْظٍ فَسَلْ حَاجَتَكَ .



ابتليت بالمصائب فرزقت الصبر

عن مطرف بن عبد الله الحرشي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ:

شَهِدْتُ جَنَازَةً، ثُمَّ اعْتَزَلْتُ مِنْ نَاحِيَةٍ قَرِيبًا مِنْ قَبْرِ، فَرَكَعْتُ رَكَعَتَيْنِ كَأَنِّي خَفَفْتُهُمَا لَمْ أَرْضَ اتِقَانَهُمَا، قَالَ: فَنَعَسْتُ فَرَأَيْتُ صَاحِبَ الْقَبْرِ يَكَلِّمُنِي، فَقَالَ: رَكَعَتَا رَكَعَتَيْنِ لَمْ تَرْضَ اتِقَانَهُمَا، فَقُلْتُ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ، قَالَ: تَعْلَمُونَ، وَلَا تَعْمَلُونَ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْمَلَ، لِأَنْ أَكُونَ رَكَعْتُ مِثْلَ رَكَعَتَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا فَقُلْتُ: مَنْ هَا هُنَا؟ فَقَالَ: كُلُّهُمْ مُسْلِمٌ وَكُلُّهُمْ قَدْ أَصَابَ خَيْرًا، فَقُلْتُ: مَنْ هَا هُنَا أَفْضَلُ؟ فَأَشَارَ إِلَى الْقَبْرِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَخْرِجْهُ إِلَيَّ فَأُكَلِّمَهُ.

قَالَ: فَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ فَتَى شَابٌّ^(١)، فَقُلْتُ: أَنْتَ أَفْضَلُ مَنْ هَا هُنَا؟ قَالَ: قَدْ قَالُوا ذَلِكَ. قُلْتُ: فَبَأَى شَيْءٍ نِلْتَ ذَلِكَ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرَى لَكَ تِلْكَ السِّنَّ، فَأَقُولُ: نِلْتَ ذَلِكَ بِطُولِ الْحَجِّ، وَالْعُمَرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، وَالْعَمَلِ.... قَالَ: ابْتَلَيْتُ بِالْمَصَائِبِ فَرَزَقْتُ الصَّبْرَ عَلَيْهَا فَبِذَلِكَ فَضَّلْتُهُمْ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) كل هذا كان في المنام.

(٢) شعب الإيمان (١٠١٨٩) للبيهقي.

أرجو أن تكون لك خيرة

قال عثمان بن الهيثم: كان رجل بالبصرة من بنى سعد، وكان قائدًا من قواد عبيد الله بن زياد، فسقط عن السطح، فانكسرت رجلاه، فدخل عليه أبو قلابه يعوده، فقال له: أرجو أن تكون لك خيرة.

فقال له: يا أبا قلابه، وأى خيرٍ في كسر رجلَيَّ جميعًا؟! فقال: ما ستر الله عليك أكثر.

فلما كان بعد ثلاثٍ، ورد عليه كتاب ابن زياد: أن يخرج فيقاتل الحسين، فقال للرسول: قد أصابني ما ترى، فما كان إلا سبعة حتى وافى الخبر بقتل الحسين.

فقال الرجل: رحم الله أبا قلابه، لقد صدق، إنه كان خيرة لى^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



خرج من قبره بعد دفنه

ذكر العلامة ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ أَنَا أبا سعيد محمد بن يحيى، وكان يُدعى بـ «حامل كفته» تُوفى، فغُسِّل، وكُفِّن، وصُلِّي عليه ودُفِن، فلما كان الليل جاء نباش ليسرق كفته ففتح عليه قبره، فلما حَلَّ عنه كفته استوى جالسًا وفَرَّ النباش هاربًا من الفزع، ونهض محمد بن يحيى هذا فأخذ كفته معه، وخرج من القبر، وقصد منزله، فوجد أهله يبكون عليه، فدقَّ عليهم الباب، فقالوا: من هذا؟ فقال: أنا فلان. فقالوا: يا هذا لا يحل لك أن تزيدنا حُزنًا إلى حُزننا، فقال: افتحوا، والله أنا فلان، فعرفوا صوته، فلما رأوه فرحوا به فرحًا شديدًا، وأبدل الله حزنهم سرورًا، ثم ذكر لهم ما كان من أمره وأمر النباش، وكأنه قد أصابته سكتة، ولم يكن قد مات حقيقة، فقدَّر الله بحوله وقوته أن بعث له هذا النباش، ففتح عليه قبره، فكان ذلك سبب حياته، فعاش بعد ذلك عدة سنين^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) في كتابه [البداية والنهاية: ١١/١١٨].

عابد ينجو من فخ إبليس

عن سعيد بن الفضيل بن معبد قال: سمعت أبي يقول: قرأت في بعض الكتب أن إبليس لعنه الله أتى رجلاً من العباد من بنى إسرائيل، وفي وسطه هميان^(١)، وفي الهميان فخاخ مُعلّقة، فقال له العابد: ما هذه الفخاخ يا عبد الله؟ فقال: يا رجل، سائح وليس لى طعام ولا كسب، فإذا جُعت نصبت فخاً من هذه الفخاخ فأصيد الطائر، فأكله، فتلك معيشتى! فقال العابد: فأنا أحوج الناس إلى مثل هذا، قال: فإنى سأعمل لك فخاً جيداً، فافترقا ومرَّ العابد بامرأة قائمة على باب، فقالت: يا عبد الله، تُحسن تقرأ، فإنه أتانى كتاب من زوجى.

قال: نعم، هَلُمِّيهِ. قالت: تدخل الدهليز وتجلس، إنى أشفق عليك من القيام، فلما دخل أغلقت الباب وأرادته على نفسها، فناشدها الله، فأبت عليه، فتجانن عليها وتخبَّط، فلما رأت جنونه بادرت، ففتحت الباب، فخرج، فلقيه إبليس: فقال له العابد: ما فعل الفخ الذى وعدتنى؟ فقال إبليس: قد كنت عملته لك وجَوَدْتُهُ، ولكن جنونك لم يدعك تقع فيه^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الهميان: حزام يُربط حول الوسط.

(٢) عيون الحكايات (ص ٤١٢).



نهاية رجل يكره أصحاب الرسول ﷺ

عن أبي محمد الخراساني قال: كان عندنا ملك من ملوك خراسان وكان له خادم يتعبد، فلما أخذ في التأهب للحج استأذن الخادم مولاه في الحج، فلم يأذن له، فقال له الخادم: إنما استأذنتك في طاعة الله وطاعة رسوله؟ فقال: لست آذن لك حتى تضمن لي حاجة، فإن أنت ضمنتها أذنت لك، وإن لم تضمنها لم آذن لك؟ قال: فقال الخادم: هاتها! قال: أبعث معك برجال وخدم ونوق وزوامل، فإذا بلغت إلى قبر المصطفى محمد ﷺ، فقل له: يا رسول الله، مولاي يقول لك: إني برىء من ضجيعيك.

قال: فقلت له: سمعاً وطاعة، (وربى يعلم ما في قلبي). قال: ثم انتهينا إلى المدينة فبادرت إلى القبر فسلمت على النبي ﷺ، وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

واستحييت من رسول الله ﷺ أن أبلغه الرسالة المنكرة.

قال: فنمت في المسجد بإزاء القبر، فرأيت في المنام كأن حائط القبر قد انفتح، وإذا برسول الله ﷺ قد خرج وعليه ثياب خضر ورائحة المسك تنفح بين يديه، وإذا أبو بكر عن يمينه وعليه ثياب خضر، وإذا عمر عن يساره وعليه ثياب خضر، وكان النبي ﷺ يقول لي: يا كَيْسُ ما لك لم تؤدِّ الرسالة؟ فقلت: يا رسول الله، وقمت قائماً هيباً لرسول الله، وقلت: إني استحييتُ منك أن أسمعك في ضجيعك ما قال لي مولاي. فقال لي: اعلم أنك تحج وترجع سالماً إلى خراسان إن شاء الله، فإذا بلغت إليه فقل له:

النبى ﷺ يقول لك: إن الله ﷻ، وأنا بريئان ممن يبرأ منهما، أفهمت؟ قلت: نعم يا رسول الله، ثم قال لى: واعلم أنه يموت في اليوم الرابع من قدومك عليه، أفهمت؟ قلت: نعم، ثم قال لى: واعلم أنه يخرج في وجهه بثرة قبل أن يموت، أفهمت؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: ثم انتبهت فحمدت الله تعالى في أنى رأيت النبى ﷺ، ورأيت ضجيعيه، وحمدته على ما كفانى من تبليغ الرسالة المنكرة، ثم إنى حججت، ورجعت إلى خراسان سالمًا، وقد جئته بهدايا سنية، فسكت عنى يومين، فلما كان في اليوم الثالث قال لى: ما صنعت في الحاجة؟ قلت: قد قُضيت. قال لى: هاتها؟ قال: قلت: ألا تريد يا مولاي أن تسمع الجواب. فقال لى: هاته. قال: فقصصت عليه القصة، فلما بلغت إلى قوله: وقل له إن الله ﷻ وأنا بريئان ممن تبرأ منهما تضاحك، ثم قال لى تبرأنا منهم، وتبرأوا منا، واسترحنا، قال: فقلت في نفسى: سوف تعلم يا عدو الله!

قال: فلما كان اليوم الرابع من قدومى ظهرت في وجهه بثرة، فأكمته، فلم نُصلِّ الظهر إلا وقد دفنَّاه! ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



والله.. لا رأيت منى بعدها سوءاً أبداً

عن أبي على الحسن بن محمد الأنباري قال:

كان ابن الفرات يتتبع أبا جعفر بن بسطام بالأذية، ويقصده بالمكاره، فلقي منه في ذلك شدائد كثيرة.

وكانت أم أبي جعفر قد عودته منذ كان طفلاً، أن تجعل له في ليلة، تحت مخدته التي ينام عليها رغيفاً من الخبز، فإن كان في غدٍ، تصدّقت به عنه.

فلما كان بعد مدة من أذية ابن الفرات له، دخل إلى ابن الفرات في شيء احتاج إلى ذلك فيه، فقال له ابن الفرات: لك مع أمك خبر في رغيف؟ قال: لا.

فقال: لا بد أن تصدقني.

فذكر أبو جعفر الحديث، فحدثه به على سبيل التطايب بذلك من أفعال النساء.

فقال ابن الفرات: لا تفعل فإنني بثّ البارحة وأنا أدبر عليك تدبيراً لو تم لاستأصلتك فنمت، فرأيت في منامي كأن بيدي سيفاً مسلولاً، وقد قصدتك لأقتلك به، فاعترضتني أمك بيدها رغيف تُترسك به منى فما وصلت إليك وانتبهت.

فعاتبه أبو جعفر على ما كان بينهما، وجعل ذلك طريقاً إلى استصلاحه، وبذل له من نفسه ما يريده من حسن الطاعة، ولم يبرح حتى أرضاه وصارا صديقين.

وقال له ابن الفرات: والله لا رأيت منى بعدها سوءاً أبداً^(١).

(١) نشوار المحاضرة (٣/ ١٧٢) للتنوخي، المنتظم (٦/ ١٩٢) لابن الجوزي.

﴿ألقى صندوق الكتب في البحر فعاد إليه!!﴾

عن سليمان بن يزيد، أنَّ علي بن أبي طاهر لمَّا دخل الشام وكتب الحديث، جعل كُتبه في صندوق، وركب البحر، فاضطربت السفينة وماجت بهم، فألقى الصندوق في البحر ثمَّ سكنت السفينة، فلمَّا خرج منها أقام على الساحل ثلاث ليالٍ يدعو الله، ثمَّ سجد في الليلة الثالثة، وقال: إنَّ كان طلبى ذلك لوجهك وحبَّ رسولك فأغثنى بردَّ ذلك. فرفع رأسه، فإذا بالصندوق مُلقًى عنده على شاطئ البحر.

قَالَ: فرجع، وأتى على ذلك بُرْهة من الدَّهر، فقصدوه لسماع الحديث، فامتنع منه.

قَالَ: فرأيت النبي ﷺ في منامى، ومعه على (رضي الله عنه)، فَقَالَ النبي ﷺ لى: يا على مَنْ عامل الله بما عاملك به على شط البحر؟ لا يمتنع من رواية أحاديثى.

فقلت: قد تبت إلى الله؛ فدعالي وحثنى على الرواية. (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



رُؤْيَا عَجِيبَةٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ رضي الله عنه

❁ رُوي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ رَأَى فِي مَنَامِهِ، كَأَنَّهُ صَارَعَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، فَصَرَعَ عَبْدَ الْمَلِكِ، وَسَمَّرَهُ عَلَى الْأَرْضِ بِأَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ. فَأَرْسَلَ رَاكِبًا إِلَى الْبَصْرَةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْقَى مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ، وَيَقْصُ الرُّؤْيَا عَلَيْهِ، وَلَا يَذْكُرَ لَهُ مَنْ أَنْفَذَهُ. فَاتَّاهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْمَنَامَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سِيرِينَ: مَنْ رَأَى هَذَا؟ قَالَ: أَنَا رَأَيْتُهُ فِي رَجُلٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ. فَقَالَ: لَيْسَ هَذِهِ رُؤْيَاكَ، هَذِهِ رُؤْيَا ابْنِ الزَّبِيرِ أَوْ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَحَدُهُمَا فِي الْآخِرِ.

فَسَأَلَهُ الْجَوَابَ، فَقَالَ: مَا أَفْسَرَهَا أَوْ تَصَدَّقْنِي، فَلَمْ يَصُدِّقْهُ، فَاْمْتَنَعَ مِنَ التَّفْسِيرِ، فَانْصَرَفَ الرَّاكِبُ إِلَى ابْنِ الزَّبِيرِ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا جَرَى. فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ إِلَيْهِ، وَاصْدَقْهُ، أَنَّنِي رَأَيْتُهَا فِي عَبْدِ الْمَلِكِ. فَرَجَعَ الرَّاكِبُ إِلَى ابْنِ سِيرِينَ، وَصَدَّقَهُ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ يَغْلِبُكَ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَلِي هَذَا الْأَمْرَ مِنْ وَلَدِهِ لظَهَرَ أَرْبَعَةٌ، بَعْدَ الْأَوْتَادِ الَّتِي سَمَّرَتْهَا بِهَا عَلَى الْأَرْضِ ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من كرامات أبي مسلم الخولاني

✽ روى عثمان بن عطاء عن أبيه قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف إلى منزله من المسجد كَبَّرَ على باب منزله فتكبر امرأته، فإذا كان في صحن داره كَبَّرَ فتُجيبه امرأته، فانصرف ذات ليلة فكبر عند باب داره فلم يُجبه أحد، فلما كان في الصحن كبر فلم يجبه أحد فلما كان عند باب بيته كبر فلم يجبه أحد وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه. قال: فدخل البيت فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة في البيت مُنكسة تنكت بعودٍ معها - أي تضرب به الأرض - فقال لها: ما لك؟ قالت: أنت لك منزلة من «معاوية»^(١) وليس لنا خادم فلو سألته فأخدمنا وأعطاك؟! فقال: اللهم من أفسد على امرأتى فاعم بصرها. قال: وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت لها: «زوجك له منزلة من معاوية» فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عِشْثُم سُعداء!! قال: فبينما تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها!! فقالت: ما لسراجكم طُفَى؟ قالوا: لا. فعرفت ذنبها فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله ﷻ لها أن يرد عليها بصرها. قال: فرحمها أبو مسلم فدعا الله لها فَرَدَّ عليها بصرها^(٢).

✽ وعن عطاء الخراساني، أن امرأة أبي مسلم قالت: ليس لنا دقيق. فقال: هل عندك شيء؟ قالت: درهم بعنا به غزلاً. قال: ابغينيه وهاتى الجراب، فدخل السوق، فأتاه سائل، وألحَّ، فأعطاه الدرهم، وملاً الجراب نشارة مع تراب، وأتى وقلبه مرعوب منها، وذهب، ففتحته، فإذا به دقيق

(١) كان أبو مسلم قد رحل إلى «الشام» واستقر هناك.

(٢) أخرجه ابن عساكر (٩/ ١٩)، وانظر: تاريخ الإسلام (٣/ ١٠٥).



حُوَارَى^(١). فعجنت وخبزت، فلما جاء ليلاً، وضعته، فقال: من أين هذا؟
قالت: من الدقيق الذي جئت به فأكل وبكى^(٢).

✽ وروى محمد بن زياد الألهاني، عن أبي مسلم الخولاني، أنه كان
إذا غزا أرض الروم، فمروا بنهر فقال: أجزوا بسم الله، ويمر بين أيديهم،
فيمرون بالنهر الغمر، فربما لم يبلغ من الدواب إلا الرُّكَب، فإذا جازوا قال:
هل ذهب لكم شيء؟ فمن ذهب له شيء فأنا ضامن له فألقى بعضهم
مخلاته عمداً. فلما جاوزوا قال الرجل: مخلاتي وقعت، قال: اتبعني
فاتبعه، فإذا بها معلقة بعودٍ في النهر، قال: خذها^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الدقيق الحواري: الأبيض.

(٢) ابن عساكر ١٩/٩ ب - والسير (١٢/٤).

(٣) السير (١١/٤).

بين الإسكندر وملك الصين

عن أبي الفرج المعروف بالأصبهاني قال:

قَالَ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ لِلْأَوَائِلِ، أَنَّ الْإِسْكَندَرَ لَمَّا انْتَهَى إِلَى الصِّينِ، وَحَاصِرَ مَلِكُهَا، أَتَاهُ حَاجِبُهُ، وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ شَطْرُهُ، فَقَالَ لَهُ: هَذَا رَسُولُ مَلِكِ الصِّينِ بِالْبَابِ، يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ. فَقَالَ: أَدْخِلْهُ.

فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِسْكَندَرَ، وَسَلَّمْ، وَقَالَ: إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَخْلِينِي، فَعَلَّ.

فَأَمَرَ الْإِسْكَندَرَ مِنْ بَحْضَرَتِهِ بِالْانْصِرَافِ، وَبَقِيَ حَاجِبُهُ، فَقَالَ: إِنْ الَّذِي جِئْتُ لَهُ لَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَسْمَعَهُ غَيْرُكَ.

فَقَالَ: فَتَشَوْهُ، فَفُتِّشَ، فَلَمْ يَوْجَدْ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ السَّلَاحِ.

فَوَضَعَ الْإِسْكَندَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَيْفًا مَسْلُورًا، وَأَخْرَجَ حَاجِبُهُ، وَكُلٌّ مِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَقَالَ لَهُ: قِفْ بِمَكَانِكَ، وَقُلْ مَا شِئْتُ.

فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَنَا مَلِكُ الصِّينِ، لَا رَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَمَّا تَرِيدُهُ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا يُمْكِنُ الْانْقِيَادُ إِلَيْهِ، وَلَوْ عَلَى أَشَقِّ الْوُجُوهِ، قَبْلَتَهُ، وَغُنِيتُ أَنَا وَأَنْتَ عَنِ الْحَرْبِ.

قَالَ الْإِسْكَندَرُ: وَمَا آمَنُكَ مِنِّي؟

قَالَ: عَلِمِي بِأَنَّكَ رَجُلٌ عَاقِلٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا عَدَاوَةٌ، وَلَا مُطَالَبَةٌ بِذِخْلِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ إِنْ قَتَلْتَنِي لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ سَبَبًا لِأَنْ يُسَلَّمَ إِلَيْكَ أَهْلُ الصِّينِ مَلِكُهُمْ، وَلَمْ يَمْنَعُهُمْ قَتْلِي مِنْ أَنْ يَنْصَبُوا لَأَنْفُسِهِمْ مَلِكًا غَيْرِي، ثُمَّ تُنْسَبُ



أَنْتِ إِلَى غَيْرِ الْجَمِيلِ، وَضِدَ الْحَزْمِ.

فَأَطْرَقَ الإسْكَندَرُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ رَجُلٌ عَاقِلٌ، فَقَالَ: الَّذِي أُرِيدُهُ مِنْكَ، ارْتِفَاعُ مَمْلَكَتِكَ لثَلَاثِ سِنِينَ عَاجِلًا، وَنِصْفُ ارْتِفَاعِهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ.

قَالَ: هَلْ غَيْرَ ذَلِكَ شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا قَالَ: قَدْ أَجَبْتُكَ.

قَالَ: فِكَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ حِينَئِذٍ؟ قَالَ: أَكُونُ قَتِيلٌ أَوَّلَ مُحَارَبٍ، وَأَكَلَةٌ أَوَّلَ مَفْتَرَسٍ.

قَالَ: فَإِنْ قَنَعْتَ مِنْكَ بَارْتِفَاعَ ثَلَاثِ سِنِينَ، كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ؟ قَالَ: أَصْلَحُ مِمَّا كَانَتْ، وَأَفْسَحُ مُدَّةً.

قَالَ: فَإِنْ قَنَعْتَ مِنْكَ بَارْتِفَاعَ سَنَةٍ؟ قَالَ: يَكُونُ ذَلِكَ كَمَا لَا أَمْرٌ مُلْكِي، وَمَوْفِيًا لَجَمِيعِ لِدَاتِي.

قَالَ: فَإِنْ اقْتَصَرْتَ مِنْكَ عَلَى ارْتِفَاعِ السُّدُسِ؟ قَالَ: يَكُونُ السُّدُسُ مَوْفَرًا، وَيَكُونُ الْبَاقِي لِلْجَيْشِ وَلِسَائِرِ الْأَسْبَابِ.

قَالَ: قَدْ اقْتَصَرْتَ مِنْكَ عَلَى هَذَا، فَشُكْرُهُ، وَانْصَرَفَ.

فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، أَقْبَلَ جَيْشُ مَلِكِ الصِّينِ حَتَّى طَبَقَ الْأَرْضَ، وَأَحَاطَ بِجَيْشِ الإسْكَندَرِ حَتَّى خَافُوا الْهَلَكَ، وَتَوَاتَبَ أَصْحَابُهُ فَرَكَبُوا، وَاسْتَعَدُّوا لِلْحَرْبِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ مَلِكُ الصِّينِ، وَعَلَيْهِ التَّاجُ، وَهُوَ رَاكِبٌ، فَلَمَّا رَأَى الإسْكَندَرَ، تَرَجَّلَ.

فَقَالَ لَهُ الإسْكَندَرُ: غَدَرْتَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ.

قَالَ: فَمَا هَذَا الْجَيْشُ؟ قَالَ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُرِيكَ أَنَّنِي لَمْ أَطْعَمَكَ مِنْ قَلَّةٍ وَلَا مِنْ ضَعْفٍ، وَأَنْتَ تَرَى هَذَا الْجَيْشَ، وَمَا غَابَ عَنْكَ مِنْهُ أَكْثَرُ، وَلَكِنِّي

رَأَيْتَ الْعَالَمَ الْأَكْبَرَ مُقْبِلًا عَلَيْكَ، مُمَكِّنًا لَكَ مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنْكَ، وَأَكْثَرَ
عَدَدًا، وَمَنْ حَارَبَ الْعَالَمَ الْأَكْبَرَ غَلَبَ، فَأَرَدْتُ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِكَ وَالذِّلَّةَ لِأَمْرِهِ
بِالذِّلَّةِ لَكَ.

فَقَالَ الْإِسْكَندَرُ: لَيْسَ مِثْلُكَ مَنْ يُؤْخَذُ مِنْهُ شَيْءٌ، فَمَا رَأَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
أَحَدًا يَسْتَحِقُّ التَّفْضِيلَ، وَالْوَصْفَ بِالْعَقْلِ غَيْرَكَ، وَقَدْ أَعْفَيْتَكَ مِنْ جَمِيعِ مَا
أَرَدْتَهُ مِنْكَ، وَأَنَا مَنْصَرِفٌ عَنْكَ.

فَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ: أَمَا إِذْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، فَلَسْتَ تَخْسِرُ.
فَلَمَّا انْصَرَفَ الْإِسْكَندَرُ، أَتَبَعَهُ مَلِكُ الصِّينِ، مِنَ الْهَدَايَا، بِضِعْفِ مَا كَانَ
قَرَرَهُ مَعَهُ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



عسى فرج يأتي به الله

❖ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ الزَّبِيرِ التَّمِيمِيِّ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ، أَتَى بِرَجُلٍ مِنَ الْقُرَّاءِ فَشْتَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَحْرُورِي أَنْتِ؟.

فَقَالَ الرَّجُلُ: لَا وَاللَّهِ، مَا أَنَا بِحُرُورِي.

فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَا أَفْعَلَنَّ بِكَ، وَلَا أَصْنَعَنَّ، أَنْطَلِقُوا بِهِ إِلَى السَّجْنِ، فَأَنْطَلِقُوا

بِهِ.

فَسَمِعَهُ ابْنُ زِيَادٍ يَهْمُهُمْ، فَرَدَّهُ، وَقَالَ لَهُ: مَا قُلْتَ؟ فَقَالَ: عَنْ لِي بَيْتَانِ مِنَ الشَّعْرِ قُلْتَهُمَا.

فَقَالَ: إِنَّكَ لِفَارِغِ الْقَلْبِ، أَنْتَ قُلْتَهُمَا، أَمْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: بَلْ قُلْتَهُمَا، وَهُمَا:

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ إِنَّهُ	لَهُ كُلُّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ
إِذَا اشْتَدَّ عَسْرٌ فَارُجٌ يُسْرًا فَإِنَّهُ	قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْعَسْرَ يَتَّبِعُهُ يَسْرٌ

فَسَكَتَ ابْنُ زِيَادٍ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَتَاكَ الْفَرَجُ، خَلُّوا سَبِيلَهُ. (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افعل بعبدك ما تحب أن يفعله الله بك

❖ وقف أحمد بن عُرْوَة بين يدي المأمون، لما عزله عن الأهواز، فقال له: أخربت البلاد، وقتلت العباد، لأفعلنَّ بك وأصنعن.
فَقَالَ: يا أمير المؤمنين، ما تحب أن يفعله الله بك إذا وقفت بين يديه، وقد قرعك بذنوبك؟ قَالَ: العفو، والصفح.
قَالَ: فافعل بعبدك، ما تحب أن يفعله الله بك.
قَالَ: قد فعلت، أرجع إلى عمّلك، وال مستعطف، خير من والٍ مُستأنف^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ١١٠).



بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان

عن مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، أَوْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام، وَدَعَا بِضِبَارَةِ سَيَاطٍ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْحَسَنُ عليه السلام أَخَذَ السَّيَاطَ فَرَمَى بِهَا، وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِسَيِّدِ شَبَابٍ قُرَيْشٍ وَدَعَا بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ، وَقَالَ: اسْتَعِنَ بِهَا عَلَى زَمَانِكَ، فَلَمَّا خَرَجَ تَبِعَهُ الْحَاجِبُ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّا نَخْذُمُ هَذَا السُّلْطَانَ، وَلَسْنَا نَأْمَنُ بِإِدْرَتِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُكَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ بِشَيْءٍ، فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: أَعْلِمُكُمْ، عَلَيَّ أَنْ لَا تُعْلِمَ أَحَدًا مِنْ آلِ مُعَاوِيَةَ.

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: إِذَا وَقَعْتَ فِي شِدَّةٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، أَوْ خِفْتَ مِنْ سُلْطَانٍ، فَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ جَلِّ ثَنَاؤُكَ، وَعَزِّ جَارُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فُلَانٍ، وَأَتَّبَاعِهِ، وَأَشْيَاعِهِ، مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ، أَنْ يَفْرُطُوا عَلَيَّ، أَوْ أَنْ يَطْغَوْا^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البَاب الَّذِي بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ النَّاسِ لَا يُغْلَقُ

عن عبد الله بن أحمد بن داسة، المُقَرِّى البَصْرِي، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَّ بَعْضَ الْجُنْدِ، اغْتَصَبَ امْرَأَةً نَفْسَهَا مِنَ الطَّرِيقِ، فَعَرَضَ لَهُ الْجِيرَانُ يَمْنَعُونَهُ مِنْهَا، فَقَاتَلَهُمْ هُوَ وَغُلَمَانُهُ حَتَّى تَفَرَّقُوا، وَأَدْخَلَ الْمَرْأَةَ إِلَى دَارِهِ، وَغَلَّقَ الْأَبْوَابَ، ثُمَّ رَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَاِمْتَنَعَتْ، فَأَكْرَهَهَا، وَلَحَقَهَا مِنْهُ شِدَّةٌ، حَتَّى جَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرْأَةِ.

فَقَالَتْ لَهُ: يَا هَذَا، اصْبِرْ حَتَّى تَغْلِقَ الْبَابَ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ أَنْ تَغْلِقَهُ.

قَالَ: أَيُّ بَابٍ هُوَ؟ قَالَتْ: الْبَابُ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ.

فَقَامَ عَنْهَا، وَقَالَ: اخْرُجِي، قَدْ فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ.

فَخَرَجَتْ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا ^(١).

أَعْرَابِيَّةٌ ذَهَبَ الْبَرْدُ بِزَرْعِهَا فَعُوضَتْ خَيْرًا

عَنِ الْبَرْقِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ امْرَأَةً بِالْبَادِيَةِ، وَقَدْ جَاءَ الْبَرْدُ فَذَهَبَ بِزَرْعِهَا، فَجَاءَ النَّاسُ يَعِزُّونَهَا، فَرَفَعَتْ طَرْفَهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَتْ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَأْمُولُ لِأَحْسَنِ الْخُلْفِ، وَبِيَدِكَ التَّعْوِيزُ عَمَّا تَلْفُ، فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، فَإِنْ أَرْزَقْنَا عَلَيْكَ، وَأَمَلْنَا مَصْرُوفَةً إِلَيْكَ.

قَالَ: فَلَمْ أَبْرَحْ، حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَجْلَاءِ، فَحَدَّثَ بِمَا كَانَ، فَوَهَبَ لَهَا خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ١٠٥).

(٢) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٦٧).



قد ينجلي المكروب عما يسر

وَكَانَ يَقَالُ: الْعَاقِلُ لَا يُذِلُّ بِأَوَّلِ نَكْبَةٍ، وَلَا يَفْرَحُ بِأَوَّلِ نِعْمَةٍ، فَرُبَّمَا أَقْلَعَ
المحبيب عَمَّا يضر، وَأَجْلَى الْمَكْرُوهِ عَمَّا يَسُرُّ.

❁ شكى عبد الله بن طاهر، إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَعَاذٍ كَاتِبِهِ، بَلَاءً
خَافَهُ وَتَوَقَّعَهُ.

فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، لَا يَغْلِبُنِ عَلَى قَلْبِكَ، إِذَا اغْتَمَمْتَ، مَا تَكْرَهُ دُونَ مَا
تَحِبُّ، فَلَعَلَّ الْعَاقِبَةَ تَكُونُ بِمَا تَحِبُّ، وَتَوَقَّيْ مَا تَكْرَهُ، فَتَكُونُ كَمَنْ
يَسْتَسْلِفُ الْغَمَّ وَالْخَوْفَ.

قَالَ: أَمَا أَنْتَ قَدْ فَرَجْتَ عَنِّي مَا أَنَا فِيهِ.

❁ قَالَ شَرِيحٌ: إِنِّي لَأُصَابُ بِالْمُصِيبَةِ، فَأُحْمَدُ اللَّهَ ﷻ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ،
أُحْمَدُهُ إِذْ لَمْ تَكُنْ أَعْظَمَ مِمَّا هِيَ، وَأُحْمَدُهُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأُحْمَدُهُ
إِذْ وَفَّقَنِي لِلِاسْتِرْجَاعِ لِمَا أَرْجُو فِيهِ مِنَ الثَّوَابِ، وَأُحْمَدُهُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي
دِينِي.

الخلطة السحرية

هذه خلطة سحرية عملها أحد الحكماء لينجو من اليأس عند البلاء، وليكون أسعد حالاً وهو في قلب المحن.

ففى يوم من الأيام غضب أحد الملوك على وزيره فأمر بحبسه فى بيت كالقبر ظلمةً وضيقاً، وصفده بالحديد، وألبسه الخشن من الصوف، وأمر أن لا يُزاد فى كل يوم، على قرصين خبزاً شعيراً، وكف ملح جريش، ودورق ماء، وأن تُحصى ألفاظه، فتُقل إليه، فأقام الوزير شهوراً، لا تسمع له لَفْظَةً.

فَقَالَ الملك: أدخلوا إليه أَصْحَابَه، ومُروهم أن يسألوه، ويفاتحوه فى الكلام، واسمعوا ما يجرى بينهم، وعرفونيهِ.

فدخل إليه جماعه من المختصين - كانوا - به، فقالوا له: أيها الحكيم، نراك فى هذا الضيق، والحديد، والصوف، والشدة التى وقعت فيها، ومع هذا، فإن سحنة وجهك، وصحة جسمك، على حالهما، لم تتغيرا، فما السبب فى ذلك؟ فقال: إننى عملت جوارشاً^(١) من ستة أخلاط، أخذ منه كل يوم شيئاً، فهو الذى أبقانى على ما ترون.

فقالوا: فصفه لنا، فعسى أن نبلى بمثل بلواك، أو أحد من إخواننا، فنستعمله ونصفه له.

قال: الخلط الأول: الثقة بالله ﷻ.

والخلط الثانى: علمى بأن كل مُقدّر كائن.

(١) جوارش: هو نوع من الأدوية المركبة يقوي المعدة ويهضم الطعام. وليست اللفظة عربية.



والخلط الثالث: الصَّبْرُ خير ما اسْتَعْمَلَهُ الممتَحِنون.
والخلط الرابع: إِنْ لَمْ أَصْبِرْ أَنَا فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْمَلُ، وَلَمْ أُعِنْ عَلَى نَفْسِي
بالجزع.

والخلط الخامس: قد يمكن أَنْ أَكُونَ فِي شَرٍّ مِمَّا أَنَا فِيهِ.
والخلط السادس: مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ فرج.
قَالَ: فَبَلَغَ الْمَلِكُ كَلَامَهُ، فَعَفَا عَنْهُ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٥٨-٥٩) بتصرف.

رفع صوته بالتلبية فحملت إليه أربعة آلاف دينار

❁ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَالَ: حَجَّ مُحَمَّدٌ بْنُ الْمُنْكَدَرِ، مِنْ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مَرَّةَ، قَالَ: وَكَانَ مِعْطَاءً، فَأَعْطَى حَتَّى بَقِيَ فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ، وَحَجَّ مَعَهُ أَصْحَابُهُ.

فَلَمَّا نَزَلَ الرُّوحَاءُ؛ أَتَاهُ وَكَيْلُهُ، فَقَالَ: مَا مَعَنَا نَفَقَةً، وَمَا بَقِيَ مَعَنَا دِرْهَمٌ. فَرَفَعَ مُحَمَّدٌ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، فَلَبَّى، وَلَبَّى أَصْحَابُهُ، وَلَبَّى النَّاسُ، وَبِالْمَاءِ مُحَمَّدٌ بْنُ هِشَامٍ.

فَقَالَ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَا أَظُنُّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدَرِ بِالْمَاءِ، فَانْظُرُوا. فَنَظَرُوا، وَأَتَوْهُ فَقَالُوا: هُوَ بِالْمَاءِ.

فَقَالَ: مَا أَظُنُّ مَعَهُ دِرْهَمًا، احْمِلُوا إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ دِرْهَمًا^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٢٧٣).

تضايقي تنفرجى

ذكر القاضى أَبُو الْحُسَيْن، رحمته الله، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أُمُّ أَبِي،
قَالَتْ: كَانَ زَوْجِي قَدْ نَهَضَ إِلَى مِصْرَ، وَتَصَرَّفَ بِهَا، وَعَمِلَ، وَنَكَبَ،
وَتَعَطَّلَ، فَأَقَامَ هُنَاكَ.

وَأَضَقْنَا إِضَاقَةً شَدِيدَةً، وَعَرَضْنَا بَيْعَ صَيْعَةٍ لَنَا، فَلَمْ نَجِدْ لَهَا ثَمَنًا، وَتَأَخَّرَ
كِتَابُهُ عَنَّا، وَانْقَطَعَ خَبَرُهُ، حَتَّى تَوَهَّمْنَا أَنْ حَدِثًا قَدْ حَدَثَ عَلَيْهِ.
وَكَانَ أَوْلَادِي أَصَاغِرَ، فَجَعَلْتُ أَحْتَالُ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي
الْمَنْزِلِ شَيْءٌ.

وَحَضَرَ وَقْتُ عِمَارَةِ الصَّيْعَةِ، وَاحْتَجْنَا إِلَى بَذَارٍ وَنَفَقَةٍ، فَتَعَذَّرَ ذَلِكَ
عَلَيْنَا، حَتَّى كَادَتْ تَتَعَطَّلُ، وَيَفُوتُ وَقْتُ الزَّرَاعَةِ.
فَأُصِيبَتْ يَوْمًا، وَبَى مِنَ الْغَمِّ لِاجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ أَمْرٌ عَظِيمٌ،
فَوَجَّهْتُ إِلَى بَعْضِ مَنْ كُنْتُ أَثِقُ بِهِ، وَأَتَوَهَّمُ أَنَّي لَوْ سَأَلْتُهُ إِسْعَافَنَا بِالْكَثِيرِ
مِنْ مَالِهِ لَا يَخَالِفُنَا؛ لِأَقْتَرَضَ مِنْهُ شَيْئًا لِذَلِكَ، فَرَدَّ رِسُولِي، وَاعْتَذَرَ.
وَعَرَّفَنِي الرَّسُولَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ، أَنَّهُ قَالَ: إِذَا بَعَثْتَ إِلَيْهِمْ مَا طَلَبُوا،
وَالضَّيْعَةُ لَمْ تُعْمَرْ، وَلَمْ تَحْصَلْ لَهُمْ غَلَّةٌ، وَزَوْجَهَا لَمْ يُعْرِفْ لَهُ خَبَرَ، فَمَنْ
أَيْنَ يَرُدُّونَ عَلَيَّ؟ فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ بِذَلِكَ؛ كَدَتْ أَمْوَاتٌ غَمًّا، وَامْتَنَعَتْ مِنَ
الطَّعَامِ يَوْمِي وَلَيْلَتِي.

وَأُصِيبَتْ، فَمَا انْتَصَفَ النَّهَارُ، حَتَّى وَرَدَ كِتَابُ زَوْجِي بِسَلَامَتِهِ، وَذَكَرَ
السَّبَبَ فِي تَأْخِيرِ كِتَابِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَيَّ فِي كِتَابِهِ سَفْتَجَةً بِمِائَةِ دِينَارٍ، وَتُخُوتَ
ثِيَابٍ، قَدْ أَنْفَذَهَا مَعَ تَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، قِيمَتُهَا خَمْسُونَ دِينَارًا، فَقَبِضْتُ
ذَلِكَ، وَعَمَّرْنَا الصَّيْعَةَ، وَرَزَعْتُ تِلْكَ السَّنَةَ، وَصَلَحَتْ حَالُنَا^(١).

هَآكِ يَا هَآذَا الَّذِي لَا أَعْرِفُهُ

ذكر القَاضِي أَبُو الْحُسَيْنِ فِي كِتَابِهِ، قَالَ: رَوَى عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَمَلْتُ وَبَلَغْتُ بِي الْحَالُ أَنْ نَقَضْتُ مَنْزِلِي، فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَى الْأَمْرِ، وَتَجَرَّدَ عِيَالِي مِنَ الْكِسْوَةِ؛ جَاءَتْنِي الْخَادِمَةُ، فَقَالَتْ: مَا لَنَا دَقِيقٌ، وَلَا مَعَنَا ثَمَنُهُ، فَمَا نَعْمَلُ؟ فَقُلْتُ: أَسْرِجِي حِمَارِي، وَقَدْ كَانَ بَقِيَ لِي حِمَارٌ.

فَقَالَتْ: مَا أَكَلْتُ شَعِيرًا مُنْذُ ثَلَاثٍ، فَكَيْفَ تَرْكَبُهُ؟ فَقُلْتُ: أَسْرِجِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَأَسْرِجْتَهُ، فَرَكَبْتُهُ أَدْبًى عَلَيْهِ، هَارِبًا مِمَّا أَنَا فِيهِ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ.

فَلَمَّا شَارَفْتُهَا إِذَا أَنَا بِمَوْكَبٍ مُقْبِلٍ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيَّ؛ دَخَلْتُ فِي جُمْلَتِهِمْ، فَرَجَعْتُ الْخَيْلَ تُرِيدُ الْبَصْرَةَ، فَسَرْتُ مَعَهُمْ حَتَّى دَخَلْتُهَا. وَانْتَهَى صَاحِبُ الْمَوْكَبِ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَانْزَلَ، وَانْزَلَ النَّاسُ مَعَهُ، وَانْزَلْتُ مَعَهُمْ.

وَدَخَلْنَا، فَإِذَا الدَّهْلِيزُ مَفْرُوشٌ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ مَعَ الرَّجُلِ، فَدَعَا بِغَدَاءٍ، فَجَاءُوا بِأَحْسَنِ غَدَاءٍ، فَتَغَدَيْتُ مَعَ النَّاسِ، ثُمَّ وَضَأْنَا، وَدَعَا بِالْغَالِيَةِ (الْعَطْرِ)، فَغَلَّفْنَا بِهَا.

ثُمَّ قَالَ: يَا غُلَمَانُ، هَاتُوا سَفَطًا، فَجَاءُوا بِسَفَطٍ أَبْيَضٍ مَشْدُودٍ، فَفَتَحَ فَإِذَا فِيهِ أَكْيَاسٌ، فِي كُلِّ كَيْسٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ، فَبَدَأَ يُعْطِي مَنْ عَلَى يَمِينِهِ، فَأَمَرَهَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ انْتَهَى إِلَيَّ وَأَعْطَانِي كَيْسًا، ثُمَّ ثَنَى وَأَعْطَانِي آخَرَ، ثُمَّ ثَلَّثَ وَأَعْطَانِي آخَرَ، وَأَخَذَتِ الْجَمَاعَةُ.



وَبَقِيَ فِي السَّفْطِ كَيْسٌ وَاحِدٌ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ، وَقَالَ: هَاكَ يَا هَذَا الَّذِي لَا أَعْرِفُهُ.

فَأَخَذَتْ أَرْبَعَةَ أَكْيَاسٍ، وَخَرَجَتْ.
فَقُلْتُ لِلْإِنْسَانِ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٣٠٧-٣٠٨).

سقط عني نصف العمل وبقي على نصفه

❖ قيل لرجل كُفَّ بصره: قد سُلبت حُسن وجهك، فقال: صدقت غير أني مُنعت النظر إلى ما يلهي، وعُوِّضت الفكرة فيما يجدي^(١).

- وقال الجنيد: بصرت أبا عبد الله الأشناني وكان ضريراً فقراً قارئاً ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٢).

فقال: سقط عني نصف العمل وبقيَّ على نصفه، وهو ما تُخفي الصدور^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهكذا عاد بصره!!

❖ عن سماك بن حرب قال: كان بصرى قد ذهب فرأيت إبراهيم خليل الرحمن فيما يرى النائم، فمسح عيني، وقال: ائتِ الفُرات فغُصْ فيه وافتح عينيك فيه، قال: ففعلت فذهب ما كان بعيني^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) انظر: ربيع الأبرار (١٢١/٤) للزمخشري، التذكرة الحمدونية (٣٠٧/٤) لابن حمدون.

(٢) سورة غافر: الآية (١٩).

(٣) التذكرة الحمدونية (٣٠٧/٤) لابن حمدون.

(٤) خبرٌ صحيحٌ: أخرجه ابن أبي الدنيا (١١١) في «مجابو الدعوة» من طريق حسن، وأورده الذهبي (٢٤٨/٥) في السير، ولكن من طريق مؤمل بن إسماعيل عن حماد، عن ابن حرب، وسنده حسن.



كيف عاد إليه لسانه بعد قطعه!!!!

✽ قال الشيخ الصالح أبو القاسم الواسطي: كنت مجاوراً بيت المقدس، فأمروا في أول رمضان بقطع التراويح، ... صَحْتُ أنا وعبد الله الخادم: وإسلاماه وامحمداه، فأخذني الأعوان وحُبِسْتُ، ثم جاء الكتاب من مصر بقطع لساني فقطع، ... بعد أسبوع رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ تَفَلَّ في فمي، فانتبهت ببرْد ريق رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ زال عَنِّي الألم، فتوضّأت وصليت وعمدت إلى المأذنة فأذنت «الصلاة خير من النوم» فأخذوني وحُبِسْتُ وقُيِّدْتُ، وكتبوا فيَّ إلى مصر، فورد الكتاب بقطع لساني، وبضربى خمسمائة سوط، وبصلبي، ففعل بي، فرأيت لساني على البلاط مثل الرّية، وكان البرد والجليد، وصليت واشتدَّ عليَّ الجليد، فبعد ثلاثة أيام عهدي بالحدّائين يقولون: نَعْرِفُ الْوَالِي أَنَّ هَذَا قَدْ مَاتَ، فَأَتَوْهُ، وكان الوالي جيش بن الصمصامة فقال: أَنْزِلُوهُ، فَأَلْقُونِي عَلَى باب داود، فقوم يترحمون عليَّ وآخرون يلعنوني، فلما كان بعد العشاء جاءني أربعة فحملوني على نعش ومضوا بي لِيُغَسِّلُونِي فِي دار فوجدوني حيًّا، فكانوا يصلحون لي خزيرة بلّوز وسُكَّر أسبوعًا. ثم رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي المنام ومعه أصحابه العشرة فقال: يا أبا بكر، ترى ما قد جرى على صاحبك؟ قال: يا رسول الله ما أصنع به؟ قال: اتَّفَلْ فِي فِيهِ، فَتَفَلْ فِي فِيَّ، ومسح النبي ﷺ صدرى، فزال عَنِّي الألم، وانتبهت ببرد ريق أبي بكر، فناديت، فقام إليَّ رجل، فأخبرته، وأسخن لي ماءً، فتوضّأت به، وجاءني بثياب ونفقة فجئت المأذنة وأذنت الصُّبْح: «الصلاة خير من النوم»، ثم قلت قصيدة في الصحابة، فخرجت

وأُتيت عُمان، فاكترت مع عرب إلى الكوفة، فأُتيت واسط، فوجدت أُمي
تبكي عليّ وأنا كل سنة أحجّ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» (١/ ٢٧٠٠) أحداث سنة ٣٦٤ هـ، بتصرف.



اللهم إنك قادرٌ على أن تُذهب عطشي من غيرِ فطرٍ

❁ قال السَّري بن يحيى: خرج أبو قلابةَ حاجًّا، فتقدَّم أصحابه في يومٍ صائفٍ وهو صائمٌ، فأصابه عطشٌ شديدٌ، فقال: اللهمَّ إنك قادرٌ على أن تُذهب عطشي من غيرِ فطرٍ، فأظله سحابةٌ، فأمرت عليه حتى بَلَّت ثوبيه، وذهب العطشُ عنه. فنزل فحوَّض حياضًا فملاها ماءً، فانتهى إليه أصحابه، فشربوا، وما أصاب أصحابه من ذلك المطر شيء (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهكذا جاءه الرزق من حيث لا يحتسب

❖ قال إبراهيم الخواص: دَخَلْتُ مَسْجِدَ التَّوْبَةِ فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مُسْتَنْدًا إِلَى سَارِيَةٍ فَقُلْتُ لِلْقَيْمِ: مَتَى قَعَدَ هَذَا الرَّجُلُ هَاهُنَا؟ فَقَالَ: الْيَوْمَ، ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ قَاعِدًا عَلَى مَا تَرَاهُ لَمْ يَخْرُجْ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ، فَقَعَدْتُ بِحِذَائِهِ فَلَمَّا أَمْسَيْنَا قُلْتُ لَهُ: أَى شَيْءٍ تُرِيدُ حَتَّى أَحْمِلَهُ وَتَأْكُلَ؟ فَسَكَتَ عَلَى فِكْرَرْتٍ عَلَيْهِ فَقَالَ: أُرِيدُ مَصْلِيَةً^(١) مُعْقَدَةً وَخُبْزًا حَارًّا.

فَخَرَجْتُ إِلَى بَابِ الشَّامِ^(٢) فَطَلَبْتُ ذَلِكَ فَلَمْ أَجِدْهُ فَعَاتَبْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ: يَا فُضُولِي، مَنْ دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَسْتَدْعِيَ شَهْوَتَهُ؟ لَوْ اشْتَرَيْتُ خُبْزًا وَأُذْمًا وَحَمَلْتَهُ اسْتَغْنَيْتَ عَنْ ذَلِكَ، وَرَجَعْتُ مُغْتَمًّا إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَجُلٌ يَدُقُّ بَابَ الْمَسْجِدِ فَقُلْتُ: مَنْ؟ فَقَالَ: افْتَحْ، فَفَتَحْتُ فَإِذَا عَلَى رَأْسِهِ زَنْبِيلٌ^(٣) فَحَطَّهُ وَقَالَ لِي: أَسْأَلُكَ أَنْ يَأْكُلَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ خُبْزًا حَارًّا وَمَصْلِيَةً مُعْقَدَةً فِي قِدْرِ فَبُهِتُّ وَقُلْتُ: لَا نَمْسُهُ حَتَّى تُخْبِرَنِي بِهِ فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ صَانِعٌ وَاشْتَهَيْتُ مَصْلِيَةً مُعْقَدَةً وَخُبْزًا حَارًّا فَاشْتَرَيْتُ اللَّحْمَ وَمَا يُصْلِحُهُ وَأَمَرْتُهُمْ بِطَبْخِهِ وَأَنْ يَخْبُزُوا خُبْزًا حَارًّا وَجِئْتُ الْعَتَمَةَ مِنَ الدُّكَانِ وَبَعْدَ مَا فُرِغَ مِنْهُ مَا كَانَ خَبْزَ الْخُبْزِ فَحَلَفْتُ بِالطَّلَاقِ أَنْ لَا يَأْكُلَ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ أَوْ الْمَصْلِيَةِ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ فِي مَسْجِدِ التَّوْبَةِ فَأُحِبُّ أَنْ تَأْكُلُوهُ^(٤).

(١) المَصْلِيَّة: لحم مشويٌّ بالتنور. متن اللغة (صلي).

(٢) باب الشام: محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد. معجم البلدان: (باب الشام).

(٣) في (ب) وحلية الأولياء: ١/ ٣٣٦: «زنبيل» وهي لغة في «الزَّبِيل» والزَّبِيل: القَفَّة، أو الجراب، أو الوعاء. (القاموس المحيط: زبل).

(٤) المختار في مناقب الأخيار/ لابن الأثير (٣/ ٤١٧).



أرني فيه آية

❖ وَشَى رَجُلٌ بُسْرَ بْنَ سَعِيدٍ^(١) إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ^(٢)، أَنَّهُ يَطْعَنُ عَلَى الْأَمْراءِ، وَيَعِيبُ بَنِي مروان.

فَأَرْسَلَ الْوَلِيدُ إِلَى بُسْرٍ - وَالرَّجُلُ عِنْدَهُ - فَجِئَءَ بِبُسْرٍ تَرَعَدُ فَرَائِصُهُ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ، فَسَأَلَهُ الْوَلِيدُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْكَرَهُ بُسْرٌ، وَقَالَ: مَا فَعَلْتُ.

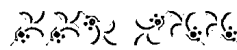
فَالْتَفَتَ الْوَلِيدُ إِلَى الرَّجُلِ، فَقَالَ: يَا بُسْرُ، هَذَا الرَّجُلُ يَشْهَدُ عَلَيْكَ بِمَا قُلْتَهُ!

فَنَظَرَ إِلَيْهِ بُسْرٌ، وَقَالَ: أَهَكَذَا؟!

فَقَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ.

فَنَكَّسَ بُسْرٌ رَأْسَهُ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ قَدْ شَهِدَ بِمَا عَلِمْتَ أَنِّي لَمْ أَقُلْهُ، فَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَأَرِنِي بِهِ آيَةً عَلَى مَا قَالُ.

فَانْكَبَّ الرَّجُلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْطَرِبُ حَتَّى مَاتَ»^(٣).



(١) بُسْرُ بْنُ سَعِيدٍ، المَدَنِي، عَابِدٌ، إِمَامٌ، قَدَوَةٌ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٠٠ هـ. انظر ترجمته في طبقات ابن سعد (٥/ ٢٨١)، تهذيب (١/ ٤٣٧)، تقريب (١/ ٩٧)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٧٨-٤٧٩)، العبر (١/ ١١٩).

(٢) الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ (٤٨-٩٦ هـ) مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي الشَّامِ، انظر الأعلام (٨/ ١٢١)، الطبري (٨/ ٩٧)، ابن الأثير (٥/ ٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٥-٣٠٦)، العبر (١/ ١١٤).

(٣) مجابو الدعوة (٩٤)، المستغيثون بالله (٩٨)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٧٨).

الرجل الذي أحيا الله حماره

✽ عَنْ أَبِي سَبْرَةَ النَخَعِيِّ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَنِ فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ نَفَقَ ^(١) حِمَارُهُ فَقَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي جِئْتُ مِنَ الدِّينَةِ ^(٢) مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ تُحْيِي الْمَوْتَى وَتَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ عَلَيَّ الْيَوْمَ مَنَّةً، أَطْلُبُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ أَنْ تَبْعَثَ حِمَارِي فَقَامَ الْحِمَارُ يَنْفُضُ أُذُنَيْهِ!

✽ وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا هَذِهِ الْقِصَّةَ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى فِي كِتَابِ: «مَنْ عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ»، وَفِيهِ: فَأَسْرَجَ الْحِمَارُ وَالْجَمْعُ، ثُمَّ رَكِبَهُ وَأَجْرَاهُ، فَلَحِقَ بِأَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: شَأْنِي أَنْ اللَّهُ يَبْعَثَ حِمَارِي.

قال الشعبي: فأنا رأيت الحمار يبيع أو يباع في الكوفة.

قال ابن أبي الدنيا: أَنَّ صَاحِبَ الْحِمَارِ رَجُلٌ مِنَ النَّخَعِ، يَقَالُ لَهُ: نُبَاتَةُ بْنُ يَزِيدَ خَرَجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَازِيًا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِشَنْ عَمِيرَةَ ^(٣) نَفَقَ حِمَارُهُ.. فَذَكَرَ الْقِصَّةَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَبَاعَهُ بَعْدُ بِالْكُنَاسَةِ، فَقِيلَ لَهُ: تَبِيعُ حِمَارًا أَحْيَاهُ اللَّهُ لَكَ؟ قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ رَهْطِهِ ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ، فَحَفِظْتُ مِنْهَا هَذَا الْبَيْتَ:

وَمِنَّا الَّذِي أَحْيَا إِلَهُ حِمَارَهُ وَقَدْ مَاتَ مِنْهُ كُلُّ عَضْوٍ وَمَفْصِلٍ ^(٤)

(١) مات.

(٢) مكان.

(٣) مكان أيضًا.

(٤) مجابو الدعوة (٤٩)، من عاش بعد الموت (ص ٤٨-٤٩)، البداية والنهاية (٦/ ١٧٥)، دلائل نبوة للبيهقي (٦/ ٤٨-٤٩) وقال البيهقي: هذا إسناد صحيح.



يُقَسِّمُ عَلَى رَبِّهِ فَيُرَدُّ عَلَيْهِ فَرَسُهُ

❖ عن طلحة بن عبيد الله بن كريس الخزاعي أن رجلاً كان في غزاة له مع أصحابه، فأبقى^(١) غلاماً له بفرسه. فلما أراد أصحابه أن يرتحلوا توضع الرجل، وصلى ركعتين، وقال: اللهم إنك ترى مكاني وحالي، وارتحال أصحابي، اللهم إني أقسم عليك لما رددت عليّ فرسي وغلامي. فالتفت، فإذا هو بالغلام مكتوف بشطن^(٢) الفرس^(٣).

اللهم إني أحمداً يوافي محامداً خلقك

❖ عن الأوزاعي رحمه الله قال: حدثني بعض الحكماء، قال: رأيت رجلاً ذهب يده ورجلاه، وهو يقول: اللهم إني أحمداً يوافي محامداً خلقك لفضلك على سائر خلقك، إذ فضّلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً.

فقلت له: على أي نعمة تحمد؟ فقال: أليس قد ترى ما صنع بي؟! قال: قلت: بلى.

قال: فوالله لو أن الله صبّ عليّ من السماء ناراً فأحرقتنى، وأمر الجبال فدمرتنى، وأمر البحار فغرقتني، وأمر الأرض فخسفت بي ما ازددت له إلا حباً، ولا ازددت له إلا شكراً^(٤).

(١) هرب وفرّ.

(٢) حبل.

(٣) مجابو الدعوة (٥١)، شعب الإيمان للبيهقي (١٠٩٦).

(٤) أخرجه ابن حبان (٥/٣-٥) في الثقات، وأورده ابن رجب (ص/١٥٧)، في استنشاق نسيم الأنس، وأشار إليه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤/٤٧٤).

الله رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا

❦ قال عبد الله بن أبي الهذيل: أحضر بختنصر أسدين فألقاهما في جُبٍّ، وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجاه فمكث ما شاء الله، ثم اشتهى ما يشتهى الآدميون من الطعام والشراب، فأوحى الله تعالى إلى أرميا وهو بالشام أن أعد طعامًا وشرابًا لدانيال.

قال: رب أنا بالأرض المقدسة، ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله تعالى إليه أن أعد ما أمرتك به، فإننا سنُرسل إليك من يحملك، ويحمل ما معك ففعل، فأرسل الله مَنْ حَمَلَه، وحمل ما أعدّه، حتى وقف على رأس الجُب فقال: يا دانيال، أرسلنى إليك ربك.

قال: وقد ذكرنى ربى؟ قال: نعم.

قال دانيال: الحمد لله الذى لا ينسى مَنْ ذَكَرَه، والحمد لله الذى لا يُخيب من دعاه، والحمد لله الذى من وثق به لم يَكِلْه إلى غيره، والحمد لله الذى يجزى بالإحسان إحسانًا، والحمد لله الذى يجزى بالصبر نِجاة، والحمد لله الذى هو يكشف ضُررنا بعد كربنا، والحمد لله الذى هو يعفينا حين يسوء ظننا، والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا.

هكذا نجاه الله من السجن

عن سُلَيْمَانَ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ، وَالْيَا عَلَى الْعِرَاقِ، وَلَاهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَاسْتُخْلَفَ هِشَامُ، قَالَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ: سَيُولَى هِشَامُ الْعِرَاقَ، أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ، سَعِيدًا الْخَرَشِي، أَوْ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُسْرِي، فَإِنْ وَلَّى ابْنُ النَّصْرَانِيَّةِ، خَالِدًا، فَهُوَ الْبَلَاءُ.

فَوَلَّى هِشَامُ خَالِدًا الْعِرَاقَ، فَدَخَلَ وَاسِطًا، وَقَدْ أَذِنَ عُمَرُ بِالصَّلَاةِ، وَقَدْ تَهَيَّأَ، وَاعْتَمَّ، وَبِيَدِهِ الْمَرْأَةُ يَسْوَى عِمَامَتِهِ، إِذْ قِيلَ لَهُ: هَذَا خَالِدٌ قَدْ دَخَلَ، فَقَالَ عُمَرُ: هَكَذَا تَقُومُ السَّاعَةُ، تَأْتِي بَغْتَةً.

فَتَقَدَّمَ خَالِدٌ، وَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ، فَقَيَّدَهُ، وَأَلْبَسَهُ مَدْرَعَةَ صُوفٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا خَالِدُ، بئس ما سننت على أهل العراق، أما تخاف أن تُصْرَفَ فُتَبْتَلَى بِمِثْلِ هَذَا؟ فَلَمَّا طَالَ حَبْسُهُ، جَاءَ مَوَالِيَهُ، وَاکْتَرَوْا دَارًا^(١) بِجَانِبِ الْحَبْسِ، ثُمَّ نَقَبُوا مِنْهَا سِرْبًا إِلَى الْحَبْسِ، وَاکْتَرَوْا دَارًا إِلَى جَانِبِ سُورِ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةَ وَاسِطٍ، فَلَمَّا جَاءَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوهُ فِيهَا مِنَ الْحَبْسِ، وَقَدْ أَفْضَى النُّقْبُ إِلَى الْحَبْسِ، فَأَخْرَجَ فِي السَّرْبِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الدَّارِ يَمْشِي، حَتَّى بَلَغَ الدَّارَ الَّتِي إِلَى جَانِبِ السُّورِ، وَقَدْ نُقِبَ فِي السُّورِ نَقْبٌ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ هَيَّأَتْ لَهُ خَيْلٌ، فَركبَ وَسَارَ، وَعَلِمَ بِهِ بَعْدَ مَا أَصْبَحُوا، وَقَدْ كَانَ أَظْهَرَ عِلَّةً قَبْلَ ذَلِكَ لِيَمْسُكُوا عَنْ تَفْقُّدِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

فَاتَّبَعَهُ خَالِدٌ، سَعِيدُ الْخَرَشِيِّ، فَلَحَقَهُ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفُرَاتِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَتَعْصَبَ لَهُ وَتَرَكَه.

(١) أي: استأجروا دارًا.

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي ذَلِكَ:

وَلَمَّا رَأَيْتِ الْأَرْضَ قَدْ سُدَّ ظَهْرَهَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَطْنُهَا لَكَ مَخْرَجًا
دَعَوْتُ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَ مَا ثَوَى فِي ثَلَاثِ مَظْلَمَاتٍ فَفَرَّجًا
خَرَجْتَ وَلَمْ يَمْنَنَّ عَلَيْكَ سَفَاهَةٌ سَوَى زَائِدِ التَّقْرِيبِ مِنْ آلِ أَعُوجَا
فَأَصْبَحْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ قَدْ سَرَتْ لَيْلَةٌ وَمَا سَارَ سَارٍ مِثْلَهَا حِينَ أَدْلَجَا

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي خَيْرَةَ، عَنْ أَبِي الْحَبِيبِ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَازِمٌ، مَوْلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ حِينَ هَرَبَ مِنَ السَّجْنِ، فَسَرْنَا حَتَّى بَلَّغْنَا دِمَشْقَ، بَعْدَ الْعَتَمَةِ، فَأَتَى مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَجَارَهُ، وَأَنْزَلَهُ مَعَهُ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَّى مَسْلَمَةُ خَلْفَ هِشَامِ الصُّبْحِ.

فَلَمَّا دَخَلَ هِشَامُ دَارَهُ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ مَسْلَمَةُ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ.
فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَظُنُّ ابْنَ هُبَيْرَةَ قَدْ طَرَقَكَ اللَّيْلَةَ.
قَالَ: أَجَلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ أَجَرْتَهُ، فَهَبْهُ لِي.
قَالَ: قَدْ وَهَبْتَهُ لَكَ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دعاء الواثق في ربه (جل وعلا)

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمِصْرِيِّ قَالَ: «أَنَّ رَجُلًا أَصَابَهُ مَرَضٌ فَمَنَعَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالنَّوْمِ، فَبَيْنَا هُوَ لَيْلَةً سَاهِرٌ سَمِعَ وَجِبَةً فِي حُجْرَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَسْمَعُ كَلَامًا فَوْعَاهُ فَتَكَلَّمَ بِهِ فَبَرَأَ مَكَانَهُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْبُدُكَ وَلَكَ أَصَلِّي، فَاجْعَلِ الشِّفَاءَ مِنْ جَسَدِي، وَالْيَقِينَ فِي قَلْبِي وَالنُّورَ فِي بَصَرِي، وَالشُّكْرَ فِي صَدْرِي، وَذِكْرَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي لِسَانِي، أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي، وَارْزُقْنِي مِنْكَ رِزْقًا غَيْرَ مَمْنُوعٍ وَلَا مَحْظُورٍ».

قال: فبرأ مكانه^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لجأ إلى الله فنجاه من القتل

عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ قَالَ:

كُنْتُ جَالِسًا مَعَ زِيَادِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَتَى بِرَجُلٍ يُحْمَلُ مَا نَشُكُّ فِي قَتْلِهِ قَالَ: فَرَأَيْتَهُ حَرَّكَ شَفْتَيْهِ بِشَيْءٍ مَا نَدْرِي مَا هُوَ، قَالَ: فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ جِئَ بِكَ وَمَا نَشُكُّ فِي قَتْلِكَ، مَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ رَبَّ إِبْرَاهِيمَ وَرَبَّ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَرَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ الْعَظِيمِ، اذْرَأْ عَنِّي شَرَّ زِيَادٍ، فَخَلَّى عَنِّي^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين (٢٧) بسند صحيح.

(٢) خبر حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا (ص/ ٣٧) في «الفرج بعد الشدة».

اللهم اقطع يده

❖ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ: مَرَّ الْأَمِيرُ يَوْمًا فَصَاحُوا: الطَّرِيقَ فَقَرَّجَ النَّاسُ، وَبَقِيَتْ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَمْشِيَ، فَجَاءَ بَعْضُ الْجَلَاوِزَةِ، فَضَرَبَهَا بِسَوْطٍ ضَرْبَةً، فَقَالَ حَبِيبٌ أَبُو مُحَمَّدٍ: «اللَّهُمَّ اقْطَعْ يَدَهُ ... فَمَا لَبِثَ إِلَّا ثَلَاثًا، حَتَّى مَرَّ بِالرَّجُلِ قَدْ أَخَذَ فِي سَرَقَةٍ، فَقُطِعَتْ يَدُهُ»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم إن هذا قد شهِرَ بِي فَأَرْحِنِي مِنْهُ

❖ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الشَّيْبَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَحَطَ الْمَطَرُ فِي زَمَنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَخَرَجُوا يَسْتَسْقُوا فَلَمْ يُصِبْهُمْ سَحَابٌ وَلَا مَطَرٌ، فَقَالَ يَزِيدُ لِلضَّحَّاكِ بْنِ الْأَسْوَدِ: قُمْ فَاسْتَسْقِ لَنَا، فَقَامَ وَكَشَفَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ وَأَلْقَى بِرَأْسِهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَسْتَشْفِعُونَ بِي إِلَيْكَ فَاسْقِهِمْ فَلَمْ يَدْعُ إِلَّا بِهَا حَتَّى أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، كَادُوا أَنْ يَغْرَقُوا مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا شَهَرَ لِي فَأَرْحِنِي مِنْهُ فَمَا لَبِثَ إِلَّا جُمُعَةً حَتَّى مَاتَ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٢٩) في «مجاوبو الدعوة»، وفي سنده ابن أبي جعفر، وهو في عداد الضعفاء، كما في الميزان (١/ ٤٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٣٣) في «مجاوبو الدعوة».



أراد أن يقتله فقتل

❁ ذكر مُحَمَّد بن عَبْدُوس، فِي كِتَابِهِ (الوزراء)، عَن مُحَمَّد بن يَزِيد، قَالَ: أَمَرَنِي عمر بن عبد العزيز بِإِخْرَاجِ قَوْمٍ مِنَ السَّجْنِ، فَأَخْرَجْتَهُمْ، وَتَرَكْتُ يَزِيد بن أَبِي مُسْلِمٍ كَاتِبَ الْحَجَّاجِ، فَحَقَّدَ عَلَيَّ، وَنَذَرَ دَمِي.

فَإِنِّي بِإِفْرِيقِيهِ، إِذْ قِيلَ: قَدِمَ يَزِيد بن أَبِي مُسْلِمٍ كَاتِبَ الْحَجَّاجِ، صَارِفًا لِمُحَمَّد بن يَزِيد، مَوْلَى الْأَنْصَارِ، مِنْ قَبْلِ يَزِيد بن عبد الملك، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ عمر بن عبد العزيز، فَهَرَبْتُ مِنْهُ، وَعَلِمَ بِمَكَانِي، فَطَلَبَنِي، فَظَفَرِ بِي. فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ؛ قَالَ: لَطَالَمَا سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُمَكِّنَنِي مِنْكَ.

فَقُلْتُ: وَأَنَا، وَاللَّهِ، لَطَالَمَا سَأَلْتُ اللَّهَ، ﷻ، أَنْ يُعِيدَنِي مِنْكَ.

فَقَالَ يَزِيد: مَا أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنِّي، وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُكَ، وَلَوْ سَابَقَنِي مَلِكُ الْمَوْتِ إِلَى قَبْضِ رُوحِكَ؛ لَسَبَقْتَهُ.

ثُمَّ دَعَا بِالسَّيْفِ وَالنَّطْعِ، فَأَتَى بِهِمَا، وَأَمَرَ بِي، فَأَقَمْتُ فِي النَّطْعِ، وَكُتِفْتُ، وَشُدَّ رَأْسِي، وَقَامَ وَرَائِي رَجُلٌ بِسَيْفٍ مَتَّضِيٍّ، يَرِيدُ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقِي، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ.

فَقَالَ: أَمْهَلُوهُ، حَتَّى أَصَلِّيَ....، وَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ.

فَلَمَّا سَجَدَ؛ أَخَذَتْهُ السُّيُوفُ، فَقُتِلَ، وَدَخَلَ إِلَيَّ مَنْ حَلَّ كِتَافِي وَرَأْسِي، وَخَلَّى سَبِيلِي، فَانْصَرَفْتُ سَالِمًا^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجاً

حدث أبو عبد الله الحسين بن محمد السمرى كاتب ديوان البصرة قال: وكان أبو محمد المهلبى فى وزارته قد قبض على بالبصرة، وطالبنى بما لا قدرة لى عليه، وأطال حبسى حتى أيست من الفرج. فرأيت ليلة من الليالى، وأنا أشد ما كنت فيه من الهم، كأن قائلاً يقول لى: اطلب من ابن الراهبونى دفترًا خَلَقًا عنده، على ظهره دعاء فادعُ به فإن الله ﷻ يفرج عنك. قال: وكان ابن الراهبونى هذا صديقاً لى من أبناء أهل واسط، وهو مقيم بالبصرة حينئذٍ.

فلما كان من غد أنفذت إليه: أعندك دفتر على ظهره دعاء؟ فقال: نعم. فقلت:

جئنى به، فجاءنى به، فرأيت على ظهره مكتوباً: اللهم أنت أنت، انقطع الرجاء إلا منك، وخاب الأمل إلا فىك، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، ولا تقطع اللهم منك رجائى، ولا رجاء من يرجوك فى شرق الأرض ولا فى غربها، يا قريباً غير بعيد، يا شاهداً لا يغيب ويا غالباً غير مغلوب، اجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجاً، وارزقنى رزقاً واسعاً من حيث لا أحاسب، إنك على كل شىء قدير. قال: فواصلت الدعاء بذلك، فما مضت إلا أيام يسيرة حتى حضر المهلبى فأخرجنى من الحبس وقلدنى الإشراف على أبى الحسن أحمد بن محمد الطويل بأسافل الأهواز^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

سَلَّ اللهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

❁ وَذَكَرَ الْمَدَائِنِي أَنَّ تَوْبَةَ الْعَنْبَرِي قَالَ: أَكْرَهَنِي يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِ عَلَى الْعَمَلِ، فَلَمَّا رَجَعْتُ حَبَسَنِي حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي رَأْسِي شَعْرَةٌ سَوْدَاءَ. فَاتَّانِي آتٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ لِي: يَا تَوْبَةُ أَطَالُوا حَبْسَكَ؟ قُلْتُ: أَجَل. فَقَالَ: سَلَّ اللهُ ﷻ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثَلَاثًا، فَاسْتَيْقَظْتُ، فَكَتَبْتُهَا، وَتَوَضَّأْتُ، وَصَلَيْتُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَعَلْتُ أَدْعُو حَتَّى وَجَبَتْ صَلَاةُ الصُّبْحِ، فَصَلَيْتُهَا. فَجَاءَ حَرَسِي، فَقَالَ: أَيْنَ تَوْبَةُ الْعَنْبَرِي، فَحَمَلَنِي فِي قِيودِي، فَأَدْخَلَنِي عَلَيْهِ، وَأَنَا أَتَكَلَّمُ بِهِنَ، فَلَمَّا رَأَنِي، أَمَرَ بِإِطْلَاقِي. قَالَ تَوْبَةُ: فَعَلِمْتُهَا فِي السَّجْنِ رَجُلًا، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أُدْعَ إِلَى عَذَابٍ قَطُّ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: إِلَّا خُلِّيَ عَنِّي، فَجِئْتُ بِیْ يَوْمًا إِلَى الْعَذَابِ، فَجَعَلْتُ أَتَذَكَّرُهُنَّ، فَلَا أَتَذَكَّرُهُنَّ، حَتَّى جُلِدْتُ مِائَةَ سَوَاطِيفَ، فَذَكَرْتُهُنَّ بَعْدَ، فَدَعَوْتُ بِهِنَ، فَخُلِّيَ عَنِّي^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخرجه التتوخي (٢/ ٣٢٨-٣٢٩) في «الفرج بعد الشدة»، وأورده ابن حمدون (٨/ ٦٠) برقم (٩٢) في التذكرة الحمدونية.

أَسْأَلُكَ بِقُدْرَتِكَ أَنْ تُكَفِّينِيهِ

❁ قال نُعَيْم بن أَبِي هِنْد: كُنْتُ عِنْدَ يَزِيدَ بنِ أَبِي مُسْلَمٍ وَهُوَ يُعَذِّبُ النَّاسَ، فَذَكَرَ رَجُلًا فِي السِّجْنِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِغَضَبٍ وَغَيْظٍ، وَأَنَا لَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ سَيُوقَعُ بِهِ؛ فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَأَيْتُهُ يَحْرِّكُ شَفَتَيْهِ بِشَيْءٍ لَمْ أَسْمَعْهُ، فَرَفَعَ يَزِيدُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: خَلُّوا سَبِيلَهُ. فَقُمْتُ إِلَى الرَّجُلِ فَقُلْتُ لَهُ: مَا الَّذِي قُلْتَ؟

قال: قلت اللهم إني أسألك بقدرتك التي تمسك بها السموات السبع أن يقع بعضهن على بعض أن تكفينيه^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أورده ابن حمدون (٨ / ٦١)، في التذكرة الحمدونية برقم (٩٣).



كرم فى مقابل الأمانة

يُروى أن الأمير يمين الدولة ركب بيلخ للصيد، فتعرض له رجل من أهل بخارى يدعو ويتبرم، وكان يضجر بأمثاله، فأمر بأن يُضرب بالمقارع، واتفق أن حرك يده، فسقط الفص من خاتمه، وذلك بمرأى من البخارى المضروب فتربّص مرور الموكب ثم جاء ورفع الفص من الطريق.

ووقع بصر الأمير على الخاتم بعدما انصرف، فأمر بطلب الفص وشدّد فيه، ثم ركب من الغد، وقد وقف له البخارى فى موقفه بالأمس، وعاد إلى إضجاره فأمر بشدّخه بالدبابيس^(١) فقال الرجل البخارى:

إن كنت غير مُعطٍ شيئاً من مالك، فخذ ما معى من متاعك ... وناوله الفص فبُهِت له، وسأله عنه فأخبره بالقصة فقال الأمير:

قد أرغمنى الله بك ... وأمر له بثلاثمائة دينار، فأحضرت وقال: خذها ولا تشكرنى عليها، فليست بعطيتى إنما هى من عند الله، ولو كانت إلى ما أعطيتك منها واحداً^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الدبابيس: المقامع، والمقمعة خشبة يُضرب بها الإنسان فى رأسه.

(٢) أوردتها الغرناطى (١/ ٢٢٦) فى جنة الرضا، والبيرونى (ص/ ٦٤) فى «الجماهر فى معرفة الجواهر».

نجاه وسط الأمواج

✽ حكى بعضهم فقال: ركبت البحر إلى الأندلس مع عبد الملك بن حبيب السُّلَمي، فهال علينا البحر فخشنا العطب، فرأيت ابن حبيب متعلقاً بحبال السفينة وهو يقول:

اللهم إن كنت تعلم أني أردت بما ابتغيت به وجهك، وما عندك
فخلصنا برحمتك وانفع ما أتيت به عبادك.
فما كان إلا يسيراً حتى سكنت الحال ووصلنا سالمين^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كل الخلق عبيدك

✽ قال فرقد مولى المهدي: هاجت ريح زمن المهدي، فدخل المهدي بيتاً في جوف بيت، فألزق خدّه بالتراب ثم قال:
اللهم إني برىء من هذه الجناية ... كل الخلق عبيدك، فإن كنتُ
المطلوب من بين خلقك هأنذا بين يديك.
اللهم لا تُشمت بي أهل الأديان، فلم يزل كذلك حتى انجلت الريح^(٢).
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أورده القاضي عياض (٣/ ٣٤) في ترتيب المدارك، ومحمد بن يحيى الغرناطي (٢/ ١٨٢) في «جنة الرضا».

(٢) أورده الأبي في نثر الدر (٣/ ٩٣) وابن كثير (١٠/ ١٥٣) في البداية والنهاية والغرناطي (٢/ ٣١ - ٣٢) في «جنة الرضا».



ما شاء الله كان

✽ أَرَادَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَجَّ، فَمَنَعَهُ الْخَلِيفَةُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ - ثاني خلفاء بني العباس - فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي، سُبْحَانَ اللَّهِ الْأَعْلَى، حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى، لَيْسَ مِنْ اللَّهِ مَنْجَى، مَا شَاءَ اللَّهُ قَضَى، لَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ مُنْتَهَى، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، اللَّهُمَّ إِنْ هَذَا عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِكَ، خَلَقْتَهُ كَمَا خَلَقْتَنِي، لَيْسَ لَهُ عَلَيَّ فَضْلٌ، إِلَّا مَا فَضَلْتَهُ عَلَيَّ بِهِ، فَاكْفِنِي شَرَّهُ، وَارْزُقْنِي خَيْرَهُ، وَاقْدَحْ لِي فِي قَلْبِهِ الْمَحَبَّةَ، وَاصْرِفْ عَنِّي أَذَاهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا.

فَأَذِنَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ فِي الْحَجِّ ^(١).

لأن تلقى الله حائثًا خير من أن تلقاه قاتلاً

✽ يُحْكِي أَنَّهُ وَقَفَ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، تَأَنَّنْ عَلَيَّ فَإِنَّ الرِّفْقَ يَضَعِفُ الْعُقُوبَةَ. قَالَ: وَقَدْ حَلَفْتُ لَا أَقْتُلُكَ!

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَن تَلْقَى اللَّهَ ﷻ حَائِثًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ قَاتِلًا. قَالَ: فَخَلَّى سَبِيلَهُ ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الفرج بعد الشدة (١/ ١٨٠) للتنوخى.

(٢) «جنة الرضا» (٢/ ١٠١-١٠٢) للغرناطى.

إِنْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ لَا تُسْفَكَ بِالْأَحْلَامِ

❁ وَحَكِيَ الْحَسَنُ بْنُ قُحْطَبَةَ، قَالَ: اسْتَوْذَنَ لِشَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي، عَلَى الْمُهْدَى، وَأَنَا حَاضِرٌ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِالسَّيْفِ، فَأَحْضُرُ.

قَالَ الْحَسَنُ: فَاسْتَقْبَلْتَنِي رَعْدَةً لَمْ أَمْلِكْهَا، وَدَخَلَ شَرِيكٌ، فَسَلَّمَ، فَانْتَضَى الْمُهْدَى السَّيْفَ، وَقَالَ: لَا سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا فَاسِقُ.

فَقَالَ شَرِيكٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ لِلْفَاسِقِ عِلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا، شَرِبَ الْخُمُورَ، وَسَمِعَ الْمَعَازِفَ، وَارْتَكَبَ الْمَحْظُورَاتِ، فَعَلَى أَى ذَلِكَ وَجَدْتَنِي؟ قَالَ: قَتَلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ.

قَالَ: وَلَمْ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَدَمِي حَرَامٌ عَلَيْكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ، كَأَنِّي مَقْبَلٌ عَلَيْكَ أَكَلَمُكَ، وَأَنْتَ تَكَلِمُنِي مِنْ قِفَاكَ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى الْمُعَبَّرِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ يَطَأُ بِسَاطُكَ، وَهُوَ يُسِرُّ خِلَافَكَ.

فَقَالَ شَرِيكٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ رُؤْيَاكَ لَيْسَتْ رُؤْيَا يَوْسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ عليه السلام، وَإِنْ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ لَا تُسْفَكَ بِالْأَحْلَامِ.

فَنَكَّسَ الْمُهْدَى رَأْسَهُ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ: أَنْ اخْرُجْ، فَانْصَرَفَ.

قَالَ الْحَسَنُ: فَقُمْتُ فَلَحَقْتُهُ، فَقَالَ: أَمَا رَأَيْتُ صَاحِبَكَ، وَمَا أَرَادَ أَنْ يَصْنَعَ؟ فَقُلْتُ: اسْكُتْ، اللَّهُ أَبُوكَ، مَا ظَنَنْتُ أَنَّي أَعِيشُ حَتَّى أَرَى مِثْلَكَ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



احتبس لسانه سبعة أيام

✽ روى أن محمد بن إبراهيم بن محمد بن وضاح اللخمي لما رجع من سفرته الثانية خارج بلاده احتبس لسانه سبعة أيام، فكان لا يستطيع الكلام، فقال في نفسه: اللهم إن كان في إطلاق لساني صلاحٌ لنشر هذا العلم فأطلقه.

فأطلق الله لسانه، وأحيا به أهل الأندلس، وانتفعوا به، فكانوا يرون ذلك من أفضل كراماته^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن عبادتك خمسين سنة تعدل سكون العرق

✽ قال وهب بن منبه: عَبَدَ اللَّهُ عَابِدٌ خَمْسِينَ عَامًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكَ، قَالَ: أَى رَبِّ! وَمَا تَغْفِرُ لِي وَلَمْ أَذْنِبْ؟ فَأَذِنَ اللَّهُ لِعَرَقٍ فِي عُنُقِهِ يَضْرِبُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَنْمَ وَلَمْ يُصَلِّ ثُمَّ سَكَنَ فَنَامَ، ثُمَّ أَتَاهُ مَلَكٌ فَشَكَا إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا لَقِيتَ مِنْ ضَرْبَانِ الْعَرَقِ، فَقَالَ الْمَلَكُ: إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: إِنَّ عِبَادَتَكَ خَمْسِينَ سَنَةً تَعْدِلُ سَكُونَ الْعَرَقِ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ترتيب المدارك (٣/ ٣٨٢)، رياض النفوس (٢/ ٥٠١).

(٢) عدة الصابرين (ص/ ١٥٠) لابن القيم.

جارية تنقذ أسرتها

﴿كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ أَنْ ابْعَثْ إِلَيَّ أَسْلَمَ بْنَ عَبْدِ الْبَكْرِ، لِمَا بَلَغَنِي عَنْهُ، فَأَخْضَرَهُ الْحَجَّاجُ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْتَ الشَّاهِدُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْغَائِبُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١) وما بلغه باطل، وَإِنِّي أَعُولُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ امْرَأَةً مَا لَهِنَّ كَاسِبٌ غَيْرِي وَهُنَّ بِالْبَابِ، فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ بِإِحْضَارِهِنَّ، فَلَمَّا حَضَرْنَ جَعَلَتْ هَذِهِ تَقُولُ: أَنَا خَالَتُهُ، وَهَذِهِ أَنَا عَمَّتُهُ، وَهَذِهِ أَنَا أُخْتُهُ، وَهَذِهِ أَنَا زَوْجَتُهُ، وَهَذِهِ أَنَا بِنْتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ فَوْقَ الثَّمَانِ وَدُونَ الْعَشْرَةِ، فَقَالَ لَهَا الْحَجَّاجُ: مَنْ أَنْتِ؟

فَقَالَتْ: أَنَا ابْنَتُهُ، ثُمَّ قَالَتْ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، وَجِئْتُ عَلَى رُكْبَتَيْهَا وَقَالَتْ: -

أَحْبَبْتُ لَمْ تَشْهَدْ مَقَامَ بَنَاتِهِ	وَعَمَّاتِهِ يَنْدُبْنَهُ اللَّيْلَ أَجْمَعًا
أَحْبَبْتُ كَمْ تَقْتُلُ بِهِ إِنْ قَتَلْتُهُ	ثَمَانًا وَعِشْرًا وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعًا
أَحْبَبْتُ مَنْ هَذَا يَقُومُ مَقَامَهُ	عَلَيْنَا فَمَهْلًا أَنْ تَزِدَنَا تَضَعُضًا
أَحْبَبْتُ إِمَّا أَنْ تَجُودَ بِنِعْمَةٍ	عَلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ تُقَتِّلَنَا مَعًا

فَبَكَى الْحَجَّاجُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَعْنَتْ عَلَيْكَ وَلَا زِدْتُكَ تَضَعُضًا، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِمَا قَالَ الرَّجُلُ، وَبِمَا قَالَتْ ابْنَتُهُ هَذِهِ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ بِأَمْرِهِ بِإِطْلَاقِهِ وَحُسْنِ صِلَتِهِ وَبِالْإِحْسَانِ إِلَى هَذِهِ الْجَارِيَةِ وَتَفَقُّدِهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ.



اللهم رُدَّ غَائِبِي واكْشِفْ هَمِّي

✽ ضرب عبد الملك بن مروان بعثاً إلى اليمن، فأقاموا سنين، حتى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق، قال: والله لأُعَسِّنَ الليلة مدينة دمشق، ولأسمعن ما يقول الناس في البعث الذي غرَّبَت فيه رجالهم، وغرمت فيه أموالهم. فبينما هو في بعض أزقتها إذا هو بصوت امرأة قائمة تصلي، فتسمَّع إليها، فلما انصرفت إلى مضجعها قالت: اللهم يا غليظ الحُجُب، ويا مُنْزِل الكتب، ويا مُعْطَى الرُّغْب، ويا مُؤَدَى الرُّغَب. أسألك أن ترد غائبي، فتكشف به همي، وتصفى به لذتي، وتقرب به عيني، وأسألك أن تحكم بيني وبين عبد الملك بن مروان الذي فعل بي هذا، فقد صيَّر الرجل نازحاً عن وطنه، والمرأة مقلقةً على فراشها، ثم أنشأت تقول:

تطاول هذا الليلُ فالعينُ تدمعُ	وأرَّقني حُزْني وقلبي مُوجعُ
فبتَّ أقاسى الليلَ أرعى نجومه	وبات فؤادي هامداً يتفزعُ
إذا غابَ منها كوكبٌ في مغيبه	لمحتُ بعيني آخرًا حين يطلعُ
إذا ما تذكرتُ الذي كان بيننا	وجدتُ فؤادي للهوى يتقطَّعُ
وكلُّ حبيبٍ ذاكرٌ لحبيبه	يُرجى لقاءه كلَّ يومٍ ويطمعُ
فذا العرشِ فرَّج ما ترى من صبابتي	فأنت الذي ترعى أموري وتسمعُ
دعوتك في السَّراءِ والضُّرِّ دعوة	على غلة بين الشراسيف تلذعُ

فقال عبد الملك لحاجبه: تعرف لمن هذا المنزل؟ قال: نعم، هذا منزل زيد ابن سنان. قال: فما المرأة منه؟ قال: زوجته. فلما أصبح سأل كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالوا: ستة أشهر. فأمر ألا يمكث العسكر أكثر من ثلاثة أشهر^(١).

هذا رزقي يسير إلى

✽ قال جعفر الخَلْدِي: سمعت أبا يعقوب الأقطع يقول: جُعْتُ مرّةً في المسجد الحرام أيامًا، فوجدت ضعفًا، فحدثت نفسي، فقلت: لو خرجت إلى الوادي لعلّي كنت أجد شيئًا يُسكِّن عني بعض ما أجد، فخرجت إلى الوادي، فوجدت سلجمة^(١) مطروحة، فأخذتها، وعُدت إلى المسجد، وقلت: هذه تُسكِّن بعض ما أجد، فوجدت من ذلك في قلبي وحشة وقلت: كان حظك من جوع عشرة أيام سلجمة متنتة. فرميت بها، وجلست فإذا رجل نوتي^(٢) من نوتية البحر عجمي قد دخل من الباب فالتفت هكذا وهكذا ثم جاء وجلس بين يدي، وسلم عليّ، وقال: خذ هذه القمطرة^(٣) هي لك. فقلت له: كيف صارت لي؟ فقال: كنا في البحر منذ عشرة أيام فاشتد علينا البحر، وأشرفنا على الغرق، فسألنا الله تعالى السلامة وتضرعنا إليه، فنذر الناس النذور كُلَّ على قدره، فنذرت إن الله تعالى سلمني، ورجعت إلى عيالي دفعت هذه القمطرة إلى أول من أراه في المسجد الحرام من المجاورين، فقلت له: افتحها. ففتحها، فإذا فيها كعك سميد مصري، ولوز مقشر، وسُكَّر كعاب. قال: فأخذت قبضة من ذا، وقبضة من ذا، وقبضة من ذا، وقلت رُدَّ هذا إلى مكانه، فإنه هدية إلى صبيانك. فأخذها وقام مسرورًا فقلت في نفسي، هذا رزقي من عشرة أيام يسير إليّ، وأنا أخرج إلى الوادي أطلب شيئًا آكله^(٤).

(١) السلجم: نبت، وقيل: هو ضربٌ من البقول: اللسان (سلجم) وجاء في حاشية (ب) السلجم: «بر اللفت المعروف».

(٢) النوتي: الملاح في البحر. القاموس (نوت).

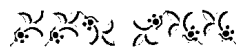
(٣) القِمَطْرَة: شبه سَفَط يُسَفُّ من قصب، اللسان (قمطر).

(٤) روض الرياحين (١٧٧) «الحكاية ٩٨».



قد عشنا بها واستغنيانا

عن القاسم بن معن: أنه أته امرأة فقالت: أنا امرأة فلان ما آتيك حتى خفت أن يضيّق عليّ أن لا آتيك، فقال القاسم لبعض أصحابه: بقي من ذلك المال شيء؟ قال: مائتا درهم. قال: ادفعه إليها، فأخذته وانصرفت، وقال له: إذا جاءني شيء فأذكرنيها. قال: فجاءه مال ففرقه فذكرها وقد بقي منه سبعمائة درهم. فقال: اذهب به إليها وسلّ عنها أهل المسجد الذي خلف منزلها والمسجد الذي دونه، ففعل فأخبر بعفافِ عنها وعن بنات لها. قال: فأتيتهما فقلت: رسول القاسم بن معن. فقالت: مرحبا بالقاسم وبرسوله. حاجتك؟ قلت: هذه السبعمائة درهم أرسل بها إليك القاسم. فقالت: أقرئه السلام وقل له: قد أخذنا تلك المائتين فنحن نغزل منها ونبيع وقد عشنا بها واستغنيانا فلا حاجة لنا في هذه. فأتيت القاسم فأخبرته فقال: ويحك ألا سيّتها في باب الدار؟^(١)



فَرَجٌ عَنِّي مَا أَنَا فِيهِ

* قال موسى بن جعفر رَحِمَهُ اللهُ:

حبسني الرشيد، فأدخلت إلى موضع ضيقٍ فيه ستة رجال مسجونون، وكان ذلك في الليل، فرقدتُ ورأسى على ركبتي، فرأيت النبي ﷺ، فحركني بيده، وقال لي: يا فلان، مالك مغمومًا؟

قلت: يا رسول الله، أنا في الحبس في موضعٍ ضيقٍ، ولا أدري ما يُراد بي، فقال: أفلا أعلمك دُعاء الفرج؟

قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل يا سامع كل صوت، ويا سابق كل فوت، ويا مُحَيِّ العظام وهي رميم بعد الموت، مُنَّ عَلَيَّ وأغثنِي، وفرِّج عني ما أنا فيه، لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت أرحم الراحمين».

قال: فاستيقظت ودعوتُ بها، فلم ألبث أن فُتحت الأبواب وجاءني رسول الرشيد، فمضى بي إليه، فدخلت عليه وهو في فراشه بين يديه شمعة، فقال لي: ما لي ولك؟ النبي ﷺ يأمرني منذ الليلة بتخليتك، امضِ لسبيلك، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن لي في الحبس ثيابًا فأرجع فأخذها، قال: نعم، فسررتُ إلى الحبس، وعلمت الستة الرجال الذين كانوا معي الدعاء، وخرجت، والله ما صليت الجمعة، إلا وهم معي في المسجد الجامع^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الله أولى بالجميل

❁ روى إبراهيم بن مسعود، فقال: كَانَ رَجُلٌ مِنْ تَجَارِ الْمَدِينَةِ يَخْتَلِفُ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ فِيخَالِطُهُ، وَيَعْرِفُهُ بِحُسْنِ الْحَالِ، فَتَغَيَّرَتْ حَالُهُ فَجَعَلَ يَشْكُو ذَلِكَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ جَعْفَرٌ:

فَلَا تَجْزَعْ وَإِنْ أَغَسَرْتَ يَوْمًا فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ
وَلَا تَيْأَسْ فَإِنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ لَعَلَّ اللَّهَ يُغْنِي عَنْ قَلِيلِ
وَلَا تَظُنُّ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوْءٌ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ^(١)

قصة ابتلاء آل معاذ بن جبل

❁ رَوَى عُثْمَانُ بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، قَامَ فِي الْجَيْشِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ حِينَ وَقَعَ الْوَبَاءُ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: هَذِهِ رَحْمَةٌ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةٌ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَكَفَّارَةٌ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ادْخُلْ عَلَى آلِ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمُ الْأَوْفَى مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى فَقِيلَ لَهُ: قَدْ طُعِنَ ابْنُكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَلَمَّا رَأَى أَبَاهُ مُعَاذًا قَالَ: يَقُولُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: يَا أَبَتَاهُ ❁ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ❁^(٢) قَالَ: ف❁ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ❁^(٣) قَالَ: فَمَاتَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ آلُ مُعَاذٍ كُلُّهُمْ، ثُمَّ هُوَ كَانَ آخِرَهُمْ^(٤).

(١) شعب الإيمان (١٠٠١٧).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٤٧).

(٣) سورة الصافات: الآية (١٠٢).

(٤) شعب الإيمان (١٠٠٨٣).

الذين يفرحون بالبلاء

✽ روى إبراهيم بن نوح، فقال: رَجَعَ فَتَحَّ الْمَوْصِلِي إِلَى أَهْلِهِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ، وَكَانَ صَائِمًا، فَقَالَ: عَشُونِي، فَقَالَ: مَا عِنْدَنَا مِنْ شَيْءٍ نَعُشِّيكَ.

قَالَ: فَمَا لَكُمْ جُلُوسًا فِي الظُّلْمَةِ، قَالُوا: مَا عِنْدَنَا زَيْتٌ نَسْرُجُ بِهِ، فَجَلَسَ يَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، فَقَالَ: يَا إِلَهِي، مِثْلِي يُتْرَكُ بِلَا عِشَاءٍ وَلَا سِرَاجٍ ... بِأَيِّ يَدٍ كَانَتْ مِنِّي إِلَيْكَ؟ فَمَا زَالَ يَبْكِي إِلَى الصُّبْحِ، فَعَدَّ الْبَلَاءَ نِعْمَةً ^(١).

✽ وروى الحسن بن الصباح بن محمد الواسطي، قال: بَلَغَنِي عَنْ عَاصِمِ الْجُرْجَانِي قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا رُفَعَاءَ إِلَّا أَنْ بَعْضَهُمْ أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ، فَذَهَبْتُ أُعْزِي رَجُلًا وَقَدْ قَتَلَ ابْنَهُ التُّرْكُ فَبَكَى حِينَ رَأَى، فَقُلْتُ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَدْ قَتَلَ ابْنُكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟!

قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنْتَ تَظُنُّ أَنَّي أَبْكِي لِقَتْلِهِ إِنَّمَا أَبْكِي كَيْفَ رِضَاهُ عَنِ اللَّهِ حِينَ أَخَذَتْهُ السُّيُوفُ ^(٢).

✽ وَقَالَ ثَابِتُ الْبُنَانِي: كَانَ لَنَا جَارٌ إِذَا أَمْسَى وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ أَمْسَى فَرِحًا، وَإِذَا أَمْسَى وَعِنْدَهُمْ شَيْءٌ أَمْسَى مَغْمُومًا.

فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: يَا فُلَانُ، خَالَفْتَ النَّاسَ؟!

قَالَ: فَإِنِّي إِذَا أَمْسَيْتُ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَمْسَيْتُ فَرِحًا إِذْ كَانَ لَنَا بِالِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَسْوَةٌ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَنَا شَيْءٌ أَصْبَحْتُ مَغْمُومًا، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَنَا بِالِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَسْوَةٌ ^(٣).

(١) شعب الإيمان (١٠١١٩).

(٢) شعب الإيمان (١٠١١٨).

(٣) شعب الإيمان (١٠١٢٠).



رضينا بقضاء الله

❁ عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي حَسَّانَ، أَنَّهُ شَهِدَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِينَ دُفِنَ ابْنُهُ عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ: فَلَمَّا سُوِيَ عَلَيْهِ قَبْرُهُ بِالْأَرْضِ وَجَعَلُوا فِي قَبْرِهِ خَشَبَتَيْنِ مِنْ زَيْتُونٍ إِحْدَاهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالْأُخْرَى عِنْدَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ جُعِلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبْلَةِ ثُمَّ اسْتَوَى قَائِمًا وَأَحَاطَ بِهِ النَّاسُ فَقَالَ: «رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بَنِي فَقَدْ كُنْتَ بَرًّا بِأَبِيكَ، وَمَا زِلْتُ مُنْذُ وَهَبَكَ اللَّهُ لِي مَسْرُورًا بِكَ وَلَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ سُرُورًا وَلَا أَرْجَى لِحَظِّي مِنَ اللَّهِ فِيكَ مُنْذُ وَضَعْتُكَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صَيَّرَكَ اللَّهُ فَرَحِمَكَ اللَّهُ وَغَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ وَجَزَاكَ بِأَحْسَنِ عَمَلِكَ وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئِهِ وَرَحِمَ كُلَّ شَافِعٍ يَشْفَعُ لَكَ بِخَيْرٍ مِنْ شَاهِدٍ وَغَائِبٍ وَرَضِينَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَسَلَّمْنَا لِأَمْرِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ثُمَّ انْصَرَفَ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فطنة وكياسة

❁ روى أن مُصعب بن الزبير، أخذ رجلاً من أصحاب المُختار بن أبي عُبَيْد، فأمر بضرب عُنُقِهِ.

فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، مَا أَقْبَحَ بِكَ أَنْ أَقُومَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى صُورَتِكَ هَذِهِ الْحَسَنَةِ، وَوَجْهَكَ هَذَا الْجَمِيلَ الَّذِي يُسْتَضَاءُ بِهِ، فَأَتَعْلَقَ بِكَ، ثُمَّ أَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ مُصَعَبًا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَعُفَا عَنْهُ وَأَطْلَقَهُ.

فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ اجْعَلْ مَا وَهَبْتَ لِي مِنْ حَيَاتِي فِي خَفْضِ عَيْشٍ، فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ لِفَقِيرٍ.

فَقَالَ: رُدُّوْا عَلَيْهِ عَطَاءَهُ، وَأَعْطُوهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ.

قَالَ: أَشْهَدُ اللَّهَ، أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ نَصْفَهَا لِابْنِ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ.

قَالَ: لِمَ؟ قَالَ لِقَوْلِهِ:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ

مَلِكُهُ مَلِكٌ رَحْمَةٌ لَيْسَ فِيهِ

يَتَّقِي اللَّهُ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْلَحَ

فَضَحِكَ مُصْعَبٌ، وَقَالَ: أَرَى فِيكَ لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعًا، وَجَعَلَهُ مِنْ نُدَمَائِهِ،

وَأَحْسَنَ صَلَاتِهِ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تاب الله عليك

❖ قال أبو الحارث الأولاسي رَحِمَهُ اللهُ:

بينما أنا في غفلة رأيت عليلاً مطروحاً على قارعة الطريق، فدنوت منه فقلت: هل تشتهي شيئاً؟ قال: نعم رُمَّاناً. فجئته برمان فلما وضعته بين يديه رفع بصره وقال: تاب الله عليك ... قال: فما أمسيت حتى تغير قلبي عما كنت عليه، وخرجت إلى الحج فبينما أسير بالليل إذا أنا بقوم يشربون، فلما رأوني ذهلوا فأجلسوني وعرضوا عليّ الطعام والشراب. فقلت: أحتاج إلى البول فذهبت فوقعت في غابة فإذا بسبع. فقلت: اللهم إنك تعلم ما تركت ولماذا خرجت ولماذا خرجت فاصرف عني شر هذا السبع، فوَلَّى السبع ودخلت مكة فلقيت بها من انتفعت به ... منهم إبراهيم بن سعد العلوي^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اشتهاها فوجدها

❖ وقال سهل بن علي الدُّوري: سَمِعْتُ سُرَيْجَ بن يونس يقول: خرجتُ يومَ الجمعة، أريدُ المسجدَ الجَامِعَ، فَلَمَّا دخلْتُ القَنْطَرَةَ، رأيتُ سَمَكَتَيْنِ في سَفُودٍ في دُكَّانٍ شَوَاءٍ، فاشتَهِيتُهُمَا بقلبي للصَّبَّيَّانِ، ولم أَتَكَلَّمْ به، فَلَمَّا قَضَيْتُ الجُمُعَةَ ورجعتُ، رأيتُهُمَا وقد أخرجَهُمَا الشَوَاءُ، فتمنَّيتُهُمَا بقلبي، فَلَمَّا دخلْتُ البيتَ، ما استقررتُ حِينًا، فإذا دَاقَ يدُقُّ البابَ، فقلتُ: من هذا؟ وخرجتُ، فإذا رجلٌ معه طبقٌ عليه السمكتانِ وبقلٌّ وخلٌّ ورُطَبٌ كثيرٌ، فقال لي: يا أبا الحارث كُلْ هذا مع الصبيانِ. فأخذته منه ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اذكر الذين لا مأوى لهم

❖ قال سَلَامٌ: دخلتُ على مريضٍ أَعُوذُهُ، فإذا هو يئنُّ، فقلتُ: اذْكُرِ الْمُطَرَّحِينَ فِي الطُّرُق، اذْكُرِ الَّذِينَ لَا مَأْوَى لَهُمْ، وَلَا مَنْ يَخْدُمُهُمْ. ثُمَّ دخلتُ عليه بعد ذلك فلم أَسْمَعْهُ يئنُّ، وهو يقول: اذْكُرِ الْمُطَرَّحِينَ فِي الطُّرُق، واذْكُرِ الَّذِينَ لَا مَأْوَى لَهُمْ، وَلَا لَهُمْ مَنْ يَخْدُمُهُمْ^(١).

أنت على العقوبة أقدر منك على نزعها

حضر الشَّعْبِيُّ، عِنْدَ مُصْعَبِ بْنِ الزَّبِيرِ، وَهُوَ أَمِيرُ الْكُوفَةِ، وَقَدْ أُتِيَ بِقَوْمٍ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ، فَأُخِذُوا لِيُقْتَلُوا. فَقَالَ لَهُ الشَّعْبِيُّ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنْ أَوَّلَ مَنْ اتَّخَذَ السَّجْنَ كَانَ حَكِيمًا، وَأَنْتَ عَلَى الْعُقُوبَةِ، أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى نَزْعِهَا. فَأَمَرَ مُصْعَبٌ بِحَبْسِ الْقَوْمِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَمْرِهِمْ بَعْدَ فَوَجَدَهُمْ بَرَاءً، فَأَطْلَقَهُمْ^(٢).

(١) المختار من مناقب الأخيار / لابن الأثير (٣/ ١٣).

(٢) «الفرج بعد الشدة» (٤/ ١٦) للتنوخى.

دعاء في جوف الليل

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمِصْرِيِّ قَالَ:

أَنَّ رَجُلًا أَصَابَهُ مَرَضٌ فَمَنَعَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالنَّوْمِ، فَبَيْنَا هُوَ لَيْلَةً سَاهِرٌ إِذْ دَعَا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْبُدُكَ وَلَكَ أَصَلَّى، فَاجْعَلِ الشِّفَاءَ فِي جَسَدِي، وَالْيَقِينَ فِي قَلْبِي وَالنُّورَ فِي بَصَرِي، وَالشُّكْرَ مِنْ صَدْرِي، وَذِكْرَكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي لِسَانِي، أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي، وَارْزُقْنِي مِنْكَ رِزْقًا غَيْرَ مَمْنُوعٍ وَلَا مَحْظُورٍ» فَبَرَأَ مَكَانَهُ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اذكر يوم الأذان

نادى رجلٌ سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر: يا سليمان، يا سليمان اذكر يوم الأذان، فنزل عن المنبر ودعا الرجل فقال له سليمان: فما يوم الأذان؟

فقال: ﴿فَإِذَنْ مُؤَذِّنُ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

قال: فما ظلامتك؟

قال: أَرْضِي بِمَكَانٍ كَذَا أَخَذَهَا وَكَيْلِكَ، فكتب إلى وكيله: أن ادفع إليه أرضه، وأرضي مع أرضه^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (٢٧) في اليقين بسند صحيح.

(٢) سورة الأعراف: الآية (٤٤).

(٣) محاضرات الأدباء (١/ ٢١٦) للراغب، والمستطرف (١/ ١٠٤) للإبشيhi.



بلا تعليق!!

❁ تالله.. لا أجد تعليقًا على هذا الكرم الذى يفوق الخيال فى تلك القصة التى سأذكرها لكم:

❁ قال محمد بن عمر الواقدي رَحِمَهُ اللهُ:

كنت حَنَاطًا - يتاجر بالحنطة - بالمدينة فى يدى مائة ألف درهم للناس أضارب بها، فَتَلَفْتُ الدَّرَاهِمَ، فشخصتُ إلى العراق، فقصدت يحيى بن خالد وزير هارون الرَّشيد فسألنى: مَنْ أنت وما قضيتك؟ قال: فأخبرته، قال: فأمر لى بأربعة آلاف دينار ومائتى ألف درهم، وقال:

لتقضى دينك بمائة ألفٍ، وتُصلح شأنك بالباقي، ثم قال: يا غلام، أعطه الدار الفُلانية، وافرش لهُ الفرش الفُلانى وقال:

الزمنى فكن فى دارى. فَقُلْتُ: أعزَّ الله الوزير، لو أذنت لى بالشُّخص إلى المدينة لأقضى للناس أموالهم ثُمَّ أعود إلى حضرتك كان ذلك أرفق بى.

فقال: قد فعلتُ. وأمرَ بتجهيزى فشخصت إلى المدينة، فقضيت دينى ثم رجعتُ إليه، فلم أزل فى ناحيته^(١).

فهذا من جميل صنع الله فى جبر ما ضاع بأفضل منه، وخلف ما فات بأحسن منه.

(١) أخرجه الخطيب (٣/ ٤-٥) فى تاريخ بغداد، وأورده الغرناطي (١/ ٢٢٠-٢٢١) فى «جنة الرضا».

بذكائه يظفر بالعفو

❖ قَالَ الْمَأْمُونُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ: إِنِّي شَاوَرْتُ فِي أَمْرِكَ فَأَشَارُوا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ قَدْرَكَ فَوْقَ ذَنْبِكَ فَكَرِهْتُ الْقَتْلَ لِلْإِزْمِ حُرْمَتِكَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمُسِيرَ أَشَارَ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي السِّيَاسَةِ، إِلَّا أَنَّكَ أَبَيْتَ أَنْ تَطْلُبَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ عَوَّدْتَهُ مِنَ الْعَفْوِ فَإِنْ عَاقَبْتَ فَلَكَ نَظِيرٌ، وَإِنْ عَفَوْتَ فَلَا نَظِيرَ لَكَ. وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

الْبِرُّ بِي مِنْكَ وَطَا الْعُذْرَ عِنْدَكَ لِي	فِيمَا فَعَلْتَ فَلَمْ تَعْدِلْ وَلَمْ تَلْمِ
وَقَامَ عِلْمُكَ بِي فَاحْتَجَّ عِنْدَكَ لِي	مَقَامُ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمِ
لَنْ جَحَدْتُكَ مَعْرُوفًا مَنَنْتَ بِهِ	إِنِّي لَفِي اللَّؤْمِ أَحْظَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
تَعْفُو بَعْدِلٍ وَتَسْطُو إِنْ سَطَوْتَ بِهِ	فَلَا عَدِمْنَاكَ مِنْ عَافٍ وَمُنْتَقِمِ



الفرج قريب

روى أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ الْكَاتِبَ حُبِسَ فِي السَّجْنِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى صَاقَتْ حِيلَتُهُ وَقَلَّ صَبْرُهُ فَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ يَشْكُو لَهُ طُولَ حَبْسِهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ جَوَابَ رُقْعَتِهِ بِهَذَا:

صَبْرًا أَبَا أَيُّوبَ صَبْرٌ مُبَرِّحٌ فَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْخُطُوبِ فَمَنْ لَهَا
إِنَّ الَّذِي عَقَدَ الَّذِي انْعَقَدَتْ لَهُ عَقْدُ الْمَكَارِهِ فِيكَ يَمْلِكُ حَلَّهَا
صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يَعْقِبُ رَاحَةً وَلَعَلَّهَا أَنْ تَنْجَلِيَ وَلَعَلَّهَا
فَأَجَابَهُ أَبُو أَيُّوبَ يَقُولُ:

صَبْرَتْنِي وَوَعِظْتَنِي وَأَنَا لَهَا وَسَتَنْجَلِي بَلْ لَا أَقُولُ لَعَلَّهَا
وَيُحِلُّهَا مَنْ كَانَ صَاحِبَ عَقْدِهَا كَرَمًا بِهِ إِذْ كَانَ يَمْلِكُ حَلَّهَا

فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّجْنِ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى أُطْلِقَ مُكْرَمًا.

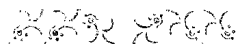
شعبة بن الحجاج... وشفاعته لأخيه

ولم يكن حبه وإحسانه للناس فحسب... بل كان كريماً ورحيماً بأهله وذويه وأرحامه.

فها هو يشفع لأخيه ويُخرجه من السجن مراعاة للرحم التي بينهما.
قال أبو عاصم: اشترى أخ لشعبة من طعام السلطان فخر هو وشركاؤه، فحُبِسَ لستة آلاف دينار بحصته، فخرج شعبة إلى المهدي ليكلّمه فيه، فلما دخل عليه قال له: يا أمير المؤمنين، أنشدني قتادة وسِماك ابن حرب لأمية بن أبي الصلت يقول لعبد الله بن جدعان، وأنشد يقول:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياءُ
كريم لا يُعطله صباخُ عن الخلق الكريم ولا مساءُ
فأرضك أرض مكرمةٍ بنتها بنو تيم وأنت لهم سماءُ

فقال: لا يا أبا بسطام لا تذكرها، قد عرفناها وقضيناها لك. ادفعوا إليه أخاه ولا تُلزموه شيئاً^(١).



(١) تاريخ بغداد (٢٥٦/٩)، ووفيات الأعيان (٤٦٩/٢).



ضَمَنَ رَجُلًا فَنَجَّاهُ اللَّهُ

❁ قال حاتم الأصم: كَانَ شَقِيقُ بَنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَلْخِيُّ مُوسِرًا يَعَاشِرُ الْفَتِيَانَ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنُ مَاهَانَ أَمِيرَ بَلْخٍ، وَكَانَ يَحِبُّ كِلَابَ الصَّيْدِ. فَفَقَدَ كَلْبًا مِنْ كِلَابِهِ، فَسَعَى بِرَجُلٍ أَنَّهُ عِنْدَهُ، وَكَانَ الرَّجُلُ فِي جِوَارِ شَقِيقِ. فَطُلِبَ الرَّجُلُ فَهَرَبَ فَدَخَلَ دَارَ شَقِيقٍ مُسْتَجِيرًا، فَمَضَى شَقِيقٌ إِلَى الْأَمِيرِ وَقَالَ: خَلُّوا سَبِيلَهُ فَإِنَّ الْكَلْبَ عِنْدِي أَرَدُهُ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ وَانصَرَفَ شَقِيقٌ مُهْتَمًّا لِمَا صَنَعَ فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَلْخٍ كَانَ غَائِبًا، فَوَجَدَ الْكَلْبَ فِي الطَّرِيقِ وَعَلَيْهِ قِلَادَةٌ فَأَخَذَهُ وَقَالَ: أَهْدِيهِ لَشَقِيقٍ فَإِنَّهُ يَشْتَغُلُ بِالتَّفَتِّيِّ فَحَمَلَهُ إِلَيْهِ فَعَرَفَ شَقِيقٌ أَنَّهُ كَلْبُ الْأَمِيرِ فَسَرَّ بِهِ وَحَمَلَهُ إِلَيْهِ، وَتَخَلَّصَ مِنَ الضَّمَانِ وَسَلَكَ بَعْدَ ذَلِكَ طَرِيقَ الزَّهْدِ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) المختار من مناقب الأخيار / لابن الأثير (٣/ ١٠٩-١١٠) بتصرف.

إياك والشكوى إلى غير الله

❁ قال الشيباني: أخبرني صديق لي قال: سمعني شيخ وأنا أشتكى بعض ما غمّني إلى صديق، فأخذ بيدي وقال: يا ابن أخي إياك والشكوى إلى غير الله، فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدواً.

فأمّا الصديق فتُحزنه ولا ينفعك، وأمّا العدو فيشمت بك. انظر إلى عيني هذه، وأشار إلى إحدى عيني، والله ما أبصرت بها شخصاً ولا طريقاً مذ خمس عشرة سنة، وما أخبرت بها أحداً إلى هذه الساعة.

أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾^(١) فاجعله مشتكاك ومفزعك عند كلّ نائبة، فإنه أكرم مسؤول وأقرب مدعو إليه^(٢).

❁ وها هي قصة أخرى تشبه تلك القصة:

❁ قال الأحنف بن قيس:

شكوت إلى عمّي صمصعة ابن معاوية وجعاً في بطني، فهزّني ثم قال: يا ابن أخي، إذا نزل بك شيء فلا تشكّه إلى أحد، فإنما الناس رجلان: صديق تسوءه وعدوّ تسره، والذي بك لا تشكّه إلى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه، ولكن إلى من ابتلاك به وهو قادر أن يفرّج عنك. يا ابن أخي إحدى هاتين ما أبصر بها سهلاً ولا جبلاً من أربعين سنة وما أطلعت على ذلك امرأتى ولا أحداً من أهلي^(٣).

(١) سورة يوسف: الآية (٨٦).

(٢) انظر: التذكرة الحمدونية (٣١٩/٤)، العقد الفريد (٢٨٢/٢) لابن عبد ربه.

(٣) انظر: نثر الدر (٥٤/٥) للأبي، وفيات الأعيان (٥٠٥/٢) لابن خلكان، التذكرة الحمدونية (٣١٩/٤).



وهكذا رفع العذاب

✽ روى سعيد بن سنان الحمصي فقال:

أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ الْعَذَابَ حَائِقٌ، فَذَكَرَ ذَلِكَ النَّبِيُّ لِقَوْمِهِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُخْرِجُوا أَفْضِلَهُمْ فَيَتُوبُوا، قَالَ: فَخَرَجُوا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُخْرِجُوا بِثَلَاثَةٍ مِنْ أَفْضَلِهِمْ وَفَدَا إِلَى اللَّهِ، أَوْ قَالَ: بِوَفَادَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ، قَالَ: فَخَرَجَتِ الثَّلَاثَةُ أَمَامَ الْقَوْمِ قَالَ: فَقَالَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِي التَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى عَبْدِكَ مُوسَى أَنْ لَا نَرُدَّ السُّؤَالَ إِذَا قَامُوا بِأَبْوَابِنَا، وَإِنَّا سُؤَالٌ مِنْ سُؤَالِكَ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِكَ فَلَا تَرُدَّ مَنْ سَأَلَكَ.

وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِي التَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى عَبْدِكَ مُوسَى أَنْ نَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمْنَا، وَإِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاعْفُ عَنَّا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فِي التَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَى عَبْدِكَ مُوسَى أَنْ نُعْتِقَ أَرْقَاءَنَا، وَإِنَّا عُيِيدُكَ وَأَرْقَاؤُكَ فَأَوْجِبْ لَنَا عِتْقَنَا، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى النَّبِيِّ أَنَّهُ قَدْ قَبِلَ مِنْهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ويل لكل ظالم

✽ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْحَبَشَةِ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْتَ؟ ثُمَّ »، قَالَ: رَأَيْتُ امْرَأَةً عَلَى رَأْسِهَا مِكَتْلٌ ^(١) مِنْ طَعَامٍ، فَمَرَّ فَارِسٌ فَرَكَضَهُ ^(٢) فَأَبْدَرَهُ ^(٣)، فَقَعَدَتْ تَجْمَعُهُ، ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: وَيْلٌ لَكَ يَوْمَ يَضَعُ الْمَلِكُ كُرْسِيَهُ، فَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَصْدِيقًا لِقَوْلِهَا: « كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ قَوِيَّهَا، وَهُوَ غَيْرُ مُتَعَتِّعٍ؟ » ^(٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) المِكَتْل: وعاء يُحْمَلُ فِيهِ الْمَتَاعُ (قُفَّة).

(٢) ضربه برجله.

(٣) أسقطه على الأرض.

(٤) صحيح: رواه أبو يعلى والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٩٧).



النعمة موصولة بالشكر

✽ أخرج البيهقي عن عليٍّ عليه السلام، قَالَ: إِنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، وَلَنْ يَنْقَطَعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ ﷻ حَتَّى يَنْقَطَعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ... وعند ابن ماجه والعسكرى عن محمد ابن كعب القرظى قال: قال على بن أبى طالب: ما كان الله ليفتح باب الشكر ويخزن باب المزيد، وما كان الله ليفتح باب الدعاء ويخزن باب الإجابة، وما كان الله ليفتح باب التوبة ويخزن باب المغفرة. أتلو عليكم من كتاب الله. قال الله تعالى: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ^(١)، وقال: ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ^(٢)، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ ^(٣)، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ^{(٤) (٥)}.

✽ وَعَنْ عُبَيْسَةَ بْنِ الْأَزْهَرِ، قَالَ: كَانَ مُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ قَاضِي أَهْلِ الْكُوفَةِ قَرِيبَ الْجَوَارِ مِنْى فَرَبَّمَا سَمِعْتُهُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ يَقُولُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ: أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الضَّعِيفُ الَّذِي قَوَّيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الْفَقِيرُ الَّذِي أَغْنَيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الصُّعْلُوكُ الَّذِي مَوَّلْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الْأَعَزُّبُ الَّذِي زَوَّجْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا السَّاعِبُ الَّذِي أَشْبَعْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الْعَارِي الَّذِي كَسَوْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الْمُسَافِرُ الَّذِي

(١) سورة غافر: الآية (٦٠).

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٧).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٥٢).

(٤) سورة النساء: الآية (١١٠).

(٥) الكنز (٢/ ١٥١).

صَاحِبَتُهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الْغَائِبُ الَّذِي أَوْيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الرَّاجِلُ
الَّذِي حَمَلْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ وَأَنَا الْمَرِيضُ الَّذِي شَفَيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا
الدَّاعِي الَّذِي أَجَبْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ رَبَّنَا حَمْدًا كَثِيرًا عَلَى كُلِّ
حَمْدٍ ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جعلت الحمد كله لله

❁ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: فَقَدْ أَبَى بَغْلَتُهُ، فَقَالَ: لَئِنْ رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيَّ
لَأُحْمِدَنَّهُ بِمَحَامِدِ يَرْضَاهَا، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَتَى بِهَا بِسَرِّجَهَا وَلِجَامِهَا، فَرَكَبَهَا،
فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا، وَضَمَّ إِلَيْهِ ثِيَابَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ،
(لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا). فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: وَهَلْ تَرَكَتُ شَيْئًا أَوْ أَبْقَيْتُ شَيْئًا.
جَعَلْتُ الْحَمْدَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﷻ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هدى نبينا ﷺ أكمل الهدى

✽ عن أبي على الرازى قال: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة، فما رأيته ضاحكًا، ولا مبتسمًا، إلا يوم مات علىُّ ابنه، فقلت له في ذلك، فقال:

إن الله ﷻ أحب أمرًا فأحببت ما أحب الله^(١).

✽ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: كان نبينا ﷺ أرضى الخلق عن الله في قضائه وقدره، وأعظمهم له حمدًا، ولم يمكنني أحصر ما وقع له في ذلك لكثرته وشهرته وبكى مع ذلك يوم موت ابنه إبراهيم رَأْفَةً منه، ورحمة للولد، ورقة عليه، والقلب ممتلئ بالرضى، عن الله ﷻ وشكره، واللسان مشغول بذكره وحمده.

ولما ضاق هذا المشهد والجمع بين الأمرين (يعني رحمة الولد والرقعة عليه والرضا عن الله تعالى) على بعض العارفين يوم مات ولده، جعل يضحك، ف قيل له: أتضحك في هذه الحالة؟ قال: («إن الله تعالى قضى بقضاء، فأحببت أن أرضى بقضائه») فأشكل هذا على جماعة من أهل العلم، فقالوا: كيف يبكي رسول الله ﷺ يوم مات ولده وهو أرضى الخلق عن الله، ويبلغ الرضى بهذا العارف إلى أن ضحك يوم مات ولده؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: هدى نبينا ﷺ كان أكمل من هدى هذا العارف، فإنه أعطى العبودية حقها، فأتسع قلبه للرضى عن الله، ولرحمة الولد، والرقعة عليه فحمد الله، ورضى عنه في قضائه، وبكى رحمة ورأْفَةً،

(١) أخرجه أبو نعيم (٨/ ١٠٠) في الحلية.



فحملته الرأفة على البكاء، وعبوديته لله، ومحبته له على الرضى والحمد، وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين، ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما، فشغلته عبودية الرضى عن عبودية الرحمة والرقعة^(١).

❖ وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: ومما يؤيد ما ذكره الشيخ - رحمة الله عليه - قصة نبي الله يعقوب عليه السلام إذ حكى الله تعالى عنه أنه ابيضت عيناه من الحزن، وقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾^(٢).

فمشهده أوسع من مشهد هذا العارف، بل نبي الله يعقوب أبلغ من هذا العارف، فإن يعقوب عليه السلام كان له عدة من الولد، ومع هذا فهذه الرقة والرحمة، التى عنده مع الرضا الكامل، واستعمل الرضا والتفويض فى قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٣).

واستعمل الرقة والرحمة عند: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾^(٤). فطريقة يعقوب عليه السلام أفضل من طريقة هذا العارف، مع كثرة أولاد يعقوب، وهذه رحمته ورقته، وأما هذا العارف على ما قيل لم يكن له ولد سواه^(٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) زاد المعاد (٤/ ٢١٤، ٢١٥) لابن القيم.

(٢) سورة يوسف: الآية (١٨).

(٣) سورة يوسف: الآية (٨٦).

(٤) سورة يوسف: الآية (٨٤).

(٥) زاد المعاد (٤/ ٢١٥).

تخلص من القتل بالدعاء

ما أعظم الدعاء.. وما أجمل اللجوء إلى الله (جل وعلا) عند الشدائد فإن الله وحده هو القادر على أن يفرج الشدائد؛ لأن نواصي المخلوقات جميعاً بيده ﷻ.

❖ عَنْ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ زِيَادٍ، فَأَتَى بَرَجُلٌ يُحْمَلُ، مَا يُشَكُّ فِي قَتْلِهِ، فَحَرَّكَ الرَّجُلَ شَفَتَيْهِ بِشَيْءٍ مَا نَدْرِي مَا هُوَ، فَخَلَى سَبِيلَهُ.

فَقُلْتُ لِلرَّجُلِ: مَا قُلْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ رَبِّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَرَبِّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، وَمُنْزِلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفَرْقَانَ الْعَظِيمِ، ادْرَأْ عَنِّي شَرَّ زِيَادٍ، فَدْرَأَهُ عَنِّي ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٧٨).



أَنْتَ طَالِقٌ إِنْ لَمْ تَكُونِي أَحْسَنَ مِنَ الْقَمَرِ

وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَّ عِيسَى بْنِ مُوسَى، كَانَ يُحِبُّ زَوْجَتَهُ حُبًّا شَدِيدًا، فَقَالَ لَهَا يَوْمًا: أَنْتَ طَالِقٌ، إِنْ لَمْ تَكُونِي أَحْسَنَ مِنَ الْقَمَرِ. فَهَضَمْتُ، وَاحْتَجَبْتُ عَنْهُ، وَقَالَتْ: قَدْ طَلَقْتَنِي، فَبَاتَ بَلِيلَةً عَظِيمَةً. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدًا إِلَى الْمَنْصُورِ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ تَمَّ طَلَاقُهَا، تَلَفْتُ نَفْسِي غَمًّا، وَكَانَ الْمَوْتُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ. وَظَهَرَ لِلْمَنْصُورِ مِنْهُ جَزَعٌ شَدِيدٌ، فَأَحْضَرَ الْفُقَهَاءَ، وَاسْتَفْتَاهُمْ، فَقَالَ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَ، قَدْ طُلِقْتَ... إِلَّا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، فَإِنَّهُ سَكَتَ.

فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ: مَا لَكَ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ﴾ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)، فَلَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنَ الْإِنْسَانِ.

فَقَالَ الْمَنْصُورُ لِعِيسَى بْنِ مُوسَى: قَدْ فَرَجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْكَ، وَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ، فَأَقِمِ عَلَى زَوْجَتِكَ. وَرَاسِلُهَا أَنْ أَطِيعِي زَوْجَكَ، فَمَا طُلِقْتَ (٥).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة التين: الآيات (١-٤).

(٢) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٤٢٠).

وراء الكرب فرجٌ

✽ عن يعقوب بن داود، قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: حَبَسَنِي الْمَهْدَى فِي بئر بُنيت عَلَيْهَا قَبَّةٌ، فَكُنْتُ فِيهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، حَتَّى مَضَى صَدْرُ مَنْ خَلَّافَةُ الرَّشِيدِ، وَكَانَ يُدْلَى لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ رَغِيفٌ وَكَوزُ مَاءٍ، وَأُؤَذَنُ بِأَوْقَاتِ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، أَتَانِي آتٍ فِي مَنْامِي، فَقَالَ:

حنا على يوسفَ رَبِّ فَأُخْرِجْهُ من قَعْرِ جُبِّ لَبِيتٍ حَوْلَهُ غَنَمٌ

فحمدت الله تَعَالَى، وَقُلْتُ: أَتَانِي الْفَرَجُ، ثُمَّ مَكَثْتُ حَوْلًا لَا أَرَى شَيْئًا، فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ الْحَوْلِ، أَتَانِي ذَلِكَ الْآتِي، فَقَالَ:

عسى فرج يأتي به الله إِنَّهُ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ

ثُمَّ أَقَمْتُ حَوْلًا لَا أَرَى شَيْئًا، ثُمَّ أَتَانِي ذَلِكَ الْآتِي، بَعْدَ الْحَوْلِ، فَقَالَ:

عسى الكرب الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ

فِيَأْمَنُ خَائِفٌ وَيُقَكُّ عَانٍ وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الْغَرِيبُ

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، نَوْدَيْتُ، فَظَنَنْتُ أَنَّي أُؤَذَنُ بِالصَّلَاةِ، فَدُلِّي إِلَى حَبْلِ، وَقِيلَ لِي: اشْدُدْ بِهِ وَسْطَكَ، فَفَعَلْتُ، فَأَخْرَجُونِي، فَانْظُلُوا بِي فَأَدْخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ.

فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، يَا يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ، وَاللَّهِ مَا شَفَعَ أَحَدٌ فِيكَ إِلَيَّ، غَيْرَ أَنِّي حَمَلْتُ اللَّيْلَةَ صَبِيَّةً لِي عَلَى عُنُقِي، فَذَكَرْتُ حَمْلَكَ إِيَّايَ عَلَى عُنُقِكَ، فَرَثَيْتُ لَكَ مِنَ الْمَحَلِّ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَخْرَجْتُكَ قَالَ: ثُمَّ أَكْرَمَنِي، وَقَرَّبَ مَجْلِسِي^(١).



الفرج قريب

❁ وعن مسعر قال: أن رجلاً ركب البحر. فَكُسِرَ بِهِ المركب، فوقع في
جَزِيرَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَرَى أَحَدًا، وَلَمْ يَأْكُلْ طَعَامًا وَلَا شَرَبًا، فَتَمَثَّلَ فَقَالَ:
إِذَا شَابَ الْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ
فَأَجَابَهُ مُجِيبٌ لَا يَرَاهُ:

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أُمْسِيَتْ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ
فَنَظَرَ فَإِذَا سَفِينَةٌ قَدْ أَقْبَلَتْ، فَلَوَّحَ لَهُمْ، فَحَمَلُوهُ، فَأَصَابَ خَيْرًا كَثِيرًا^(١).
❁ وَرُويَتْ مِنْ وَجْهِ آخِرٍ أَنَّ هَارُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَاصَرَ حِصْنًا، فَإِذَا
سَهْمٌ قَدْ جَاءَ لَيْسَ لَهُ نَضْلٌ حَتَّى وَقَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِذَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ:
إِذَا شَابَ الْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ
فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدُ: اكْتُبُوا عَلَيْهِ وَرْدُوهُ:
عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أُمْسِيَتْ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ
فَافْتَتَحَ الْحِصْنَ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَكَانَ الرَّجُلُ صَاحِبُ السَّهْمِ
مِمَّنْ تَخَلَّصَ، وَكَانَ مَأْسُورًا مَحْبُوسًا فِيهِ سَتَيْنِ^(٢).
❁ أَنشَدَ بَعْضُهُمْ:

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أُمْسِيَتْ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ
فَيَأْمَنُ خَائِفٌ وَيَفُكُّ عَانٍ وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الْغَرِيبُ

(١) الحلية (٧/٢٨٩).

(٢) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (٤٢-٤٣).

فَيَا لَيْتَ الرِّيحَ مُسَخَّرَاتٌ بِحَاجَتِنَا تُبَادِرُ أَوْ تُتَّوَبُ
 فَتُخْبِرُنَا الشَّمَالَ إِذَا أَتَيْنَا وَتُخْبِرُ أَهْلَنَا عَنَّا الْجُنُوبُ
 فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلَّى فَإِنَّ غَدًا لِنَظِيرِهِ قَرِيبُ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا أول بركة الشافعي

قَالَ الرَّشِيدُ^(١) يَوْمًا لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ^(٢) وَهُوَ وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ: يَا فَضْلُ، أَيْنَ هَذَا الْحِجَازِيُّ^(٣) (كَالْمُغْضَبِ)، فَقُلْتُ: هَاهُنَا فَقَالَ: عَلَى بِهِ.

قال: فَخَرَجْتُ وَبِى مِنَ الْغَمِّ وَالْحَزَنِ لِمَحَبَّتِي لِلشَّافِعِيِّ لِفَصَاحَتِهِ، وَبَرَاعَتِهِ، وَعَقْلِهِ، فَجِئْتُ إِلَى بَابِهِ فَأَمَرْتُ مَنْ دَقَّ عَلَيْهِ بَابِهِ وَكَانَ قَائِمًا يَصَلِّي، فَتَنَحَّحَ، فَوَقَفْتُ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ، وَفَتَحَ الْبَابَ فَقُلْتُ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ: سَمْعًا وَطَاعَةً. وَجَدَدَ الْوُضُوءَ وَارْتَدَى، وَخَرَجَ يَمْشِي حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الدَّارِ فَمِنْ شَفَقَتِي عَلَيْهِ قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قِفْ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ لَكَ، فَدَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالَتِهِ كَالْمُغْضَبِ وَقَالَ: أَيْنَ الْحِجَازِيُّ؟

فَقُلْتُ: عِنْدَ السَّيْرِ، فَجِئْتُ إِلَيْهِ فَقَامَ يَمْشِي رُويْدًا، وَيَحْرُكُ شَفَتَيْهِ، فَلَمَّا

(١) هارون (الرشيد) ابن محمد (المهدي) ابن المنصور العباسي، أبو جعفر (١٤٩-١٩٣ هـ)، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم، كان يغزو عَامًا ويحج عَامًا، له وقائع كثيرة مع ملوك الروم. انظر الأعلام (٦٢/٨)، تاريخ الطبري (٤٧/١٠)، تاريخ بغداد (٥/١٤).

(٢) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس (١٣٨-٢٠٨ هـ)، وزير أديب حازم، كان أبوه وزيرًا للمنصور العباسي، واستحجبه المنصور لما ولي أباه الوزارة. كانت نكبة البرامكة على يديه في عهد الرشيد، وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد. انظر: الأعلام (١٤٨/٥)، وفيات الأعيان (٤١٢/١)، تاريخ بغداد (٣٤٣/١٢).

(٣) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي أبو عبد الله (١٥٠-٢٠٤ هـ)، الإمام الشافعي أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة، انظر ترجمته في الأعلام (٢٦/٦) تذكرة الحفاظ (٣٢٩/١) وفيات الأعيان (٤٤٧/١)، الحلية (٦٣/٩)، تاريخ بغداد (٧٣-٥٦/٢).

بَصُرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَامَ إِلَيْهِ فَاسْتَقْبَلَهُ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَهَشَّ وَبَشَّ، وَقَالَ: لِمَ لَا تَرَوْرُنَا أَوْ تَكُونُ عِنْدَنَا؟ فَأَجْلَسَهُ، وَتَحَدَّثَا سَاعَةً، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِبَدْرَةٍ^(١) دَنَانِيرَ، فَقَالَ: لَا أَرَبَ لِي فِيهِ^(٢)، قَالَ الْفَضْلُ: فَأَوْمَأْتُ إِلَيْهِ، فَسَكَتَ، وَأَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ رُدَّهُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَخَرَجْتُ وَالْبَدْرَةُ تُحْمَلُ مَعَهُ فَجَعَلَ يَنْفِقُهَا يَمْنَةً وَيَسْرَةً حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَمَا مَعَهُ دِينَارٌ.

فَلَمَّا دَخَلَ مَنْزِلَهُ قُلْتُ: قَدْ عَرَفْتَ مَحَبَّتِي لَكَ، فَبِالَّذِي سَكَّنَ غَضَبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنِي مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي دُخُولِكَ مَعِيَ عَلَيْهِ؟!

فَقَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَرِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿٣﴾. ثُمَّ قَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ بِمَا شَهِدَ اللَّهُ بِهِ وَأُسْتَوْدِعُ اللَّهَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ وَدِيعةً لِي عِنْدَ اللَّهِ، يُؤَدِّيَهَا إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدْسِكَ، وَعَظِيمِ بَرَكَتِكَ، وَعَظْمَةِ طَهَارَتِكَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَعَآهَةٍ، وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، اللَّهُمَّ أَنْتَ غِيَاثِي بِكَ أَسْتَعِيْثُ، وَأَنْتَ مَلَاذِي بِكَ أَلُوذُ، وَأَنْتَ عِيَاذِي، بِكَ أَعُوذُ، يَا مَنْ ذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْجَبَابِرَةِ وَخَضَعَتْ لَهُ أَعْنَاقُ الْفَرَاغَةِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ خَزْيِكَ، وَمِنْ كَشْفِ سِتْرِكَ، وَنَسْيَانِ ذِكْرِكَ، وَالْإِنْصِرَافِ عَنْ شُكْرِكَ، أَنَا فِي حِرْزِكَ لَيْلِي وَنَهَارِي، وَنَوْمِي وَقَرَارِي، وَظَعْنِي وَأَسْفَارِي، وَحَيَاتِي وَمَمَاتِي....، ذِكْرُكَ شِعَارِي، وَتَنَاوُكَ دِثَارِي لَا

(١) كيس كبير به نقود.

(٢) أي: لا حاجة لي به.

(٣) سورة آل عمران: الآيتان (١٨، ١٩).



إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ تَشْرِيفًا لِعَظَمَتِكَ وَتَكْرِيمًا لِسَبْحَاتِ وَجْهِكَ،
 أَجْرَنِي مِنْ خِزْيِكَ وَمِنْ شَرِّ عِبَادِكَ، وَاضْرِبْ عَلَيَّ سُرَادِقَاتِ حِفْظِكَ،
 وَأَدْخِلْنِي فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ، وَجُدْ عَلَيَّ مِنْكَ بِخَيْرٍ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
 قَالَ الْفَضْلُ: فَحَفِظْتُهُ، فَلَمْ يَغْضَبْ عَلَيَّ الرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ ... فَهَذَا أَوَّلُ
 بَرَكَاتِ الشَّافِعِيِّ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ابنك يفتح لك أبواب الجنة

❖ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا فُلَانُ، أَتُحِبُّهُ؟» قَالَ: بِأَبَى وَأُمِّى أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ قَالَ: فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ؟»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْتُ تُوفِّى ... قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: «أَمَا تُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَ أَبَا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ تَسْتَفْتِحُ إِلَّا جَاءَ يَفْتَحُ لَكَ»، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَلَهُ وَحْدَهُ أَمْ لِكُلَّنَا؟ قَالَ: «لَا بَلَّ لِكُلِّكُمْ»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥، ٤٣٦)، (٤/ ١٩)، (٥/ ٣٥)، والنسائي (٤/ ٢٢ - ٢٣)، (٤/ ١١٨)، والحاكم (١/ ٣٨٤) وصححه وأقره الذهبي.



أخشى أن أكون منهم

❖ قال يونس بن محمد المكي رَحِمَهُ اللهُ:

زرع رجلٌ من أهل الطائف زرعاً، فلما بلغ أصابته آفةٌ فاحترق، فدخلنا نواسيه عنه فبكى، وقال:

والله ما عليه أبكي، ولكني سمعت الله تبارك وتعالى يقول:

﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ﴾^(١).

فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة، فذلك الذي أبكاني^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة آل عمران: الآية (١١٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٢) في الرضا.

﴿ريحٍ فيها صِرٌّ﴾. أي نار، وهو يرجع إلى البرد الشديد، ولا سيما الجليد الذي يحرق الزروع والثمار، كما يُحرق الشيء بالنار.

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ﴾ أي: فأحرقتة، يعني: بذلك السعفة، إذا نزلت على حرثٍ قد آن جذاذه أو حصاده فدمرته، وأعدمت ما فيه من ثمرٍ أو زرعٍ فذهبت به وأفسدته فعدمه صاحبه فدمرته، أحوج ما يكون إليه.

فكذلك الكفار يحرق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرها كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه، وكذلك هؤلاء بنوها على غير أصلٍ، وعلى غير أساس. [تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٧، ٣٩٨) لابن كثير.

ما أحب أن شيئاً كان من ذلك لم يكن

✽ يروى سبرة الجهنى رَحِمَهُ اللهُ فيقول:

لَمَّا هَلَكَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَسَهْلُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
وَمُزَاحِمُ مَوْلَى عُمَرَ فِي أَيَّامِ مُتَتَابِعَةٍ دَخَلَ عَلَيْهِ الرَّبِيعُ بْنُ سَبْرَةَ فَقَالَ:
عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أُصِيبَ بِأَعْظَمَ مِنْ
مُصِيبَتِكَ فِي أَيَّامِ مُتَتَابِعَةٍ وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ ابْنِكَ ابْنًا وَلَا مِثْلَ أَخِيكَ أَخًا وَلَا
مِثْلَ مَوْلَاكَ مَوْلًى قَطُّ... فَطَاطَأَ رَأْسَهُ فَقَالَ لِي رَجُلٌ مَعَهُ عَلَى الْوَسَادِ: لَقَدْ
هَيِجْتَ عَلَيْهِ الْأَحْزَانِ.

قَالَ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «كَيْفَ قُلْتَ لِي يَا رَبِيعُ؟» فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ مَا قُلْتُ
أَوَّلًا.

فَقَالَ: لَا وَالَّذِي قَضَى عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ مَا أَحَبُّ أَنْ شَيْئًا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لَمْ
يَكُنْ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صبر الحسن البصري على موت ابنه

✽ عَنْ مُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ، قَالَ:

شَهِدْتُ الْحَسَنَ فِي مَسْجِدِ الْجَامِعِ، وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَجِئْ حَتَّى مَاتَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ، قُلْنَا: فَلَا تُخْبِرُهُ، قَالَ: وَكَأَنَّا قُلْنَا أَخْبِرُهُ، فَمَا تَرَكَ الْحَسَنَ يَبْلُغُ إِلَى الْبَيْتِ حَتَّى نَعَاهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: فَمَا تَمَالَكَ الْحَسَنُ أَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْحَائِطِ، ثُمَّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَيْهِ وَلَمَّا يَفْقُ يَبْكِي وَمَعَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِي، فَقَالَ:

يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنَّكَ مُعَلِّمُ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ وَمُؤَدِّبِهِمْ، وَإِنَّهُمْ وَاللَّهِ لَا يَرُونَ مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا إِلَّا سَعَوْا بِهِ إِلَى عَشَائِرِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، فَتَكَلَّمَ الْحَسَنُ فَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا الْجَزَعُ مَا كَانَ مِنَ اللِّسَانِ وَالْيَدِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ حُزْنَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ ذَنْبًا إِذْ قَالَ: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(١) رَحِمَ اللَّهُ سَعِيدًا وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدِّقِ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ، ثُمَّ قَالَ:

«مَا كَانَتْ لِنِزْلِ شِدَّةٍ إِلَّا أَحَبَّ أَنْ تَكُونَ بِهِ دُونِي».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة

✽ عن ثابت قال:

مات عبد الله بن مُطَرِّف، فخرج أبوه مُطَرِّف على قومه في ثياب حسنة وقد أدهن، فغضبوا، فقالوا:

يموت عبد الله وتخرج في مثل هذه مدهناً؟ -متعطراً-.

قال: أفأستكين لها وقد وعدني ربي ﷺ عليها خصالاً، كل خصلة منها أحب إليّ من الدنيا كلها؟ ! ... قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ** ﴿١﴾، أفأستكين لها بعد ذلك؟ !

ثم قال ثابت: قال مُطَرِّف: ما شيء أعطى به في الآخرة قدر كوز من ماءٍ إلا وددت أنه أخذ مني في الدنيا^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة البقرة: الآيتان (١٥٦-١٥٧).

(٢) (ص/ ٤٣) تسلية أهل المصائب للمنبجي.



أطفال يسقون آباءهم يوم القيامة

عن الإمام القفال، قال:

كان في جوارى رجل يأبى التزويج، فلما كان في بعض الليالي، استيقظ من نومه في الليل ونادى:

زوّجوني زوّجوني، فسئل عن ذلك، فقال:

لعل الله يرزقني ولدًا يقبضه قبل البلوغ وقبل موتي، قيل وكيف ذلك؟

قال: رأيت في المنام، كأن القيامة قد قامت، والخلق في الموقف، وأنا معهم، وقد كظني العطش، وإذا قد ظهر أطفال بأيديهم أباريق من فضة، مغطاة بمناديل من نور، يتخللون الجمع ويسقون واحدًا بعد واحد، فمددت يدي إليهم، وقلت لبعضهم:

اسقني، فقد أجهدني العطش، فنظر إليّ شزراً وقال:

ليس لك فينا ولد، وإنما نسقي آبائنا وأمهاتنا، فقلت:

من أنتم؟

قالوا: أطفال المسلمين...

فلذلك أتمنى أن أنجب ولدًا ويموت فأحتسبه ليكون في ميزاني يوم

القيامة ويسقيني بيده.

بسم الله الرحمن الرحيم

خرج من سجن الدنيا

✽ مات لرجل من السلف ولد فعزاه سفيان بن عيينة، ومسلم بن خالد، وآخرون، وهو في حزن شديد حتى جاءه الفضيل بن عياض. فقال: يا هذا أرايت لو كنت في سجن أنت وابنك، فأفرج عن ابنك قبلك، أما كنت تفرح؟

قال: بلى! قال: فإن ابنك، خرج من سجن الدنيا قبلك، قال: فسرى عن الرجل، وقال تعزيت^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا تعزوني ولكن هتوني

✽ قال محمد بن سلمة القاسمي - وكان قد قارب المائة - قال: وعظ عابدٌ جباراً، فأمر به، فُقطعت يداه ورجلاه، وحُمِلَ إلى متعبده، فجاءه إخوانه يعزونه، فقال:

لا تعزوني، ولكن هتوني بما ساق الله إليَّ، ثم قال: إلهي، أصبحت في منزلة الرغائب، أنظر إلى العجائب، إلهي، أنت تتودد بنعمتك إلى من يؤذيكَ، فكيف لا تتودد إلى من يؤذي فيكَ؟!^(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) أورده المنبجي (ص/ ١٢٠) في تسلية أهل المصائب.

(٢) خبرٌ حسنٌ: أخرجه ابن أبي الدنيا بسنده كما في تسلية أهل المصائب (ص/ ١٧٦) وهو حسن.



أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به

❁ قال أبو عبد الرحمن المغازلي: دخلتُ على رجلٍ مُبتلى بالحجاز، فقلت: كيف تجدك؟

قال: أجدُ عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نِعَمه علىَّ أكثر من أن أحصيها.

قلت: أتجد لما أنت فيه ألمًا شديدًا؟ فبكى ثم قال: سلَّى نفسى ألم ما بى: ما وعد عليه سيدى أهل الصبر من كمال الأجور فى شدة يوم عسير. ثمَّ قال: إنى لأحسب أن لأهل الصبر غدًا فى القيامة مقامًا شريفًا لا يتقدمه من ثواب الأعمال شىء، إلا ما كان من الرضا عن الله تعالى^(١).

❁ قال ﷺ: «يُودُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِضِ»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٨٤).

(٢) رواه الترمذي، وحسنه الألباني فى صحيح الجامع (٨١٧٧).

عليكم بهذه الدعوات

قال الشافعي رحمه الله:

دهمني - أصابني - في هذه الأيام أمر أمضني وآلمني، ولم يطلع عليه غير الله عز وجل فلما كان البلوحة أتاني آتٍ في منامي فقال لي:
يا محمد بن إدريس، قل اللهم إني لا أملك لنفس نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا ولا حياة، ولا نشورًا، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني، ولا أتقى إلا ما وقيتني. اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية.

فلما أصبحت أعدت ذلك، فلما ترحل النهار أعطاني الله عز وجل طلبتي، وسهل لي الخلاص مما كنت فيه، فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لو كان الناس يحسنون السؤال ما حرمنا أحداً

قال الشافعي: وقف أعرابي على عبد الملك بن مروان فسلم ثم قال: رحمك الله، مرت بنا سنون ثلاث، أما إحداها فأهلك المواشى، وأما الثانية فأنضبت اللحم، وأما الثالثة فخلصت إلى العظم، وعندك مال، فإن كان لله فأعط عباد الله، وإن كان لك فتصدق فإن الله يجزى المتصدقين. فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: لو كان الناس يُحسنون يسألون هكذا ما حَرَمنا أحداً.

عليك بدعاء تفريج الكرب

عن أبي بكر الرازي قال: كنت بأصبهان عند أبي نعيم أكتب الحديث وهناك شيخ يسمى أبا بكر عليه مدار الفتيا، فسُعى به عند السلطان فسجن فرأيت المصطفى ﷺ وجبريل عن يمينه يحرك شفثيه بالتسبيح لا يفتر، فقال لى المصطفى ﷺ فى المنام: «قل لأبى بكر بن على: يدعُ بدعاء الكرب الذى فى صحيح البخارى حتى يفرج الله عنه» قال: فأصبحت فأخبرته فدعا به فلم يكن إلا قليل حتى أُخرج^(١).

وها هو دعاء تفريج الكرب.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِينَ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(٢).

(١) فيض القدير لعبد الرؤوف المناوى (٥/ ٢٣١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٤٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء.

كل يوم هو في شأن

﴿أمر الحجاج بإحضار رجل من السجن، فلما أُحضِر أمر بضرب عنقه.﴾

فقال الرَّجُل: يا أيها الأمير أخرجني إلى غد.

فقال الحجاج: وأى فرج لك في تأخير يوم واحد؟

ثم أمر بأن يُردَّ إلى السجن.

فسمعه الحجاج وهو في طريقه إلى السجن يقول:

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر

فقال الحجاج: والله ما أخذه إلا من كتاب الله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١) ثم

أمر الحجاج بإطلاقه^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة الرحمن: الآية (٢٩).

(٢) التذكرة الحمدونية (٥٣ / ٨).



لَمَّا قُدِّمَ لِلْقَتْلِ تَمَاسِكَ فَلَمَّا عَفَى عَنْهُ بَكَى

✽ وجدت في بعض الكتب: أنه لما حصل إبراهيم بن المهدي في قبضة المأمون؛ لم يشك هو وغيره في أنه مقتول، فأطال حبسه في مطمورة، بأسوأ حال وأقبحها.

قال إبراهيم: فأيست من نفسي، ووطنتها على القتل، وتعزيت عن الحياة، حتى صرت أتمنى القتل؛ للراحة من العذاب، وما أومله في الآخرة، من حصول الثواب.

فبينما أنا كذلك؛ إذ دخل عليَّ أحمد بن أبي خالد مبادراً، فقال: اعهد، فقد أمرني أمير المؤمنين بضرب عنقك.

فقلت: أعطني دواة وقرطاساً، فكتبت وصية، ذكرت فيها كلما احتجت إليه، وأسندتها إلى المأمون، وشكلة والدتي، وتوضأت، فتطوعت ركعات، ومضى أحمد.

وفرغت من الصلاة، وجلست أتوقع القتل، فعاد إليَّ أحمد بعد ساعتين، فقال: أمير المؤمنين، يقرؤك السلام، ويقول لك: أنا أحمد الله، جلَّت عظمته، الذي وفقني لصلة رحمك، والصفح عنك، وقد أمّنتك، وردَّ عليك نعمتك، وجميع ضياعك وأملاكك، فأنصرف إليَّ دارك.

قال: فبدأت أدعو للمأمون، وغلب البكاء عليَّ والانتحاب، وهو يطالبني بالجواب، وأنا غير متمكن منه.

فقال في أحمد: لقد رأيت منك عجباً، أخبرتك أنني أمرت بضرب عنقك، فلم تجزع، ولم تبك، ثم أخبرتك بتفضل أمير المؤمنين عليك،

وصفحه عَنْكَ، فَلَمْ تَتَمَالِكْ مِنَ الْبُكَاءِ.

فَقُلْتُ لَهُ: أَمَا السُّكُوتُ عِنْدَ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ؛ فَلَأَنِّي لَمْ أَتَوْسَم، مُنْذُ ظَفَرِي،
أَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْقَتْلِ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَشْكُ فِيهِ؛ لَمْ أَجْزَعْ لَهُ، وَلَمْ أَبْكِ.
وَأَمَّا بُكَائِي عِنْدَ الْخَبَرِ الثَّانِي، فَوَاللَّهِ الْعَظِيمِ، شَأْنُهُ مَا هُوَ عَنْ سُرُورٍ
بِالْحَيَاةِ، وَلَا لِرَجُوعِ النِّعْمَةِ، وَمَا بُكَائِي إِلَّا لَمَّا كَانَ مِنِّي فِي قِطِيعَةِ رَحِمٍ مِنْ
عِنْدِهِ، بَعْدَ اسْتِحْقَاقِي مِنْهُ الْقَتْلَ، مِثْلَ هَذَا الصَّفْحِ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ فِي جَاهِلِيَّةٍ
وَلَا إِسْلَامٍ، بِأَنْ أَحَدًا أَتَى بِمِثْلِهِ، فَقَدْ حَازَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الثَّوَابَ مِنَ اللَّهِ،
تَعَالَى، فِي صَلَاةِ رَحْمَةٍ، وَبُؤْتُ أَنَا بِالْإِثْمِ فِي قِطِيعَةِ رَحْمِي، وَقَدْ أَظْهَرَ
إِحْسَانَهُ إِسَاءَتِي، وَحِلْمَهُ جَهْلِي، وَفَضْلَهُ نَقْصِي، وَجَوَابِي هُوَ مَا شَاهَدْتُ
وَسَمِعْتُ.

فَرَجَعَ أَحْمَدُ إِلَى الْمَأْمُونِ فَأَخْبَرَهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ بِمَالٍ وَخُلْعٍ، وَمَرْكُوبٍ،
فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى دَارِي وَنَعِمْتُ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المعلی بن آیوب الکاتب^(١)

يَتَخَلَّصُ مِنَ الْفَضْلِ بْنِ مَرْوَانَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهِ

وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ وَاسِطِ الْجَهْشِيَارِيِّ، فِي كِتَابِهِ، كِتَابَ الْوُزَرَاءِ، أَنَّ الْمُعَلِّيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعَلَّى بْنِ أَيُّوبَ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ لِي الْمُعَلَّى بْنُ أَيُّوبَ: أَعْتَنَيْتَنِ الْفَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ، وَنَحْنُ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ وَطَالَبَنِي بِعَمَلٍ طَوِيلٍ يَعْمَلُ فِي مُدَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَاقْتِضَانِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَارًا، إِلَيَّ أَنْ أَمُرَنِي عَنْ الْمُعْتَصِمِ بِاللَّهِ^(٢) أَنْ لَا أَبْرَحَ إِلَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ.

فَقَعَدْتُ فِي ثِيَابِي، وَجَاءَ اللَّيْلُ، فَجَعَلْتُ بَيْنَ يَدَيَّ نَفَاطَةً، وَطَرَحْتُ غُلَامَانِي أَنْفُسَهُمْ حَوْلِي، وَوَرَدَ عَلَيَّ هَمٌّ عَظِيمٌ، لِأَنِّي قُلْتُ: مَا تَجَاسَرُ عَلَيَّ أَنْ يُوَكِّلَ بِي إِلَّا وَقَدْ وَقَفَ عَلَى سُوءِ رَأْيٍ فِيَّ مِنَ الْمُعْتَصِمِ.

فَأَنِّي لَجَالِسٌ، وَذَقْنِي عَلَى يَدَيَّ، وَقَدْ مَضَى اللَّيْلُ، وَأَنَا مُتَفَكِّرٌ، فَحَمَلْتَنِي عَيْنَايَ، فَرَأَيْتُ كَأَنَّ شَخْصًا قَدْ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيَّ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

(١) هو المعلی بن آیوب وهو ابن خالة الفضل، والحسن بن سهل من كتّاب المأمون قدم دمشق مع المأمون، وكان على ديوان الجيش زمن المأمون وكان يسمى ديوان (الإعطاء).

(٢) هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وأمه أم ولد تسمى ماردة وهو ثامن خلفاء بني العباس، ولم يكن مُعَدًّا لتولي الخلافة، ولم يكن تعليمه يرقى لمنصب خليفة المسلمين، حتى أن الرشيد والده لما نصب ولاية العهد استبعده منها ونصب إخوته الثلاثة الأئمة والمأمون والمؤتمن، ثم جاءت له الخلافة منساقة بعد موت أخيه المأمون، وسارت أمور البلاد والخلافة في عهده بصورة مرضية.

﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ﴿٦٤﴾.

ثمَّ انتَبَهْتُ، فَإِذَا أَنَا بِمَشْعَلٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ بَعِيدٍ، فَلَمَّا قَرَبَ مِنِّي كَانَ وَرَاءَهُ مُحَمَّدٌ بْنُ حَمَّادٍ دَنَقَشُ صَاحِبِ الْحَرَسِ، وَقَدْ أَنْكَرَ نَفَاطَتِي، فَجَاءَ يَعْرِفُ سَبِيهَا، فَأَخْبَرْتَهُ خَبْرِي.

فَمَضَى إِلَى الْمَعْتَصِمِ، فَأَخْبَرَهُ، فَإِذَا الرَّسُلُ يَطْلُبُونِي، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ، وَهُوَ قَاعِدٌ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الشَّمْعِ إِلَّا أَسْفَلُهُ. فَقَالَ لِي: مَا خَبْرُكَ؟ فَشَرَحْتُهُ لَهُ.

فَقَالَ: وَيْلِي عَلَى النَّبْطِيِّ، يَمْتَهِنُكَ، وَأَيُّ يَدٍ لَهُ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَاتِبِي، كَمَا هُوَ كَاتِبِي... أَنْصَرَفَ.

فَلَمَّا وَلِيتَ، رَدَّنِي، وَاسْتَدْنَانِي، ثُمَّ قَالَ لِي: تَمْضِي مُدِيدَةً، ثُمَّ تَرَى فِيهِ مَا تَحِبُّ.

قَالَ: فَأَنْصَرَفْتُ، وَبَكَرْتُ إِلَى الْفَضْلِ عَلَى عَادَتِي، لَمْ أَنْكَرْ شَيْئًا^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنعام: الآيتان (٦٣-٦٤).

مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٤١-٤٢).

الوزير المهلبى يجيئه الغياث من الله تعالى

❦ حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَهْلَبِ، فِي وَزَارَتِهِ، قَالَ: كُنْتُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، يَعْنِي فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ قَدْ دُفِعْتُ إِلَى شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَخَوْفٍ عَظِيمٍ، لَا حِيلَةَ لِي فِيهِمَا، فَأَقَمْتُ يَوْمِي قَلْبًا، وَهَجَمَ اللَّيْلُ، فَلَمْ أَعْرِفِ الْغَمَضَ، فَلَجَأْتُ إِلَى الصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْبُكَاءِ فِي سَجُودِي، وَالتَّضَرُّعِ وَمَسْأَلَةِ اللَّهِ تَعَالَى، تَعْجِيلَ الْفَرَجِ لِي، وَأَصْبَحْتُ مِنْ غَدٍ، عَلَى قَرِيبٍ مِنْ حَالِي، إِلَّا أَنِّي قَدْ سَكَنْتُ قَلِيلًا، فَلَمْ يَنْسَلِخِ الْيَوْمُ حَتَّى جَاءَنِي الْغِيَاثُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَفَرَجَ عَنِّي مَا كُنْتُ فِيهِ، عَلَى أَفْضَلِ مَا أَرَدْتُ، فَقُلْتُ:

بعثت إلى رب العطايا رسالة	توسَّل لي فيها دُعَاءُ مُنَاصِح
فجاء جواب بالإجابة وانجلت	بها كرب ضاقت بهن الجوانح ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ٦٦).

الحجاج بن يوسف يعفو عن الإمام الشعبي

❖ قَالَ الشَّعْبِيُّ: كُنْتُ فِيْمَنْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ، عَلَى الْحَجَّاجِ، فَلَمَّا هُزِمَ، هَرَبْتُ، فَأَتَيْتُ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلَمٍ، وَكَانَ لِي صَدِيقًا، وَذَكَرْتُ لَهُ أَمْرِي. فَقَالَ: يَا عَامِرُ، أَنَا أَخُوكَ الَّذِي تَعْرِفُ، وَوَاللَّهِ، مَا أَسْتَطِيعُ نَفْعَكَ عِنْدَ الْحَجَّاجِ، وَمَا أَرَى لَكَ إِلَّا أَنْ تَمُثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَقْرَبَ ذَنْبَكَ، فَإِنَّ الْحَجَّاجَ لَيْسَ مِمَّنْ يُكَذِّبُ، فَاصْذُقْهُ، وَاسْتَشْهَدْنِي عَلَى مَا بَدَا لَكَ.

قَالَ الشَّعْبِيُّ: فَمَا شَعَرَ الْحَجَّاجُ، إِلَّا وَأَنَا قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: عَامِرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ.

قَالَ: أَلَمْ أَقْدِمِ الْعِرَاقَ، فَوَجَدْتُكَ خَامِلًا، فَشَرَفْتُكَ، وَأَوْفَدْتُكَ إِلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَثْبَتُكَ عَرِيفَ قَوْمِكَ، وَاسْتَشَرْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: فَمَا الَّذِي أَخْرَجَكَ عَلَيَّ، وَأَيْنَ كُنْتَ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ؟ قُلْتُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، أَوْحَشَ الْجَنَابَ، وَأَحْزَنَ بَنَاءَ الْمَنْزِلِ، فَاسْتَشَعَرْنَا الْخَوْفَ، وَاکْتَحَلْنَا السَّهْرَ، وَاسْتَحَلَسْنَا الْبَلَاءَ، وَفَقَدْنَا صَالِحَ الْإِخْوَانِ، وَشَمَلْتُنَا فِتْنَةٌ، لَمْ نَكُنْ فِيهَا بَرَّةَ أَتْقِيَاءَ، وَلَا فَجْرَةَ أَقْوِيَاءَ، وَمَا أَعْتَذِرُ إِلَّا أَكُونَ سَعِيْتُ، وَهَذَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلَمٍ، يَشْهَدُ لِي بِذَلِكَ، وَأَنِّي كُنْتُ أَكْتُبُ إِلَيْهِ بَعْدَرِي.

فَقَالَ ابْنُ أَبِي مُسْلَمٍ: صَدَقَ، أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرَ.

فَقَالَ الْحَجَّاجُ: هَذَا عَامِرُ، ضَرَبَ وُجُوهَنَا بِسَيْفِهِ، وَأَتَانَا يَعْتَذِرُ بِالْبَاطِلِ، رُدُّوْا عَلَيْهِ عَطَاءَهُ... وَعَفَا عَنْهُ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



هل عذابك اليوم عنى مصروف؟

ذكر ابن عبدُوس في كتاب الوزراء: أن عاملاً للمنصور على فلسطين كتب إليه: أن بعض أهلها وثب عليه، واستغوى جماعة منهم، وعاث في العمل.

فكتب إليه المنصور: أن قيده، وأنفذه إليّ، ... فأنفذه.

فلما مثل بين يديه، قال المنصور: أنت المتوثب على عامل أمير المؤمنين، لأبرين لحملك من عظمك، ... وكان شيخاً كبيراً، ضئيل الصوت، فقال:

أتروض عرسك بعدما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

فلم يفهم المنصور ما قال، فقال: ما يقول يا ربيع؟ قال: إنه يقول:

العبد عبدكم والمال مالكم فهل عذابك عنى اليوم مصروف

قال: يا ربيع قد عفوت عنه، خلوا سبيله، ... وأحسن إليه^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) مختصر الفرج بعد الشدة (ص ١١١).

لقد أبيت إلا رفقا

❖ أحضر هشام بن عبد الملك، إبراهيم بن أبي عبلة، الذي تقلد ديوان الخاتم لمروان بن محمد، فقال له: **إنا قد عرفناك صغيراً، وخبرناك كبيراً، وأريد أن أخلطك بحاشيتي، وقد وليتك خراج مصر، فأخرج إليها.**

فأبى إبراهيم عليه، وقال له: **ليس الخراج من عملي، ولا لي به معرفة.**

فغضب هشام عليه غضباً شديداً، حتى خاف إبراهيم بادرته، فقال له: **يا أمير المؤمنين أتأذن لي في الكلام.**

فقال: قل.

قال: **إن الله تعالى، قال: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾** ^(١)، فوالله ما أكرهها، ولا غضب عليها في إبائها، ولقد ذم الإنسان لما قبلها.

فقال له هشام: **أبيت إلا رفقا،... وأعفاه، ورضى عنه** ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

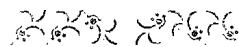
(١) سورة الأحزاب: الآية (٧٢).

(٢) مختصر الفرج بعد الشدة.



نزل المطر فأسلمت القبيلة كلها

قال الدكتور عبد الرحمن السميّط رئيس جمعية العون المباشر الكويتية - حفظه الله تعالى -: (اكتشفنا قبل عشر أو إحدى عشرة سنة قبيلة من القبائل الوثنية فذهبنا لجمع المعلومات حتى نبداً البرنامج الدعوى، فلما وصلت إليهم وعلموا أنى مسلم، قالوا: نحن نكره النصارى وأنت تدعونا إلى الإسلام ولكن قبل أن نعلن إسلامنا نريدك أن تدعو لنا بنزول الغيث؛ لأنه ومنذ ثلاث سنوات لم تنزل قطرة واحدة، فاعتذرت لهم؛ لأنى أعرف أنهم وببساطتهم يقولون: إن استجاب الله - تعالى - لى فهذا الدين حق وإن لم يستجب فليس بحق فهذا هو اعتقادهم، فرفعت يدي إلى السماء ودعوت بدموعى أكثر من لسانى وقلت: يا رب المسألة ليست متعلقة بى وإنما بدينى، فلا تخذل هذا الدين بسبب أخطاء ارتكبتها، ولا زلت أبكى وأنا أدعو ثم ختمت الدعاء، فقالوا: نأتيك بعد ثلاث ساعات فذهبنا وجلسنا تحت شجرة وكان الوقت ظهراً وأذكر أننا لم نأكل ذلك اليوم شيئاً ولا اليوم الذى قبله وجاء وقت العصر وهم مُقبلون إلينا، فإذا بالسماء تمطر فحمدت الله - تعالى - وأسلمت هذه القبيلة كاملة والحمد لله) ^(١).



(١) ذكرها في مقابلة مع قناة المجد الفضائية في شهر محرم ١٤٢٥ هـ.

نزلت الأمطار بدعاء مخلص

✽ قال الدكتور عبد الرحمن السميط - حفظه الله -: «من خلال عملنا في غرب السودان أُخبرت أن داعية قبل أربعين سنة أتت إليها (جبال النوبة) وكانت مشهورة بالوثنية وينتشر في كل قرية ساحر، فكان الداعية يشرح الإسلام عند ذلك تجمع السحرة وأثاروا الناس فذهبوا إلى الشيخ وقالوا: نحن في جفاف وإذا كان ربك هو حقاً الرب الصحيح فادعه يُنزل المطر. وبدون تردد قال لهم: ما هو اليوم قالوا: الإثنين قال: سأدعو يوم الأربعاء فجلس منذ ذلك الوقت يصلي ويدعو ولم ينم في أى ليلة أكثر من ساعة واحدة، وفي يوم الأربعاء تجمع الناس وبدأ يدعو فيذكر لى المسلمون القدامى أنه نزلت كمية من الأمطار لم تشهدا المنطقة؛ هدمت البيوت، ومسحت قرى بكاملها»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) بتصرف من شريط (مشاهداتى فى أفريقيا) للشيخ د. عبد الرحمن السميط.



الزّمي الدعاء... فالشفاء قريب

❁ كانت تشتكى ألمًا في أذنها فذهبت للمستشفى وبعد الكشف قرر الطبيب حاجتها لعملية جراحية، فراجعت نفسها وكرهت كشف وجهها فامتنعت وأبت، عندها تذكر الطبيب امرأة أخرى فعلت مثلها فتبسم وقال: إن كنت لا تريدين العملية فكوني مثل تلك المرأة الكبيرة في السن التي جاءت إليّ وكشفت عليها فإذا هي تحتاج لعملية ترقيع الطبله فلما أخبرتها بكى وقالت يا طبيب: والله لا أكشف حجابي لغير محارمي، فشرحت لها أن حالتها تستدعي ذلك ولا ينفع لها العلاج، فازدادت إصرارًا وإباءً فأعطيتها موعدًا آخر لعلها تراجع نفسها وتوافق على العملية وجاء الموعد وحضرت وكأنني بها تناجى ربها وتطلب الشفاء العاجل، ولما جلست على السرير وكشفت عليها كانت الحقيقة التي أذهلتني وزادت من إيماني لقد نظرت إلى الأذن فإذا هي سليمة مائة بالمائة فتحيرت وسألتها مستفهمًا ما الخبر؟ فقالت: منذ أن خرجت وأنا أدعو الله - تعالى - أن يشفيني لأنني أفضل أن أموت ولا يراني أحد غير محرم لي. فقلت: إن الله على كل شيء قدير. ثم قال لهذه المرأة: وإن كنت ترفضين إجراء العملية فادعي الله - تعالى - والتجئي إليه بصدق بأن يشفيك ويكشف ما بك فقالت المرأة: ومن يكون مثل تلك العجوز فلعلها عابدة صوامة قوامة ولكن سأدعو ربي ثم خرجت من عنده وبدأت بالدعاء والابتهاال إلى الله - تعالى - أن يشفيها ويكشف ما بها ومضت الأيام وحن الموعد فذهبت للطبيب الذي كان بانتظار المفاجأة الثانية وبدأ بالكشف عليها - وكأنني به يرتجف قلبه أملًا في تحقيق رغبتها - فانشرح صدره لما كشف عليها، وقال مبشرًا ومستبشرًا

وذاكرًا لله - تعالى - : إن الأذن بريئة تمامًا والله الحمد ففرحت المرأة ولهج لسانها بقول: لك الحمد يا ربّ فأنت على كلّ شيء قدير، ثم قالت للطبيب: إني لزممت الدعاء فشفاني العليم الخبير القريب المجيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



دعوة فى السحر

﴿ذُكِرَ أَنَّ رَجُلًا تَنَكَّدَتْ عَلَيْهِ وَظِيفَتُهُ وَبَقِيَ فِي حُزْنٍ شَدِيدٍ وَكَرِبَ عَصِيبٌ، وَكَانَ يَبْحَثُ عَنْ رَجُلٍ يُوَثِّرُ فِي وَظِيفَتِهِ بَوَسَاطَةِ، فَلَقِيَ يَوْمًا أَحَدَ الْمَشَايخِ فَتَحَدَّثَا فِي مَوْضُوعِ الْوِظِيفَةِ وَسَأَلَ الرَّجُلُ الشَّيْخَ هَلْ رَأَيْتَ فُلَانًا؟ فَقَالَ: لَمْ أَرِهِ وَلَكِنْ هَلْ انْقَضَتْ حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا زِلْتُ أَبْحَثُ عَنْ وَاسِطَةٍ فَقَالَ الشَّيْخُ: هُنَاكَ مِنْ يَحِلُّ مَوْضُوعُكَ وَيَكْفِيكَ هَمُّكَ فَقَالَ: وَهَلْ يُوَثِّرُ عَلَى صَاحِبِ التَّوْظِيفِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ؟ قَالَ الشَّيْخُ: هُوَ اللَّهُ - تَعَالَى. فَتَرَدَّدَ الرَّجُلُ فَقَالَ لِلشَّيْخِ: اتَّقِ اللَّهَ - تَعَالَى - لَوْ قُلْتُ لَكَ فُلَانٌ مِنَ الْبَشَرِ لَقُلْتُ: هِيََا بِنَا إِلَيْهِ، فَهَلَّا جَرَبْتَ دَعْوَةَ الْأَسْحَارِ؟ ثُمَّ تَفَرَّقَا وَالتَّقِيَا بَعْدَ مَدَّةٍ، وَقَالَ لِلشَّيْخِ بَوَاجْهِهِ مُسْتَبْشِرٌ: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ أَذْهَبْ لِأَيِّ أَحَدٍ وَقَمْتُ فِي السَّحَرِ وَكَأَنَّ أَحَدًا يُوقِظُنِي، فَصَلَّيْتُ وَدَعَوْتُ اللَّهَ - تَعَالَى - بِصَدَقٍ وَإِخْلَاصٍ وَفِي الصَّبَاحِ أَرَدْتُ أَنْ أَذْهَبَ لِمَكَانِ الْوِظِيفَةِ، وَلَكِنْ شَاءَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنْ أُغَيِّرَ الطَّرِيقَ فَمَرَرْتُ بِأَحَدِ الدَّوَائِرِ الْحُكُومِيَّةِ وَقُلْتُ: لِمَاذَا لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَأَسْأَلُهُمْ؟ فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الْمَدِيرِ قَامَ لِي وَرَحَّبَ بِي فَأَخْبَرْتَهُ أَنِّي أَبْحَثُ عَنْ وَظِيفَةٍ فَقَالَ: عِنْدَنَا وَظِيفَتَانِ فَاخْتَرِ إِحْدَاهُمَا وَابْدَأِ الدَّوَامَ - أَيُّ: الْعَمَلِ - مِنَ الْيَوْمِ الْفُلَانِيَّ. (وَكَانَ هَذَا الْمَوْظُوفُ يَرِيدُ مِنْ ذَاكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَوَسَّطُ لَهُ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ أَقْلٍ مِنْ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ) ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) بتصرف من شريط الاعتصام بالله تعالى للشيخ الشنقيطي.

رب لا تذكرني فرداً

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودى المأل والولدُ

✽ تزوجت منذ ما يزيد على سبع سنين..

الحمد لله كل ما أنشده - من وجهة نظري - وجدته.. فأنا مستقر في عملي.. مستقر في زواجي..

لا أشكو إلا الملل.. فأنا وزوجتي لم نُرزق أطفالاً.. ومن هنا بدأ الملل..

وكرت زيارات الأطباء..

كل جهد أعتقد أنني بذلته..

سافرت للداخل والخارج..

عندما أسمع عن طبيب قادم متخصص في العقم.. أحجز لديه موعداً..

التحاليل كثيرة والأدوية أكثر..

✽ ولكن لا فائدة..

أصبح أكثر حديثنا أنا وزوجتي في الطبيب الفلاني

وماذا قال.. وماذا سنتوقع..

التوقعات تستمر لمدة سنة أو ستين.. فمرحلة العلاج طويلة..

منهم من أخبرني أن العقم مني.. والبعض أفادنا أن العقم من زوجتي

على كل حال..

سارت أيامنا مراجعة وبحث عن حل..

أصبح هاجس الطفل يسيطر على مشاعرنا.. وعلى الرغم من أنني



أحاول أن لا أشعر زوجتي بذلك .. ولكن لا بد أن تشعر بما يدور ..
فالأسئلة كثيرة ..

هناك من يسألها ماذا تنتظر .. وكأن الأمر بيدها ..
منهم من ينصحها باسم طبيب في المكان الفلاني ..
لقد ذهبت له فلانة وأنجبت طفلاً .. وفلانة ..
وهكذا أصبح مجتمع زوجتي له نصيب كبير من الأسئلة ..
لم يقل لنا أحد ..

لماذا لا نتجه إلى الله وندعوه دعوة صادقة ..
سبع سنوات مضت ونحن نلهث وراء الأطباء وتركنا الدعاء ..
وتركنا التوجه إلى الله ..
* ذات مساء ..

عبرت طريقاً فإذا بشخصٍ كفيف يريد أن يعبر الطريق ..
فأمسكت بيده .. وعبرت به الجزء الأول من الطريق .. ووقفنا في
المنتصف .. ننتظر خلو الشارع في الجهة الأخرى من السيارات ..
ووجدتها فرصة ليسألني ..

بعد أن دعا لي بالتوفيق والصحة ..

هل أنت متزوج؟

فأجبهته بنعم ..

فأردف قائلاً: ألك أبناء ..

فقلت له: لم يُقدّر الله ذلك .. منذ سبع سنين ونحن ننتظر الفرج ..
عبرنا الطريق ..

ولما أردت أن أودعه قال لى:

يا بُنى لقد جرى لى ما جرى لك وأخذت أدعو فى كل صلاة: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.

والحمد لله لى من الولد سبعة فضغط على يدى وقال: لا تنس الدعاء.. ولم أكن أحتاج إلى توصية..

فقد وجدت مفقودًا لى.. أخبرت زوجتى بما حدث لى.. وتجاوزنا الحديث..

أين نحن عن الدعاء كل شىء بحثنا عنه وجربناه..

وكل طبيب نسمع به طرقنا بابه..

﴿ فلماذا لا نطرق باب الله؟

وهو أوسع الأبواب وأقربها..

تذكرت زوجتى أن امرأة مُسنَّة قد قالت لها منذ سنتين.. عليك بالدعاء..

ولكن كما قالت زوجتى..

كان فى ذلك الوقت لدينا مواعيد لا حدَّ لها مع الأطباء.. أصبحت مراجعاتنا للأطباء مراجعة عادية.

بدون تلهُف وبدون قلق..

مراجعات عادية..

نبحث عن علاج محدد فقط..

يكون سببًا من الأسباب..

وتوجهنا إلى الله بقلوبنا..



في الصلوات المكتوبة وفي جوف الليل..

تحرينا أوقات الإجابة..

ولم يَخِبِ الظن..

ولم نُرد.

بل فتح الله باب الإجابة..

وحملت زوجتي..

ووضعت طفلة..

تبارك الله أحسن الخالقين..

لم نُخَفِ الفرح ولا السرور..

ولكننا الآن ندعو: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وعاد بريق الأمل

كأن المنيا قد قصدن إليك يُردنك فانظر ما لهنّ لديك
سيأتيك يومٌ لست فيه بمُكرّم بأكثر من حثو التراب عليك

❁ أسرع مما توقعت.. بدأ العد التنازلي لموعد زواجي..

كلما قرب الموعد.. كبرت المسؤولية وتضاعف الجهد

الهواجس والأفكار.. لا تفارقني..

كان ترتيبي.. أن ما بقى الآن شهر أو يزيد

سأنتهى من كل شىء..

الأمر بسيط.. ولا يحتاج إلى وقتٍ طويل

اكتشفت متأخراً..

أننى أضعتُ أسبوعاً كاملاً في اختيار المفروشات

وآخر في تجهيز.. المطبخ..

الآن.. هناك متسع.. بقى أسبوع.. تنفست الصعداء..

الأحلام الوردية تطاردني.. والفرحة تلاحقني

تركت خيالى يسرى.. ولا ينام

بدأت التردد بكثرة على منزلى..

أستمتع بالجلسة.. وبهدوء المكان.... أقرب الشاى.. أمد قدمي

استرخاء تام.. وحلمٌ مبكر.. أتصفح الجرائد وأقرأ المجلات كل موضوع

له علاقة بالزواج والأبناء دخل ضمن اهتماماتي



عنوان جذاب .. اقرأ قبل أن تتزوج

قلت بهدوء ..

كلُّ يخاطبني هذا الأسبوع .. ابتداءً من الأطفال حتى الصحف
والمجلات

استرسلت في القراءة .. نصائح كثيرة .. ومتتالية
الفحص الطبى قبل الزواج .. أعدت القراءة مرة أخرى
فوائده .. وأخيراً ضرورته ..

لازمتنى الفكرة خلال يومين .. سيطرت على ذهنى ورأيت أن أفعل
✽ الخطوة الأولى .. إجراء فحص أولى .. ثم بدأت إعطاء التحاليل
للمختبر ..

مراجعة الطبيب بعد ثلاثة أيام .. رحلت مع أحلامى ..
وعندما جاء الموعد .. ثققلت ..

ما الفائدة من الفحص .. الجميع تزوجوا بدون ذلك
وعندما تذكرت أننى قد دفعت لهم كامل المبلغ
نهضت .. ورغم ذلك وصلت متأخراً ..
انتظرت مدة تزيد على نصف ساعة ..

وعندما حان دخولى على الطبيب .. مشيت بخطواتٍ بطيئة ..
أخرج أوراق التحاليل .. وبدأ يقرأ ..
قلب الأوراق مرة أخرى .. استرق النظر إلى أكثر من مرة ..
وعندها سألته .. هل هناك شىء ..؟

وضع الأوراق على طاولته.. بدون مقدمات..
 يوجد اشتباه بسرطان في الدم
 لم أصدق ما سمعت.. هول الصدمة جعلني لا أنطق..
 وأنا أنظر إليه.. تحدثت العيون وسألت
 كيف..؟ لا تخف مجرد اشتباه.. دعني أفحصك مرة أخرى
 لم أستطع أن أتحرك من مكاني.. شعر أنه أخطأ في مواجهتي..
 مدَّ يده.. وساعدني.. ألقىت بنفسى..
 بدأت أتنفس بقوة لا تأكد من أنني على قيد الحياة
 فتح عيني.. وأطال النظر.. سمع دقات قلبي..
 الأمر هين وبسيط.. نعيد التحاليل...!!
 أتيت بآمالٍ وأحلام.. وخرجت بهمومٍ وأحزان
 كل ذلك في لحظات..
 هِمتُ على حالي.. أوقفت سيارتي جانباً..
 أغمضت عيني.. في ماذا.. وأنا أنتظر الموت أفكر..
 فَكَّرْتُ.. وَفَكَّرْتُ.. نفسى.. أهلى.. وأخيراً.. هى..
 هل أخبرها..؟ ماذا أقول..
 لو أكدت التحاليل وجود المرض.. أسكت أم أخبرها
 لا وقت.. أيام فقط.. زواج أم.. لا.. لم أعرف النوم تلك الليلة
 في الصباح تركت عملى واتجهت إلى المختبر
 والدم يؤخذ منى.. قلت له.. خذ أكثر.. حتى نتأكد..



ولعله أخذ ما يرضيني .. وأكثر
 لم يبقَ في عروقي دم .. بقى همٌّ .. وغم
 لم أتوقف عن التفكير .. لعل الأمر خطأ ..
 ولكن شيء في داخلي يقول .. إن الأمر حقيقة ... تركت منزلي ..
 إبريق الشاي منذ مساء البارحة تركته على أمل العودة كطائر أُغلق عليه
 قفصٌ من حديد ..

يطير .. ويطير .. يبحث عن مخرج ..
 يصطدم بكل جهة يتجه إليها .. ولا يبالي .. لكن بدون نتيجة
 كل من قابلني يقول:

وجهك متغير .. هذا وجه من يريد الزواج
 كل هذا فرحٌ بالزواج ..؟
 بدأت تخاف من الآن ..؟

حديثهم في وادٍ .. وأنا في وادٍ آخر ..
 ثلاثة أيام بطيئة .. انتظارٌ طويلٌ .. طويل
 قطعاً لحالة الشك .. ذهبت إلى عيادة أخرى
 وفي نفس اليوم .. اتصلت بالعيادة الأولى
 لم يأت شيء .. لا .. بعد غدٍ

ما أطول غدٍ وبعد غدٍ .. أنتظر الموت أو .. أمل الحياة
 ألغيت زياراتي ومواعيدي ..

حتى شراء ما بقى من الكماليات لمنزلي تركته

لا أريد أن أرى أحداً.. أنظر إلى الدنيا نظرة مُودّع
 أُخْبِئْ وجهي عن أمي..
 أستقبل الأيام وأرى دمعها عندما أنعى إليها
 أما أبي.. فحزنٌ يقطع الكبد
 يمازحني في أمر الزواج.. وأقول بصمت.. غداً.. ربما تسمع شيئاً
 آخر..

في اليوم الثالث هدأت..
 فكرت إن كان الأمر حقيقةً لن أتزوج.. ولكن حب الحياة ينازعني
 الكثيرون.. عاشوا بأمراضٍ مثل هذا وأكثر
 الأعمار بيد الله.. إذاً أخبرها..
 في الساعة الرابعة والنصف.. وقفت أمام العيادة مهموماً..
 لعل الطبيب يحضر مبكراً.. وجاء الطبيب.. ولم يأتِ التقرير
 انتظرت ساعتين.. أطول عندي من سنتين
 وعندما أخبرني الطبيب بوصول النتيجة
 وقفت بسرعة.. فتح التقرير..
 بدأت أرتجف.. كأنني في شتاءٍ بارد..
 أما قلبي.. نبضات سريعة.. وضرباتٌ قوية
 ركبتى.. لا أعرف لماذا لم تستطعيا حملي..
 ورغم العرق الشديد والنفس المتلاحق..
 بشرني.. الحمد لله..



ولم أدعه يكمل .. رميت بنفسى عليه ..
 تراجعته .. اقرأ مرة أخرى .. تأكد من كامل الأوراق ..
 خرجت لا تسعنى الفرحة .. أسلم على من أرى
 ذهبت مسرعاً إلى منزلى ..
 لا يزال الشتاء فى داخلى .. والعرق على جبينى
 استرخيت .. ولكن لم أستطع البقاء
 ركبت سيارتى .. سلمت على والدتى ..
 لاحظت أننى مجهّد .. والفرحة تعلونى .. وأى فرحة ..
 ما بك ..؟! مظروف فى يدي يحكى كل شىء ..
 عقّب أخى .. بعتاب .. ولا تُخبرنا بذلك ..
 ابن آدم ضعيف .. ولكنه جبارٌ مستكبر
 يسقطه رغم غروره وكبريائه ..
 فيروسٌ صغير .. جرثومة لا ترى يخاف الموت .. لا يعمل له ..
 يفرح بالصحة .. والعافية .. ولا يستفيد منهما
 تمر الأحداث .. وتنزل النوازل ..
 وهو .. فى أمر آخر ..
 أما أنت فقد بُعثت من جديد .. ولكن ..
 فهن المنايا أى وادٍ حللته
 عليها القدوم أو عليك ستقدّم
 هناك متسع الآن .. أعد حساباتك ..^(١)

صبر... وثبات

في زمن الجهل.. أو زمن الغفلة.. سمّه ما شئت..
 عشت في سُباتٍ عميق.. ونومٍ متصل..
 ليلٌ لا فجر له.. وظلامٌ لا إشراق فيه..
 الواجبات لا تعنى شيئاً.. والأوامر والنواهي ليست في حياتي.. الحياة
 متعة.. ولذة..
 الحياة.. هي كل شيء.. غردت لها.. وشدوت لها.. الضحكة
 تسبقني.. والأغنية على لساني.. انطلاق بلا حدود.. وحياة بلا قيود..
 عشرون سنة مرّت.. كل ما أريده بين يدي..
 وعند العشرين.. أصبحت وردة تستحق القطف..
 من هو الفارس القادم؟ مواصفات.. وشروط...!!
 أقبل.. تُلّفه سحابة دخان.. ويسابقه.. صوت الموسيقى..
 من نفس المجتمع.. ومن النائمين مثلي..
 مَنْ توسّد الذنب.. والتحف المعصية..
 الطيور على أشكالها تقع.. طار بي في سماء سوداء.. معاصي..
 ذنوب.. غرّدنا.. شدّونا.. أخذنا الحياة طويلاً وعرضاً.. لا نعرف لطولها
 نهاية.. ولا لعرضها حدّاً.. اهتماماتنا واحدة.. وطبائعنا مشتركة.. نبحث
 عن الأغنية الجديدة.. ونتجادل في مشاهدة المباريات..
 هكذا.. عشر سنوات مضت منذ زواجي كهبات النسيم تلفح وجهي
 المتعب.. سعادة زائفة!! في هذا العام يكتمل من عمري ثلاثون خريفاً..
 كلها مضت.. وأنا أسير في نفقٍ مظلم..



كضوء الشمس عندما يغزو ظلام الليل ويبدده..
 كمطر الصيف.. صوت رعد.. وأضواء برق.. يتبعه.. انهمار المطر..
 كان الحلم يرسم القطرات.. والفرح.. قوس قزح..
 ✽ شريط قَدَم لى من أعز قريباتى..
 وعند الإهداء قالت.. إنه عن تربية الأبناء.
 تذكرت أننى قد تحدثت معها عن تربية الأبناء منذ شهور مضت..
 وربما أنها اهتمت بالأمر..
 شريط الأبناء.. سمعته.. رغم أنه اليتيم بين الأشرطة الأخرى التى
 لدى.. سمعته مرة.. وثانية..
 لم أعجَب به فحسب.. بل من شدة حرصى.. سجلت نقاطاً منه على
 ورقة.. لا أعرف ماذا حدث لى.. إعصار قوى.. زحزح جذور الغفلة من
 مكانها وأيقظ النائم من سُباته.. لم أتوقع هذا القبول من نفسى.. بل وهذا
 التغير السريع.. لم يكن لى أن أستبدل شريط الغناء بشريط كهذا!!
 طلبت أشرطة أخرى.. بدأت أصحو.. وأستيقظ..
 أفسّر كل أمر.. إلا الهداية.. من الله.. وكفى..
 ✽ هذه صحتى.. وتلك كبوتى..
 هذه انتباهتى.. وتلك غفوتى
 ولكن ما يؤلمنى.. أن بينهم.. ثلاثين عاماً من عمرى مضت.. وأتّى لى
 بعمرٍ كهذا للطاعة؟
 دقات قلبى تغيرت.. ونبضات حياتى اختلفت.. أصبحت فى يقظة..
 ومَن أولى منى بذلك.. كل ما فى حياتى من بقايا السبات أزحته عن
 طريقى.. كل ما يحويه منزلى قذفت به.. كل ما علق بقلبى أزلته..

قال زوجي .. وقد هاله الأمر ..

أنت مندفعة .. ولا تُقدرين الأمور!! من أدخل برأسك أن هذا حرام ..
وهذا حرام .. بعد عشر سنوات تقولين هذا..؟! متى نزل التحريم ..؟
قلت له .. هذا أمر الله وحُكمه ..

نحن يا زوجي في نفق مظلم .. ونسير في منحدر خطير .. من اليوم .. بل
من الآن يجب أن تحافظ على الصلاة .. نطق الشيطان على لسانه .. هكذا
مرة واحدة؟

قلت له بحزم .. نعم
ولكن سباته عميق .. وغفلته طويلة
لم يتغير .. حاولت .. جاهدت ..
شرحت له الأمر .. دَعَوْتُ له ..
ربما .. لعل وعسى .. خَوَّفْتَهُ بالله .. والنار .. والحساب والعقاب ..
بحفرة مظلمة .. وأهوالٍ مُقبلة
ولكن له قلبٌ كالصخر .. لا يلين!!

❁ في وسط حزنٍ يَلْقُنِي .. وخوف من الأيام لا يفارقني
عين على أبنائي .. وعين تلمح السراب .. مع زوج لا يصلي وهناك بين
آيات القرآن .. نارٌ تَوْرِقُنِي ..

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) ﴾ (١).

حدثته مرات ومرات .. وأريته فتوى العلماء .. قديمًا وحديثًا من لا
يصلي يجب أن تفارقه زوجته لأنه كافر



ولن أقيم مع كافر..

التفت بكل ببرود وسخرية وهو يلامس جُرْحًا ينزف.. وأبنائك أَلست
تحبينهم..

قلت: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

✽ كحبات سِبحَة.. انفرط عقدها.. بدأت تتتابع المصائب..
السخرية.. والإهانة.. والتهديد.. والوعيد لن ترينهم أبدًا.. أبدًا
أُمور كثيرة.. بدأت أعانى منها.. وأكبر منها.. أنه لا يصلى!!
وماذا يُرجى من شخص لا يصلى؟
عشت فى دوامة لا نهاية لها.. تَقْضُ مضجعى.. وفى قلق يسرق لذة
نومى.. هاتفتُ بعض العلماء..

ليست المشكلة بذاتى.. بل بفؤادى.. أبنائى..
وعندما علمت خطورة الأمر.. ووجوب طاعة الله ورسوله..
اخترت الدار الآخرة.. وجنة عرضها السماوات والأرض على دنيا
زائفة.. وحياة فانية.. وطلبت الطلاق..
كلمة مريرة على كل امرأة.. تُصِيبُ مَقْتَلًا.. وترمى بسهم.. ولكن
انشرح لها قلبى.. وبرأ بها جُرْحى.. وهدأت معها نفسى.. طاعة لله وقُرْبَةً..
أمسح بها ذنوب سنوات مضت.. وأغسل بها أدرانًا سلفت.
ابتليتُ فى نفسى.. وفى أبنائى..

أحاول أن أنساهم لبعض الوقت ولكن.. تذكرنى دمعتى بهم..
تسلَّيتُ بقصة يوسف وقلت.. ودمعة لا تفارق عينى.. ومن لى بصبر
أبيه..

✽ في صباح بدد الحزن ضوءه.. طال ليله.. ونزف جرحه لابد أن أزور ابنتي في مدرستها..

لم أعد أحتمل فراقها.. جذوة في قلبي تحرقه.. لابد أن أراها.. خشيت أن يذهب عقلي من شدة لهفى عليها..

عاهدت نفسي أن لا أظهر عواطفى.. ولا أبين مشاعرى.. بل سأكون صامدة.. ولكن أين الصمود.. وأنا أحمل الحلوى في حقيبتي!!

جاوزت باب المدرسة متجهة إلى الداخل.. لم يهدأ قلبي من الخفقان.. ولم تستقر عيني في مكان.. يمنة ويسرة أبحت عن ابنتي.. وعندما هويت على كرسي بجوار المديرية..

استعدت قوتي.. مسحت عرقاً يسيل على وجنتي.. ارتعاشاً بأطراف أصابعي لا يُقاوم.. أخفيته خلف حقيبتي.. أنفاسي تعلو وتنخفض.. لسانى التصق بفمى.. وشعرت بعطش شديد..

في جو أترقب فيه رؤية من أحب.. تحدثت المديرية.. بسعة صدر.. وراحة بال..

أثنت على ابنتي.. وحفظها للقرآن.. طال الحديث.. وأنا مستمعة!!

وقفت في وجه المديرية.. وهى تتحدث.. أريد أن أرى ابنتي..

فأنا مكلومة الفؤاد.. مجروحة القلب..

✽ فتح الباب..

وأقبلت.. كإطلالة قمر يتعثر في سحب السماء..

غشى على عيني.. وأرسلت دمعى..

ظهر ضعفى أمام المديرية.. حتى ارتفع صوتى..

ولكنى سمعت صوتاً حبيباً.. كل ليلة يوانسنى.. وفي كل شدة يثبتنى..

اصبرى.. لا تجزعى.. هذا ابتلاء من الله ليرى صدق توبتك لن يضيعك الله أبداً.. من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ... أخيتى.. الفتنة.. هى الفتنة فى الدين

كففت دمعى.. وارىت جرحى.. بثت حزنى إلى الله..

خرجت.. وأنا ألوم نفسى.. لماذا أتيت..؟!!

✽ والأيام تمر بطيئة.. والساعات بالحزن مليئة

أتحسس أخبارهم.. أسأل عن أحوالهم..؟!!

سته أشهر مضت.. قاسيت فيها ألم الفراق وذقت حلاوة الصبر

الباب يطرق.. ومن يطرق الباب فى عصر هذا اليوم.. إنهم فلذات كبدى

لقد أتى الله بهم.. تزوج وأراد الخلاص.

مرت ليلتان.. عيني لم تشبع من رؤيتهم.. أذنى لم تسمع أعذب من

أصواتهم..

تتابع قبلاتى لهم تتابع حبات المطر تلامس أرض الروض

علمت أن الله استجاب دعوتى.. وردهم إلى

ولكن بقى أمر أكبر.. إنه تريبتهم

عدت أتذكر يوم صحوتى.. وأبحث عن ذاك الشريط.. حمدت الله

على التوبة..

تجاوزت النفق المظلم.. صبرت على الابتلاء

وأسأل الله.. الثبات

الثبات..^(١)

﴿ النعمة والعافية تُبْطِرَانِ الْإِنْسَانَ ﴾

✽ وكتب بعض الكتاب إلى صديق له في محنة لحقته: إن الله تعالى ليمتحن العبد، ليكثر التواضع له، والاستعانة به، ويجدد الشكر على ما يوليه من كفايته، ويأخذ بيده في شدته؛ لأن دوام النعم والعافية، يبْطِرَانِ الْإِنْسَانَ، حتى يُعْجَبَ بنفسه، ويعدل عن ذكر ربه، وقد قال الشاعر:

لا يترك الله عبداً ليس يذكره ممن يؤدبه أو من يؤنبه
أو نعمة تقتضى شكراً يدوم له أو نعمة حين ينسى الشكر تنكبه

﴿ رَبِّ حَيَاةٍ سَبَبُهَا طَلَبُ الْمَوْتِ وَمَوْتٌ سَبَبُهُ طَلَبُ الْحَيَاةِ ﴾

✽ روى الأصمعي عن أعرابي أنه قال: خَفِ الشَّرَّ مِنْ مَوْضِعِ الْخَيْرِ، وَارْجُ الْخَيْرَ مِنْ مَوْضِعِ الشَّرِّ، فَرُبَّ حَيَاةٍ سَبَبُهَا طَلَبُ الْمَوْتِ، وَمَوْتٌ سَبَبُهُ طَلَبُ الْحَيَاةِ، وَأَكْثَرُ مَا يَأْتِي الْأَمْنُ مِنْ نَاحِيَةِ الْخَوْفِ.

قال مؤلف هذا الكتاب: ما أقرب هذا الكلام، من قول قطري بن الفجاءة، الخارجي ذكره أبو تمام الطائي، في كتابه المعروف بالحماسة:

لا يركن أحد إلى الإحجام يوم الوغى متخوفاً لحِجَامِ
فلقد أرانى للرماح دريئة^(١) من عن يميني مرة وأمامي
حتى خضبتُ بما تحدّر من دمي أحناء سرجي^(٢) أو عنان لجامي
ثم انصرفت وقد أصبتُ ولم أصب جذع البصير قارح الإقدام

(١) الدريئة: الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن والرمى عليها.

(٢) حنو السرج: اسم لكلا القربوسين المقدم والمؤخر، والجمع أحناء.



كلمات فى الشكر على العافية والصبر على الشدة

قال الحسن البصرى: الخير الذى لا شرَّ فيه، هو الشكر مع العافية، والصبر عند المحنة، فكم من مُنعمٍ عليه غير شاكر، وكم مُبتلى بمحنة وهو غير صابر.

وقال أبو الحسن المدائنى فى كتابه «كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة»: كان ابن شبرمة إذا نزلت به شدة، يقول: سحابة ثم تنقشع.

وقال فى كتابه هذا، عن جعفر بن سليمان الهاشمى، قال: قال بعض الحكماء: آخر الهم، أول الفرج، وكان جعفر يقول: قد وجدناه كذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمات فى الصبر على المحنة

وكان يُقال: المحن آداب الله ﷻ لخلقه، وتأديب الله يفتح القلوب، والأسماع، والأبصار.

ووصف الحسن بن سهل المحن فقال: فيها تمحيصٌ من الذنب، وتنبيةٌ من الغفلة، وتعرضٌ للثواب بالصبر، وتذكيرٌ بالنعمة، واستدعاءٌ للمثوبة، وفى نظر الله ﷻ وقضائه الخيار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُدرِك الصَّبُورُ أَحْمَدَ الْأُمُورِ

روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الفرج والروح، في اليقين والرضا،
والهم والحزن، في الشك والسخط.

وكان يقول: الصبور، يدرك أحمد الأمور.

قال أبان بن تغلب: سمعت أعرابياً يقول: من أفضل آداب الرجال، أنه
إذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل الصبر عليها، وألهم نفسه الرجاء
لزوالتها، حتى كأنه لصبره يعاين الخلاص منها والغناء، توكلًا على الله ﷻ
وحسن ظنٍّ به، فمتى لزم هذه الصفة لم يلبث أن يقضى الله حاجته، ويزيل
كربته، وينجح طلبته، ومعه دينه وعرضه ومروءته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



من اتَّبَعَ الصَّبْرَ اتَّبَعَهُ النِّصْرُ

كَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ يَقُولُ: الْحِيلَةُ فِيمَا لَا حِيلَةَ فِيهِ، الصَّبْرُ.
وَكَانَ يَقَالُ: مَنْ اتَّبَعَ الصَّبْرَ، اتَّبَعَهُ النَّصْرُ.

وَمِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ: الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرْجِ، مَنْ صَبَرَ قَدَرَ، ... ثَمَرَةُ الصَّبْرِ
الظَّفَرُ، عِنْدَ اشْتِدَادِ الْبَلَاءِ يَأْتِي الرِّخَاءُ.

وَكَانَ يَقَالُ: تَضَايَقِي تَنْفَرَجِي.

وَكَانَ يَقَالُ: إِذَا اشْتَدَّ الْخِنَاقُ انْقَطَعَ.

وَكَانَ يَقَالُ: خَفِ الْمَضَارِ، مِنْ خَلَلِ الْمَسَارِ، وَارْجُ النَّفْعِ، مِنْ مَوْضِعِ
الْمَنْعِ، وَاحْرَصْ عَلَى الْحَيَاةِ، بِطَلَبِ الْمَوْتِ، فَكَمْ مِنْ بَقَاءٍ سَبَبَهُ اسْتِدْعَاءُ
الْفَنَاءِ.. وَمَنْ فَنَاءَ سَبَبَهُ إِثَارُ الْبَقَاءِ، وَأَكْثَرُ مَا يَأْتِي الْأَمْنُ مِنْ قِبَلِ الْفَرْعِ.

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: إِنْ فِي الشَّرِّ خِيَارًا.

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: مَعْنَاهُ، أَنْ بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَعْنَاهُ، إِذَا أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَجَلُ
مِنْهَا، فَلْتَهْنِ عَلَيْكَ مُصِيبَتِكَ.

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: عَوَاقِبُ الْأُمُورِ، تَتَشَابَهُ فِي الْغُيُوبِ، فَرُبَّ مَحْبُوبٍ
فِي مَكْرُوهِهِ، وَمَكْرُوهِهِ فِي مَحْبُوبِهِ، وَكَمْ مَغْبُوطٌ بِنِعْمَةٍ هِيَ دَاوَاهُ، وَمَرْحُومٌ مِنْ
دَاءٍ هُوَ شِفَاؤُهُ.

وَكَانَ يَقَالُ: رَبُّ خَيْرٍ مِنْ شَرٍّ، وَنَفْعٍ مِنْ ضَرٍّ.

وَرُوي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا، قَالَ: يَا بَنَ آدَمَ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي
لَمْ يَأْتِ، عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَتَى، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ فِي عَمْرِكَ، يَأْتِكَ اللَّهُ فِيهِ

بمحبتك، وَاَعْلَمَ أَنَّكَ لَنْ تَكْسِبَ شَيْئًا سِوَى قُوَّتِكَ، إِلَّا كُنْتَ فِيهِ خَازِنًا
لغيرك بعد موتك.

وَقَالَ وَدَاعَةَ السَّهْمِي، فِي كَلَامٍ لَهُ: اصْبِرْ عَلَى الشَّرِّ إِنْ قَدَحَكَ، فَرُبَّمَا
أَجْلَى عَمَّا يَفْرَحُكَ، وَتَحْتَ الرِّغْوَةَ اللَّبَنَ الصَّرِيحَ^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صبراً يا أهل البلاء



صبراً يا أهل البلاء

أيها الأخ الحبيب.. أيتها الأخت الفاضلة: إننا على يقين من أن الدنيا لا تخلو أبداً من الآلام والأحزان، وأنها دار ابتلاء وامتحان، ومن أجل ذلك فنحن نحتاج إلى صبر جميل ليس فيه ضجر ولا تسخط على قضاء الله (جل وعلا) فإن التحلى بالصبر من شيم الأفاضل الذين يتلقون المكاره برحابة الصدر.

فمن الناس من ابتلى بضيق الرزق فضاق صدره لذلك مع أنه يعلم يقيناً أن الدنيا بكل ما فيها من كنوز وثروات لا تساوى جناح بعوضة عند رب الأرض والسموات.

ومن الناس من ابتلى في صحته وعافيته فداهمته الأمراض حتى أصبح طريح الفراش... ولم يعلم أن الراحة والنعيم لن يكونا إلا في جنة الرب الرحيم (جل وعلا).. فهناك تجد الصحة التي ليس معها مرض وتجد الشباب الذي لا يتسرب إليه العجز والشيخوخة وتجد النعيم الذي لا يخالطه بؤس أبداً.

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يُنادى مُنادٍ: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً»^(١).

وقال ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة يُعطى قوة مائة رجل في الأكل

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

والشرب والشهوة والجماع حاجة أحدهم عرقٌ يفيض من جلده، فإذا بطئه قد ضمّر^(١).

ومن الناس من ابتلى بغير ذلك من أنواع البلاء... ولذلك فنحن نحتاج جميعاً أن تترسخ في نفوسنا عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

أخى الحبيب: اصبر وما صبرك إلا بالله، اصبر صبر واثق بالفرج، عالم بحسن المصير، طالب للأجر، راغب في تكفير السيئات، اصبر مهما ادلهمت الخطوب، وأظلمت أمامك الدروب، فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً.

إن هذه العقيدة إذا رسخت في نفسك وقررت في ضميرك صارت البلية عطية، والمحنة منحة، وكل الوقائع جوائز وأوسمة «ومن يُرد الله به خيراً يُصب منه» فلا يصيبك قلق من مرض أو موت ابن، أو خسارة مالية، أو احتراق بيت، فإن الباري قد قدر والقضاء قد حلّ، والاختيار هكذا، والخيرة لله، والأجر حصل، والذنب كُفِّر^(٢).

يا صاحب الهم إن الهم منفرج	أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه	لا تيأسن فإن الكافي الله
إذا بُليت فثق بالله وارض به	فإن الذي يكشف البلوى هو الله
الله يُحدث بعد العسر ميسرة	لا تجزعن فإن الصانع الله
والله مالك غير الله من أحد	فحسبك الله في كل لك الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٧).

(٢) لا تحزن / للشيخ عائض القرنى (ص: ٢٥).



عَبَقُ النَّسْرِينَ مِنْ ثَوَابِ الْمَرْضَى الصَّابِرِينَ

قال ﷺ: «قال تعالى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فَحَمَدَنِي وَصَبِرَ عَلَى مَا بَلَيْتُهُ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ لِلْحَفِظَةِ: إِنِّي أَنَا قِيدْتُ عَبْدِي هَذَا وَابْتَلَيْتُهُ، فَأَجْرُوا لَهُ مَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرِ، وَهُوَ صَحِيحٌ»^(١).

وقال ﷺ: «قال الله تعالى: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ، فَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عَوَّادِهِ أَطْلَقْتَهُ مِنْ إِسَارِي، ثُمَّ أَبْدَلْتَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ ثُمَّ يَسْتَأْنَفُ الْعَمَلَ»^(٢).

فيا له من ربٍّ رحيم وسعت رحمته كل شيء (ﷻ).

مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ (الصَّبْرُ عَلَى مَوْتِ الْوَلَدِ)

قال ﷺ: «ما من مسلمين يموتُ لهما ثلاثة أولاد، لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخل أبوانا: فيقال: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم»^(٣).

وقال ﷺ: «ما منكن امرأة تقدم بين يديها ثلاثة من ولدها، إلا كانوا لها حجابًا من النار، قالت امرأة: واثنين؟ قال: واثنين»^(٤).

وقال ﷺ: «بخٍ بخٍ لخمسٍ ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، وسُبْحَانَ

(١) حسن: رواه أحمد وأبو يعلى، وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (٤٣٠٠).

(٢) صحيح: رواه الحاكم والبيهقى، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٤٣٠١).

(٣) صحيح: رواه أحمد والنسائى، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٥٧٨٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٣٤) كتاب البر والصلة والآداب.

الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح، يُتوفى للمرء المسلم فيحتسبه»^(١) وقال ﷺ: «والذى نفسى بيده إن السقط ليجرُّ أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبه»^(٢).

فيا من فقدت ثمرة فؤادك وقرّة عينك: اصبر واحتسب لتنال الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة.

إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث

روى ابن أبى حاتم بإسناده فى تفسيره عن خالد بن يزيد، عن عياض، عن عقبة أنه مات له ابنٌ يقال له: يحيى، فلما نزل فى قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه؛ فقال والده: وما يمنعنى أن أحتسبه، وكان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟!

وعن محمد بن خلف قال: كان لإبراهيم الحربى ابن كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن ولقّنه من الفقه جانباً كبيراً؛ قال: فمات. فجئت أعزّيه فقال: كنت أشتهى موت ابنى هذا. قال: قلت له: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبي قد أنجب، ولقنته الحديث والفقه؟ قال: نعم. رأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت، وكأن صبياناً بأيديهم قلال فيها ماء، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم يوماً حاراً شديداً حرّه قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء، قال: فنظر إلّى. وقال: ليس أنت أبى، قلت: فأى شىء أنتم؟ قال: فقال لى: نحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا وخلفنا آباءنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء؛ قال: فلهذا تمنيت موته.

(١) صحيح: رواه البزار والنسائى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨١٧).

(٢) حسن: رواه أحمد وابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٠٦٤).



والمقصود أن هذا المقام مقام عظيم شريف لمن يطلب المصيبة ويفرح بها نظرًا إلى ثوابها.

يؤيد ذلك ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١).
وقال ﷺ: «سبعٌ يجرى للعبد أجرهن، وهو في قبره بعد موته - فذكر منها - أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»^(٢).

بيت الحمد في جنة الرحمن

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولدُ العبد؛ قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمداً واسترجع (أى قال: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون). فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»^(٣).

همسة في أذن كل محروم من نعمة الأولاد

أيها الأخ الكريم.. أيتها الأخت الفاضلة:

إن الأولاد هبة من الله تعالى... كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۚ أَوْ

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٢) حسن: رواه البزار وسمويه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠٢).

(٣) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥).

يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإُنْثَىٰ وَيَجْعَلُ مِنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١﴾
 وهم أيضًا نعمة من الله ﷻ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ
 الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمَلًا﴾ ﴿٢﴾.

وقد يكون الأولاد نعمة في نفس الوقت.. كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا
 وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ
 وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٣﴾.

وقال ﷻ: «إن الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ مَحْزَنَةٌ» ﴿٤﴾.
 وكم من أناسٍ قد رزقهم الله بالأولاد فلما ذاقوا مرارة العقوق تمنوا أن
 لو كان الله حرمهم من نعمة الأولاد.
 ولذلك فإننا يجب أن نرضى بقضاء الله تعالى؛ لأنه سبحانه هو الذي
 يعلم ما فيه مصلحة العبد ومنفعته.

الطريق إلى الولد الصالح

ويا من حُرمت من نعمة الولد: كن راضيًا عن الله (جل وعلا) وعن
 قضائه فإن الله أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع.
 ولا تقل: لماذا حرمني الله نعمة الولد، بل تذكر كم أسبغ الله عليك من
 النعم.

(١) سورة الشورى: الآيتان: (٤٩-٥٠).

(٢) سورة الكهف: الآية: (٤٦).

(٣) سورة التغابن: الآيتان: (١٤-١٥).

(٤) صحيح: رواه الطبراني والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٩٠).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤).

- واعلم أن العبد يُبتلى على قدر دينه ولو لم يكن لك قدر عند الله ما سلط عليك هذا البلاء أبداً.

- ومع ذلك فلا مانع من أن تأخذ بالأسباب، ولكن بشرط أن تعلم أن الأسباب وحدها لا تنفع ولا تضر إلا بأمر مسبب الأسباب (جل وعلا)... فاحرص على كثرة الدعاء ولا تنس دعاء زكريا عليه السلام حينما قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٢).

- واعلم أن التقوى من أعظم الأسباب التي تجلب لك الذرية الصالحة - بإذن الله -.

لقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) والأولاد رزق من عند الله جل وعلا... بل إن التقوى تكون سبباً لحفظ الأولاد بعد مجيئهم إلى تلك الحياة الدنيا..

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٤).... والنتيجة العملية نأخذها من سورة الكهف ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣٤).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٨٩).

(٣) سورة الطلاق: الآيتان: (٣، ٢).

(٤) سورة النساء: الآية: (٩).

لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿١١﴾.

بل عليك أيضًا أن تكثر من الاستغفار فإن الاستغفار من أعظم الأسباب التي تعطى الرجل القدرة على إتيان زوجته «وهذا استنباط استنبطه الإمام العلامة ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ من خلال قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٢) فالشاهد هو قوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ فإن الله يعطى الرجل قوة فوق قوته لكثرة استغفاره.... وكذلك فالاستغفار سبب في جميع أنواع الرزق بعمومها وشمولها... قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ (٣).

فجاء التصريح في تلك الآيات بأن الاستغفار سبب في الرزق بالأولاد في قوله: ﴿وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة الكهف: الآية: (٨٢).

(٢) سورة هود: الآية: (٥٢).

(٣) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٣).

وها هي أسباب الرزق الحلال

وها أنا أسوق لحضراتكم باقة من الأسباب التي جعلها الله سبباً للحصول على الرزق الحلال، بل ولزيادة الرزق الحلال، بل وللبركة في هذا الرزق.

١- الإيمان والتقوى:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)

٢- إقامة شرع الله:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)

فإقامة شرع الله في أرضه سبب للرخاء وسعة الرزق.
ولذا فياني أقول لك أيها الأخ الكريم: حَكِّم شرع الله في نفسك وفي بيتك وستجد رزقك تحت رجليك يأتيك في يسر وسهولة.

٣- التفرغ لعبادة الله (جل وعلا):

وليس معنى التفرغ للعبادة: أن يترك الإنسان السعي على العمل ويجلس للعبادة ويقول: إن الله سيبعث الرزق إليّ!!!
ولكن المقصود أن يسعى الإنسان على الرزق، ولكن قلبه يكون متعلقاً

(١) سورة الأعراف: الآية: (٩٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٦٦).

بربه في كل لحظة من عمره.. وإذا كان في العبادة فلا بد أن يكون خاضعاً وخاشعاً لله تعالى، بل ومستحضرًا لعظمة الرب جل جلاله ممتثلًا قول النبي ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

إنها الحقيقة التي نراها في حياتنا جلية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار أنه كلما ازداد القلب تعلقًا بالله كلما كان الرزق سهلاً ميسورًا بلا تعب ولا نصّب.

وقال تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلًا ولم أسد فقرك»^(٢).

فرغ خاطرك لله بما أمرت به

❁ قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

فرغ خاطرك لله بما أمرت به، ولا تشغله بما ضمن لك؛ فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان. فمادام الأجل باقيًا كان الرزق آتياً. وإذا سدّ عليك بحكمته طريقًا من طرقه؛ فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه.

فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم، من طريق واحد وهو السُّرة، فلما خرج من بطن الأم، وانقطع ذلك الطريق، فتح له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذ من الأول لبنًا خالصًا سائغًا، فإذا تمت

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٩، ١٠) كتاب الإيمان، من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم (٨) كتاب الإيمان من حديث عمر.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٦٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب الزهد، وأحمد (٨٤٨١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع

مدة الرضاع، وانقطع الطريقان بالفظام، فتح طُرُقًا أربعًا أكمل منها: طعامان وشرابان؛ فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ، فإذا مات، انقطعت عنه هذه الطرق الأربع، لكنه سبحانه فتح له - إن كان سعيدًا - طُرُقًا ثمانية، وهى أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

فهكذا الرب سبحانه، لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا، إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغير المؤمن، فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به؛ ليعطيه الحظ الأعلى النفيس. والعبد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه، لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذخر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دينيًا، وبقلة الرغبة فى الآجل وإن كان عليًا.

ولو أنصف العبد ربه، وأتى له بذلك؟! لعلم أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها أعظم من فضله عليه فيما أتاه من ذلك، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه وليسلك الطريق الموصلة إليه.

ف — ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ ارَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ ارَادَ شُكُورًا﴾^(١).
﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٢). والله المستعان^(٣).

(١) سورة الفرقان: الآية: (٦٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٩٩).

(٣) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٨٧، ٨٨).



٤- الاستقامة:

قال تعالى: ﴿وَالْوِاسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١).

فمن استقام على الطاعة فإن الله ييسر له أسباب الرزق ويملاً قلبه رضا بما يأتيه من الرزق، سواء كان قليلاً أم كثيراً.

٥- التوكل:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢) إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^(٣).

وقال ﷺ: «لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»^(٤).

ففي هذا الحديث لطيفة: أن كل الحيوانات والهوام يدخرون الطعام إلا الطيور، فهي لا تدخر شيئاً، فإذا أصبحت، سبّحت بحمد ربها وخرجت متوكلة عليه، ثم ترجع برزقها ورزق أولادها.

٦- الاستغفار والتوبة:

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾^(١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا^(١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا^(١٢)﴾^(٤).

قال الشعبي: خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا، فقالوا: ما رأيك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح

(١) سورة الجن: الآية: (١٦).

(٢) سورة الطلاق: الآية: (٣).

(٣) صحيح: رواه الترمذی (٢٣٤٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٦٤) كتاب الزهد، وأحمد

(٢٠٥)، وصححه العلامة الألبانی رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الجامع (٥٢٥٤).

(٤) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

السماء التى يُسْتَنْزَلُ بها المطر، ثم قرأ ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾
يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْهِمْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝
وقال ابن صبيح: شكى رجل إلى الحسن الجذوبة، فقال له: استغفر الله.
وشكى آخر إليه الفقر، فقال له: استغفر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقنى
ولداً، فقال له: استغفر الله. وشكى إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: استغفر
الله. فقلنا له فى ذلك؟ فقال: ما قلت من عندى شيئاً، إن الله تعالى يقول فى
سورة نوح: ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١﴾
وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْهِمْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝^(١)

وقال ﷺ: «من أكثر الاستغفار - وفى رواية: من لزم الاستغفار - جعل
الله له من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيث لا
يحتسب»^(٢).

٧- صلاة الرحم:

قال ﷺ: «من أحب أن يُيسر له فى رزقه، وأن ينسأ له فى أثره فليصل
رحمه»^(٣).

وفى رواية: «من سره أن يعظم الله رزقه، وأن يمد فى أجله فليصل
رحمه»^(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي (١٨ / ٢٩٠).

(٢) رواه أبو داود (١٥١٨) كتاب الصلاة، وابن ماجه (٣٨١٩) كتاب الأدب، وضعفه العلامة
الألبانى رحمه الله فى الضعيفة (٧٠٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر «هامش المسند»: إسناده صحيح.
(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٦٧) كتاب البيوع، ومسلم (٢٥٥٧) كتاب البر والصلة
والآداب.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٦٩٣) كتاب الزكاة، وأحمد (١٢١٧٨)، وصححه العلامة الألبانى
رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٩١).

وقال ﷺ: «إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون»^(١).

٨- الصلاة:

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢).

وقال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٣).

إذا كان الله ﷻ يرزق أهل الفساد والمعاصي، فهل يمنع رزقه عن أهل الإيمان والتقوى الذين يسجدون لله ليلاً ونهاراً؟

٩- الشكر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَعَاوَنَكُمْ وَأَيْدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٥).

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (١٨٢/٢)، رقم (٤٤٠)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧٠٥).

(٢) سورة طه: الآية: (١٣٢).

(٣) سورة إبراهيم: الآية: (٣٧).

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٧).

(٥) سورة الأنفال: الآية: (٢٦).

١٠- المتابعة بين الحج والعمرة:

قال ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»^(١).

١١- الهجرة في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِجْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٤).

١٢- الجهاد في سبيل الله:

إن الله تعالى حرم الغنائم على الأمم من قبلنا، ثم أحلها لنا فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

(١) صحيح: رواه الترمذی (٨١٠) كتاب الحج، والنسائي (٢٦٣١) كتاب مناسك الحج، وأحمد (٣٦٦٠)، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٢٩٠١).

(٢) سورة النساء: الآية: (١٠٠).

(٣) سورة النحل: الآية: (٤١).

(٤) سورة الحج: الآيتان: (٥٨، ٥٩).

(٥) سورة الأنفال: الآية: (٦٩).

وقال ﷺ: «ثلاثة حق على الله تعالى عونهم - وذكر منهم -: المجاهد في سبيل الله..»^(١).

وقال ﷺ عن المرباط في أرض الشرف والجهاد:
«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات مرباطاً جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأُجرى عليه رزقه وأُمن من الفتان»^(٢).
وقال ﷺ: «جُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذلة والصغار على من خالف أمري»^(٣).

١٣- الزواج:

إن الزواج سبب عظيم من أسباب الرزق، وذلك لأن الله حرم الفواحش وحض على المكارم. ولذلك فإنه حرم الزنا وأحل النكاح.
قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤).

ولذا قال ﷺ: «ثلاثة حق على الله تعالى عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»^(٥).

وقال ﷺ: «إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة، وإن الصبر يأتي

(١) حسن: رواه الترمذي (١٦٥٥) كتاب فضائل الجهاد، والنسائي (٣١٢٠) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩١٣) كتاب الإمارة.

(٣) صحيح: رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في الرماح.

(٤) سورة النور: الآية (٣٢).

(٥) حسن: وقد تقدم في هذه الصفحة برقم (١).



من الله على قدر المصيبة»^(١).

١٤- الدعاء:

إن الدعاء من أهم أسباب الرزق؛ لأن المؤمن عندما يدعو ربه أن يرزقه فهو ينخلع من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٢).

وقال ﷺ: «إن ربي حيي كريم يستحي أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صفراً»^(٣).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «....يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم...»^(٤).

فتوجه إلى الله واسأله ﷺ أن يرزقك وأن يوسع عليك بما ينفعك في دينك ودنياك.

١٥- الصدقة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَرَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۖ﴾^(٥).

(١) حسن: أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ١٩٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ١٩١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٦٦٤).

(٢) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٣) حسن: رواه أبو داود (١٤٨٨) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٥٥٦) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٦٥) كتاب الدعاء، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٠٧٠).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) سورة الليل: الآيات: (٥-٧).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ^(١).

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ^(٢).

وقال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» ^(٣).

وقال ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة...» ^(٤).

١٦- الإنفاق على طلبة العلم الشرعي:

لقد ذكر الله ﷻ المصارف الشرعية للزكاة في سورة التوبة فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُؤْمِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ^(٥)، فكان من أولهم (الفقراء) فإذا كان الفقير طالب علم مجتهد، فهذا أحق الناس بالصدقة؛ لأنه واقف على ثغر من ثغور الإسلام.

ومما يدل على أن الإنفاق على طلبة العلم من أسباب الرزق أنه: كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ أي لطلب

(١) سورة سبأ: الآية: (٣٩).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢٧٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٥) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٢٢٨) كتاب الزهد، وأحمد

(١٧٥٧٠)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٥) سورة التوبة: الآية: (٦٠).



العلم والآخر يحترف يشتغل بحرفة، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: «لعلك تُرزق به»^(١).

١٧ - الإحسان إلى الضعفاء:

قال ﷺ موضحاً أن الإحسان إلى الضعفاء من أسباب الرزق: «هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟»^(٢).

وفي رواية: «هل تُنصرون إلا بضعفائكم بدعوتهم وإخلاصهم»^(٣).
ومن بين الضعفاء الذين يكرمنا الله ويرزقنا إذا أحسنّا إليهم: اليتامى والنساء.

فقد قال ﷺ: «إني أخرج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»^(٤).

١٨ - السعي والأخذ بالأسباب:

إننا إذا كنا نتحدث عن أسباب الرزق فليس معنى ذلك أن نترك السعي والأخذ بالأسباب... فالأصل أننا نجمع بين هذين الأمرين... السعي والأخذ بأسباب الرزق.

ولذا قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٥).

(١) صحيح: رواه الترمذی (٢٣٤٥) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانی رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّحِيحَةِ (٢٧٦٩).

(٢) صحيح: رواه البخاری (٢٨٩٦) كتاب الجهاد والسير.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/ ٢٩٠)، وصححه العلامة الألبانی رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٧٠٣٤).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨) كتاب الأدب، وأحمد (٩٣٧٤)، وحسنه العلامة الألبانی رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّحِيحَةِ (١٠١٥).

(٥) سورة الملك: الآية: (١٥).

وقال ﷺ: «إن داود النبي كان لا يأكل إلا من عمل يده»^(١).

وكان الحبيب ﷺ يرعى الغنم قبل البعثة، بل وكان يخرج في تجارة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهكذا، فالأصل هو السعى والأخذ بالأسباب شريطة أن يكون القلب متعلقاً بالله (جل وعلا)^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٧٣) كتاب البيوع.

(٢) بتصرف من (أسباب الرزق الحلال) للمصنف.

الأسباب التي تعين على الصبر

أما عن الأسباب التي تعينك على الصبر على المرض فهي كثيرة جدًا وسأكتفي بذكر أهم تلك الأسباب:

(١) الفوز بمعية الله ومحبته:

إن صبرك على مرضك يجعلك تفوز بمعية الله فقد قال (جل وعلا): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١) بل يجعلك تفوز بمحبة الله فقد قال (جل وعلا): ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

(٢) الفوز بالصلاة والرحمة والهدى من الله:

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٣).

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: نعم العِْدْلان ونعمت العلاوة للصابرين.. يعنى بالعِديلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى.

فإذا علمت أنك إذا صبرت على المرض فسوف تظفر بتلك البشريات فإن ذلك يكون حاديًا لك على الصبر.

(٣) التماسي بأهل المصائب:

فإن ذلك يهون عليك آلام المرض وشدته.. فمهما بلغت آلامك فلا بد أن تجد من هو أشد تألُّمًا منك.

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

(٣) سورة البقرة: الآيات: (١٥٥-١٥٧).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومن علاجه أن يطفى نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، ولينظر يمناً فهل يرى إلا محنة؟! ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة؟! وأنه لو فتش العالم لم يرَ فيهم إلا مُبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه وإن سرور الدنيا أحلام نوم، أو كظُلُّ زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سُرَّت يوماً ساءت دهرًا، وإن تمتعت قليلاً منعت طويلاً، وما ملأت داراً خيرة إلا ملأتها عبرة، ولا سُرَّتْه بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور. قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لكل فرحة ترحه^(١)، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً.

وقال ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ: «ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء...»^(٢). وذكر ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ أنه حدّثه من قرأ في الكتب أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مريضاً شديداً، فلما خاف أن يموت كتب إلى أمه: يا أماه، اصنعي طعاماً، واجمعي من قدرت عليه، ولا يأكل طعامك من أُصيب بمصيبة، واعلمي هل وجدت لشيء قراراً باقياً وخيلاً دائماً؟! إني قد علمت يقيناً أن الذي أذهب إليه خير من مكاني. قال: فلما وصل كتابه صنعت أمه طعاماً، وجمعت الناس، وقالت: لا يأكل هذا من أُصيب بمصيبة، فلم يأكلوا، فعلمت ما أراد، فقالت: من يبلغك عني أنك وعظمتي فاتعظت، وعزيتي فتعزيت، فعليك السلام حياً وميتاً»^(٣).

(٤) العلم بأن المرض مقدر من عند الله:

ومن الأسباب التي تعينك على الصبر أن تعلم يقيناً أن هذا المرض قد

(١) الترح ضد الفرح وهو الحزن والهم والهلاك. انظر ترتيب القاموس (١/ ٣٦٤)، النهاية (١٨٦/١).

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٩٠).

(٣) تسلية أهل المصائب (ص: ٢٠-٢١).



قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾^(١).
وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ
قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يقول: وَمَنْ يَصْدُقَ بِاللَّهِ
فَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا أَحَدَ تَصْيِيهِ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ بِذَلِكَ يَهْدِي قَلْبَهُ، يَقُولُ: «يُفَوِّقُ
اللَّهُ قَلْبَهُ بِالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ»^(٣). اهـ.

وَقَالَ عُلُقَمَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «هُوَ الرَّجُلُ تَصْيِيهِ الْمُصِيبَةِ، فَيَعْلَمُ
أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»^(٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُتِبَ
لِلَّهِ مَقَادِيرُ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(٥).

(٥) أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِكَ مِنَ الْأُمِّ بِطِفْلِهَا الرُّضِيعِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٦).

فَاللَّهُ لَا يَبْتَلِيكَ لِيُعَذِّبَكَ وَإِنَّمَا يَبْتَلِيكَ لِيُطَهِّرَكَ وَيُقَرِّبَكَ... وَتَأْمَلْ مَعِيَ
أَيُّهَا الْأَخُ الْحَبِيبُ هَذَا الْمَشْهَدَ الْمَهِيبَ:

✽ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فِإِذَا امْرَأَةٌ

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ (٥١).

(٢) سُورَةُ التَّغَابُنِ: الْآيَةُ: (١١).

(٣) تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ (١٢٣/٢٨).

(٤) تَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ (١٢٣/٢٨) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (١٦٣/٨).

(٥) صَحِيحٌ: رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٦٥٣) كِتَابُ الْقَدْرِ.

(٦) سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ: (١٥٦).

من السبي تحلب ثديها تسعى إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته، فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا وهي تقدر أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(١).

(٦) التوكل على الله والاستعانة بالصبر والصلاة:

ومن تسلية أهل المصائب: أن يستعينوا بالله ويتكلموا عليه، ويتعزوا بعزاء الله تعالى، ويمثلوا أمره في الاستعانة بالصبر والصلاة.

فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

(٧) أن ترضى باختيار الله لك:

أن تعلم أن الله ﷻ هو الذى اختار لك هذا المرض وهذا البلاء فما عليك إلا أن ترضى وتسلم.. فالله أعلم بما يصلحك وهو الحكيم الذى يضع الشيء فى موضعه... فمن الناس من لا ينصلح حاله إلا بالمرض ومنهم من لا ينصلح حاله إلا بالصحة.

(٨) أن تتذكر فوائد المرض وثمراته:

ومن أسباب الصبر على المرض أن تتذكر فوائد المرض وثمراته فإن هذا المرض إما أن يكون رفعا لمنزلتك وقد قصر بك عملك عن بلوغ تلك المنزلة، أو إنه لتكفير ذنب لو لم يكفر لأدّى إلى هلاكك، وهو - أيضًا -

(١) متفق عليه: صحيح البخارى: (٥٩٩٩) كتاب الأداب، ومسلم (٢٧٥٤) كتاب التوبة.

(٢) سورة الطلاق: الآية: (٣).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).



سبب في تكثير الحسنات ودخول الجنات والنجاة من النار وطهارة القلب من الأمراض التي تهلكه، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والحكم الجليلة.

(٩) أن تعلم أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها:

❁ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور»^(١).

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة، بل يضاعفها، وهو في الحقيقة يزيد في مصيبتة، بل يعلم المصاب أن الجزع يُشمتُّ عدوه، ويسوءُ صديقه، ويُغضب ربه، ويسرُّ شيطانه، ويُحبط أجره، ويُضعف نفسه. وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه، وأرضى ربه، وسرَّ صديقه، وساء عدوه، وحمل عن إخوانه وعزاهم هو قبل أن يُعزوه؛ فهذا هو الثبات في الأمر الديني.

(١٠) أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك:

ومن أسباب الصبر على المرض أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك إذا كنت صابراً محتسباً فلقد قال عليه السلام: «إن عِظَمَ الجزاء مع عِظَمَ البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط»^(٢).

(١١) أن المرض يخلصك من الكبر والعجب:

ومن كمال رحمة الله ﷻ أن العبد قد يكون به من الكبر والعجب ما يجعله سبباً لهلاكه فيبتليه الحق (جل وعلا) ليُخرج من قلبه الكبر والعجب ويجعل قلبه مستكيناً متواضعاً خاشعاً لله فيكون ذلك سبباً للفوز برحمة الله

(١) منهاج العابدين للغزالي (ص: ٢٣٩).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٤٥٦) كتاب الحدود، والترمذي (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٢١١٠).

ورضوانه وجنته... فلقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...»^(١).

(١٢) قد يكون الخير كله في هذا المرض:

قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: في هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحسوب، والمحسوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرّة من جانب المسرّة، ولم يئأس أن تأتيه المسرّة من جانب المضرّة لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد^(٣).

(١٣) أن تنتظر إلى ما أبقاها الله عليك من النعم:

وعليك أيها الأخ الحبيب ألا تنظر إلى النعمة التي سلبها الله منك بل انظر إلى سائر النعم التي أبقاها الله عليك.

فلا تكن ممن يذكر المصائب وينسى النعم.

قال الحسن البصري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(٤)

قال: «يذكر المصائب وينسى النعم».

وتأمل معي كيف أن عروة بن الزبير رحمه الله لما قطعت رجله ومات ولده في نفس اليوم جلس يذكر نعم الله عليه قبل أن يذكر هذا البلاء فقال: «اللهم

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان.

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١٦).

(٣) الفوائد (ص: ٢٠٠).

(٤) سورة العاديات: الآية: (٦).



إنه كان لى بنون سبعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ستة، وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة، ولئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت فقد عافيت... وما ترك جزأه من القرآن فى تلك الليلة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «تهوين البليّة بأمرين، أحدهما: أن يعدّ نعم الله عليه، وأياديه عنده، فإذا عجز عن عدّها، وأيس من حصرها - هان عليه ما هو فيه من البلاء، ورآه - بالنسبة إلى أيادى الله ونعمه - كقطرة من بحر... الثانى: تذكر سوائف النعم التى أنعم الله بها عليه، فهذا يتعلق بالماضى، وتعداد أيادى المنن يتعلق بالحال»^(١) اهـ.

وأنشد محمود الوراق رَحِمَهُ اللهُ:

يا أيها الظالم فى فعله والظلم مردود على من ظلم
إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

(١٤) التحصن بالعلم النافع:

قد يحصل للعابد الجاهل بمصيبته من الجزع ما يسوء الناظر إليه والسامع عنه من الاعتراض على الأقدار.

فلا شىء أنفع من العلم؛ لأن العالم لو حصل له هلع شديد فى مصيبته، يعلم أنها زلة منه، فيدرى كيف يتنفس؛ والعابد الجاهل كلما غاص إلى أسفل يظن أنه صاعد إلى فوق.

(١٥) التعرف على فضيلة الصبر:

ومما يعينك على الصبر أن تتعرف على فضيلة الصبر فقد قال رَحِمَهُ اللهُ - كما عند مسلم -: «.. والصبر ضياء»... وعليك أن تُصبر نفسك فإنه بذلك

يحصل لك الصبر فقد قال ﷺ: «ومن يتصبر يُصبره الله»^(١).

(١٦) معرفة أحوال السلف الصالح عند المرض:

فقد كان الواحد منهم يفرح بالمرض والبلاء رغبة فيما عند الله من الأجر والثواب.

قال أحنف: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد.

وكان أحدهم إذا مرض يقول: إن حلاوة الأجر أنستني مرارة الألم.

(١٧) أن تعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار:

قال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلَبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقةً ابتلى على قدر دينه فما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»^(٢).

(١٨) أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك:

وإذا ابتلى العبد بمرض أو حادث سيارة فما عليه إلا أن يرضى بقضاء الله ولا يفتح على نفسه بابًا من أبواب الشيطان فيقول: لو أنى فعلت كذا لكان كذا... ولذا قال ﷺ: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»^(٣).

ولا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال ﷺ: «لو أن الله عَذَّبَ أهل

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (٢٠٥٣) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٢٣) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٩٩٢).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر.

سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحُدٍ ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو متَّ على غير هذا لدخلت النار»^(١).

(١٩) أن تتذكر ما في البلاء من اللطائف والفوائد:

ومن بين تلك الفوائد التي يجنيها العبد من البلاء: تذكير العبد بذنوبه فربما تاب منها إلى الله ﷻ.

قال بعض السلف: إن العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه دمة مثل رأس الذباب من خشية الله فيغفر له.

❁ ومنها: زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها وانكسار العبد لله ﷻ، وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

❁ ومنها: أنها توجب من العبد الرجوع إلى الله ﷻ والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء.

❁ ومنها: أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق، ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

❁ ومنها: رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلوهم، فإن العبد إذا أحسَّ بآلم الابتلاء رَقَّ قلبه لأهل البلاء ورحمهم.

❁ ومنها: معرفة قدر نعمة العافية، فإن النعم لا تُعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض^(٢).

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٩٩) كتاب السنة، وابن ماجه (٧٧) في المقدمة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٢٤٤).

(٢) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما وفوائد الابتلاء للعز بن عبد السلام - نقلًا من تسليمة المصائب للدكتور أحمد فريد (ص: ٤١).

(٢٠) أن تحمد الله على أن المصيبة لم تكن في الدين:

فكل مصيبة في دنيا الإنسان قد تُعوّض بخيرٍ منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوّض.

وكان ﷺ يُعلم أمته هذا الدعاء: «... ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا...»^(١).

وقد حكى ابن أبي الدنيا عن شريح أنه قال: إنى لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره.

إذ لم تكن أعظم مما هى، وإذ رزقنى الصبر عليها، وإذ وفقنى للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها في دينى.

(٢١) أن تعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان:

ومن أسباب الصبر على المرض علمك بأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وهى محل للأنكاد والأسقام والأحزان، وأنها حقيرة عند خالقها سبحانه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(٢) قال سعيد بن أبى الحسن رَحِمَهُ اللهُ فى تفسير هذه الآية: «يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة»^(٣).

ومن أمثال العرب: «من حدّث نفسه بطول البقاء فليوطن نفسه على المصائب».

وقال أبو الحسن التهامى رَحِمَهُ اللهُ فى ذم الدنيا:

طُبعت على كَدَرٍ وأنت تريدها صَفْوًا من الأَقْدَاءِ والأَكْدَارِ

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٥٠٢) كتاب الدعوات، وحسنه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فى صحيح الجامع (١٢٦٨).

(٢) سورة البلد: الآية: (٤).

(٣) تفسير ابن جرير (١٩٧/٣٠).



وَمُكَلِّفَ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا متطلب في الماء جذوة نار
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تبنى الرجاء على شفير هار^(١)
وقد قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(٢).
(٢٢) أن تتذكر الموت:

قال ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هاذم اللذات، فما ذكره عبدٌ قط وهو في ضيقٍ إلا وسَّعه عليه، ولا ذكره وهو في سعةٍ إلا ضيقها عليه»^(٣).
فمن علم أنه سير حل عن هذه الدنيا لا محالة فإنه يستوى عنده البلاء والعافية لأن أهم ما يشغله أن يلقي الله وهو راضٍ عنه.
(٢٣) انتظار الفرج من عند الله (جل وعلا):

ومما يتسلى به المصاب أن يُحسن الظن بالله (جل وعلا) ويعلم أن الله سيجعل له فرجًا ومخرجًا، فقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾^(٤).

وقال ﷺ في وصيته لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا»^(٥).
ولرُبِّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرجُ
ضاقَت فلما استحكمت حلقاتها فُرِجَت وكان يظنها لا تُفْرَجُ

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٣٨٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) رواه البيهقي وابن حبان وحسنه الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح الجامع (١٢١١).

(٤) سورة الشرح: الآيتان: (٥-٦).

(٥) صحيح: رواه أحمد والخرائطى عن أنس، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢).

(٢٤) أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة:

فإن العبد المؤمن إذا رضى بقضاء الله وصبر على مرضه فإنه سينسى كل آلامه وأحزانه مع أول غمسة في جنة الرحمن (جل وعلا).

❦ قال ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي جَهَنَّمَ صَبْغَةً؛ ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّبَكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟» فيقول: لا والله يا رب، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً؛ فيقال له: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّبَكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب ما مَرَّبَنِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»^(١).

(٢٥) أن تستحضر هذا المشهد المهيّب:

ومن الأسباب التي تعينك على الصبر على المرض أن تستحضر هذا المشهد المهيّب من مشاهد يوم القيامة حيث قال ﷺ: «يُودِ أَهْلَ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»^(٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣).

(٢٦) أن تتذكر عذاب أهل النار:

فإن العبد إذا تذكر عذاب أهل النار وما يقاسونه فيها من الحرق والجوع والعطش والحرمان من النظر إلى وجه الله ﷻ فإن ذلك يَهَوِّنُ عليه

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة.

(٢) حسن: رواه الترمذی (٢٤٠٢) كتاب الزهد وحسنه الألبانی رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٨١٧٧).

(٣) سورة الزمر: الآية: (١٠).

آلام المرض فإن كل عذاب دون النار عافية وكل نعيم دون الجنة سراب.
 * كانت امرأة من العابدات بالبصرة تُصاب بالمصاب فلا تجزع،
 فذكروا لها ذلك، فقالت: ما أصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت في
 عيني أصغر من الذباب.

(٢٧) التطلع إلى نعيم الجنة:

ومن أسباب الصبر على المرض علمك بأن وراء هذه الدار الدنيا دارًا
 أعظم منها وأجل قدرًا، وأنت لا بد مرتحل إليها إن كنت من أهلها، وهي
 الجنة التي أعدها الله لأوليائه.

* قال ﷺ: «قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت،
 ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
 مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١) (٢)».

وقال ﷺ: «ينادي منادٍ، إن لكم أن تصحُّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن
 تحبوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا
 فلا تبأسوا أبدًا» فذلك قوله ﷺ: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ﴾ (٣) (٤).

* وعليك أن تتذكر أدنى أهل الجنة منزلة. فقد قال ﷺ: «سأل موسى
 ﷺ: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجلٌ يجيء بعدما أُدخل أهل

(١) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة
 نعيمها.

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٤٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة.

الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مُلك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول فى الخامسة: رضيت رب، فيقول: موسى هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتتهت نفسك، ولذّت عينك، فيقول: رضيت رب، قال موسى: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم ترَ عينٌ، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر^(١).

✽ بل يخبر النبى ﷺ عن آخر أهل الجنة دخولاً الجنة أن الله ﷻ يقول له: «... اذهب فادخل الجنة. فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بى، أو أتضحك بى وأنت الملك»^(٢).
✽ بشرى لكل مريض:

أبشر أيها الأخ الحبيب فإن كل طاعة كنت تعملها وأنت صحيح فإن الله يأمر الملائكة بأن يكتبوا لك أجرها وأنت مريض... قال ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٩) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٧١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٦) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٩٩٦) كتاب الجهاد والسير.

هل يرد الاعتراض الأقدار؟

✽ قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:

رأيت كثيرًا من المغفلين يظهر عليهم السخط بالأقدار، وفيهم من قلَّ إيمانه، فأخذ يعترض! وفيهم من خرج إلى الكفر، ورأى أن ما يجري كالعبث، وقال: ما فائدة الإعدام بعد الإيجاد، والابتلاء ممن هو غنى عن أذانا؟!

فقلت لبعض من كان يرمز إلى هذا: إن حضر عقلك وقلبك، حدثتك، وإن كنت تتكلم بمجرد واقعك، من غير نظر وإنصاف، فالحديث معك ضائع.

ويحك! أحضر عقلك! واسمع ما أقول: أليس قد ثبت أن الحق سبحانه مالك، وللمالك أن يتصرف كيف يشاء؟! أليس قد ثبت أنه حكيم، والحكيم لا يعبث؟!!

وأنا أعلم أن في نفسك من هذه الكلمة شيئًا، فإنه قد سمعنا عن جالينوس أنه قال: ما أدري، أحكيم هو أم لا؟! والسبب في قوله هذا؟ أنه رأى نقضًا بعد إحكام، فقاَس الحال على أحوال الخلق، وهو أن من بنى ثم نقض لا لمعنى؛ فليس بحكيم. وجوابه -لو كان حاضرًا- أن يقال: بماذا بان لك أن النقض ليس بحكمة؟ أليس بعقلك الذي وهبه الصانع لك؟ وكيف يهب لك الذهن الكامل، ويفوته هو الكمال؟!!

وهذه هي المحنة التي جرت لإبليس، فإنه أخذ يعيب الحكمة بعقله، فلو تفكَّر، علم أن واهب العقل أعلى من العقل، وأن حكيمته أوفى من كل

حكيم؛ لأنه بحكمته التامة أنشأ العقول. فهذا إذا تأمله المنصف، زال عنه الشك ... وقد أشار سبحانه إلى نحو هذا في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾^(١)، أى: أَجْعَلُ لنفسه الناقصات، وأعطاكم الكاملين؟! فلم يبق إلا أن نضيف العجز عن فهم ما يجرى إلى أنفسنا، ونقول: هذا فعل عالم حكيم، ولكن ما يبين لنا معناه.

وليس هذا بعجب، فإن موسى عليه السلام خفى عليه وجه الحكمة في نقض السفينة الصحيحة، وقتل الغلام الجميل، فلما بين له الخضر وجه الحكمة، أذعن. فلنكن مع الخالق كموسى مع الخضر.

أولسنا نرى المائدة المستحسنة بما عليها من فنون الطعام النظيف الظريف يُقَطَّع ويُمَضَّغ، «ويصير إلى ما نعلم»، ولسنا نملك ترك تلك الأفعال، ولا ننكر الإفساد له، لعلنا بالمصلحة الباطنة فيه.

فما المانع أن يكون فعل الحق سبحانه له باطن لا نعلمه؟! ومن أجهل الجُهَّال العبد المملوك إذا طلب أن يطلَّع على سرِّ مولاه، فإن فَرَضَه التسليم لا الاعتراض. ولو لم يكن في الابتلاء بما تنكره الطباع إلا أن يقصد إذعان العقل وتسليمه، لكفى.

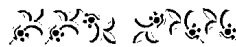
ولقد تأملت حالة عجيبة، يجوز أن يكون المقصود بالموت هى، وذلك أن الخالق سبحانه غيبٌ في غيب لا يدركه الإحساس، فلو أنه لم ينقض هذه البنية، لتخايل للإنسان أنه صُنِعَ لا بَصَانَع، فإذا وقع الموت، عرفت النفس نفسها، التى كانت لا تعرفها، لكونها فى الجسد، وتدرِك عجائب الأمور بعد رحيلها، فإذا رُدَّتْ إلى البدن، عرفت ضرورة أنها مخلوقة لمن أعادها،



وتذكرت حالها في الدنيا - فإن الأفكار تُعاد كما تُعاد الأبدان -، فيقول قائلهم: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾^(١)، ومتى رأت ما قد وعدت به من أمور الآخرة، أيقنت يقيناً لا شك معه - ولا يحصل هذا بإعادة ميت سواها؛ وإنما يحصل برؤية هذا الأمر فيها -، فتبنى بنية تقبل البقاء، وتسكن جنة لا ينقضى دوامها، فيصلح بذلك اليقين أن تجاور الحق؛ لأنها آمنت بما وعد، وصبرت بما ابتلى، وسلمت لأقداره، فلم تعترض، ورأت في غيرها العبر، ثم في نفسها، فهذه هي التي يُقال لها: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾^(٢) فَاذْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾.

فأما الشاكُّ والكافر، فيحق لهما الدخول إلى النار، واللبث فيها؛ لأنهما رأيا الأدلة، ولم يستفيدا، ونازعا الحكيم، واعترضا عليه، فعاد شؤم كفرهما يطمس قلوبهما، فبقيت على ما كانت عليه، فلما لم تنتفع بالدليل في الدنيا، لم تنتفع بالموت والإعادة، ودليل بقاء الخبث في القلوب قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا هُوَ عَنْهُمْ﴾^(٣).

فنسأل الله ﷻ عقلاً مسلماً، يقف على حدّه، ولا يعترض على خالقه وموجده، ثم الويل للمعترض! أيرد اعتراضه الأقدار؟! فما يستفيد إلا الخزي! نعوذ بالله ممن خذل^(٤).



(١) سورة الطور: الآية (٢٦).

(٢) سورة الفجر: الآيات (٢٨-٣٠).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٢٨).

(٤) صيد الخاطر (ص ٢٤٠-٢٤٢).

فوائد الأمراض.. والحكمة منها

وقد يسأل سائل ويقول: وهل للأمراض فوائد؟

نقول: بلى إن لها فوائد كثيرة ولكن لا يعلمها إلا من لامس الإيمان شغاف قلبه.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزداد ذلك على عشرة آلاف موضع، مع قصور أذهاننا، ونقص عقولنا ومعارفنا، وتلاشيها وتلاشى علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشى ضوء السراج في عين الشمس. وهذا تقريب وإلا فالأمر فوق ذلك». اهـ^(١).

وللأمراض والأسقام - خاصة - فوائد وحكم، أشار ابن القيم إلى أنه أحصاها فزادت على مائة فائدة^(٢).

وسأذكر لكم بعض تلك الفوائد:

(١) تكفير الذنوب والسيئات:

✽ أخى الحبيب: إن مرضك سبب في تكفير الذنوب والسيئات التي اقترفتها؛ لأن المرض قد يكون عقوبة على بعض الذنوب كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٣).

✽ قال رَحِمَهُ اللهُ: «ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب، وما يدفع الله عنه

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٤٣٢).

(٢) شفاء العليل (ص: ٥٢٥).

(٣) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

أكثر»^(١). والاختلاج: الحركة والاضطراب.

وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خير له، حتى تكفر عنه ذنوبه، ويلقى الله سالمًا طاهرًا منها، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»^(٢).

❁ وقال ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها؛ إلا كفر الله بها من خطاياها»^(٣). وقال رسول الله ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة»^(٤).

(٢) استخراج عبودية الضراء (وهي الصبر):

فالله ﷻ يتلى عباده بالسراء والضراء فيستخرج منه عبودية السراء وهي الشكر وعبودية الضراء وهي الصبر، فإذا كان العبد مؤمنًا حقًا ظهرت عبوديته واضحة جلية في كل الأحوال كما قال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»^(٥).

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الصغير (٢/٢١٦)، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٥٥٢١).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٣٠٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٦٤٢) كتاب المرضى.

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٩) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٥٨١٥).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٣) إيقاظ العبد من غفلته :

فكم من عبدٍ كان تائهاً شاردًا لم يسجد لله سجدة واحدة وإذا به لما مرض تذكّر ربه ومولاه فترك الذنوب والمعاصي، وأقبل على ربه بالتوبة والاستغفار والندم على عمره الذي مضى، وفتح صفحة جديدة كلها طاعة لله (ﷻ).

أخى الحبيب: إن المرض يُريك فقرك وحاجتك إلى الله، وأنه لا غنى لك عنه طرفة عين، فيتعلق قلبك بالله وتقبل عليه بعد أن كنت غافلاً عنه، فيكون البلاء حينئذ خيراً لك من النعمة... قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «مصيبة تُقبل بها على الله خير لك من نعمة تُنسبك ذكر الله»^(١).

(٤) صحة وطهارة القلوب والأرواح :

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فيه حياة... فصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها»^(٢).

وقال في موضع آخر: «لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حامية له من هذه الأدواء، وحفظاً لصحة عبوديته، واستفراغاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلى بنعمائه كما قيل:

(١) قاعدة في المحبة (ص: ١٦٧).

(٢) تسلية أهل المصائب (ص: ١٠٢).

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عَظُمَتْ ويبتلى الله بعض القوم بالنعم^(١)
(٥) أن يعلم العبد قدر النعمة:

فمن بين فوائد المرض أن يعرف العبد قدر النعمة التي كان يعيش فيها قبل المرض... فإن العبد قد ينغمس في التمتع بتلك النعم وهو لا يشكر ربه ﷺ فإذا داهمه المرض وفقد تلك النعمة ولو لفترة قصيرة فإنه عند ذلك يشعر بقدر النعمة ويعلم قدر المنعم (جل وعلا) فيكون ذلك حاديًا له بعد الشفاء لأن يستعمل تلك النعم كلها في طاعة الله (جل وعلا).

(٦) أن تتذكر حال إخوانك المرضى:

إن العبد إذا عاش مُعافًى في بدنه طوال حياته فإنه قد لا يشعر بآلام إخوانه المرضى وبالتالي لا يقوم بأى حق من حقوقهم.. أما إذا ابتلى العبد بأى مرض فإنه بذلك يتذكر حال إخوانه المرضى والمعاناة التي يعيشون فيها فيقوم بحقوقهم التي لطالما غفل عنها فيتعهدهم بالزيارة والتخفيف من مصابهم ومواساتهم وقضاء حوائجهم والدعاء لهم.. إلى غير ذلك من الحقوق.

(٧) النجاة من النار:

والعبد إذا مرض فصبر واحتسب ورضى بقضاء الله فإن ذلك يكون سببًا للنجاة من النار.

كما قال ﷺ: «الحُمَى حظ كل مؤمن من النار»^(٢).

(١) عدة الصابرين (ص: ١٦١).

(٢) صحيح: رواه القضاعى في «مسند الشهاب» (٧/ ١-٢)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّحِيحَةِ (١٨٢١).

ومن المعلوم أن المرض يكون سبباً في تكفير الذنوب والسيئات..
فيلقى العبدُ ربه نقيّاً طاهرّاً فيكون ذلك سبباً في نجاته من النار.

(٨) دخول جنة الرحمن (جل وعلا):

لقد أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ أن الجنة لا تُنال إلا بما تكرهه النفس
فقال ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات»^(١).

والمكاره هي كل ما تكرهه النفس ويشق عليها. وهذا يتناول مجاهدة
النفس في القيام بالطاعات واجتناب المعاصي، والصبر على المصائب
والتسليم لأمر الله فيها^(٢).

ولهذا جاء في حق من أُصيب بفقد بصره قوله ﷺ: يقول الله ﷻ:
«إذا ابتليت عبدي بحبيتيه - أي: عينيه - فصبر عوضته منهما الجنة»^(٣).

(٩) رفع الدرجات:

ومن فوائد المرض أن العبد إذا ابتلى فصبر فإنه يتحصل بذلك على
الحسنات بل وترفع له الدرجات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يُشاك
شوكة فما فوقها، إلا كتبت له بها درجة، ومُحيت عنه بها خطيئة»^{(٤) (٥)}.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة.

(٢) انظر الفتح (١١/٣٢٠).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٦٥٣) كتاب المرضى.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٢) كتاب البر والصلة.

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (١٠/١٢٤): «المصائب التي تجرى بلا اختيار
العبد كالمرض وموت العزيز عليه وأخذ اللصوص ماله إنما يثاب على الصبر عليها، لا على

أخي الحبيب.. أختي الفاضلة: تأملوا معي تلك الهدية الغالية من كلام رسول الله ﷺ حيث قال: «إن الرجل ليكون له عند الله منزلة، فما يبلغها بعمله، فما يزال الله يتتليه بما يكره حتى يُبلغه إياها»^(١).

وقال ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده، ثم صبره على ذلك، حتى يُبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى»^(٢).

❁ من يرد الله به خيراً يُصب منه :

ومن خلال ما تقدم نعلم يقيناً أن المرض منحة ربانية من الله (ﷻ) على عباده المؤمنين ولذا قال سيد المرسلين ﷺ: - كما عند البخاري -: «من يُرد الله به خيراً يُصب منه».

ولكون المرض والبلاء نعمة كان الصالحون يفرحون به كما يفرح الواحد منا بالرخاء، فقد ذكر النبي ﷺ ابتلاء الأنبياء والصالحين بالمرض والفقر وغيرهما ثم قال: «وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء»^(٣).

⁼ نفس ما يحدث من المصيبة، لكن المصيبة يكفر بها خطاياها، فإن الثواب إنما يكون على الأعمال الاختيارية وما يتولد عنها. اهـ.

(١) حسن: أخرجه ابن حبان (١٦٩/٧)، والحاكم (٤٩٥/١)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٦٢٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٠٩٠) كتاب الجنائز، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٥٩٧/٢).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٢٤) كتاب الفتن، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٤٤).

قال وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ مَنْ قَبْلَكُمْ كَانَ إِذَا أَصَابَ أَحَدَهُمْ بَلَاءٌ عَدَّهُ رِخَاءً، وَإِذَا أَصَابَهُ رِخَاءٌ عَدَّهُ بَلَاءً»^(١).

وقال بعض الحكماء: «رُبَّ مُحْسُودٍ عَلَى رِخَاءٍ هُوَ شَقَاؤُهُ، وَمُرْحُومٍ مِنْ سَقَمٍ هُوَ شَفَاؤُهُ، وَمَغْبُوطٍ بِنِعْمَةٍ هِيَ بَلَاؤُهُ»^(٢).

وقال بعض السلف: «يَا ابْنَ آدَمَ، نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فِيمَا تَكْرَهُ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ فِيمَا تُحِبُّ»^(٣).

وقال بعضهم: «ارْضَ عَنْ اللَّهِ فِي جَمِيعٍ مَا يَفْعَلُهُ بِكَ، فَإِنَّهُ مَا مَنَعَكَ إِلَّا لِيُعْطِيكَ، وَلَا ابْتِلَاكَ إِلَّا لِيُعَافِيكَ، وَلَا أَمْرُضَكَ إِلَّا لِيُشْفِيكَ، وَلَا أَمَاتَكَ إِلَّا لِيُحْيِيكَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَفَارِقَ الرِّضَى عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَتَسْقُطَ مِنْ عَيْنِهِ»^(٤).

❁ وَمِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ بَعَادَهُ أَنْ نَغْصَ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا وَكَدَّرَهَا، لِئَلَّا يَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَلَا يَطْمَئِنُّوا إِلَيْهَا، وَيَرْغَبُوا فِي النِّعَمِ الْمَقِيمِ فِي دَارِهِ وَجَوَارِهِ، فَسَاقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ بَسِيَاطُ الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِمْتِحَانِ، فَمَنْعَهُمْ لِيُعْطِيَهُمْ، وَابْتَلَاهُمْ لِيُعَافِيَهُمْ، وَأَمَاتَهُمْ لِيُحْيِيَهُمْ»^(٥). اهـ.

ومما يناسب هذا المبحث هذا الحديث العجيب في معناه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل أعرابي على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل أخذتك أُمٌ مُلْدَمٌ قط؟» قال: وما أُمٌ مُلْدَمٌ؟ قال: «حَرٌّ يَكُونُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ» قال: ما وجدت هذا قط. قال: فهل أخذك هذا الصَّدَاعُ قط؟ قال:

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٣٢٧).

(٢) العقد الفريد (٣/١٤٥).

(٣) مدارج السالكين (٢/٢١٦).

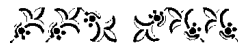
(٤) المدارج (٢/٢١٦).

(٥) إغاثة اللهفان (٢/١٧٥).



وما هذا الصداق؟ قال: «عرقٌ يضرب على الإنسان في رأسه» قال: ما وجدت هذا قط. فلما ولى، قال ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا»^(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا، وأمريضهم قلبًا، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبًا، وأمريضهم جسمًا، وإيم الله لو مرضت قلوبكم، وصحّت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان»^(٢).



(١) أخرجه أحمد (٣٣٢/٢)، قال الهيثمي (٢٩٤/٢): إسناده حسن. والحاكم (٤٩٨/١) وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.
(٢) الزهد لهناد (ص: ٢٤٧).

نصائح غالية لكل مريض

وإليك أيها الأخ الحبيب باقة عطرة من النصائح عسى الله أن ينفعني وإياك بها:

(١) عليك بالصبر الجميل:

أخى الحبيب: عليك بالصبر الجميل الذى لا ضجر معه وكن راضياً عن الله (ﷻ) فإنه أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع... قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الصبر على المصائب واجب باتفاق أئمة الدين»^(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان، نصف صبر ونصف شكر»^(٢).

❖ والصبر يتحقق بثلاثة أمور:

- ١- حبس النفس عن الجزع والسَّخَط.
 - ٢- وحبس اللسان عن الشكوى للخلق.
 - ٣- وحبس الجوارح عن فعل ما ينافي الصبر^(٣).
- (٢) لا تطلب البلاء ولا تتمناه:

وعلى العبد ألا يتمنى المرض والبلاء لأنه لا يدرى هل يصبر أم لا. ولذا كان ﷺ يعلمنا أن نسأل الله العافية فقال ﷺ: «سلوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يُعطَ بعد اليقين خيراً من العافية»^(٤). وكان ﷺ لا

(١) تسلية أهل المصائب (ص: ١٧٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٥٢).

(٣) عدة الصابرين (ص: ١٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٣٢).

يدع سؤال ربه العفو والعافية كل صباح ومساءً^(١).

(٣) توكل على الله مع الأخذ بالأسباب:

عليك أن تأخذ بأسباب الشفاء مع العلم بأن تلك الأسباب لا تنفع ولا تضر إلا بأمر مُسَبَّب الأسباب (جل وعلا) فإنه مهما كان مرضك، فإن له دواء عَلمه من عَلمه، وَجَهِله من جَهِله. وفي العلم بهذا تأنيس لقلبك وتقوية لجانب الرجاء وانتظار الفرج.

قال ﷺ: «تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواءً غير داء واحد الهرم»^(٢).

❁ فلا حرج أن تتناول الدواء ولكن اعلم أن الدواء مجرد سبب للشفاء ولكن الشافي هو الله ﷻ.. لهذا فقد يحصل الشفاء باستعمال الدواء وقد لا يحصل لعدم إرادة الله ذلك... قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾^(٤).

وقال ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف»^(٥).

(١) رواه أبو داود وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٧٠٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٠).

(٣) سورة الشعراء: الآية: (٨٠).

(٤) سورة يونس: الآية: (١٠٧).

(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٤) احذر من الدواء المحرم:

واحذر أيها الأخ الحبيب أن تتداوى بشيء محرم فإن بعض الأطباء يصفون البيرة لعلاج أمراض الكلى مع أن الله لم يجعل شفاءنا فيما حرمه علينا.

قال ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاءكم في حرام»^(١).

وفي رواية: «إن الله خلق الداء والدواء فتداؤوا ولا تتداؤوا بحرام».

(٥) لا تتمن الموت لشدة المرض:

أخى الحبيب: إذا اشتد عليك المرض فلا تتمن الموت فإن عُمر المؤمن لا يزيده إلا خيراً فإن كان محسناً ازداد من الخير وإن كان مسيئاً فإنه يستطيع أن يُقلع عن الذنب ويتوب منه.

قال ﷺ: «لا يتمن أحدكم الموت، ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»^(٢).

وقال ﷺ: «لا يتمن أحدكم الموت لضُرّ نزل به، فإن كان لا بد متمنياً فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»^(٣).

(٦) احرص على الصدقة:

وعليك أن تحرص على كثرة التصدق على الفقراء.... فقد قال ﷺ:

(١) حسن: رواه الدولاى فى الكنى، وحسنه الألبانى فى الصحيحه (١٦٣٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٧١) كتاب المرضى، ومسلم (٢٦٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

«داووا مرضاكم بالصدقة»^(١).

- كان هناك رجل ثرى قد مرض ابنه الوحيد مرضاً عجز الأطباء عن علاجه.. وفى يوم من الأيام سمع هذا الرجل أحد الدعاة وهو يذكر هذا الحديث: «داووا مرضاكم بالصدقة» فخرج الرجل يبحث عن الفقراء واليتامى والأرامل وأخذ يتصدق عليهم... وبعد أيام كان شفاء ابنه - بإذن الله - بغير دواء.

(٧) احرص على هذا الدعاء لتنال أجر شهيد:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

إنها دعوة نبي الله يونس عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «أيما مسلم دعا بها فى مرضه أربعين مرة، فمات فى مرضه ذلك، أُعطى أجر شهيد، وإن برأ برأ وقد غُفر له جميع ذنوبه»^(٣).

(٨) لا تخف من الموت بسبب المرض:

فإن المرض لا يُقَرِّب من الموت كما أن الصحة والعافية لا تُباعد منه.. فالله ﷻ هو الذى يملك مقادير الأمور وهو الذى يعلم آجال العباد فقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾^(٤).

وقد جاء فى حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن الملك يُبعث إلى الجنين بعد مائة وعشرين يوماً بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم

(١) حسن: رواه أبو الشيخ فى الثواب وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٥٨).

(٢) سورة الأنبياء: الآية: (٨٧).

(٣) ضعيف جداً: رواه الحاكم، وضعفه الألبانى فى السلسلة الضعيفة (٥٠١٩) وقال: ضعيف جداً.

(٤) سورة الأعراف: الآية: (٣٤).

سعيد، ثم ينفخ فيه الروح^(١).

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام:

فكم من صحيح مات من غير علة وكم من عليّ عاش دهرًا إلى دهرٍ
وكم من فتى يمسى ويصبح آمنًا وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدرى

(٩) لا تذهب للكهان والسحرة والعرافين:

واحذر - أخى الحبيب - وأنت فى غمرة البحث عن أى خيط يوصلك إلى الشفاء أن تذهب إلى الكهنة والسحرة والعرافين فلقد حذرنا النبى ﷺ من ذلك فقال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٢). وهذا فيه أن مجرد سؤالهم ولو لم يحصل التصديق لهم محرّم ولا تُقبل صلاة صاحبه أربعين ليلة.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٣).

قال الشيخ ابن باز رحمته الله: «فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدعون المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز أن يصدقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادّعوا علم الغيب»^(٤).

(١) متفق عليه زواه البخارى (٧٤٥٤) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر.

(٢) صحيح زواه مسلم (٢٢٣٠) كتاب السلام.

(٣) صحيح زواه أحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٣٩).

(٤) لمجموع فتاويه (٢٧٤/٣).

(١٠) عليك بالدعاء:

وإذا كان المرض بقدر الله فهو - سبحانه - القادر على أن يأتيك بالشفاء العاجل ولكن عليك بالدعاء فقد قال ﷺ: «الدعاء هو العبادة»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم - عباد الله - بالدعاء»^(٣).

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»^(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»^(٥).

(١) صحيح: رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٢) سورة البقرة: الآية: (١٨٦).

(٣) حسن: رواه الحاكم عن ابن عمر وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٩).

(٤) حسن: رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧).

(٥) الجواب الكافي (ص: ١٧-١٨).

(١١) احرص على الرقية الشرعية:

قال الإمام ابن القيم: «واعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضرّاً وإن كان مؤذياً، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه، فالرُقَى والعُوذُ تُستعمل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض»^(١). اهـ.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

❁ وإليك - أخى الحبيب - طائفة من الآيات والأدعية التى وردت فى السنة عسى الله أن ينفعك بها وأن يجعلها سبباً للشفاء:

١ - قراءة فاتحة الكتاب: لقد ثبت فى الصحيحين أن صحابياً رقى رجلاً كان قد لدغ فشفى بإذن الله.

٢ - قراءة المعوذات (ثلاث مرات): والمعوذات هى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بیده، رجاء برکتها»^(٣).

قال النووى رحمته الله: «إنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من

(١) زاد المعاد (٤/ ١٨٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٨٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠١٦) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢١٩٢) كتاب السلام.

كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس. والله أعلم»^(١).

٣- وفي الصحيحين عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى منّا إنسان مسح يمينه، ثم قال: «أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»^(٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «في هذه الرقية توسل إلى الله بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه، فتضمنت التوسل إليه بتوحيده وإحسانه وربوبيته»^(٣).

٤- الدعاء للمريض بالشفاء (ثلاثاً)، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حينما عاده في مرضه.

٥- وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا محمد، اشتكيت؟» فقال: «نعم» قال: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك»^(٤).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيه جبريل، قال: «بسم الله يُبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين»^(٥).

(١) مسلم بشرح النووي (٤/٤٣٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٧٥) كتاب المرضى، ومسلم (٢١٩١) كتاب السلام.

(٣) زاد المعاد (٤/١٨٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٨٦) كتاب السلام.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢١٨٥) كتاب السلام.

٦- وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: بسم الله» (ثلاثاً).

ثم قل: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»^(١).

وفي رواية: قال عثمان: «فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل أمر به أهلي وغيرهم». وفي رواية: «امسحه بيمينك سبع مرات»^(٢).

٧- وعن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: «إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل: اللهم اشفِ عبدك ينكأ لك عدواً أو يمشى لك إلى صلاة»^(٣). وقوله: «ينكأ»: أى يؤلم ويوجع.

٨- وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده - سبع مرات -: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك، إلا عافاه الله ﷻ من ذلك المرض»^(٤).

وفي رواية: «فإن كان في أجله تأخير عوفي من وجعه ذلك».

٩- وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك»^(٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٠٢) كتاب السلام.

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٤٥٣).

(٣) حسن: رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٦).

(٤) صحيح: رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٨).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.



١٠- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فرغ أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»^(١).

١١- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يُعوذ بالحسن والحسين، ويقول: «إن أباكما كان يُعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»^(٢).

١٢- «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر، من شر ما خلق وذراً وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمان»^(٣).

١٣- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات) فيضره شيء»^(٤). وفي رواية: «لم تصبه فجأة بلاء».

(١٢) احرص على أدعية تفريج الهموم:

ويا من تعانى من الهموم والغموم وتبحث عن أدعية تفريج الهموم والكروب... ها هو الحبيب ﷺ يعلمنا الأدعية التي يجعلها الله سبباً لتفريج كل ذلك.

(١) حسن: رواه الترمذى وأبو داود وحسنه الألبانى في الصحيحة (٢٦٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٣٧١) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٣) صحيح: رواه أحمد وصححه الألبانى في تخريج شرح الطحاوية (ص: ١٩١).

(٤) صحيح: رواه الترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٥٧٤٥).

قال ﷺ: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء»^(١).

وقال ﷺ: «ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً»، قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»^(٢).

وقال ﷺ: «كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم»^(٣). وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»^(٤).

(١) صحيح: رواه الترمذی (٣٣٨٢) كتاب الدعوات، من حديث أبي هريرة، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٥٩٣).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٧٠٤)، من حديث عبد الله بن مسعود، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٣) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٤٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٢٠٤٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٤٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.



وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان إذا كربه أمرٌ قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»^(١).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»^(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»^(٣).

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب - أو في الكرب - : الله، الله ربي لا أشرك به شيئاً»^(٤).

وفي رواية قال ﷺ: «من أصابه همٌّ، أو غم، أو سقم، أو شدة فقال: الله ربي لا شريك له كشف ذلك عنه»^(٥).

(١) صحيح: رواه الترمذی (٣٥٢٤) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانی رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٣١٨٢).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٥٠٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢٧٨٩٨)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه ، وحسنه العلامة الألبانی رحمته الله في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذی (٣٥٠٥) كتاب الدعوات، وأحمد (١٤٦٥)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وصححه العلامة الألبانی رحمته الله في صحيح الجامع (٣٣٨٣).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٥) كتاب الصلاة، من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها ، وصححه العلامة الألبانی رحمته الله في تخريج الكلم الطيب (١٢٢).

(٥) حسن: رواه الطبرانی في الكبير (١٥٤/٢٤)، من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها ، وحسنه العلامة الألبانی رحمته الله في صحيح الجامع (٦٠٤٠).

بل كان النبي يكثر من هذا الدعاء: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال»^(١). وهو دعاء مفيدٌ جدًّا لدفع الهم قبل وقوعه.. والدفع أسهل من رفع الهم.

فإذا استطعت أخى الحبيب أن تحفظ تلك الأدعية التي خرجت من فم الصادق الذي لا ينطق عن الهوى فأبشر والله بكل خير واعلم يقينًا أنك إن قلتها وأنت تحسن الظن بالله فسوف يفرج الله همك وحزنك.

(١٣) عليك بالحجامة وعسل النحل:

روى البخارى أن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشربة محجم، وكية نارٍ، وأنهى أمتي عن الكي»^(٢).

وقال ﷺ: «خير ما تداويتم به الحجامة»^(٣).

وقال ﷺ: «خير يوم تحتجمون فيه سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين وما مررتُ بملاً من الملائكة ليلة أُسرى بى إلا قالوا: عليك بالحجامة يا محمد»^(٤).

وقال ﷺ: «الحجامة على الريق أمثل، وفيها شفاء وبركة، وتزيد في الحفظ وفي العقل، فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء؛ فإنه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء، واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء؛ فإنه اليوم

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٨٠) كتاب الطب.

(٣) صحيح: رواه أحمد والطبرانى وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٣٣٢٣).

(٤) حسن: رواه أحمد والحاكم وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (٣٣٣٢).



الذى ابتلى فيه أيوب، وما يبدو جذام ولا برص إلا في يوم الأربعاء، أو في ليلة الأربعاء^(١).

(١٤) عليك بألبان البقر:

قال ﷺ: «عليكم بألبان البقر فإنها دواء وأسمانها فإنها شفاء وإياكم ولحومها فإن لحومها داء»^(٢).

(١٥) وصفة مباركة للشفاء:

ففي الحديث المتفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بأصبغه هكذا - ووضع سفيان بن عيينة الراوى سبّابته بالأرض، ثم رفعها - وقال: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا»^(٣).

قال جمهور العلماء: المراد بأرضنا هنا جملة الأرض، وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها.. والريقة أقل من الريق.. ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح.

(١٦) نصيحة غالية للوقاية من أي بلاء:

قال ﷺ: «من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يُصبه ذلك البلاء»^(٤).

(١) حسن: رواه ابن ماجه والحاكم وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (٣١٦٩).

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم والحاكم وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٤٠٦٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٤٥) كتاب الطب، ومسلم (٢١٩٤) كتاب السلام.

(٤) حسن: رواه الترمذى عن أبى هريرة وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (٦٢٤٨).

(١٧) هذا الطعام لعلاج الهموم:

روى البخارى رَحِمَهُ اللهُ عَنْ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن التلبينة تجم فؤاد المريض وتذهب ببعض الحزن»^(١).

والتلبينة: هى حساء يُعمل من دقيق، أو نخالة ويُجعل فيه عسل، وُسِّمَت تلبينة لشبهها باللبن، وهى تُطبخ من الشعير مطحونًا. ومعنى مجمة: أى تريح وتنشط وتزيل الهم.

(١٨) عليكم بالحبّة السوداء:

قال ﷺ: «عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام وهو الموت»^(٢).

(١٩) قيام الليل مطردة للداء عن الجسد:

واحرص أخى الحبيب على قيام الليل - ولو كنت جالسًا - فإن قيام الليل من أسباب الشفاء - بإذن الله -.

قال ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهأة عن الإثم وتكفير للسيئات»^(٣).

(٢٠) عليك بمراعاة تلك الأشياء مع الأهل والأحباب:

أخى المريض، تذكر أن أهلك وإخوانك وأحبابك متأثرون لما أنت فيه، قد أحسوا بمصابك، وشعروا بألمك، وتوجعوا لوجعك، فحق عليك

(١) صحيح: رواه البخارى (٥٦٨٩) كتاب الطب.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٨٣).

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٧٩).



أن تراعى أمورًا معينة في التعامل معهم:

أولها: لا تُحمل من حولك ما لا يطيقون بتكليفهم بالقيام بأمور يشق عليهم القيام بها أو مطالبتهم بمطالب يعجزون عن تحقيقها أو يرهقهم توفيرها، وإن كانوا يعطفون عليك ويرحمونك ويتحملون منك، لكن لا ينبغي أن تجعل ذلك مبررًا للإثقال عليهم.

ثانيها: أظهر لأهلك ومُحببك أنك بخير، وأن صحتك في تحسّن مستمر، وأن نفسك عالية، لتطمئنهم وتطرد عنهم القلق والحزن الذي أحاط بهم إشفاقًا عليك.

ثالثها: إذا حصل من أحد من أحبابك وإخوانك وأقاربك تقصير في زيارتك أو السؤال عنك، فالتمس له العذر، ولا تحمل عليه في صدرك، والتمس له المعاذير، فقد يقصر في ذلك لأمر:

أحدها: عدم العلم بحالك، فقد لا يعلم بما أصابك من المرض.

الثاني: النسيان، وكل أحد عرضة له.

الثالث: الاشتغال بأمور ملزمة لا انفكاك لها عنها.

وثمت أعذار أخرى إذا التمسها وجدتها^(١).

(٢١) لا تحزن على ما فاتك من الدنيا:

ولا تعتقد أيها الأخ الحبيب أن مرضك كان سببًا في فوات حظ من حظوظ الدنيا فإنك لن تنال إلا رزقك الذي قدره الله لك... ولا يخفى عليك أن الدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

(١) تحفة المريض / عبد الله الجعيثن (ص: ١٢٧، ١٢٨).

قال ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فليُنظر بِمَ يرجع»^(١).

✽ ولن يفوتك رزقك أبدًا فقد قال ﷺ: «إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله»^(٢).

(٢٢) أحسن الظن بالله (جل وعلا):

أخى الحبيب: إذا طال بك المرض واستمرت بك الآلام فإياك أن تسيء الظن بربك، وتعتقد أن الله ﷻ أراد بك سوءًا، وأنه لا يريد معافاتك، وأنه ظالم لك، فإن ذلك جُرمٌ عظيم وخطر جسيم. فالله ﷻ مُنزه عن الظلم، وهو الحكم العدل، بل هو الرحيم المتفضل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٤).

وفي الحديث القدسي يقول الله ﷻ: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»^(٥).

فما أصابك وما قدره الله عليك هو عين العدل، كما في الدعاء الوارد عن النبي ﷺ: «ماضٍ في حُكْمِكَ عدلٌ في قضاؤِكَ»^(٦).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٢) حسن: رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٣٠).

(٣) سورة يونس: الآية: (٤٤).

(٤) سورة النساء: الآية: (٤٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

وقال (جل وعلا): «أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله»^(١).

وقد أمر النبي ﷺ بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، حيث قال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ»^(٢) (٣).

يا صاحب الهم إن الهم منفرجٌ	أبشر بخيرٍ فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه	لا تيأسنَّ فإن الكافي الله
إذا بليت فتق بالله وارض به	فإن الذي يكشف البلى هو الله
الله يحدث بعد العسر ميسرةً	لا تجزعن فإن الصانع الله
والله مالك غير الله من أحدٍ	فحسبك الله في كلِّ لك الله

(٢٣) لا تشك من يرحمك إلى من لا يرحمك:

واحذر - أخى الحبيب - أن تشكو ربك ﷻ لأى مخلوق فإنك إن فعلت ذلك فكأنك تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك.

- واحرص على هذا الثواب العظيم الذى أخبر عنه الحق (جل وعلا).

قال ﷺ: «قال تعالى: إذا ابتليتُ عبدًا من عبادى مؤمنًا فحمدنى وصبر على ما بليتته؛ فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الربُّ ﷻ للحفظة: إني أنا قيدت عبدي هذا وابتليته، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبل ذلك من الأجر، وهو صحيح»^(٤).

(١) صحيح: رواه أحمد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣١٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٣) تحفة المريض (ص: ١٠٥).

(٤) حسن: رواه أحمد وأبو يعلى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٠٠).

وقال ﷺ: «قال الله تعالى: إذا ابتليت عبدي المؤمن، فلم يشكني إلى عواده أطلقته من إيساري، ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ثم يستأنف العمل»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «والشكوى إلى الله ﷻ لا تنافي الصبر، فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل - والنبي إذا وعد لا يخلف - ثم قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾^(٢)، وكذلك أيوب عليه السلام أخبر الله عنه أنه وجدته صابراً مع قوله: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾^(٣)، وإنما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقة وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك!! ثم أنشد:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم، فإنه بك أرحم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم^(٤)

وأما إخبار المريض بمرضه لا على سبيل الشكوى، وإنما إجابة لسؤال من سأل عن حاله، أو إخبار الطبيب، أو من يرجو أن يدلّه على الدواء، فهذا جائز ولا ينافي الصبر، فإن النبي ﷺ قال لابن مسعود رضي الله عنه: «إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»^(٥). ولما قالت عائشة رضي الله عنها: «وأسأه!! قال: «بل أنا، وأأسأه»^(٦).

(١) صحيح: رواه الحاكم والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٠١).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٨٦).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (٨٣).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ١٦١).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤٨) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٦) صحيح: رواه البخاري (٥٦٦٦) كتاب المرضى.



وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال ضرره لم يقدح ذلك في الصبر، وإخبار المريض للطبيب بشكايته، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله، وإخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه، وقد كان النبي ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حاله، ويقول: «كيف تجدك»، وهذا استخبار منه واستعلام بحاله»^(١). اهـ.

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ: «ويخبر بما يجده بلا شكوى». وكان أحمد رَحِمَهُ اللهُ يحمد الله أولاً؛ لخبر ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاكٍ»^(٢).

وقد التزم سلفنا الصالح - رحمهم الله تعالى - هذا الأدب، فكانوا يكتمون ما أصابهم، ولا يشكون مولا هم إلى خلقه.

ولما نزل في إحدى عيني عطاء رَحِمَهُ اللهُ الماء، مكث عشرين سنة لا يعلم به أهله، حتى جاء ابنه يوماً من قبل عينه التي أُصيب فيها، فلم يشعر به، فعلم أن أباه قد أُصيب^(٣).

وأما الأنين، فقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «التحقيق أن الأنين على قسمين: أنين شكوى، فيُكره. وأنين استراحة وتفريج، فلا يُكره، والله أعلم»^(٤).
(٢٤) أَحِبَّ لِقَاءَ اللَّهِ ﷻ:

عليك أن تحب لقاء الله حتى يحب الله لقاءك... فقد قال ﷺ: «من

(١) عدة الصابرين (ص: ٣١٤).

(٢) الفروع (١٧٦/٢).

(٣) تسلية أهل المصائب (ص: ٢١٥).

(٤) عدة الصابرين (ص: ٣١٥).

أحب لقاء الله أحب لقاء الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت.

قال: «ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّرَ برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، وأحب لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره لقاءه»^(١).

(٢٥) عليك بالتوبة والاستغفار:

اعلم علم اليقين أن هذا المرض قد يكون بسبب ذنوبك التي ارتكبتها فعليك أن تتوب إلى الله ﷻ وأن تكثر من الاستغفار عسى الله أن يغفر لك ويعفو عنك والزم سيد الاستغفار.... عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، قال: «من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»^(٢).

(٢٦) بادر بكتابة وصيتك:

أخي الحبيب: إذا كان عليك حقوق للناس، أو لك حقوق عندهم، أو ترغب في الوصية بشيء من مالك، فبادر بكتابة الوصية، فإن السنة المبادرة بها. وكتابتك لها لا تدني من أجلك، وعدم كتابتك لها لا تباعدك منه.

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٧) كتاب الرقاق.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٣٠٦) كتاب الدعوات.



والمرء لا يدرى متى يفجؤه الموت.

قال عليه السلام: «ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»^(١).

قال ابن عمر: «ما مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك، إلا وعندي وصيتي».

ويستحب عدم تأخير الوصية إلى حضور أمارات الموت.

لقوله ﷺ لما سُئِلَ: أى الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان»^(٢).

ولا توص بأكثر من الثلث،... لحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حيث سأل رسول الله ﷺ عن الوصية بماله كله؟ فقال: «لا» وبالثنتين؟ فقال: «لا» وبالنصف فقال: «لا» ثم قال ﷺ: «الثلث، والثلث كثير»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لو أن الناس غَضُّوا من الثلث إلى الربع، فإن رسول الله ﷺ قال: «الثلث، والثلث كثير»^(٤).

ومعنى «غَضُّوا»: نقصوا وخطَّوا.

(٢٧) تحلل من المظالم:

واحرص كل الحرص على أن تتحلل من مظالم العباد بأن ترد إليهم

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٢٧) كتاب الوصية.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٣٢) كتاب الزكاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٤٢) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٢٨) كتاب الوصية.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٦٢٩) كتاب الوصية.

حقوقهم وأن تتحلل من كل صاحب مظلمة.

قال ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه»^(١).

(٢٨) اغتنم لحظات العمر في طاعة الله:

ومن المعلوم أن المريض يكون عنده متسع من الوقت... فعليك - أخي الحبيب - أن تغتنم تلك الأوقات في قراءة القرآن والصلاة والذكر والدعاء والاستغفار والاستماع إلى الأشرطة النافعة وقراءة الكتب المفيدة.. واحرص كل الحرص على الدعوة إلى الله وذلك بأن تجتهد في دعوة المرضى من حولك بل ودعوة الأطباء وكل من يأتي لزيارتك فلقد قال ﷺ: «ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النعم»^(٢) فعسى الله أن يجعلك سبباً في هداية إنسان فيكون في ميزان حسناتك يوم القيامة.

(٢٩) وماذا بعد الشفاء:

إذا مَنَّ الله عليك بالعافية فاحمده واشكره على هذه المنة العظيمة، واعلم أن الله هو الشافي على الحقيقة، فهو الذي قدَّر لك الشفاء ويسَّر أسبابه، وهو خالق السبب والمسبب.

واعلم أن الصحة من أجلِّ النعم وأعظمها.

فقد قال ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٣).

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٤٢) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٢) كتاب الرقاق.



ونظرًا لكون الصحة من أجل النعم كانت أول ما يُسأل عنه العبد من النعيم يوم القيامة،... فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يُسأل عنه يوم القيامة - يعنى: العبد - من النعيم أن يقال له: ألم نُصَحِّ لك جسمك، ونُروك من الماء البارد؟!»^(١).

وقد أرشد النبي ﷺ إلى اغتنام وقت الصحة بالطاعة وما يقرب إلى الله سبحانه... فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل، وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(٢)^(٣).

وقال ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ»^(٤).

❁ وقوله: «إلا كان الذى أعطى» يعنى: الذى أدى العبد وفعل من الحمد والشكر، «أفضل مما أخذ» يعنى: من النعمة.

قال محمود الوراق رحمته الله:

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة	علىَّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله	وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مسَّ بالسراء عم سرورها	وإن مسَّ بالضراء أعقبها الأجر
ومما منهما إلا له فيه منّة	تضيق بها الأوهام والبر والبحر ^(٥)

(١) صحيح: رواه الترمذى والحاكم، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٥٣٩).

(٢) صحيح: رواه الحاكم والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٣) تحفة المريض (ص: ١٢٩).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه عن أنس وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٣٠٦٧).

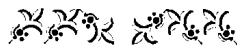
(٥) الشكر لابن أبى الدنيا (ص: ١٠٤).

(٣٠) سَلَّ اللهُ الْجَنَّةَ:

وأخيراً: لا تنسَ أيها الأخ الحبيب أنك طالب جنة فلا يفتر لسانك لحظة واحدة عن طلب الجنة من خالقها (جل وعلا)... فلقد قال ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»^(١).

بل احرص على أن تسأل الله (ﷻ) أن يرزقك الشهادة لترتقى في أعلى درجات الجنة... فأخلص نيتك لله وسوف يكرمك الحق (جل وعلا) ويرزقك الشهادة لو سألتَه بصدق من قلبك... فلقد قال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»^(٢).

✽ ومن أجل أن تعلو همتك للشهادة فلقد أخبرنا النبي ﷺ بمكانة الشهيد عند الله فقال ﷺ: «لشَهِيدٍ عِنْدَ اللَّهِ سَبْعُ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُشْفَعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»^(٣).



(١) صحيح: رواه الترمذی والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٧٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩٠٩) كتاب الإمارة.

(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذی وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٢).



الدعاء من أعظم أسباب تفريج الهموم

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٣).

وقال النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^{(٤) (٥)}.

وقال رسول الله ﷺ: «ليس شيء أكرم على الله سبحانه من الدعاء»^(٦).

وقال ﷺ: «من لم يدع الله يغضب عليه»، وفي رواية: «من لم يسأل الله يغضب عليه»^(٧).

وقال ﷺ: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»^(٨).

(١) سورة البقرة: الآية: (١٨٦).

(٢) سورة النمل: الآية: (٦٢).

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٢).

(٤) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٥) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٦) حسن: رواه الترمذي، وابن ماجه، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٣٩٢).

(٧) صحيح: رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٥٤).

(٨) صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٧١ / ٥)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع

وقال ﷺ: «إن ربكم حيٌّ كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردّهما صَفْرًا خائبين»^(١).

✽ وللدعاء فضائل عظيمة، وثمرات جليلة وأسرار بديعة منها:

١- أن الدعاء: طاعة لله وامتنال لأمره.

٢- الدعاء سلامة من الكبر؛... لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٢).

٣- الدعاء عبادة: للآية السابقة ولقوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»^(٣).

٤- الدعاء أكرم شيء على الله؛ لقوله ﷺ: «ليس شيء أكرم على الله - ﷻ - من الدعاء»^(٤).

٥- الدعاء محبوب لله ﷻ، لقوله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(٥).

٦- الدعاء سبب لانسراح الصدر: ففيه تفريج الهم، وزوال الغم وتيسير الأمور... ولقد أحسن من قال:

وإنى لأدعُو الله والأمر ضيق
على فما ينفك أن يتفرّجاً

(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٧).

(٢) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٤) حسن: رواه الترمذي، وابن ماجه، وحسنه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٥٣٩٢).

(٥) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٢٦٥٤).

وَرُبَّ فِتْنَى ضَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ أَصَابَ لَهُ فِي دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجًا

٧- الدعاء سبب لدفع غضب الله: فمن لم يسأل الله يغضب عليه.

كما في الحديث السابق... ولقد أحسن من قال:

لَا تَسْأَلَنَّ بَنَى آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَه وَبُنَى آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

٨- الدعاء دليل على التوكل على الله.

٩- الدعاء وسيلة لكبر النفس وعلو الهمة.

١٠- الدعاء سلامة من العجز ودليل على الكياسة؛.. لقول النبي

ﷺ: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء»^(١).

١١- ثمرة الدعاء مضمونة- بإذن الله-؛ لقول النبي ﷺ: «ما من مسلم

يدعو بدعاء - ليس بإثم ولا بقطيعة رحم - إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها»^(٢).

١٢- الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله؛... لقوله ﷺ: «... ولا يرد

القدر إلا الدعاء»^(٣).

١٣- الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله؛.. لقوله ﷺ: «الدعاء ينفع مما

(١) صحيح: رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٤٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٧١٤).

(٣) حسن: رواه الحاكم، وابن حبان، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (١٦٣٨).

نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء»^(١).

١٤- الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذائذها.

١٥- حصول المودة بين المسلمين: فإذا دعا المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب استجيبت دعوته، وهذا دليل التقوى والصدق والترابط بين المسلمين.

١٦- الدعاء من صفات عباد الله المتقين.

١٧- الدعاء سبب للثبات، والنصر على الأعداء.

١٨- الدعاء مَفْزَعُ المظلومين، وملجأ المستضعفين.

١٩- الدعاء دليل على الإيمان بالله، والاعتراف له بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) حسن: رواه الحاكم في المستدرک وحسنه العلامة الألبانی فی صحیح الجامع (٣٤٠٩).

(٢) الدعاء لمحمد بن إبراهيم الحمد ص (١٦-٢٥) باختصار.



ومن فوائد الدعاء وبركته

❁ الدعاء خير كله في الدنيا والآخرة:

قال ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعَجَّلَ له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»، قالوا: إذاً نكثر؟ قال: «الله أكثر»^(١).

فمن رحمة الله تعالى بعبده وهو الرحيم أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا، فإذا لم يؤته إياها عوّضه خيراً منها:

❁ فإما أن يصرف عنه بذلك مصيبة.

❁ أو يدخرها له في الآخرة.

❁ أو يصرف عنه من السوء مثل ما طلب من الخير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه الترمذی، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (٥٦٣٧)، (٥٧١٤).

المدائمة على الدعاء من أسباب إغاثتك في الكربات

قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب؛ فليكثر الدعاء في الرّخاء»^(١).

✽ الدعاء سبب لمغفرة الذنوب:

قال أنس بن مالك رضى الله عنه سمعت النّبي ﷺ يقول: «قال الله ﷻ يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(٢).

✽ الدعاء سبب لمعية الله:

قال رسول الله ﷺ: «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني»^(٣).

وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: أفضل العبادة الدعاء.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أنا لا أحمل همّ الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه.

✽ الدعاء سلاح:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وكذلك الدعاء؛ فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب.

(١) حسن: رواه الترمذى والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٩٠).

(٢) حسن: رواه الترمذى والضياء وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٣٣٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء.



وقال الفضيل رَحِمَهُ اللهُ: الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض.

- ✽ فيا أيها المظلوم عليك بالدعاء؛ لينصرك الله (جل وعلا).
- ✽ ويا أيها المحزون عليك بالدعاء؛ ليذهب حزنك.
- ✽ ويا أيها المريض عليك بالدعاء؛ ليذهب مرضك.
- ✽ ويا أيها المهموم عليك بالدعاء؛ ليذهب همك.
- ✽ ويا أيها الفقير عليك بالدعاء؛ ليذهب فقرك.
- ✽ ويا أيها المذنب عليك بالدعاء؛ ليغفر الله ذنبك.
- ✽ ويا من تريد السعادة عليك بالدعاء؛ لیسعدك الله (جل وعلا).
- ✽ ويا من تريد الجنة عليك بالدعاء؛ ليجمعنا الله في الجنة.

وللدعاء مع البلاء ثلاث مقامات

لا تفتر أبداً عن الدعاء فالدعاء من أنفع الأدوية.
وهو عدو البلاء، يُدفعه ويُعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل. وهو سلاح المؤمن.

✽ وله مع البلاء ثلاث مقامات:

- أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.
 - الثاني: أن يكون أضعف من البلاء؛ فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.
 - الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.
- قال رسول الله ﷺ: «لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم

ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقيه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة»^(١) (٢).

فالدعاء من أفضل وسائل مقاومة البلاء قبل أن ينزل، وهو من أفضل وسائل رفع البلاء إن نزل.

أوقات استجابة الدعاء^(٣)

اعلم - رحمننا الله وإيّاك - أن لقبول الدعاء مواضع عديدة ينبغي الاعتناء بها؛ ليعرف المكلف أماكنها فيتعرض لها؛... لقوله ﷺ: «افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات الله؛ فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده»^(٤).

ولا بدّ أن تكون على يقينٍ من أن أبواب السماء مفتوحة آناء الليل وأطراف النهار، وأن العبد متى سأل ربه بأدبٍ وإخلاصٍ وتضرّعٍ ويقينٍ؛ استجاب الله ﷻ له؛ ولكن هناك أوقات يُرجى أن تكون استجابة الدعاء فيها أقوى وأسرع.

والدُّعاء له أركانٌ، وأجنحةٌ، وأسبابٌ، وأوقاتٌ، فإن صادف أركانه قوًى، وإن صادف أجنحته طار في السماء، وإن صادف أسبابه نجح، وإن صادف أوقاته فاز؛... فمن أركانه الاضطرار، وأجنحته قوة الصدق مع

(١) حسن: رواه الحاكم (١/٦٦٩) وقال: صحيح الإسناد، وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٧٧٣٩).

(٢) الداء والدواء / للإمام ابن القيم (ص: ١٤).

(٣) بتصريف من كتاب (أبواب السماء) للشيخ محمد حسين يعقوب.

(٤) حسن: أخرجه الحاكم (٢/٢٩٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٢)، وأبو نعيم (٣/١٦٢)، وابن عساكر (٢٤/١٢٣)، وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي الصَّحِيحَةِ (١٨٩٠).

المولى ﷺ فيما يرجوه ويؤمله منه ويخافه، وأسبابه الصَّلَاة على النبي ﷺ، وأما أوقاته فمن أهمّها وأحراها للإجابة:

١- **جوف الليل الآخر:** عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله هل من ساعة أقرب من الأخرى؟ أو هل من ساعة يبتغى ذكرها؟ قال: «نعم، إن أقرب ما يكون الرب ﷻ من العبد جوف الليل الآخر؛ فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله ﷻ في تلك الساعة فكن»^(١).

٢- **الثلاث الأخير من الليل حتى يطلع الفجر:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيته؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»^(٢).

٣- **وقت السحر:** وهو جزء من أجزاء ثلث الليل الآخر، وقد تقدم ما يدل على قبول الدعاء فيه.

٤- **ساعة كل ليلة:** عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الليل ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إيّاه»^(٣).

٥- **إذا انتصف الليل:** قال النبي ﷺ: «تُفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مُنادٍ: هل من داعٍ فيُستجاب له؟ هل من سائلٍ فيُعطى؟ هل من مكروب

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذي، والحاكم (١/٤٥٣) وقال: صحيح على شرط مسلم. وابن خزيمة، والبيهقي، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (١٦٤٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٥٧) كتاب صلاة المسافرين.

فَيُفَرِّجْ عَنْهُ؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله له؛ إلا زانيةً تسعى بفرجها أو عشار»^(١).

٦- بعد الوضوء إذا دعا بالمأثور في ذلك: قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيُسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»^(٢).

٧- عند الأذان؛ حيث النداء للصلاة المكتوبة: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا، فقال رسول الله ﷺ: «قل كما يقولون فإذا انتهيت فسل تُعْطَه»^(٣).

وقال النبي ﷺ: «ثنتان لا تُردَّان أو قلَّما تُردَّان: الدُّعاء عند النداء، وعند البأس حين يُلجِم بعضهم بعضاً»^(٤).

٨- بين الأذان والإقامة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة»، قالوا: إذا نُكثِر يا رسول الله! قال: «الله أكثر»^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «الدُّعاء بين الأذان والإقامة مُستجابٌ؛ فادعوا»^(٦).

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الأوسط، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٢٩٧١).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في الصحيحة (١٨٩٠).

(٤) صحيح: رواه أبو داود والحاكم، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٣٠٧٩).

(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذي وأبو داود، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٣٤٠٨).

(٦) صحيح: أخرجه أبو يعلى (٦/٣٥٤)، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٣٤٠٥).



٩- عند إقامة الصلاة: قال النبي ﷺ: «اطْلُبُوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة ونزول الغيث»^(١).

١٠- في السجود: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ»^(٢).

والدعاء في السجود مظنة الإجابة؛ لأن السجود غاية الذل والخضوع من العبد، وهو أيضًا غاية القرب: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٣)، فكان حريًا أن يُستجاب للعبد في هذه الحال، قال رسول الله ﷺ: «أما الرُّكُوعُ فَعِظْمُوهَا فِيهِ الرَّبُّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(٤).

١١- دُبُرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ: عن أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جَوْفُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ»^(٥).

١٢- عند نزول الغيث (المطر)، وعند زحف الصفوف في سبيل الله:

قال النبي ﷺ: «اطْلُبُوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول الغيث»^(٦).

(١) صحيح: أخرجه الشافعي في الأم (٢٥٣/١)، والبيهقي في المعرفة (١٨٦/٥)، رقم (٧٢٣٦)، وصححه العلامة الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح الجامع (١٠٢٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٨٢) كتاب الصلاة.

(٣) سورة العلق: الآية: (١٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٤٧٩) كتاب الصلاة.

(٥) حسن: أخرجه الترمذي، وصححه العلامة الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح سنن الترمذي (٢٧٨٢).

(٦) صحيح: أخرجه الشافعي في الأم (٢٥٣/١)، والبيهقي في المعرفة (١٨٦/٥)، رقم (٧٢٣٦)، وصححه العلامة الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح الجامع (١٠٢٦).

١٣- **ساعة الإجابة من يوم الجمعة:** وأرجح الأقوال فيها أنها آخر ساعة من ساعات العصر يوم الجمعة... قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يصادفها عبدٌ مسلم وهو يصلي يسأل الله حاجة إلا أعطاه إياه»^(١).

١٤- **وقيل: هي عند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تُقضى الصلاة:** فعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال لي عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: «سمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة؟ قال: قلت: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقضى الصلاة»^(٢).

١٥- **عند تلاوة القرآن:** ولا سيَّما الختم... فعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه مرَّ على قاصٍّ يقرأ ثم سأل، فاسترجع ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيُجىء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس»^(٣). وعن مجاهد رحمته الله قال: إذا ختم القرآن نزلت الرحمة.

١٦- **عند قول الإمام: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾**^(٤) قال رسول الله ﷺ: «إذا أمَّن الإمام فأمَّنوا؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»^(٥).

(١) صحيح: أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٣٣٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٥٣) كتاب الجمعة.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي، وصححه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (٦٤٦٧).

(٤) سورة الفاتحة: الآية: (٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٧٨٠) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٠) كتاب الصلاة.



١٧- عند شرب ماء زمزم مع النية الصادقة:

قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شُرب له»^(١).

١٨- عند صياح الديكة: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم صياح الديكة

فاسألوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكاً»^(٢).

السرُّ فيه رجاء تأمين الملائكة على دُعائه واستغفارهم له وشهادتهم له بالإخلاص، ويؤخذ منه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين تيمناً بحضورهم وتأمينهم على الدعاء.

١٩- عند الاستيقاظ من النوم ليلاً والدعاء بالماثور في ذلك:

قال النبي ﷺ: «من تعارَّ -أي: استيقظ- من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له فإن توضأ وصى قبلت صلاته»^(٣).

وفيمن نام على طهارة ثم استيقظ من الليل ودعا: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فيتعارَّ من الليل فيسأل الله خيراً من الدنيا والآخرة؛ إلا أعطاه إياه»^(٤).

٢٠- عند الدعاء بـ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾»

(١) صحيح: أخرجه أحمد، وابن ماجه، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٠٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٧٢٩) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١١٥٤) كتاب الجمعة.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد وأبو داود، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٥٤).

أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾؛ فإنه لم يدعُ بها مسلمٌ ربه في شيء قطَّ إلا استجاب له»^(٢).

٢١- **عند تغميض الميت:** عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، فضج ناس من أهله؛ فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»، ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه»^(٣).

٢٢- **الدعاء حين المرض:** فالقلب منكسر، والذنب منغفر، والكسر منجبر، والله رحمن، قال الحبيب ﷺ: «إذا قال العبدُ: لا إله إلا الله والله أكبر، قال الله: صدق عبدي: لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، فإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي، فإذا قال: لا إله إلا الله، لا شريك له، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا شريك لي، فإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد، فإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى،.. من رُزقهن. عند موته لم تمسه النار»^(٤).

فكأن تسبيحك وتحميدك وتهليلك أثناء مرضك تضرعٌ منك لربك، فيثيبك عليها بجائزتين: الأولى: تصديقه لك، والثانية: أن يجيرك من النار

(١) سورة الأنبياء: الآية: (٨٧).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد والترمذي، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩٢٠) كتاب الجمعة.

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي، والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٧).

إذا متَّ في هذا المرض.

٢٣- دعاء الناس عند المريض وعقب وفاة الميت: قال النبي ﷺ: «إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا حضر المؤمن أخته ملائكة الرحمة»^(٢)؛ فترجو الله أن يكون الدعاء عند حضور هؤلاء الملائكة مقبولاً إن شاء الله تعالى.

٢٤- الدعاء بعد الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يُمجِّد الله ﷻ ولم يُصلِّ على النبي ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «عَجَلْ هذا»، ثم دعاه فقال له أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه جل وعز والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء»^(٣).

٢٥- عند دعاء الله باسمه العظيم الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب؛ وإذا سُئِلَ به أعطى: ومن روايات الاسم الأعظم التي ستأتي معنا بإذن الله: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالساً في الحلقة ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد فتشهد ثم قال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك، فقال النبي ﷺ: «أتدرون بما دعا الله؟» قال: فقالوا: الله ورسوله أعلم؛ قال ﷺ: «والذي نفسى بيده، لقد دعا الله

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١٩) كتاب الجمعة.

(٢) صحيح: أخرجه النسائي والحاكم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٩٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٤٨).

باسمه الأعظم الذى إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى»^(١).

٢٦- عند دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب: قال رسول الله ﷺ: «دعوة

المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملكٌ موَكَّلٌ، كلما دعا لأخيه بخير؛ قال الملك الموَكَّلُ به: آمين، ولك بمثل»^(٢).

٢٧- دعاء يوم عرفة فى عرفة: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم أكثر من أن

يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟»^(٣).

٢٨- دعاء يوم عرفة فى غير عرفة: قال النبى ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم

عرفة، وخير ما قلت أنا والنبىُّون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير»^(٤).

٢٩- فى كل يوم وليلة من شهر رمضان المبارك: قال رسول الله ﷺ: «إن لله

عتقاء فى كل يوم وليلة، لكل عبد منهم دعوة مستجابة»^(٥).

٣٠- فى ليلة القدر: قال النبى ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا؛

غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه»^(٦). والقيام صلاة، والصلاة ذكرٌ ودعاء، وأفضل الدعاء ليلتئذ: «اللهم إنك عَفُوفٌ تُحِبُّ العَفْوَ فاعفُ عني»^(٧).

(١) صحيح: رواه أحمد وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (١١/٣٤١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٣) كتاب الذكر والدعاء.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٣٤٨) كتاب الحج.

(٤) حسن: رواه الترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٧٤).

(٥) صحيح: رواه أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٦٠) كتاب صلاة المسافرين.

(٧) صحيح: أخرجه الترمذى وابن ماجه، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٢٣).



كما علمه النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها.

٣١- عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر: قال النبي ﷺ: «إن الله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلمُّوا إلى حاجتكم، فيُحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يُسبحونك، ويُكبرونك، ويحمدونك، ويُمجدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله يا رب! ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسييحاً. فيقول: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب! ما رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبةً. قال: فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله ما رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة. فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»^(١).

٣٢- عند الدعاء في المصيبة بـ «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها»: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم تصيبه مصيبةٌ فيقول ما أمره الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها؛ إلا أخلف الله له خيراً منها»^(٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٩) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩١٨) كتاب الجنائز.

وسبحان الله! كم من مريض، وكم من مكروب، وكم من إنسانٍ فَقَدَ غاليًا، أو ضاع منه شيء عزيز عليه، ودعا بهذا الدعاء؛ فاستجاب الله ﷻ له... فشرطُ تحقق هذا الوعد اليقين به.

٣٣- الدعاء عند إقبال القلب على الله وتحقيق الإخلاص في الدعاء: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيبُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ»^(١).

مستجابو الدعاء

❁ الذين يستجيبُ الله دُعَاءَهُمْ:

١- دعاءُ المظلوم مطلقاً - ولو كان فاجرًا أو كافرًا إذا دعا على من ظلمه: والأحاديث الواردة في التحذير من دعوة المظلوم تُرهبُ الفؤاد، وتمنع من كان له قلبٌ من الظلم:

قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»^(٢).

وقال ﷺ: «اتَّقُوا دعوةَ المظلوم وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجاب»^(٣).

وقال ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابةٌ وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه»^(٤).

(١) صحيح: رواه الترمذی، والحاكم، وصححه العلامة الألبانی رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٢٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٩٦) كتاب الزكاة، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان.

(٣) حسن: أخرجه أحمد وأبو يعلى، وحسنه العلامة الألبانی في صحيح الجامع (١١٩).

(٤) حسن: رواه الطيالسي، وحسنه العلامة الألبانی في صحيح الجامع (٣٣٨٢).



٢- دعاء الوالد لولده: قال النبي ﷺ: «ثلاثُ دعواتٍ يُستجابُ لهنَّ لا شكَّ فيهنَّ: دعوةُ الوالدِ لولده، ودعوةُ المسافرِ ودعوةُ المظلوم»^(١).

ومن عجيب ما ورد في فضل دعاء الوالدين ما جاء في «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: أن الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ صاحب الصحيح ذهب عيناه في صغره، فأكثرَت أمه الدعاءَ له والبكاء؛ لأنها كانت تتمنى أن يكون من علماء الحديث، فردَّ اللهُ عليه بصره.

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر سنده: ذهبَت عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه، قد ردَّ اللهُ على ابنك بصره بكثرة بكائك أو كثرة دعائك، فأصبحنا وقد ردَّ اللهُ عليه بصره.

٣- دعاء الوالد على ولده: قال النبي ﷺ: «ثلاث دعواتٍ مُستجاباتٍ لا شكَّ فيهنَّ: دعوةُ المظلوم، ودعوةُ المسافر، ودعوةُ الوالد على ولده»^(٢). وفي رواية: «ودعوةُ الوالدين على ولدهما».

٤- دعاء المسافر: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شكَّ فيهنَّ: دعوةُ المظلوم، ودعوةُ المسافر، ودعوةُ الوالد على ولده».

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «ومتى طال السفر؛ كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان وتحمل المشاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء».

(١) حسن: رواه ابن ماجه، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٣).

(٢) حسن: رواه أحمد وأبو داود، والترمذي، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع

ويتقيد دعاء المسافر بتقواه لله تعالى وبُعدّه عن الحرام؛ لحديث رسول الله ﷺ الذي ذكر: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُدّي بالحرام فأني يُستجاب لذلك»^(١). فلم يكن سفره سبباً لاستجابة دعائه عند إصراره على الحرام في كل أموره.

٥- **دعاء الأشعث الأغبر المستكين:** قال النبي ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره»^(٢).

٦- **دعاء الصائم حتى يفطر:** قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم ودعوة المظلوم ودعوة المسافر»^(٣).

٧- **دعاء الصائم عند فطره:** قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حين يُفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم»^(٤).

وتأمل الفرق بين هذا الحديث والذي قبله؛ ففي الحديث السابق دعاء الصائم مستجاب طيلة مدة الصيام، أما الحديث الذي معنا فهو دعوة مستجابة عند الإفطار، ولا يتقيد ذلك بصيام الفريضة أو التطوع؛ فالحمد لله على واسع كرمه.

٨- **دعاء الإمام العادل:** قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم» وذكر منهم: «الإمام العادل».

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٥٧٣).

(٣) صحيح: رواه البيهقي في الشعب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٠).

(٤) رواه ابن حبان وحسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار.



٩- دعاء المضطر: قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾^(١).

وقال سعيد بن عيسى: بينما رجل جالس في الكعبة وهو يعبث بالحصى ويقذفها؛ إذ رجعت حصاة منها فصارت في أذنه، فعالجوه بكل الحيل فلم يقدروا على إخراجها، فبينما هو ذات يوم جالسًا إذ سمع قارئًا يقرأ هذه الآية: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ فوثب الرجل فقال: يا رب، أنت المجيب وأنا المضطر؛ اكشف ضررًا أنا فيه، فنَدِرَتِ الحصاة من أذنه.

١٠- دعاء الولد البار لوالديه: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان؛ انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

١١- دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب: قال النبي ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير؛ قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»^(٣).

والدعاء بظهر الغيب من أعظم القربات إلى الله تعالى؛ فإذا كانت عندك مسألة تشغلك؛ فادعُ لكل المسلمين بهذه المسألة؛ تُقضى بإذن الله.

١٢- الذاكِرُ اللهُ كثيرًا قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يُردُّ دعائهم: الذَّاكِرُ اللهُ كثيرًا، ودعوة المظلوم، والإمامُ المُقسطُ»^(٤).

(١) سورة النمل: الآية: (٦٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٣) كتاب الذكر والدعاء.

(٤) حسن: رواه البيهقي، في شعب الإيمان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٤).

أدعية لتفريج الهم والكرب

ويا من تعاني من الهموم والغموم وتبحث عن أدعية تفريج الهموم والكروب... ها هو الحبيب ﷺ يعلمنا الأدعية التي يجعلها الله سبباً لتفريج كل ذلك.

قال ﷺ: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء»^(١).

وقال ﷺ: «ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً»، قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»^(٢).

وقال ﷺ: «كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم»^(٣). وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»^(٤).

(١) حسن: رواه الترمذي، والحاكم، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٣) صحيح: رواه ابن أبي الدنيا، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٤٥٧١).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٤٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا كربه أمرٌ قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»^(١).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»^(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»^(٣).

وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب - أو في الكرب -: الله، الله ربى لا أشرك به شيئاً»^(٤).

وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم: «من أصابه همٌّ، أو غم، أو سقم، أو شدة فقال: الله ربى لا شريك له كشف ذلك عنه»^(٥).

بل كان النبي يكثر من هذا الدعاء: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال»^(٦). وهو دعاء مفيدٌ جداً لدفع الهم قبل وقوعه.. والدفع أسهل من رفع الهم.

(١) حسن: رواه الترمذى، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٤٧٧٧).

(٢) حسن: رواه أبو داود، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رحمته الله فى صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمته الله فى صحيح الجامع (٣٣٨٣).

(٤) حسن: رواه أحمد وأبو داود، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٢٣).

(٥) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه العلامة الألبانى رحمته الله فى صحيح الجامع (٦٠٤٠).

(٦) صحيح: رواه البخارى (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فإذا استطعت أخى الحبيب أن تحفظ تلك الأدعية التى خرجت من فم الصادق الذى لا ينطق عن الهوى فأبشر والله بكل خير واعلم يقيناً أنك إن قلتها وأنت تحسن الظن بالله فسوف يفرج الله همك وحزنك.

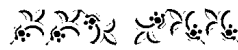
لا تنس الدعاء باسم الله الأعظم

سمع النبى ﷺ رجلاً يقول فى التشهد: «اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حى يا قيوم، إنى أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار». فقال ﷺ لأصحابه: «تدرون بما دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «والذى نفسى بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم - وفى رواية: الأعظم - الذى إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى»^(١).

وقال ﷺ: «اسمُ الله الأعظم الذى إذا دُعِيَ به أجاب؛ فى ثلاث سورٍ من القرآن: فى (البقرة) و(آل عمران)، و(طه)»^(٢).

وقال ﷺ: «اسمُ الله الأعظم فى هاتين الآيتين ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وفاتحة (آل عمران) ﴿الْم ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ﴾»^(٣).



(١) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانى رحمته الله فى المشكاة (٢٢٩٠).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه والحاكم والطبرانى فى الكبير وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٧٩).

(٣) حسن: رواه أحمد وأبو داود والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٨٠).



عليك بجوامع الدعاء

أخى الحبيب: لا تفتّر لحظة عن هذا الدعاء الجامع الذى أخبر عنه الحبيب ﷺ الذى أوتى جوامع الكلم.

قال ﷺ: «اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمتُ منه، وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم اللهم إنى أسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك، اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لى خيراً»^(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك»^(٢).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبى ﷺ كان يقول فى دعائه: «اللهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل»^(٣).

وعن أبى موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى، وإسرافى فى أمرى، وما أنت أعلم به منى، الله اغفر لى جدّى وهزلى، وخطيئى وعمدى؛ وكل ذلك عندى، اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به منى؛ أنت

(١) صحيح: رواه ابن ماجه وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٧٦).

(٢) صحيح: رواه أبو داود والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٩٤٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير»^(١).

وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف أقول حين أسأل ربي قال: «قل: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني.. ويجمع أصابعه إلا الإبهام فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك»^(٢).

سَلِ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ

عن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله تعالى، قال: «سلوا الله العافية» فمكثت أياماً ثم جئت فقلت: يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله تعالى، قال لي: «يا عباس يا عم رسول الله سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٣).

وعن معاذ بن رفاعه عن أبيه قال: قام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المنبر ثم بكى فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عام أول على المنبر ثم بكى فقال: «سلوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يُعْطَ بعد اليقين خيراً من العافية»^(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من: اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة»^(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٩٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧١٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) صحيح: رواه أحمد وأحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٣٨).

(٤) صحيح: رواه أحمد وأحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٣٢).

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠٣).



ما أكثر دعاء النبي ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»^(١).

وعن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين ما أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(٢).

هذا الدعاء لسداد الدين

أخي الحبيب: يا من تعاني من كثرة الديون ولا تجد طريقاً لسدادها ها هو الطريق الأمثل لسداد الدين حتى تنام مطمئن القلب مرتاح الضمير وإذا جاءك ملك الموت تكون قد أديت الأمانة لأصحابها وتخلصت من مظالم العباد التي هي ظلمات يوم القيامة.

قال رضي الله عنه لأحد أصحابه: «ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل صُبير ديناً أدّاه الله عنك؟ قل: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك»^(٣).

وقال رضي الله عنه: «ما من أحد يدان ديناً يعلم الله منه أنه يريد قضاؤه إلا أدّاه الله عنه في الدنيا»^(٤).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه الترمذی، وصححه الألبانی فی صحيح الجامع (٤٨٠١).

(٣) حسن: رواه الترمذی، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (٢٦٢٥).

(٤) صحيح: رواه النسائي، وابن ماجه، وصححه العلامة الألبانی فی صحيح الجامع (٥٦٧٧).

فمن أراد سداد دينه فعليه بهذا الدعاء وليخلص نيته في قضاء هذا الدين وسوف يؤدي الله عنه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «ألا أعلمك دعاءً تدعوه به لو كان عليك مثل جبل أُحُدٍ دينًا لأدّاهُ الله عنك؟ قل يا معاذ: اللهم مالك المُلْك تُؤْتِي المُلْك من تشاء، وتنزعُ المُلْك ممن تشاء، وتُعزُّ من تشاء، وتُذلُّ من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قديرٌ رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تُعطيهما من تشاء، وتمنعُ منهما من تشاء، ارحمني رحمةً تُغنيني بها عن رحمة من سواك»^(١).

❁ وقال ﷺ لمن اشتكت من الفقر والدين: «قُولِي: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، مُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»^(٢).

اجعل دعاءك لأخيك لتأتيك الإجابة

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٤).

(١) حسن: رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٤) سورة محمد: الآية: (١٩).

وقال تعالى إخبارًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(١).

فمن أعظم أسباب تفريج الهموم أن يتوجه العبد إلى الله تعالى بالحاجة التي يريدها لنفسه فيدعو بها لأخيه فيقول له الملك الموكل بذلك: آمين ولك بمثل.

فلو أراد مثلاً أن يوسع الله عليه رزقه فليقل: الله ارزق فلاناً - ويسميه باسمه - رزقاً واسعاً وبارك له فيه.

فلو قال ذلك لاستجاب الله دعاءه له ولأخيه.

قال عليه السلام: «دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملكٌ موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك: آمين ولك بمثل ذلك»^(٢).

وكان أبو الدرداء يقول: إنى لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم... وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك مهتم مما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى.

وقال بعض السلف: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء، فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول: هذه هدية لك من عند أخيك فلان، قال: فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية^(٣).

(١) سورة إبراهيم: الآية: (٤١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) مفاتيح الفرج من الكتاب والسنة / للمصنف (ص: ١٩ - ٢٦) بتصرف.

الدعاء سهم لا يخطئ

❁ قال مطرف بن مصعب:

دخلت على المنصور فرأيتَه مغمومًا حزينًا قد امتنع من الكلام، لفقد بعض أحبته.

فقال لى: يا مطرف، ركنى من الهم ما لا يكشفه إلا الله الذى بلانى به، فهل من دعاء أدعو الله به، عسى أن يكشفه عنى؟

فقلت: «يا أمير المؤمنين حدثنى محمد بن ثابت عن عمرو بن ثابت المصرى قال: دخلتُ فى أذن رجل من أهل البصرة بعوضة حتى وصلت إلى صماخه، وأسهرته ليله ونهاره، فقال له رجل من أصحاب الحسن: ادعُ بدعاء العلاء بن الحضرمى صاحب النبى ﷺ، الذى دعا به فى المفازة، وفى البحر، وخلَّصه الله سبحانه.

فقال: وما هو رحمك الله؟

قلت: بُعث العلاء بن الحضرمى إلى البحرين، فسلخوا مفازة وعطشوا عطشًا شديدًا، حتى خشوا الهلاك، فنزل فصلى ركعتين، ثم قال: يا حكيم يا عليم، يا علىّ يا عظيم، اسقنا.

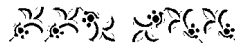
قال: فإذا نحن بسحابة كأنها جناح طائر، فنقعت^(١) علينا، فمطرت حتى ملأنا كل إناء وسقاء، ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر، ما خيض قبل ذلك اليوم، ولا خيض بعده، فلم نجد سفنًا، فصلى ركعتين ثم قال: يا حكيم يا عليم يا علىّ يا عظيم أجزنا.

(١) فنقعت ونقعت من النقع: الغبار..



ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال: جوزوا باسم الله. قال أبو هريرة: فمشينا على الماء، فوالله ما ابتلّ لنا قدم ولا خُف ولا حافر، وكان الجيش أربعة آلاف. قال: فدعا الرجل - فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه، لها طنين^(١) حتى حكّت الحائط، وبرأ^(٢). فاستقبل المنصور القبلة، ودعا بهذا الدعاء ساعة، ثم انصرف بوجهه إلى وقال:

يا مطرف قد كشف الله عني ما كنت أجد من الهم ... ودعا بالطعام، وأجلسني، وأكلت معه^(٣).



(١) طنين: صوت.

(٢) جنة الرضا (٢/ ٢٧٣ - ٢٧٤) للغرناطي.

حكمة تأخير إجابة الدعاء

✽ قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:

- تأملت حالةً عجيبةً، وهي أن المؤمن تنزل به النازلة، فيدعو، ويبالغ، فلا يرى أثرًا للإجابة، فإذا قارب اليأس، نُظر حينئذٍ إلى قلبه، فإن كان راضيًا بالأقدار، غير قنوط من فضل الله ﷻ، فالغالب تعجيل الإجابة حينئذٍ؛ لأن هناك يصلح الإيمان، ويندحر الشيطان، وهناك، تبين مقادير الرجال. وقد أُشير إلى هذا في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ؟﴾^(١).

وكذلك جرى ليعقوب عليه السلام؛ فإنه لما فقد ولدًا، وطال الأمر عليه، لم ييأس من الفرج، فأخذ ولده الآخر، ولم ينقطع أمله من فضل ربه: ﴿أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾^(٢).

وكذلك قال زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾^(٣). فإياك أن تستطيل مدة الإجابة، وكن ناظرًا إلى أنه المالك، وإلى أنه الحكيم في التدبير، والعالم بالمصالح، وإلى أنه يريد اختبارك، ليلو أسرارك، وإلى أنه يريد أن يرى تضرُّعك، وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك... إلى غير ذلك، وإلى أنه يبتليك بالتأخير، لتحارب وسوسة إبليس، وكل واحدة من هذه الأشياء تقوى الظن في فضله، وتوجب الشكر له، إذ أهلك بالبلاء للالتفات إلى سؤاله^(٤).

(١) سورة البقرة: الآية (٢١٤).

(٢) سورة يوسف: الآية (٨٣).

(٣) سورة مريم: الآية (٤).

(٤) صيد الخاطر (ص ١١٦-١١٧).

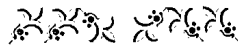


❁ وقال أيضًا:

من العجب إلحاحك في طلب أغراضك! وكلما زاد تعويقها، زاد إلحاحك! وتنسى أنها قد تمتنع لأحد أمرين: إما لمصلحتك، فربما طلبت مُعَجَّلَ أذى،.... وإما لذنوبك، فإن صاحب الذنوب بعيد عن الإجابة. فنظَّف طرق الإجابة من أوساخ المعاصي، وانظر فيما تطلبه، هل هو لإصلاح دينك، أو لمجرد هواك؟

فإن كان للهوى المجرد، فاعلم أن من اللطف بك والرحمة لك تعويقه، وأنت في إلحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه، فيُمنع رفقاً به. وإن كان لصلاح دينك، فربما كانت المصلحة تأخيرها، أو كان صلاح الدين بعده.

وفي الجملة، تدبير الحق ﷻ لك خير من تدبيرك، وقد يمنعك ما تهوى ابتلاءً، ليلو صبرك، فأره الصبر الجميل، ترى عن قُرْبٍ ما يَسُرُّ. ومتى نظَّفت طرق الإجابة عن أدران الذنوب، وصبرت على ما يقضيه لك، فكل ما يجرى أصلح لك، عطاءً كان أو منعاً^(١).





عشرة أسباب لعدم إجابة الدعاء

حكى أن ابراهيم بن أدهم رحمته الله مر بسوق البصرة، فاجتمع الناس إليه وقالوا له: يا أبا إسحاق! ما لنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟! قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

- الأول: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.
 - والثاني: زعمتم أنكم تحبون رسول الله صلوات الله عليه وتركتم سنته.
 - والثالث: قرأتم القرآن فلم تعملوا به.
 - والرابع: أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها.
 - والخامس: قلتم: إن الشيطان عدو لكم ولم تخالفوه.
 - والسادس: قلتم: إن الجنة حق ولم تعملوا لها.
 - والسابع: قلتم: إن النار حق ولم تهربوا منها.
 - والثامن: قلتم: إن الموت حق ولم تستعدوا له.
 - والتاسع: انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.
 - والعاشر: دفتتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.
- وقال بعضهم في هذا المعنى:

نحن ندعو الإله في كل كرب	ثم ننساه عند كشف الكرب
كيف نرجو إجابة لدعاء	قد سدنا طريقها بالذنوب



التقوى سبب لتفريج الكرب

❁ قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:

ضاق بى أمر أوجب غمًّا لازمًا دائمًا، وأخذت أبالغ فى الفكر فى الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقًا للخلاص، فعرضت لى هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (١)، فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى، فوجدت المخرج.

فلا ينبغي لمخلوق أن يتوكل أو يتسبب أو يتفكر إلا فى طاعة الله تعالى، وامثال أمره، فإن ذلك سبب لفتح كل مُرتج. ثم أعجبه أن يكون من حيث لم يُقدِّره المتفكر المحتال المدبر، كما قال ﷺ: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٢).

ثم ينبغي للمتقى أن يعلم أن الله ﷻ كافيه، فلا يعلق قلبه بالأسباب، فقد قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٣) (٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة الطلاق: الآية (٢).

(٢) سورة الطلاق: الآية (٣).

(٣) سورة الطلاق: الآية (٣).

(٤) صيد الخاطر (ص: ١٧٣).

التوبة والاستغفار من أسباب تفريج الهموم

فنحن نعلم أنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رُفِعَ إلا بتوبة ومن أجل ذلك سَأَذْكَرُ لَكُمْ فوائد التوبة وثمرات الاستغفار.

فوائد التوبة

إن فوائد التوبة لا نستطيع أن نكتبها أو أن نحيط بها، لكن حسبنا أن نستشعر أن التوبة:

١- سبب لمحبة الله (جل وعلا):

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(١).

٢- سبب للخروج من دائرة الظالمين:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

٣- طاعة لأمر الله:

فقد قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣).

٤- سبب لمحو الذنوب:

قال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(٤).

٥- سبب للفلاح في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾.

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٢٢).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (١١).

(٣) سورة النور: الآية: (٣١).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه، وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٣٠٠٨).



الْمُفْلِحِينَ ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (٢).

٦- تبديل السيئات إلى حسنات:

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٣).

٧- سبب في سعة الرزق والقوة:

قال تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (٤).

٨- تجعل العبد يهرب من العذاب والوحشة إلى الأُنس والرحمة:

قال تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥).

٩- سبب في الحياة الهادئة المطمئنة:

قال تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (٦).

(١) سورة القصص: الآية: (٦٧).

(٢) سورة مريم: الآية: (٦٠).

(٣) سورة الفرقان: الآية: (٧٠).

(٤) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

(٥) سورة الذاريات: الآية: (٥٠).

(٦) سورة هود: الآية: (٣).

١٠- تطهر قلب التائب:

قال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ عَلَى قَلْبِهِ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(١) ^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٢) حسن: رواه الترمذی، وابن ماجه، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع



ثمرات الاستغفار

إن الاستغفار من أعظم الأسباب التي تجلب لك الخير في الدنيا والآخرة فأكثر من الاستغفار وأبشر بكل خير.

وقال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صَحِيفَتُهُ، فليكثر فيها من الاستغفار» (١).

وقال ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا» (٢).

وقال ﷺ: «عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ لَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ شَيْئًا إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ» (٣).

قيل لابن تيمية: حتى المعصية؟ قال: نعم، إذا كان معها التوبة والندم، والاستغفار والانكسار. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٤).

يقول ابن تيمية: إن المسألة لتغلق على، فاستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقل، فيفتحها الله على.

❁ وها هي باقة عطرة من ثمرات الاستغفار في الدنيا والآخرة:

(١) مغفرة الذنوب:

قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ

(١) حسن: رواه البيهقي في الشعب والضياء، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٥٩٥٥).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٣٩٣٠).

(٣) صحيح: رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه ورواه أبو يعلى وابن حبان، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (١٤٨).

(٤) سورة النساء: الآية: (٦٤).

(٥) سورة المزمل: الآية: (٢٠).

غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾.

وقال ﷺ: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني» ﴿٢﴾.

- بل وفي الحديث القدسي أن الله ﷻ يُنادي في الثلث الأخير من الليل: «من يستغفرني فأغفر له...» ﴿٣﴾ وفي الحديث القدسي الآخر أن الله ﷻ يقول: «استغفروني أغفر لكم...» ﴿٤﴾.

(٢) الفوز بمحبة الله (جل وعلا):

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿٥﴾.

(٣) سبب لسعة الرزق والإمداد بالمال والبنين:

قال نوح ﷺ لقومه:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ﴿٦﴾.

وقال الله سبحانه: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنَّا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ ﴿٧﴾.

(١) سورة النساء: الآية: (١١٠).

(٢) حسن: رواه أحمد والحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٦١٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٥) سورة البقرة: الآية: (٢٢٢).

(٦) سورة نوح: الآيات: (١٠-١٢).

(٧) سورة هود: الآية: (٣).



(٤) أنه سبب لحصول القوة في البدن كذلك :

قال هود عليه السلام لقومه :

﴿وَيَقَوْمٍ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ﴾ ^(١).

(٥) أنه سبب لدفع المصائب ورفع البلياء :

فالمصائب في كثير من الأحيان سببها الذنوب والمعاصي ^(٢).

كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ^(٣).

فالمصيبة تنزل في كثير من الأحيان بذنب، فإذا أحدث العبد استغفارًا وتوبة نصوحًا من هذا الذنب ترتفع المصيبة بإذن الله، فالله تعالى يقول : ﴿وَمَا

(١) سورة هود: الآية: (٥٢).

(٢) وإن كانت هناك ابتلاءات تقع في بعض الأحيان؛ لإظهار الصادق من الكاذب؛ ولإنباء المؤمنين وتمحيصهم ومحق الكافرين، كما قال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

وكما قال سبحانه: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ^(٤) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

وضبط هذا يكمن في: أن العبد ينظر في نفسه، فإن وجدها خفيفة من الذنوب، فليعلم أن ما وقع فيه إنما هو ابتلاء من الله، فليوطن العبد نفسه على الصبر والرضا بأقدار الله تعالى، وأيضًا ليكثر من الاستغفار فلعله فعل ذنبًا وهو لا يشعر.

أما إذا رأى العبد نفسه مرتكبًا للمعاصي ومسرّفًا على نفسه، وحلّت به بلية فليعلم أنها بسبب كسبه فليقلع عن الذنب والمعصية فورًا، وليؤدّ المظالم إلى أهلها ويقبل على التوبة والاستغفار والإنابة والرجوع إلى الله وليكثر من أعمال البر والخير المكفرة للذنوب.

(٣) سورة الشورى: الآية: (٣٠).

يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ﴿١﴾

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٢)

(٦) سبب لبياض القلب وصفائه ونقاؤه :

فالذنوب تترك أثراً سيئاً وسواداً على القلب، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُو قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» (٣) (٤)

(٧) زوال الوحشة بين العبد وربّه :

فإن الذنوب تجعل بين العبد وبين ربه وحشة شديدة.. والاستغفار يزيل ذلك - بإذن الله -.

(٨) زوال الهموم والغموم :

فالمعصية همٌّ بالليل وهمٌّ بالنهار... والاستغفار يزيل الهموم ويشرح الصدور - بإذن الله -.

(٩) يوم القيامة تكون في ظل عرش الرحمن :

ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه - وكان من بينهم - : ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» (٥) أي: تذكّر

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٧).

(٢) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٣) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٤) صحيح: رواه الترمذی، وابن ماجه، وأحمد، وصححه العلامة الألبانی رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِ الجامع (١٦٧٠).

(٥) متفق عليه: رواه البخاری (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة.



ذنوبه، فتاب واستغفر وأشفق على نفسه من ذنوبه ففاضت عيناه.

(١٠) نور على الصراط:

فالصراط منصوب على متن جهنم... وهى سوداء مظلمة.
والاستغفار من جملة الأعمال الصالحة التى يجعلها الله سبباً للنور
على الصراط ولذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾^(١).

- وفضل المغفرة يظهر واضحاً جلياً فى سؤال الصالحين لها... ونورهم
يسعى بين أيديهم ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن
يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا
يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ
رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

(١١) من أسباب دفع العذاب:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ
وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٣).

قال أبو موسى: كان لنا أمانان: ذهب أحدهما وهو كون الرسول ﷺ فينا
وبقى الاستغفار معنا، فإذا ذهب هلكنا.

(١٢) سبب لدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينِ
الْفَظِطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝﴾^(١٣٢) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا

(١) سورة النور: الآية: (٤٠).

(٢) سورة التحريم: الآية: (٨).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

فَاحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكُرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١﴾

(١٣) سبب لرفع الدرجات:

قال ﷺ: «إن الرجل ليرفع درجته في الجنة فيقول: أنى لى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»^(٢).

✽ فلله ما أحلى قوله فى هذه الحال: «أسألك بعزك وذلى إلا رحمتنى. أسألك بقوتك وضعفى، وبغناك عنى وفقرى إليك، هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سوى كثير، وليس لى سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين: وأبتهل إليك ابتهاال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبتة ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذلل لك قلبه».

يا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَاذَرُهُ
لا يَجْبُرُ النَّاسَ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٣٣: ١٣٦).

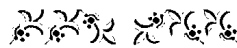
(٢) حسن: رواه ابن ماجه، وأحمد، وحسنه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (١٥٩٨).



لماذا أصبح الاستغفار سنة في الاستسقاء

بَلَّغْنِي أَنَّ النَّاسَ قَحَطُوا بِالْمَدِينَةِ، فِي سَنَةٍ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَخَرَجَ بِهِمْ مُسْتَسْقِيًّا، فَكَانَ أَكْثَرَ قَوْلِهِ الْاسْتِغْفَارَ. فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ دَعَوْتَ.

فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝ (١٢)﴾. فَصَارَ الْاسْتِغْفَارُ مِنَ الْاسْتِغْفَارِ فِي الْاسْتِغْفَارِ سُنَّةً إِلَى الْيَوْمِ.



كيف ننجو من فتنة المسيح الدجال

إن فتنة المسيح الدجال هي أكبر فتنة منذ خلق الله آدم ﷺ وإلى أن تقوم الساعة... وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول وتحير الألباب.

❁ قال ﷺ: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» وفي رواية: «أمر أكبر من الدجال»^(١).

- فهذا من الكربات التي يحتاج المؤمن أن ينجو منها.

وها هو الحبيب ﷺ يحذر أمته من تلك الفتنة الشديدة، وذلك لأن الدجال خارج في تلك الأمة لا محالة؛ لأنها آخر الأمم، ورسولنا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

وإليك جميعاً الوسائل التي تجعلنا ننجو بإذن الله من فتنة الدجال:

❁ أولاً: الاعتصام بالله (جل وعلا):

والتمسك بالإيمان والتعرف على أسماء الله وصفاته الحسنی، فنعلم أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢) أما الدجال فهو أعور والله ليس بأعور، وأنا لن نرى ربنا حتى نموت، أما الدجال فيراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

❁ ثانياً: التعوذ من فتنة المسيح الدجال:

وخاصة في الصلاة بعد التشهد وقبل التسليم.

❁ قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم؛ فليستعذ بالله من أربع، يقول:

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٦).

(٢) سورة الشورى: الآية: (١١).



اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»^(١).

❖ ثالثاً: حفظ آيات من سورة الكهف:

فقد أمر النبي ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، وفي بعض الروايات خواتيمها، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها. ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل... (وفيه قوله ﷺ): «من أدركه منكم؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»^(٢).

وروى مسلم أيضاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عُصِمَ من الدجال»؛ أي: من فتنته. قال مسلم: «قال شعبة: من آخر الكهف، وقال همام: من أول الكهف»^(٣).

❖ رابعاً: الفرار من الدجال، والابتعاد عنه:

والأفضل سُكنى مكة والمدينة، فقد سبق أن الدجال لا يدخل الحرمين، فينبغي للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد منه، وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فتنة للناس؛ فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات، فيتبع الدجال. قال ﷺ: «من سمع بالدجال؛ فليأمن عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٨٨).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٠٩).

يحسب أنه مؤمن، فيتبعه مما يُبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات»^(١).

❁ فأسأل الله (جل وعلا) أن يحفظنا جميعاً من فتنة الدجال وأن يثبت قلوبنا على الإيمان والتوحيد حتى نلقاه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود عن عمران بن حصين وصححه الألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ في صحيح الجامع (٦٣٠١).



ما ينتفع به الميت بعد موته

وكما أن العبد المسلم يحتاج إلى تفريج الكربات في الدنيا فهو أحوج من ذلك ألف مرة إلى تفريج كُرباته في الآخرة.

- فهو يحتاج إلى العمل الذي ينفعه ويصله ثوابه بعد موته.

وقد أخبرنا النبي ﷺ عن أعمال ينتفع بها العبد بعد موته ... منها:

١- دعاء المسلمين له :

إذا توفرت فيه شروط القبول وذلك لقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

وقال النبي ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة»^(٢).

٢- قضاء الدين عنه من أى شخص ولياً كان أو غيره :

وذلك لما تقدم من قضاء أبى قتادة لدين الرجل الذى مات.

٣- قضاء ولى الميت الصوم عنه :

لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وعليه صوم، صام عنه وليه»^(٣) وهذا عام في قضاء رمضان وقضاء صيام النذر، وهذا أصح أقوال العلماء.

٤- قضاء النذر عنه صوماً كان أو غيره :

فقد استفتى سعد بن عباد رسول الله ﷺ فقال: إن أمى ماتت وعليها

(١) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (١٩٥٢) كتاب الصوم، ومسلم (١١٤٧) كتاب الصيام.

نذر؟ فقال: «اقضه عنها»^(١).

٥- ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة:

فإن لوالديه مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيء؛ لأن الولد من سعيهما وكسبهما. قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢) وقال النبي ﷺ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه»^(٣).

٦- ما خلفه بعده من آثار صالحة وصدقات جارية:

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾^(٤).

قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم يُتتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٥).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته»^(٦).

٧- الحج عن الميت:

وذلك بعد أن يحج الابن عن نفسه ثم يحج بعد ذلك عن أبيه إن لم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٦١) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٣٨) كتاب النذر.

(٢) سورة النجم: الآية: (٣٩).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٢٠٨).

(٤) سورة يس: الآية: (١٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) حسن: رواه ابن ماجه (٢٤٢) في المقدمة، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣١).



يكن قد حج قبل ذلك.

٨ - الصدقة عن الميت:

وقد ورد في ذلك أحاديث منها عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قال: إن أمي افتلت نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم»^(١). ومعنى: «افتلت»: ماتت فجأة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبي مات وترك مالاً ولم يوص، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «نعم»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٨٨) كتاب الجنائز، ومسلم (١٠٠٤) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٣٠) كتاب الوصية.

الأسباب المنجية من عذاب القبر

وهذا من أعظم الكربات التى يحتاج المسلم أن ينجو منها بعد موته... وقد أخبرنا النبى ﷺ عن الأسباب المنجية من عذاب القبر.

❁ قال الإمام ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -:

«فجوابها أيضًا من وجهين: مُجمل ومُفصَّل.

❁ أما المُجمل: فهو تجنُّب تلك الأسباب التى تقتضى عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه فى يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلًا للعمل مسرورًا بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاتته وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عَقَّب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التى وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيرًا وفقه لذلك.

أما الجواب المُفصَّل: فنذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما يُنجى من عذاب القبر.

(١) الإيمان والتقوى والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١).

ففى تلك الآيات وعد الله أهل التقوى بأن يجعل لهم مخرجًا من كل

ضيّق وليس هناك شدة ولا ضيق أعظم من شدة السكرات وخروج الروح ودخول القبر.

فمن كان في الدنيا تقيًّا فإن الفرج والمخرج يكون له ثوابًا في قبره...
(٢) الاستقامة على طاعة الله (جل وعلا):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢١﴾ تَرْلَا مِنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

✽ فلقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه... فمن عاش على الطاعة مخلصًا لله ومتبعاً لهدى رسول الله ﷺ فإنه يموت على الطاعة وينور الله له قبره بتلك الطاعة بل ويصبح قبره روضة من رياض الجنة جزاء لكل لحظة عاشها في طاعة الله (جل وعلا).

(٣) الشهادة في سبيل الله تعالى:

قال ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سَبْعُ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُجَارِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى

(١) سورة فصلت: الآيتان: (٣٠-٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).

رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، وَيَشْفَعُ في سبعين إنساناً من أهل بيته»^(١).

بل قال رجلٌ للحبيب ﷺ: يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفْتَنُونَ في قبورهم إلا الشهيد؟ قال ﷺ: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»^(٢).

(٤) من مات شهيداً في غير حرب:

لقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ بأن هناك شهداء غير الذين يُقتلون في سبيل الله... ولقد علمنا أن الشهيد يُجار من فتنة وعذاب القبر.

❖ قال ﷺ: «ما تعدُّون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله! مَنْ قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتي إذا لقليل» قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد»^(٣).

❖ وقال ﷺ: «من فصل في سبيل الله فمات أو قُتِلَ أو رفضته فرسه أو بغيره أو لدغته هامة أو مات في فراشه بأي حَتَفٍ شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة»^(٤).

وقال ﷺ: «من قتله بطنه لم يُعَذَّب في قبره»^(٥).

❖ والموت بداء البطن: هو الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٢).

(٢) صحيح: رواه النسائي والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٨٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩١٥).

(٤) حسن: رواه أبو داود والحاكم عن أبي مالك الأشعري وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٣).

(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذي والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦١).

الإسهال. وقيل الذى يشتكى بطنه.

وقال ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم»^(١).

وقال ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ومن قُتل دون دينه فهو شهيد ومن قُتل دون أهله فهو شهيد»^(٢).

وقال ﷺ: «من قُتل دون ماله مظلومًا فله الجنة»^(٣).

وقال ﷺ: «من قُتل دون مظلومه فهو شهيد»^(٤).

وقال ﷺ: «الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله: المطعون شهيد والغرق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد والحرقت شهيد والذى يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيدة»^(٥).
تموت بجمع: أى تموت وفى بطنها ولد.

فكل هؤلاء الذين ذكرهم الحبيب ﷺ شهداء... والشهداء هم الذين أكرمهم الحق (جل وعلا) فى الدنيا بنعمة الشهادة وفى القبر بالنعيم والنجاة من الفتنة والعذاب... وفى الآخرة بالخلود فى الجنان مع الأحباب.

(٥) المرابطة فى سبيل الله تعالى:

قال ﷺ: «رباط يوم فى سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٣٠)، ومسلم (١٩١٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٥).

(٣) صحيح: رواه النسائى عن ابن عمرو وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٦).

(٤) صحيح: رواه النسائى والضياء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٧).

(٥) صحيح: رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٣٩).



وُقِيَ فتنة القبر ونما له عمله إلى يوم القيامة»^(١).

وقال ﷺ: «كل ميت يُختم على عمله إلا الذى مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر»^(٢).

وفي رواية الطبراني: «من مات مرابطاً في سبيل الله أمّنه الله من فتنة القبر».

(٦) قراءة سورة تبارك:

لا تغفلوا عن قراءة سورة المُلْك (تبارك) كل ليلة فلقد أخبر الحبيب ﷺ أنها تمنع من عذاب القبر.

قال ﷺ: «سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر»^(٣).

وقال ﷺ: «سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهي تبارك»^(٤).

(٧) تجنّب أسباب عذاب القبر:

ومن أسباب النجاة من عذاب القبر أن يتجنب العبد كل الأسباب التي تؤدي إلى عذاب القبر: مثل النسيمة وعدم الاستتار والتنزه من البول... والكذب وهجر القرآن وعدم العمل به... وأكل الربا والوقوع في الزنا.

(٨) التوبة الصادقة عند الموت:

❁ وما أجمل أن يختم العبد تلك الساعة بسيد الاستغفار.

(١) صحيح: رواه الترمذى عن سلمان وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٣٤٨١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٤٥٦٢).

(٣) صحيح: رواه ابن مردويه عن ابن مسعود وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٣٦٤٣).

(٤) حسن: رواه الطبرانى في الأوسط والضياء عن أنس وحسنه الألبانى في صحيح الجامع



فقد قال ﷺ: «سَيِّدُ الاستغفار أَنْ تقولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت؛ أعوذ بك من شرِّ ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

قال: «مَنْ قالها من النَّهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة، ومَنْ قالها من الليل وهو مُوقنٌ بها فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة»^(١).

(٩) الموت في ليلة الجمعة أو في يوم الجمعة:

قال ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر»^(٢).

وهذا السبب ليس من كسب العبد وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

(١٠) الدعاء:

ولا ينبغي أبداً أن يغفل المسلم عن الدعاء.. فالدعاء من أعظم أسباب النجاة في الدنيا والآخرة.

سمع النبي ﷺ رجلاً يقول في التشهد: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المَنَّانُ يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار».

فقال ﷺ لأصحابه: «تدرون بما دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٣٠٦).

(٢) حسن: رواه أحمد والترمذي عن ابن عمرو وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٧٣).

«والذى نفسى بيده؛ لقد دعا الله باسمه العظيم (وفى رواية: الأعظم) الذى إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعطى»^(١).

فعلينا أن نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا وباسمه الأعظم أن ينجينا من عذاب القبر (ونحن مُوقنون بالإجابة).

(١١) شرب ماء زمزم بنية النجاة من عذاب القبر:

قال ﷺ: «ماء زمزم لما شُرِبَ له»^(٢).

وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شرب ماء زمزم قال: «اللهم إني أسألك علماً نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء».

﴿مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَهُ أَجْرٌ يُكَفِّرُ ١٠٠ سَنَةً﴾

(١) صحيح: رواه أبو داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم، وصححه الألبانى رحمته الله فى صحيح أبى داود (١٣٤١).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، والبيهقى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥٠٢).



وها هي أسباب الفوز بشفاعه النبي ﷺ

ولا شك أن من أعظم الكربات التي نحتاج أن ننجو منها (كربات يوم القيامة)... ذلك اليوم الذي يبلغ طوله خمسين ألف سنة كما قال تعالى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ (١)﴾.

عندما يشتد البلاء بالناس في الموقف العظيم ويطول بحث العباد عن أصحاب المنازل العالية ليشفعوا لهم عند ربهم، كى يأتى لفصل الحساب وتخليص الناس من كربات الموقف وأهواله، فيطلبون من أبيهم آدم أن يقوم بهذه المهمة الكبيرة، ويذكرونه بفضلله وإكرام الله له، فيأبى ويعتذر، ويذكر عصيانه ربه بأكله من الشجرة التي حرم الله عليه الأكل منها، ويحيلهم إلى نوح أول رسول أرسله الله إلى البشر، الذي سمّاه الله عبداً شكوراً، فيأبى ويذكر ما كان منه من تقصير في بعض الأمور تجاه ربه ومولاه، وهكذا يحيلهم إلى من بعده من أولى العزم من الرسل، والآخر يدفعها إلى من بعده، حتى يأتوا إلى الرسول الخاتم: محمد ﷺ، الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقوم مقاماً يحمدّه عليه الأولون والآخرين، وتظهر به منزلته العظيمة، ودرجته العالية^(٢).

❁ قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»^(٣).

(١) سورة المعارج: الآيات (١-٤).

(٢) القيامة الكبرى / د. عمر الأشقر (ص: ١٧٣).

(٣) حسن: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٨١).

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مُشَفَّع»^(١).

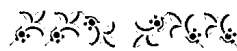
وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذٍ آدمٌ فمن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول شافع وأول مُشَفَّع ولا فخر»^(٢).

ولما كان ذكر مناقب النفس إنما يُذكر افتخارًا في الغالب أراد النبي ﷺ أن يقطع وهم من توهم أنه يذكر ذلك افتخارًا فقال: «ولا فخر».

النبي ﷺ يختبئ دعوته شفاعته لأُمته

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣).
فها هو الحبيب ﷺ يختبئ دعوته شفاعته لأُمته.

قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعَةً لأُمّتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً»^(٤).



(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٤٦٨).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٩).



شروط الشفاعة

إن الشفاعة الثابتة في الشرع هي التي يتوفر فيها شرطان:

١- إذن الله للشافع.

٢- الرضا عن المشفوع له.

وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله ﷻ، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة مَنْ دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى أن يشفع فيه... كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١)، ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾^(٢).

ولذلك فإن والد إبراهيم لما مات كافراً فإن الله لم يقبل شفاعة خليله فيه في ذلك اليوم.... روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر في يوم القيامة، وعلى وجه آزر قفرة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتني أن لا تُخزني يوم يُبعثون، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال لإبراهيم: ما تحت قدميك؟ فينظر فإذا هو بذخٍ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه، فيُلقي في النار»^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

(٢) سورة يونس: الآية: (٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٣٥٠).

أنواع الشفاعات يوم القيامة

والشفاعة تنقسم من حيث القبول والرد إلى قسمين: مردودة وهى ما فقدت أحد شروط الشفاعة السابقة... ومقبولة وهى ما تحققت فيها شروط الشفاعة. وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ منها ثمانية أنواع، وهى:

١- الشفاعة العظمى وهى شفاعته ﷺ فى أهل الموقف أن يقضى الله بينهم... وهى المقام المحمود وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ﷺ على غيره من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

٢- شفاعته ﷺ فى قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة.

٣- شفاعته فى أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها.

٤- شفاعته ﷺ فى رفع درجات أهل الجنة فى الجنة.

٥- شفاعته ﷺ فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦- شفاعته ﷺ فى تخفيف العذاب عمّن كان يستحقه كشفاعته فى عمه أبى طالب.

٧- شفاعته ﷺ فى أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.

٨- شفاعته ﷺ فى أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

وها هي أسباب الفوز بشفاعته النبي ﷺ

وقد يسأل سائل ويقول: كيف أفوز بشفاعة النبي ﷺ.

أقول لك: هذا هو الطريق فافتح قلبك لكلام النبي ﷺ.

قال ﷺ: «وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وإنها نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»^(١).

وقال ﷺ: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول: ثم صلُّوا عليّ؛ فإنه من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبدي من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة»^(٢).

وقال ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللهم ربّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلّت له شفاعتي يوم القيامة»^(٣).

وقال ﷺ: «من صلى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة»^(٤).

وقال ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها»^(٥).

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦١٤).

(٤) حسن: رواه الطبراني في الكبير وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٣٥٧).

(٥) صحيح: رواه أحمد والترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٠١٥).

وهناك شفاعات أخرى

بل لقد أخبر النبي ﷺ أن الملائكة تشفع للمؤمنين.. وأن لكل نبي شفاعة... وأن هناك شفاعة للمؤمنين.

وأما عن أعظم شفاعة فهي شفاعة أرحم الراحمين (جل وعلا).

قال ﷺ: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمةً، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار»^(١).

❖ فمن هذه الرحمات العظيمة لرب الأرض والسموات أنه لا يأذن بشفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنين فحسب بل يقبض قبضة من النار ليُخرج قومًا - من النار - لا يعلم عددهم إلا الله فيدخلهم الجنة... ولا يعلم أحد من الخلق قدر قبضة الخالق (جل وعلا) فقد قال تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

قال ﷺ: «فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيراً قط، قد عادوا حُمَمًا، فيُلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له: نهرُ الحياة، فيخرجون كما تخرجُ الحَبَّةُ في حميل السيل، ألا ترونها تكونُ إلى الحجر أو الشجر، ما يكونُ إلى الشمس أصيفر وأخضر، وما يكونُ منها إلى

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٢).

(٢) سورة الزمر: الآية: (٦٧).



الظل يكونُ أبيض، فيخرجون كاللؤلؤ، في رقابهم الخواتيمُ، يعرفهم أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله من النار، الذين أدخلهم الجنة بغير عملٍ عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا؟ فيقولون: يا ربنا أى شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩)، ومسلم (١٨٣).

تسليّة أهل المصائب

ومن كمال رحمة الله - جل وعلا - أنه يتلى العبد بالمصائب ليظهره من الذنوب والآثام وليرفع درجته في الجنة لينعم بصُحبة خير الأنام ﷺ. فيها بنا لتتعرف على تلك الأشياء التي يتسلى بها أهل المصائب في مُصابهم.

١- الأجر العظيم على الصبر والاسترجاع:

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: نعم العبدلان ونعمت العلاوة للصابرين.. يعنى بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى.

وقد تضمنت هذه الكلمة: «إنا لله وإنا إليه راجعون» علاجاً من الله لأهل المصائب. فإنها من أبلغ علاج المصائب وأنفعه للعبد في عاجله وآجله، فإنها تتضمن أصليين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما وتسلى عن مصيبيته.

أحد الأصلين: أن يتحقق العبد أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله ﷻ حقيقة، وقد جعله الله عند العبد عارية.

والثانى: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يُخلف الدنيا وراء ظهره، ويأتى ربه يوم القيامة فرداً كما خلقه أول مرة، بلا أهل



ولا مال ولا عشيرة؛ ولكن يأتيه بالحسنات والسيئات. فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوّله فيه، ونهايته وحاله فيه، فكيف يفرح العبد بولد أو مال، أو غير ذلك من متاع الدنيا؟ أم كيف يأسى على مفقود؟ ففكرة العبد في بدايته ونهايته من أعظم علاج المصائب... ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢١﴾، ومن تأمل هذه الآية الكريمة وجد فيها شفاء أدواء المصائب.

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ (٢)، قال علقمة وجماعة من المفسرين: هي المصائب تصيب الرجل، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسَلِّم.

✽ روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تُصيبه مصيبة فيقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون؛ اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبتيه، وأخلف له خيراً منها». - قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلتُ كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله تعالى لي خيراً منه: رسول الله ﷺ. (٣)

٢- التأسى بأهل المصائب:

ومن أنفع ما للمصاب أن يطفئ نار مصيبتيه ببرد التأسى بأهل المصائب.

(١) سورة الحديد: الآيتان: (٢٢-٢٣).

(٢) سورة التغابن: الآية: (١١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٩١٨) كتاب الجنائز.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لكل فرحة ترحه، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً».

قالت الخنساء رضي الله عنها، وهي تنعى أخاها (صخرًا) الذي مات في الجاهلية:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذَكَّرَهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
فَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكِينَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَعَزَّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسَى

وهذا المعنى قد حرمه الله ﷻ أهل النار فإن المخلدين فيها يظن كل واحد أنه لم يبق في النار سواه.. وذلك زيادة في تعذيبهم وتنكيلهم.

قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ أَلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ^(١).

٣- أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة:

ومن تسلية أهل المصائب أن ينظر العبد بعين بصيرته، فليعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة يقلبها الله تعالى، وحلاوة الدنيا هي بعينها مرارة في الآخرة؛.. ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير من عكس ذلك، فإن خفى عليك ذلك فانظر إلى قول الصادق المصدوق، عليه السلام: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَخُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» ^(٢).

وكذلك قوله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي جَهَنَّمَ صَبْغَةً؛ ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّبَكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي

(١) سورة الزخرف: الآية: (٣٩).

(٢) صحيح زرواه مسلم (٢٨٢٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

الجنة صبغة؛ فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»^(١).

٤- أن تتوكل على الله (جل وعلا):

ومن تسلية أهل المصائب: أن يستعينوا بالله ويتكلوا عليه، ويتعزوا بعزاء الله تعالى، ويمثلوا أمره في الاستعانة بالصبر والصلاة.

وفي حديث أنس بن مالك قال: ألا أحدثكم بحديث لا يحدثكم به أحد غيرى؟ كنا عند رسول الله ﷺ جلوساً فضحك، فقال: «تدرون ممَّ ضحكتم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقض له قضاء إلا كان خيراً له»^(٢).

قال بعض الحكماء: إن لله عبداً يستقبلون المصائب بالبشر قال: فقال: أولئك الذين صفت من الدنيا قلوبهم.

٥- أن تحمد الله على أن المصيبة لم تكن في الدين:

فكل مصيبة في دنيا الإنسان قد تُعوّض بخير منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تعوض، ولذلك حين خُير يوسف ﷺ بين أن يُصاب في دنياه فيُسجن ويكون من الصاغرين، وأن يُصاب في دينه فيصبو إلى النسوة ويكون من الجاهلين.

حين خُير يوسف بين الأمرين كان لا بد أن يختار مصيبة الدنيا، فقال: ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) صحيح: رواه أبو نعيم وأبو يعلى، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٣٩٨٥).

(٣) سورة يوسف: الآية: (٣٣).

وكان ﷺ يُعلم أمته هذا الدعاء: «.... ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا....»^(١).

وبالجملة.. فالمصيبة في الدين من أعظم مصائب الدنيا والآخرة، وهى نهاية الخسران الذى لا ربح معه، والحرمان الذى لا طمع معه. وقد حكى ابن أبى الدنيا عن شريح أنه قال: «إنى لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكر»:

إذ لم تكن أعظم مما هى، وإذ رزقنى الصبر عليها، وإذ وفقنى للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، وإذ لم يجعلها في دينى.

ومن أعظم المصائب في الدين موت النبى ﷺ؛ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم؛ لأن بموته ﷺ انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة، وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد، بارتداد العرب عن الدين، فهو أول انقطاع عرى الدين ونقصانه، وفيها غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد، وغير ذلك من الأمور التى لا أحصيها. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.

قال ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبتة بى، فإنها من أعظم المصائب»^(٢).

ولقد أحسن أبو العتاهية في نظمِهِ موافقاً لهذا الحديث، حيث يقول:

اصبر لكل مُصيبةٍ وتجلدِ واعلم بأن المرء غيرُ مخلصٍ

(١) حسن: رواه الترمذى والحاكم، وحسنه الألبانى في صحيح الجامع (١٢٦٨).

(٢) صحيح: رواه ابن عدى في الكامل والبيهقى، وصححه الألبانى في صحيح الجامع (٣٤٧).



أَوْ مَا تَرَى أَنْ الْمَصَائِبَ جَمَّةٌ وَتَرَى الْمَنِيَّةَ لِلْعِبَادِ بِمَرَصِدِ
مَنْ لَمْ يُصَبْ مِمَّنْ تَرَى بِمَصِيبَةٍ هَذَا سَبِيلُ لَسْتُ عَنْهُ بِأَوْحِدِ
فَإِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَمَصَابِهِ فَاجْعَلْ مَصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

٦- أَنْ تَعْلَمَ بِأَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ الْمَصِيبَةَ بَلْ يَضَاعِفُهَا :

وَلْيَعْلَمْ الْمَصَابُ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ الْمَصِيبَةَ، بَلْ يَضَاعِفُهَا، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ يَزِيدُ فِي مَصِيبَتِهِ، بَلْ يَعْلَمُ الْمَصَابُ أَنَّ الْجَزَعَ يَشْمَتُ عَدُوَّهُ، وَيَسُوءُ صَدِيقَهُ، وَيُغْضِبُ رَبَّهُ، وَيَسُرُّ شَيْطَانَهُ، وَيَحْبِطُ أَجْرَهُ، وَيَضْعَفُ نَفْسَهُ. وَإِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ أَخْزَى شَيْطَانَهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ، وَسَرَّ صَدِيقَهُ، وَسَاءَ عَدُوَّهُ، وَحَمَلَ عَنْ إِخْوَانِهِ وَعَزَّاهُمْ هُوَ قَبْلَ أَنْ يَعْزَوْهُ؛ فَهَذَا هُوَ الثَّبَاتُ فِي الْأَمْرِ الدِّينِيِّ.... قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ»^(١).

وَكَانَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَابِدَاتِ بِالْبَصْرَةِ تُصَابُ الْمَصَائِبَ فَلَا تَجْزَعُ، فَذَكَرُوا لَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: مَا أَصَابَ بِمَصِيبَةٍ فَأَذْكَرَ مَعَهَا النَّارَ إِلَّا صَارَتْ فِي عَيْنِي أَصْغَرَ مِنَ الذَّبَابِ.

٧- أَنْ تَعْلَمَ بِأَنَّ الْمَصَائِبَ تَخْلُصُ الْعَبْدَ مِنَ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ :

وَلْيَعْلَمْ أَهْلُ الْمَصَائِبِ أَنَّهُ لَوْ لَا مَحَنُ الدُّنْيَا وَمَصَائِبُهَا، لَأَصَابَ الْعَبْدَ مِنْ أَدْوَاءِ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالْفِرْعَنَةِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ مَا هُوَ سَبَبُ هَلَاكِهِ عَاجِلًا وَآجِلًا، فَمِنْ رَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ أَنْ يَتَفَقَّدهُ فِي الْأَحْيَانِ بِأَنْوَاعٍ مِنْ أَدْوِيَةِ الْمَصَائِبِ، تَكُونُ حِمِيَةً لَهُ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ وَحِفْظًا لَصِحَّةِ عِبُودِيَّتِهِ، وَاسْتِفْرَاغًا لِلْمَوَادِّ الْفَاسِدَةِ الرَّدِيئَةِ الْمَهْلِكَةِ، فَسَبْحَانَ مَنْ يَرْحَمُ بِبِلَائِهِ، وَيَبْتَلِي بِنِعْمَائِهِ.

(١) متفق عليه: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٢٨٣) كِتَابُ الْجَنَائِزِ، وَمُسْلِمٌ (٩٢٦) كِتَابُ الْجَنَائِزِ.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَفٍ ۖ أَن رَّأَاهُ اسْتَفْتَىٰ﴾ (١).

فمن كمال رحمة الله أن يبتلى العبد ليشعر العبد بأنه عبد وأنه يستمد عزته من التذلل لله (جل وعلا) ويستمد قوته من اللجوء والتوكل على الله ويستمد أسباب حياته كلها من افتقاره إلى الملك جل جلاله.

٨- قد يكون الخير كله في تلك المصائب:

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى في حديث الإفك: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (٣).
 يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحسوب، والمحسوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

٩- أن تعلم بأن البلاء قد يرفعك في درجات الجنة:

قال ﷺ: «إن الرجل ليكون له المنزلة عند الله فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها» (٤).

فقد يكون عملك الصالح لا يبلغك تلك الدرجة في الجنة... والله ﷻ

(١) سورة العلق: الآيتان: (٦-٧).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٢١٦).

(٣) سورة النور: الآية: (١١).

(٤) حسن: رواه الحاكم وابن حبان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٥).



يريد أن يرفعك إلى تلك الدرجة في الجنة فيبتليك ليرفع درجتك في الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

١٠- الحبيب ﷺ علمنا كلمات الفرج:

قال ﷺ: «ما أصاب عبداً قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حُكْمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً» قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربُّ الأرض وربُّ العرش الكريم»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان إذا كربهُ أمرٌ قال: «يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيثُ»^(٣).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «دعواتُ المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفه عينٍ، وأصلح لي شأني كُلِّه، لا إله

(١) صحيح: رواه أحمد وقال الحافظ في تخريج الأذكار: حديث حسن - وانظر التوسل للألباني (ص: ١٣٣)، والسلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٢٦) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٧).

إلا أنت»^(١).

١١- التحصن بالعلم النافع:

قد يحصل للعابد الجاهل بمصيبته، من الجزع ما يسوء الناظر إليه والسامع عنه من الاعتراض على الأقدار.

فلا شيء أنفع من العلم؛ لأن العالم لو حصل له هلع شديد في مصيبته، يعلم أنها زلة منه، فيدرى كيف يتنفس؛ والعابد الجاهل كلما غاص إلى أسفل يظن أنه صاعد إلى فوق.

١٢- أن تعلم بأن الله يعوّضك بصبرك واحتسابك:

ومما يسلى أهل المصائب: أن المصاب إذا صبر واحتسب، وركن إلى كريم، رجاء أن يخلف الله تعالى عليه، ويعوضه عن مصابه؛ فإن الله تعالى لا يخيبه، بل يعوضه؛ فإنه عن كل شيء عوض إلا الله تعالى، فما عنه عوض.

١٣- معرفة فضيلة الصبر من كتاب الله (جل وعلا):

إن التعرف على فضائل الصبر تجعل المصاب يتسلى ويصبر ليظفر بفضائل الصبر وليكون من الصابرين.

وإن الله تعالى علق الفلاح بالصبر والتقوى فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

وأخبر بمضاعفة أجر الصابرين، فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٣).

(١) حسن: رواه أحمد وأبو داود، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٢٠٠).

(٣) سورة القصص: الآية: (٥٤).



وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

وعلق الإمامة في الدين بالصبر واليقين فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٢).

وجعل الصابرين يفوزون بمعيته ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

وعلق النصر بالصبر والتقوى فقال تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(٤).

وأخبر عن محبته للصابرين فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٥).

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار من نصيب الصابرين، فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٦).

١٤- التعرف على فضيلة الصبر من سنة الحبيب ﷺ:

قال ﷺ: «.. والصبر ضياء»^(٧).

وقال ﷺ: «.... ومن يتصبر يُصبره الله وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»^(٨).

وعن أبي يحيى صُهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً

(١) سورة الزمر: الآية: (١٠).

(٢) سورة السجدة: الآية: (٢٤).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١٢٥).

(٥) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

(٦) سورة المؤمنون: الآية: (١١١).

(٧) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) كتاب الطهارة.

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة.

لأمر المؤمن إن أمره كُلُّهُ له خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر فكان خيرًا له»^(١).

✽ وروى البخارى أن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدى المؤمن عندى جزاءٌ إذا قبضتُ صفيةً من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»^(٢).

وروى البخارى عن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ﷻ قال: إذا ابتليتُ عبدى بحبيتيه فصبر عوضتهُ منهما الجنة»^(٣). يُريدُ: عينه.

وقال ﷺ: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة»^(٤).

١٥- التعرف على فضيلة الصبر من كلام الصحابة والتابعين وأفعالهم:

لما مرض أبو بكر رضي الله عنه فعادوه فقالوا: «ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآنى الطبيب. قالوا: فأى شىء قال لك؟ قال: إني فعَّال لما أريد؟
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وجدنا خير عيشنا بالصبر، وقال أيضًا: أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريمًا.
وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له... وقال: الصبر مطية لا تكبو».

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٤) كتاب الرقاق.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٦٥٣) كتاب المرضى.

(٤) صحيح: رواه الترمذى وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٨١٥).



وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبده كريم عنده.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاذه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيرًا مما انتزعه.

وروى الحافظ ابن عساكر أنه مات لرجل من السلف ولد، فعزاه سفيان ابن عيينة ومسلم بن خالد وآخرون، وهو في حزن شديد، حتى جاءه الفضيل بن عياض فقال: يا هذا أرأيت لو كنت في سجن وابنك، فأُفرج عن ابنك قبلك، أما كنت تفرح؟ قال: بلى. قال: فإن ابنك خرج من سجن الدنيا قبلك، فسُرِّي عن الرجل وقال: تعزيتُ.

١٦ - معرفة أحوال السلف الصالح عند المصائب ومتابعتهم:

ينبغي للمصاب بنفسه أو بولده أو بغيرهما، أن يجعل في المرض مكان الأئين ذكره الله تعالى، والاستغفار والتعبُّد؛ فإن السلف رحمهم الله تعالى كانوا يكرهون الشكوى إلى الخلق.

وعن أبي محمد الحريري قال: حضرتُ عند الجنيد قبل وفاته بساعتين، فلم يزل تاليًا وساجدًا، فقلت له: يا أبا القاسم، قد بلغ ما أرى من الجهد، فقال: يا أبا محمد، أحوج ما كنتُ إليه هذه الساعة؛ فلم يزل كذلك حتى فارق الدنيا.

وكان صلة بن أشيم في مغزى له ومعه ابنه، فقال: أي بُنى تقدّم فقاتل حتى أحسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم فقتل، فاجتمع النساء عند أمه معاذة العدوية، فقالت: مرحبًا إن كنتن جئتن تهنئني، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

وقال شقيق البلخي: من شكا مصيبة به إلى غير الله، لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً.

وقال بعض الحكماء: كنوز البر كتمان المصائب.

١٧- أن الله يغفر الذنوب ويمحص القلوب بتلك الابتلاءات:

قال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(١).

وقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»^(٢).

١٨- أن تعلم بأنك مسافر... والسفر كله مشقة:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: الناس منذ خلقوا لم يزلوا مسافرين، وليس لهم حظٌّ عن رحالهم إلا في الجنة أو النار، والعامل يعلم أن السفر مبنىٌّ على المشقة وركوب الأخطار. ومن المحال عادة أن يُطلب فيه نعيمٌ ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر، ومن المعلوم أن كل وطأة قدم أو كل آن من آفات السفر غير واقفة، ولا المكلف واقف، وقد ثبت أنه مسافر على الحال التي يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل، وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير^(٣).

١٩- أن تعلم بأن تشديد البلاء يخص الأخيار:

قال ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يُبتلى الرجل على

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٦٤٢) كتاب المرضى.

(٢) صحيح: رواه الترمذي والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٨).

(٣) الفوائد: (ص: ٢٧٠).



حسب دينه، فإن كان في دينه صُلْبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقةً ابتلى على قدر دينه فما يبرحُ البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يُرد الله به خيرًا يُصب منه»^(٢).

٢٠ - معرفة حقيقة الدنيا:

المؤمن يعلم أن الدنيا فانية، ومتاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدرة ولا تصفو لأحد. إن أضحكت قليلًا أبكت طويلًا، وإن أعطت يسيرًا منعت كثيرًا، والمؤمن فيها محبوس، كما قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(٣).

إن هذا المعنى الذى يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا يهُون عليه كثيرًا من وقع المصاب وألم الغم، ونكد الهم؛ لأنه يعلم أنه أمر لا بد منه فهو من طبيعة هذه الحياة.

٢١ - أنك ربما تتعرض لرحمة من رحمة الله بكثرة الدعاء:

ومما يتسلى به المصاب: تعرّضه إلى من القلوب بين أصبعيه وأزمّة الأمور بيديه وانتهاء كل شيء إليه على الدوام، فلعله أن يصادف أوقات النفحات، كما فى الأثر المعروف: إن لله فى أيام دهره نفحات فتعرضوا لنفحاته، واسألوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم، ولعله فى كثرة

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٩٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٤٥) كتاب المرضى.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

تعرّضه أن يصادف ساعة من الساعات التي لا يُسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه. فمن أعطى منشور الدعاء أعطى الإجابة، فإنه لو لم يُرد إجابته لما ألهمه الدعاء كما قيل:

لو لم تُرد نيل ما أرجو وأطلبُهُ من جُود كفك ما عودتني الطلبا

٢٢- أن تعلم الغاية التي خلقك الله من أجلها:

ومما يتسلى به المصاب أن يعلم أن الله سبحانه خلقه لبقاء لا فناء له، ولعز لا ذل معه وأمن لا خوف فيه، وغناء لا فقر معه، ولذة لا ألم معها، وكمال لا نقص فيه، وامتحنه في هذه الدار بالبقاء الذي يسرع إليه الفناء، والعز الذي يقارنه الذل ويعقبه الذل، والأمن الذي معه الخوف وبعده الخوف. وكذلك الغناء واللذة والفرح والسرور والنعيم الذي هنا مشوب بضده؛ لأنه يتعقبه ضده وهو سريع الزوال، فغلط أكثر الخلق في هذا المقام إذ طلبوا النعيم والبقاء والعز والملك والجاه في غير محله ففاتهم في محله، وأكثرهم لم يظفر بما طلبه من ذلك، والذي ظفر به إنما هو متاع قليل والزوال قريب فإنه سريع الزوال عنه، والرسول صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاءوا بالدعوة إلى النعيم المقيم والملك الكبير، فمن أجابهم حصل له ألد ما في الدنيا وأطيبه، فكان عيشه فيها أطيب من عيش الملوك فمن دونهم^(١).

٢٣- أن تعلم قدر النعمة بمشهد البلاء والعافية:

إن مشهد البلاء والعافية يجعل العبد يعرف قدر النعمة؛ فإن البلاء في الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها... والعافية المطلقة هي الطاعات وعواقبها، فأهل البلاء هم أهل المعصية عوفيت أبدانهم، وأهل العافية هم

(١) عدة الصابرين (ص: ٩٥).



أهل الطاعة وإن مرضت أبدانهم.

٢٤- الفوز بمحبة الله (جل وعلا) ومعيته:

وإذا كان الصبر على تلك المصائب والابتلاءات تجلب للعبد أعظم نعمة ألا وهي: معية الله... فأهلاً ومرحباً بالبلاء، فوالله إن إحساس العبد بمعية الله (جل وعلا) تجعله ينسى الألم والمشقة والعذاب، بل تجعله يستعذب العذاب في سبيل الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

٢٥- أن تعلم بأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر:

ينبغي للعبد أن لا ينكر في هذه الدنيا وقوع هذه المصائب، فكل ما يظن في الدنيا أنه شراب فهو شراب، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب، وجمعتها فهو للذهاب.

قال أبو الفرج بن الجوزي: ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تُعتور فيها الأمراض والأكدار، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعاني المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون ويلقى من قومه المحن، وعيسى ابن مريم لا مأوى له، إلا البرارى في العيش الضنك، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين يصابرون الفقر، وقتل عمه حمزة، وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه... وقد قال

(١) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤٦).

النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»^(١).

٢٦- أن تتذكر نعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى:

وإن مما يتسلى به المصاب في مصيبته أن يتذكر نعم الله عليه التي لا تُعد ولا تُحصى... وكفى بالإسلام نعمة.

مرَّ رجلٌ على واحدٍ من السلف الصالح وقد قُطعت يداه ورجلاه، ومع ذلك يتسم ويقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من الناس. فتعجب الرجل وقال له: وأى شيء عافاك الله منه؟! فقال الرجل الصالح: عافاني من الشرك وأنعم عليَّ بنعمة التوحيد والإيمان.. ألا تستحق تلك النعمة أن أسجد لله شكراً؟!.

قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ إن الله لغفورٌ رَحِيمٌ^(٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣).

بل إن أيوب عليه السلام لما مكث في بلواه ثمانى عشرة سنة فقالت له امرأته: يا أيوب.. لو دعوت ربك لفرج عنك. فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهل قليلٌ لله أن أصبر له سبعين سنة؟

فيا لها من كلمات نهديها لكل مسلم مبتلى لتربط على قلبه ولتكون بلسماً لآلامه وجراحه.

ولعلنا نذكر قول عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ عندما قُطعت رجله ومات ابنه فقال: اللهم لك الحمد، إن كنت قد ابتليت فكم عافيت، وإن كنت قد

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) سورة النحل: الآية: (١٨).

(٣) سورة يونس: الآية: (٥٨).



أخذت فكم أعطيت.... فالذى دفعه إلى الحمد بعد الرضا بقضاء الله أنه لم ينس نعم الله عليه.

٢٧- أن تعلم أنك مملوك، وليس للمملوك فى نفسه شيء:

ومما يتسلى به المصاب فى مصيبتة أن يعلم أنه مملوك وليس للمملوك فى نفسه شيء... فإذا أنعم الله عليه بنعمة فعليه أن يتوجه إليه بالشكر وكثرة الطاعات، وإذا ابتلاه الله ببلاءٍ فما عليه إلا أن يصبر ويرضى ويرجو من الله أن يكافئه على صبره ورضاه.

٢٨- أن ترضى بما رضى لك الخالق (جل وعلا):

لابد أن تعلم أيها الأخ الحبيب أن الله لا يختار لعبده إلا أفضل الأشياء، وأن الله هو الذى يعلم ما يصلح العبد وما يفسده.. أما العبد فنظرته قاصرة؛ لأنه لا يعلم عواقب الأمور.

فإذا علمت هذا فما عليك إلا أن ترضى بما رضى لك الخالق (جل وعلا) وأن تحمده فى كل الأحوال فهو أرحم بك من الأم بطفلها الرضيع.

٢٩- أن تعلم أن الله لا يبتليك ليعذبك وإنما ليظهرك ويقربك:

ومما يتسلى به المصاب: أن يوطن نفسه على أن كل مصيبة تأتيه هى من عند الله، وأنها بقضائه وقدره، وأنه ﷻ لم يقدرها عليه ليهلكه بها ولا ليعذبه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه.

قال تعالى: ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾^(١).

٣٠- أن تعلم أن المصيبة ثابتة.. فلا تعترض على أمر الله:

فالعاقل هو الذى يعلم أن المصيبة إذا وقعت فلا فائدة من الاعتراض على أمر الله (جل وعلا)... فعليه حينئذ أن يرضى ويُسلم ليفوز بالأجر والثواب بدلاً من أن يتسخط على أمر الله فيؤى بالذنب والبلاء فى آنٍ واحد.

٣١- أن الله قد يحيى قلبك بهذا البلاء:

وهذا أمرٌ نشاهده كثيراً... فقد يكون العبد بعيداً عن طاعة الله - جل وعلا - فإذا سلط الله عليه البلاء عاد العبد إلى ربه وقام لينفض غبار الغفلة ويرفع يديه بالدعاء والإنابة والتوبة.. وإذا به يصبح عابداً صائماً قائماً، بل وقد يصبح داعية إلى الله (جل وعلا).

وقد يحيى الله قلب عبدٍ بموت عبدٍ آخر، كما حدث فى قصة الرجل الذى كان يشرب الخمر ويفعل الفواحش فلما ماتت ابنته كان موتها سبباً لتوبته وعودته إلى الله تعالى.

٣٢- أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك:

ومن الأشياء التى يتسلى بها المصاب أن يرضى بقضاء الله لأن الإيمان بالقضاء والقدر يُهون على المؤمنين البلاء، وذلك لأنهم يعلمون أن ما ينزل بهم من مصائب وفق قدرٍ معلوم وقضاءٍ مرسوم وحكمة أزلية، وأن الله تعالى يُقدر ويلطف ويبتلى ويخفف.

ومن هنا يوقن العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١).

وقال ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفت الصحف»^(٢).

وقال ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»^(٣).

وقال ﷺ: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار»^(٤).

٣٣ - أن تتذكر ما في البلاء من اللطائف والفوائد:

ومن بين تلك الفوائد التي يجنيها العبد من البلاء: تذكير العبد بذنوبه وربما تاب منها إلى الله ﷻ.

قال بعض السلف: إن العبد ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه مثل رأس الذباب من خشية الله فيُغفر له.

(١) سورة الحديد: الآية: (٢٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر.

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٤٤).

❁ ومنها زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها وانكسار العبد لله ﷻ وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

❁ ومنها أنها توجب من العبد الرجوع إلى الله ﷻ والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء... وفي بعض الآثار: إن الله ليبتلى العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه.. وكان بعض السلف إذا فُتح له في الدعاء عند الشدائد لم يحب تعجيل إجابته خشية أن يُقطع عما فُتح له.

❁ ومنها أن البلاء يقطع قلب المؤمن عن الالتفات إلى المخلوق، ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

وقد حكى الله عن المشركين إخلاص الدعاء له عند الشدائد فكيف بالمؤمن... فالبلاء يوجب للعبد تحقيق التوحيد بقلبه، وذلك أعلى المقامات وأشرف الدرجات.

❁ ومنها: رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلوهم، فإن العبد إذا أحسَّ بالابتلاء رَقَّ قلبه لأهل البلاء ورحمهم.

❁ ومنها: معرفة قدر نعمة العافية، فإن النعم لا تُعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض.

٣٤- أن تعلم أن بعد العسر يسراً:

ومما يتسلى به المصاب أن يُحسن الظن بالله (جل وعلا) ويعلم أن الله سيجعل له فرجاً ومخرجاً، فقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ﴾ (١).

وقال ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»^(١).

٣٥ - التطلع إلى نعيم الجنة:

ومن تسلية أهل المصائب: أن ينظر المصاب ويفرق بين أعظم اللذتين والتمتعين: تمتع الحياة الدنيا الفانية، وتمتع الدار الآخرة الباقية... قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَبُّهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٢).

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾^(٣)، وأى شىء حصل له من القليل؟ وقال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بـم يرجع؟»^(٤).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»^(٥)»^(٦).

(١) صحيح: رواه أحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢).

(٢) سورة الحديد: الآية: (٢٠).

(٣) سورة النساء: الآية: (٧٧).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(٥) سورة السجدة: الآية: (١٧).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٧٩) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

لا تحزن... فالجنة تشتاق إليك

يا من تعلق قلبه بهذه الدنيا الفانية وظن أنها هي دار الخلد وهى جنته الباقية.. فإذا فقد شيئاً من متاعها الزائل حزن عليه حزناً شديداً.. هل نسيت الجنة التى أعدها الله لعباده المؤمنين وجعل فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟!!!

❁ أيها الفقير.. لا تحزن فالملك الكبير فى انتظارك فى جنة الرحمن.

- أما علمت أن أدنى أهل الجنة منزلة سيعطيه الله -جلّ وعلا- مثل مُلك خمسين مَلِك من ملوك الدنيا.

- ففى الحديث أن الله ﷻ يقول لأدنى أهل الجنة: «أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال فى الخامسة: رضيت رب، فيقول له: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب»^(١).

وفى رواية الإمام أحمد عن أبى سعيد: «... قال: فيدخله الله الجنة. قال: فإذا دخل الجنة قال: هذا لى. قال: فيقول الله ﷻ له: تمن. فيتمنى ويذكره الله: سل من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله ﷻ: هو لك وعشرة أمثاله. قال ثم يدخل الجنة... يدخل عليه زوجته من الحور العين، فيقولان له: الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك، فيقول: ما أعطى أحد مثل ما أُعطيت...».

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٠٦) كتاب الأذان، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.



❁ وآخر من يدخل الجنة يعطيه الله ﷻ الدنيا وعشرة أمثالها.

- ففي الحديث الذي رواه مسلم أن الله (جلَّ وعلا) يقول لآخر من يدخل الجنة: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا.

❁ ويا من مرضت أو حزنت أو ظلمت أبشر بالخير كله في الجنة.

- أما علمت أنك ستنسى كل شقاء وعذاب وحرمان مع أول غمسة في جنة الرحمن (جلَّ وعلا).

- ففي الحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «... ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيُصبغ في الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»^(١).

❁ أما علمت أيها الأخ الحبيب أن النبي ﷺ أخبر بعض أصحابه بأن الجنة تشتاق إليهم فقال ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان»^(٢).

- فلماذا لا تشتاق الجنة إليك؟

- أما علمت أنك إذا اشتقت إلى الجنة وسألت الله الجنة فإن الجنة تشتاق إليك وتطلبك من الله (جلَّ وعلا).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٧٩٧) كتاب المناقب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمته الله في صحيح الجامع (١٥٩٨).

قال ﷺ: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»^(١).
 ❀ أما علمت أنك ستجد في الجنة نعيمًا لا يخطر على قلب بشر.

قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»^(٢)^(٣).

❀ وأنت على باب الجنة ستسمع هذه النداءات الأربعة.

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى مناد: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا»^(٤).

❀ وتأمل معي كيف حال أول زمرة يدخلون الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر. ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرّى في السماء إضاءة: لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة - عود الطيب - أزواجهم الحور العين، على خلق رجل

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٧٢) كتاب صفة الجنة، والنسائى (٥٥٢١) كتاب الاستعاذة، وابن ماجه (٤٣٤٠) كتاب الزهد، وأحمد (١١٧٦٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمته الله في صحيح الجامع (٦٢٧٥).

(٢) سورة السجدة: آية (١٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضي الله عنهما.



واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»^(١).

وفي رواية للبخارى ومسلم: «آيتهم فيها الذهب، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض: قلوبهم قلب رجل واحد، يُسبحون الله بكرةً وعشيّاً»^(٢).

❁ بل تأمل معي هذا النعيم.

قال ﷺ: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً»^(٣).

وقال ﷺ: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها»^(٤).

❁ وقال ﷺ: «لقاب قوسٍ في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب»^(٥).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٣) كتاب الجهاد والسير، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، «وقاب قوس»: قدر ما بين المقبض والسية من القوس.

وقال ﷺ: «إن في الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة. فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً. فيرجعون إلى أهلهم، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»^(١).

✽ وحسبك من الجنة أنك ستفوز فيها برضوان الله (جلّ وعلا) وبالنظر إلى وجهه الكريم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ﷻ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأى شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً»^(٢).

✽ وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، وقال: «إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته»^(٣).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٤) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٦٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

«لا تضامون»: لا يحصل لكم ضيم ولا مشقة.. والمراد نفى الازدحام... أى أن كل مؤمن يرى ربه بكل وضوح لا يحجبه شيء عن رؤيته.



✽ وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله ﻻ إله إلا هو: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ^(١).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾.

✽ فهل بعد كل هذا النعيم تحزن على فوات الدنيا؟!!!

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»: «وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ومُلِكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبتها فهو اللؤلؤ والجوهر وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨١) كتاب الإيمان، من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٢) سورة يونس الآيتان (٩، ١٠).

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحُلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى. وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آيتهم فآية الذهب والفضة في صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجدّ السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسُرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة، طولها ستون ميلاً في السماء، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي عُرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار. وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فراشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرّة عليها البشخانات -وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب- فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر. وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع



أصوات الملائكة والنبين وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم، وحيث شاءوا من الجنان. وإن سألت عن حُلِيهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان. وإن سألت عن غلمانهم فولدان مُخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فهن الكواكب الأتراب، اللاتى جرى فى أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين - الشمس والقمر - وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، ويرى وجهه فى صحن خدها، كما يرى فى المرأة التى جلاها صقيليها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حُلُلها. لو اطلعت على الدنيا لمألت ما بين الأرض والسماء ريحًا. وأفواه الخلائق تهليلًا وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحى القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيتها، ولا يزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالًا، ولا يزداد لها على طول المدى إلا محبة ووصالًا، مُبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر

الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها في غاية أمنيته وهواه، وإن نظر إليها سرته وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته، فهو منها في غاية الأمانى... هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليها ملأت قلبه سرورًا، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤًا منظومًا ومنتورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

وإن سألت عن السن فأترا ب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن الحسن، فهل رأيت الشمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب، ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان، اللاتى جُمع لهن بين الحسن والإحسان، فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرب المتحبيات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج.

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت: هذه الشمس متنقلة في بروج فلکها، وإذا حاضرت زوجها، فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة.

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع. وإن قبّلت فلا شىء أشهى إليه من التقبيل، وإن نوّلت



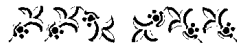
فلا ألد ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه. فاستمع يوم ينادى المنادى: يا أهل الجنة، إن ربكم ﷻ يستزيركم فحى على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين، وحتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيح الذى جعل لهم موعدًا. وجمعوا هناك فلم يغادر الداعى منهم أحدًا، أمر الرب ﷻ بكرسيه فنُصب هناك، ثم نُصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة. وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنى على كثران المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا. ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار. فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جلّ جلاله وتقდست أسماؤه: وقد أشرف عليهم من فوقهم. وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب ﷻ ويضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب، ولم يرونى، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة: قد

رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أَرْضِ عنكم لم أسكنكم جنتي. هذا يوم المزيد فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف لهم الرب - جل جلاله - الحُجُب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لا حترقوا. ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يُذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢٢) ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرٍ﴾ (٢٤) تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (١).

فحى على جنات عدن فإنها منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم^(٢)



(١) سورة القيامة: الآيات (٢٢-٢٥).

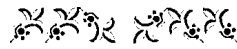
(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم (ص: ٢٦٢ - ٢٦٥).



ابدأ صفحة جديدة

أخي الحبيب:

أريدك وأنت تقرأ في صفحات هذا الكتاب أن تُحوّل كل حروفه
وكلماته إلى واقع ملموس في حياتك... فتطرد الحزن من حياتك وتبدأ
صفحة جديدة تكتب حروفها من السعادة وتملأ سطورها بالرجاء فيما عند
الله وحسن الظن به ﷻ فإن ذلك سينفعك كثيراً في دنياك وآخرتك... فهيا
تخلّص من أحزانك وابدأ صفحة جديدة مكتوب عليها: لا تحزن وابتسم
للحياة.



دعوة مستجابة

❁ أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتاب المتواضع سائلاً ربى ﷻ أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهو أو خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل على بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعاً فى جنته إخواناً على سررٍ متقابلين.

❁ روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكّل به: آمين ولك بمثله»^(١).

❁ جزى الله خيراً كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئاً وعلمه لمن حوله.

❁ كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين فى المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أخرجت للناس.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.



❁ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب
إليك....

وصلّى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم
وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمّد بن عبد الله
عقار

فهرس الموضوعات

- ٥ بين يدي الكتاب
- ٩ فضل الصبر
- ١١ فضل مَنْ صبر عند الصدمة الأولى
- ١٢ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
- ١٤ لست وحدك أيها المُبتلى
- ١٦ ومن يتق الله يجعل له مخرجًا
- ٢٠ إذا نزلت بك المصائب فقل: يا الله
- ٢٢ الأنبياء (صلوات ربي وسلامه عليهم) ورحلة البلاء
- ٢٤ تفريج هم نبي الله آدم ﷺ
- ٢٦ آدم ﷺ.. واليقين
- ٢٧ تفريج هم نبي الله نوح ﷺ
- ٢٨ تفريج هم نبي الله إبراهيم ﷺ
- ٣١ تفريج هم نبي الله لوط ﷺ
- ٣١ تفريج هم نبي الله يعقوب ويوسف ﷺ
- ٣٢ تفريج هم نبي الله أيوب ﷺ
- ٣٣ وجاء الشفاء بعد ثمانى عشرة سنة
- ٣٥ تفريج هم نبي الله يونس ﷺ
- ٣٩ تفريج هم نبي الله موسى ﷺ
- ٤٣ أصحاب الأخدود
- ٤٤ تفريج هم نبي الله دانيال ﷺ
- ٤٦ تفريج الهموم والشدائد عن نبينا محمد ﷺ
- ٤٨ سبب الهموم والغموم



- ٤٩ كُن راضيا عن الله
- ٥٠ أفضل العبادة انتظار الفرج

من قصص مفاتيح الفرج

- ٥٥ أَمَّنْ يجب المضطر إذا دعاه
- ٥٦ لا تحزن.. والجا إلى من يجب المضطر إذا دعاه
- ٥٨ لعله خير
- ٦٠ الرضا بقضاء الله
- ٦١ الإيمان بالقضاء والقدر بلسم الجراحات
- ٦٢ فكيف لو نظر إلينا الخالق (جل وعلا)
- ٦٣ أيها الفقير لا تحزن
- ٦٣ ستنسى كل شقاء مع أول غمسة في الجنة
- ٦٦ أغث الملهوف
- ٦٧ مصائب الدنيا تهون
- ٦٩ جابر عثرات الكرام
- ٧٥ من أراد الله إطلاقه لا أقدر على منعه
- ٧٦ ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله
- ٧٨ وقد يأتي الفرج من حيث لا تحسب
- ٨٢ اتق دعوة المظلوم
- ٨٣ لا تحزن أيها المظلوم فالله ناصرك
- ٨٥ سترك الله كما سترتنى
- ٨٦ عجباً لمكروب كيف يغفل عن خمس
- ٨٨ إن في ذلك لعة
- ٩١ لقمة بلقمة

- ٩٣ * أبو بكر المسكى
- ٩٥ * أثره بحياته.. فكانت النجاة
- ٩٦ * دخل عليه الأسد.. فلم يشغل قلبه إلا بالله
- ٩٩ * أعان الفيلة على قتل ثعبان فكافأوه بما أغناه
- ١٠٢ * قصة ليلة مع الأسد في حجرة مغلقة الباب
- ١٠٤ * أخذه الأسد في المكان الذي أخذ فيه أباه
- ١٠٦ * نجا من الأسد واقترب مملوكه
- ١٠٨ * قضى ليلة في الجُب بجوار أفعى
- ١١٢ * لسعته عقرب فعوفى
- ١١٣ * مشلول لسعته عقرب فعوفى
- ١١٥ * اقترب السبع صاحب الدِّين وسَلِم الغريم
- ١١٦ * قتلوا شبلاً فاجتمع عليهم بضعة عشر سبباً
- ١١٨ * أراد الأسد أن يأكله فأنجاه الله بالريح
- ١١٩ * حلف ألا يأكل لحم فيل.. فأنقذه الفيل !!!
- ١٢٣ * طائر ينجو من حية بشوكة
- ١٢٤ * الكلب ينقذ صاحبه
- ١٢٥ * هذا قبر الكلب الوفي
- ١٢٧ * الكلب ينقذه من الأفعى
- ١٢٨ * خانه صاحبه وأنقذه كلبه
- ١٣٠ * حكاية الثعبان والرغيف
- ١٣١ * قصة الغراب والرغيف
- ١٣٢ * أتاها النسربطعامهم
- ١٣٣ * الحِذَاء ألقت اللحم في بيته!!
- ١٣٤ * إن الله لقادر أن يُطعمكم



- ١٣٥ ❁ ألقى نفسه على نبات البردى فوقع على أسد
- ١٣٩ ❁ كان سبب رزقهم دون أن يدرى
- ١٤٠ ❁ هكذا أنجاه الله من الغادر اللئيم
- ١٤٤ ❁ هاجه الحسد وقتله الطمع
- ١٤٧ ❁ البرىء المحبوس
- ١٤٩ ❁ عدالة السماء
- ١٥٣ ❁ أنت أحكم الحاكمين.. فاحكم بيننا
- ١٥٥ ❁ كان بينه وبين الموت شعرة فأنجاه الله
- ١٥٧ ❁ نجا من الأسر بدعاء مخلص
- ١٥٨ ❁ إنما كان قلبى عند سيدى
- ١٥٩ ❁ لقاء بين الجد الرومى النصرائى والحفيد العربى المسلم
- ١٦٢ ❁ يصلى ويدعو لابنه حتى عاد إليه بصره
- ١٦٣ ❁ اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم
- ١٦٤ ❁ يعود إليه بصره إذا فتح المصحف
- ١٦٥ ❁ رأى النبى ﷺ فى المنام فشفاه الله
- ١٦٧ ❁ وهبتك حياتهم جميعاً
- ١٦٨ ❁ أذان لردّ المظالم!!
- ١٧٣ ❁ ما أحب أن أزداد على عطاء رسول الله شيئاً
- ١٧٥ ❁ كل يوم هو فى شأن
- ١٧٨ ❁ يا قديم الإحسان لك الحمد
- ١٨١ ❁ ترك الطعام فى الحرام فجاءه فى الحلال
- ١٨٣ ❁ الفرج قريب
- ١٨٥ ❁ كلمة الحق تُنجى فى الدنيا والآخرة
- ١٨٧ ❁ قد وهبتك لله ورسوله

- ❖ إن في ذلك لذكرى لمن تذكّر ١٨٩
- ❖ الله يجعل للمتقين فرجًا ومخرجًا ١٩٣
- ❖ تصدق بثلاثة دنائير فأخلف الله عليه ثلاثمائة ١٩٦
- ❖ يا بُنى هكذا من رجا الخالق ولم يرجُ المخلوق ١٩٧
- ❖ هكذا ينجي الله من لجأ إليه ١٩٩
- ❖ إن زدتنى فى العمل زدتك فى الأجرة ٢٠١
- ❖ لا يكشف الكرب والهم إلا الله ٢٠٣
- ❖ قصة صبر تفوق الخيال ٢٠٦
- ❖ ارحموا عزيز قوم ذل ٢١٢
- ❖ دافع عن أصحاب النبي ﷺ فشفع له النبي ﷺ ٢١٦
- ❖ فى حبسك رجلان مظلومان ٢١٩
- ❖ حسن الظن بالله أنجاه ٢٢٢
- ❖ أصلح بين متخاصمين بدرهم فوهب الله له درة بمائة وعشرين ألفًا ... ٢٢٤
- ❖ ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ٢٢٦
- ❖ النبي ﷺ يلومه فى المنام... فيعود إلى بذل الخير ٢٢٧
- ❖ اللهم اجعل لى فى ساعتى هذه فرجًا ومخرجًا ٢٢٩
- ❖ سلامٌ عليكم بما صبرتم ٢٣١
- ❖ قد فرّج الله عنك فقومى ٢٣٥
- ❖ الوزير ابن مقلّة ينكب رجلاً ثمّ يُحسن إليه ٢٤٠
- ❖ لا أقتل قومًا سقاهم الله من السماء ٢٤٣
- ❖ صدق الله.. وكذب بطن أخيك ٢٤٤
- ❖ قصة شفاء اللديغ بفاتحة الكتاب ٢٤٧
- ❖ ماء زمزم شفاء لكل داء ٢٤٨
- ❖ استحضر النية عند شرب ماء زمزم ٢٤٩



- ٢٥١ قصة استشفاء الإمام ابن القيم بماء زمزم
- ٢٥١ ماء زمزم شفاء من الأمراض:
- ٢٥٣ قصة استشفاء الإمام ابن القيم بالعسل
- ٢٥٥ الشفاء من العمى بماء زمزم
- ٢٥٦ وهكذا عاد للإمام البخارى بصره
- ٢٥٦ عطس عطسة فعاد إليه بصره!!
- ٢٥٧ وقع على الأرض فشفاه الله من العمى والشلل
- ٢٦٠ عاد إليه بصره فعاد لكتابة الحديث
- ٢٦١ خلع ضرسه فعاد إليه بصره!!!
- ٢٦٢ نزلت الحصاة من أذنه بالدعاء
- ٢٦٣ وهكذا خرجت الحصاة من أذنه
- ٢٦٤ يذهب عنه الشلل عند الوضوء
- ٢٦٥ دعاء المخلصين كان سبباً للشفاء
- ٢٦٦ قصة شفاء عجيبة
- ٢٦٨ الإخلاص في النصيحة كان سبباً للشفاء
- ٢٧١ أطلق الله لسانه لينشر الكتاب والسنة
- ٢٧٢ سقاية المسلمين.. والشفاء من الأمراض
- ٢٧٣ قصة رجل روى مع ماء زمزم
- ٢٧٥ اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك
- ٢٧٥ اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة
- ٢٧٦ اصنع كيف شئت فإن أرزاقنا عليك
- ٢٧٧ بركة الصدق
- ٢٧٨ إن ربى اخترنى فأحبت أن أزيده
- ٢٧٨ عفونا عنهما بصدقك

- ❖ لا نهلك وأنت رجاؤنا ٢٧٩
- ❖ وعادت إليه جواهره بعد السجن والتعذيب ٢٨٠
- ❖ بَيْنَ الْأَصْمَعِيِّ وَالْبِقَالِ الَّذِي عَلَى بَابِ الرِّزْقِ ٢٨٢
- ❖ وجاء الفرج ٢٨٦
- ❖ لبس ثوب الحياء ففرّج الله همّه ٢٨٧
- ❖ الله هو الرزاق ٢٨٩
- ❖ ثلاث دعوات للعلاء بن الحضرمي ٢٩٠
- ❖ أطيعوا الله لا يضيعكم ٢٩٢
- ❖ أَبَى أَنْ يَعْطِيَهُ دِينَارًا فَأَعْطَاهُ أَلْفَيْنِ ٢٩٣
- ❖ سبحان الله.. ما أوسع فضله ٢٩٩
- ❖ افعل ما يليق بكرمك ٣٠٢
- ❖ أمير المؤمنين وأبو اليتامى ٣٠٣
- ❖ لا يفعل هذا المعروف إلا (زيد الخيل) ٣٠٤
- ❖ الفرج قريب ٣٠٧
- ❖ الأيام دول ٣٠٨
- ❖ الله يفرج همه برؤيا!!! ٣١٠
- ❖ الحمد لله الذي عافاني ٣١٤
- ❖ تفاؤل الإمام ابن القيم في العثور على ولده ٣١٥
- ❖ قلبٌ مخلص... ومطرٌ غزير ٣١٦
- ❖ عليك بدعاء الكرب ٣١٨
- ❖ ابتليت بالمصائب فرزقت الصبر ٣١٩
- ❖ أرجو أن تكون لك خيرة ٣٢٠
- ❖ خرج من قبره بعد دفنه ٣٢١
- ❖ عابد ينجو من فخ إبليس ٣٢٢



- ٣٢٣ ❁ نهاية رجل يكره أصحاب الرسول ﷺ
- ٣٢٥ ❁ والله.. لا رأيت مني بعدها سوءًا أبدًا
- ٣٢٦ ❁ ألقى صندوق الكتب في البحر فعاد إليه!!
- ٣٢٧ ❁ رؤيا عجيبة لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه
- ٣٢٨ ❁ من كرامات أبي مسلم الخولاني
- ٣٣٠ ❁ بين الإسكندر وملك الصين
- ٣٣٣ ❁ عسى فرج يأتي به الله
- ٣٣٤ ❁ افعَلْ بعبدك ما تحب أن يفعله الله بك
- ٣٣٥ ❁ بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
- ٣٣٦ ❁ الباب الذي بين الله وبين الناس لا يُغلق
- ٣٣٦ ❁ أعرابية ذهب البرد بزرعها فعوّضت خيرًا
- ٣٣٧ ❁ قد ينجلي المكروب عمّا يسرّ
- ٣٣٨ ❁ الخلطة السحرية
- ٣٤٠ ❁ رفع صوته بالتلبية فحُمِلت إليه أربعة آلاف دينار
- ٣٤١ ❁ تضايقي تنفر جي
- ٣٤٢ ❁ هاك يا هذا الذي لا أعرفه
- ٣٤٤ ❁ سقط عني نصف العمل وبقي عليّ نصفه
- ٣٤٤ ❁ وهكذا عاد إليه بصره!!
- ٣٤٥ ❁ كيف عاد إليه لسانه بعد قطعه!!!!
- ٣٤٧ ❁ اللهم إنك قادرٌ على أن تذهب عطشى من غير فطر
- ٣٤٨ ❁ وهكذا جاءه الرزق من حيث لا يحتسب
- ٣٤٩ ❁ أرني فيه آية
- ٣٥٠ ❁ الرجل الذي أحيا الله حماره
- ٣٥١ ❁ يُقسم على ربه فيردّ عليه فرسه

- ٣٥١ اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك
- ٣٥٢ الله رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا
- ٣٥٣ هكذا نجّاه الله من السجن
- ٣٥٥ دعاء الواثق في ربه (جل وعلا)
- ٣٥٥ لجأ إلى الله فنجّاه من القتل
- ٣٥٦ اللهم اقطع يده
- ٣٥٦ اللهم إن هذا قد شهّر بى فأرحنى منه
- ٣٥٧ أراد أن يقتله فقتل
- ٣٥٨ اجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجاً
- ٣٥٩ سل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة
- ٣٦٠ أسألك بقدرتك أن تكفينيه
- ٣٦١ كرم فى مقابل الأمانة
- ٣٦٢ نجاة وسط الأمواج
- ٣٦٢ كل الخلق عبيدك
- ٣٦٣ ما شاء الله كان
- ٣٦٣ لأن تلقى الله حائثاً خير من أن تلقاه قاتلاً
- ٣٦٤ إن دماء المسلمين لا تُسفك بالأحلام
- ٣٦٥ احتبس لسانه سبعة أيام
- ٣٦٥ إن عبادتك خمسين سنة تعدل سكون العرق
- ٣٦٦ جارية تنقذ أسرتها
- ٣٦٧ اللهم رُدْ غائبى واكشف همى
- ٣٦٨ هذا رزقى يسير إلى
- ٣٦٩ قد عشنا بها واستغنينا
- ٣٧٠ فرّج عنى ما أنا فيه



- ٣٧١ إن الله أولى بالجميل
 ٣٧١ قصة ابتلاء آل معاذ بن جبل
 ٣٧٢ الذين يفرحون بالبلاء
 ٣٧٣ رضينا بقضاء الله
 ٣٧٤ فطنة وكياسة
 ٣٧٥ تاب الله عليك
 ٣٧٦ اشتهاها فوجدها
 ٣٧٧ اذكر الذين لا مأوى لهم
 ٣٧٧ أنت على العقوبة أقدر منك على نزعها
 ٣٧٨ دعاء في جوف الليل
 ٣٧٨ اذكر يوم الأذان
 ٣٧٩ بلا تعليق!!
 ٣٨٠ بذكائه يظفر بالعفو
 ٣٨١ الفرج قريب
 ٣٨٢ شعبة بن الحجاج... وشفاعته لأخيه
 ٣٨٣ ضَمِنَ رجلاً فنجَّاه الله
 ٣٨٤ إياك والشكوى إلى غير الله
 ٣٨٥ وهكذا رُفِعَ العذاب
 ٣٨٦ ويلٌ لكل ظالم
 ٣٨٧ النعمة موصولة بالشكر
 ٣٨٩ جعلت الحمد كله لله
 ٣٩٠ هدى نبينا ﷺ أكمل الهدى
 ٣٩٢ تخلص من القتل بالدعاء
 ٣٩٣ أنت طالق إن لم تكوني أحسن من القمر

- ❖ وراء الكرب فرجٌ ٣٩٤
- ❖ الفرج قريب ٣٩٥
- ❖ هذا أول بركة الشافعي ٣٩٧
- ❖ ابنك يفتح لك أبواب الجنة ٤٠٠
- ❖ أخشى أن أكون منهم ٤٠١
- ❖ ما أحب أن شيئاً كان من ذلك لم يكن ٤٠٢
- ❖ صبر الحسن البصري على موت ابنه ٤٠٣
- ❖ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ٤٠٤
- ❖ أطفال يسقون آباءهم يوم القيامة ٤٠٥
- ❖ خرج من سجن الدنيا ٤٠٦
- ❖ لا تُعزوني ولكن هتئوني ٤٠٦
- ❖ أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به ٤٠٧
- ❖ عليكم بهذه الدعوات ٤٠٨
- ❖ لو كان الناس يحسنون السؤال ما حررنا أحداً ٤٠٩
- ❖ عليك بدعاء تفريج الكرب ٤٠٩
- ❖ كل يوم هو في شأن ٤١٠
- ❖ لما قُدم للقتل تماسك فلماً عُفى عنه بكى ٤١١
- ❖ المعلى بن أيوب الكاتب يتخلص من الفضل بن مروان بدعاء دَعَا بِهِ .. ٤١٣
- ❖ الوزير المهلب يَجِيئُهُ الغياث من الله تعالى ٤١٥
- ❖ الحجاج بن يوسف يعفو عن الإمام الشعبي ٤١٦
- ❖ هل عذابك اليوم عنى مصروفٌ؟ ٤١٧
- ❖ لقد أبيت إلا رفقا ٤١٨
- ❖ نزل المطر فأسلمت القبيلة كلها ٤١٩
- ❖ نزلت الأمطار بدعاء مخلصٍ ٤٢٠

- ❁ الزمى الدعاء... فالشفاء قريب ٤٢١
- ❁ دعوة في السَّحر ٤٢٣
- ❁ رب لا تذرني فردًا ٤٢٤
- ❁ وعاد بريق الأمل ٤٢٨
- ❁ صبرٌ... وثبات ٤٣٤
- ❁ النعمة والعافية تُبْطِران الإنسان ٤٤٠
- ❁ رُبَّ حياة سببها طلب الموت وموت سببه طلب الحياة ٤٤٠
- ❁ كلمات في الشكر على العافية والصبر على الشدة ٤٤١
- ❁ كلمات في الصبر على المحنة ٤٤١
- ❁ يُدرك الصَّبور أحمد الأمور ٤٤٢
- ❁ من اتَّبَعَ الصبر اتبعه النصر ٤٤٣

صبراً يا أهل البلاء

- ❁ صبراً يا أهل البلاء ٤٤٧
- ❁ عبق النسرین من ثواب المرضی الصابرين ٤٤٩
- ❁ ما أثقلهن في الميزان (الصبر على موت الولد) ٤٤٩
- ❁ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ٤٥٠
- ❁ بيت الحمد في جنة الرحمن ٤٥١
- ❁ همسة في أذن كل محروم من نعمة الأولاد ٤٥١
- ❁ الطريق إلى الولد الصالح ٤٥٢
- ❁ وها هي أسباب الرزق الحلال: ٤٥٥
- ١- الإيمان والتقوى: ٤٥٥
- ٢- إقامة شرع الله: ٤٥٥
- ٣- التفرغ لعبادة الله (جل وعلا): ٤٥٥

- ❁ فرغ خاطرك اللهم بما أُمّرت به ٤٥٦
- ٤ - الاستقامة: ٤٥٨
- ٥ - التوكل: ٤٥٨
- ٦ - الاستغفار والتوبة: ٤٥٨
- ٧ - صلة الرحم: ٤٥٩
- ٨ - الصلاة: ٤٦٠
- ٩ - الشكر: ٤٦٠
- ١٠ - المتابعة بين الحج والعمرة: ٤٦١
- ١١ - الهجرة في سبيل الله: ٤٦١
- ١٢ - الجهاد في سبيل الله: ٤٦١
- ١٣ - الزواج: ٤٦٢
- ١٤ - الدعاء: ٤٦٣
- ١٥ - الصدقة: ٤٦٣
- ١٦ - الإنفاق على طلبة العلم الشرعي: ٤٦٤
- ١٧ - الإحسان إلى الضعفاء: ٤٦٥
- ١٨ - السعي والأخذ بالأسباب: ٤٦٥
- ❁ الأسباب التي تعين على الصبر: ٤٦٧
- (١) الفوز بمعية الله ومحبته: ٤٦٧
- (٢) الفوز بالصلاة والرحمة والهدى من الله: ٤٦٧
- (٣) التأسّي بأهل المصائب: ٤٦٧
- (٤) العلم بأن المرض مُقدّر من عند الله: ٤٦٨
- (٥) أن تعلم أن الله أرحم بك من الأم بطفلها الرضيع: ٤٦٩
- (٦) التوكل على الله والاستعانة بالصبر والصلاة: ٤٧٠
- (٧) أن ترضى باختيار الله لك: ٤٧٠

- (٨) أن تتذكر فوائد المرض وثمراته: ٤٧٠
- (٩) أن تعلم أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها: ٤٧١
- (١٠) أن تعلم أن البلاء علامة على محبة الله لك: ٤٧١
- (١١) أن المرض يخلصك من الكبر والعجب: ٤٧١
- (١٢) قد يكون الخير كله في هذا المرض: ٤٧٢
- (١٣) أن تنظر إلى ما أبقاءه الله عليك من النعم: ٤٧٢
- (١٤) التحصن بالعلم النافع: ٤٧٣
- (١٥) التعرف على فضيلة الصبر: ٤٧٣
- (١٦) معرفة أحوال السلف الصالح عند المرض: ٤٧٤
- (١٧) أن تعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار: ٤٧٤
- (١٨) أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك: ٤٧٤
- (١٩) أن تتذكر ما في البلاء من اللطائف والفوائد: ٤٧٥
- (٢٠) أن تحمد الله على أن المصيبة لم تكن في الدين: ٤٧٦
- (٢١) أن تعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان: ٤٧٦
- (٢٢) أن تتذكر الموت: ٤٧٧
- (٢٣) انتظار الفرج من عند الله (جل وعلا): ٤٧٧
- (٢٤) أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة: ٤٧٨
- (٢٥) أن تستحضر هذا المشهد المهيّب: ٤٧٨
- (٢٦) أن تتذكر عذاب أهل النار: ٤٧٨
- (٢٧) التطلع إلى نعيم الجنة: ٤٧٩
- ❖ هل يرد الاعتراض الأقدار؟ ٤٨١
- ❖ فوائد الأمراض .. والحكمة منها: ٤٨٤
- (١) تكفير الذنوب والسيئات: ٤٨٤
- (٢) استخراج عبودية الضراء (وهي الصبر): ٤٨٥

- (٣) إيقاظ العبد من غفلته: ٤٨٦
- (٤) صحة وطهارة القلوب والأرواح: ٤٨٦
- (٥) أن يعلم العبد قدر النعمة: ٤٨٧
- (٦) أن تتذكر حال إخوانك المرضى: ٤٨٧
- (٧) النجاة من النار: ٤٨٧
- (٨) دخول جنة الرحمن (جل وعلا): ٤٨٨
- (٩) رفع الدرجات: ٤٨٨
- ❁ من يُرد الله به خيرًا يُصب منه: ٤٨٩
- ❁ نصائح غالية لكل مريض: ٤٩٢
- (١) عليك بالصبر الجميل: ٤٩٢
- (٢) لا تطلب البلاء ولا تتمناه: ٤٩٢
- (٣) توكل على الله مع الأخذ بالأسباب: ٤٩٣
- (٤) احذر من الدواء المحرم: ٤٩٤
- (٥) لا تتمن الموت لشدة المرض: ٤٩٤
- (٦) احرص على الصدقة: ٤٩٤
- (٧) احرص على هذا الدعاء لتنال أجر شهيد: ٤٩٥
- (٨) لا تخف من الموت بسبب المرض: ٤٩٥
- (٩) لا تذهب للكُهان والسحرة والعرافين: ٤٩٦
- (١٠) عليك بالدعاء: ٤٩٧
- (١١) احرص على الرقية الشرعية: ٤٩٨
- (١٢) احرص على أدعية تفريج الهموم: ٥٠١
- (١٣) عليك بالحجامة وعسل النحل: ٥٠٤
- (١٤) عليك بألبان البقر: ٥٠٥
- (١٥) وصفة مباركة للشفاء: ٥٠٥



- (١٦) نصيحة غالية للوقاية من أى بلاء: ٥٠٥
- (١٧) هذا الطعام لعلاج الهموم: ٥٠٦
- (١٨) عليكم بالحبة السوداء: ٥٠٦
- (١٩) قيام الليل مَطْرَدَةٌ للداء عن الجسد: ٥٠٦
- (٢٠) عليك بمراعاة تلك الأشياء مع الأهل والأحباب: ٥٠٦
- (٢١) لا تحزن على ما فاتك من الدنيا: ٥٠٧
- (٢٢) أحسن الظن بالله (جل وعلا): ٥٠٨
- (٢٣) لا تشك من يرحمك إلى من لا يرحمك: ٥٠٩
- (٢٤) أَحَبُّ لقاء الله ﷻ: ٥١١
- (٢٥) عليك بالتوبة والاستغفار: ٥١٢
- (٢٦) بادر بكتابة وصيتك: ٥١٢
- (٢٧) تحلل من المظالم: ٥١٣
- (٢٨) اغتنم لحظات العمر في طاعة الله: ٥١٤
- (٢٩) وماذا بعد الشفاء: ٥١٤
- (٣٠) سَلِّ الله الجنة: ٥١٦
- ❁ **الدعاء من أعظم أسباب تفريج الهموم** ٥١٧
- ❁ ومن فوائد الدعاء وبركته ٥٢١
- ❁ الدعاء خير كله في الدنيا والآخرة: ٥٢١
- ❁ المداومة على الدعاء من أسباب إغاثتك في الكربات ٥٢٢
- ❁ الدعاء سبب لمغفرة الذنوب: ٥٢٢
- ❁ الدعاء سبب لمعية الله: ٥٢٢
- ❁ الدعاء سلاح: ٥٢٢
- ❁ وللدعاء مع البلاء ثلاث مقامات ٥٢٣

- ❁ أوقات استجابة الدعاء: ٥٢٤
- ١- جوف الليل الآخر: ٥٢٥
- ٢- الثلث الأخير من الليل حتى يطلع الفجر: ٥٢٥
- ٣- وقت السَّحر: ٥٢٥
- ٤- ساعة كل ليلة: ٥٢٥
- ٥- إذا انتصف الليل: ٥٢٥
- ٦- بعد الوضوء إذا دعا بالمأثور في ذلك: ٥٢٦
- ٧- عند الأذان؛ حيث النداء للصلوات المكتوبة: ٥٢٦
- ٨- بين الأذان والإقامة: ٥٢٦
- ٩- عند إقامة الصلاة: ٥٢٧
- ١٠- في السجود: ٥٢٧
- ١١- دُبُرَ الصلوات المكتوبات: ٥٢٧
- ١٢- عند نزول الغيث (المطر)، وعند زحف الصفوف في سبيل الله: ٥٢٧
- ١٣- ساعة الإجابة من يوم الجمعة: ٥٢٨
- ١٤- وقيل: هي عند صعود الإمام يوم الجمعة ٥٢٨
- ١٥- عند تلاوة القرآن: ٥٢٨
- ١٦- عند قول الإمام: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ٥٢٨
- ١٧- عند شرب ماء زمزم مع النية الصادقة: ٥٢٩
- ١٨- عند صياح الديكة: ٥٢٩
- ١٩- عند الاستيقاظ من النوم ليلاً والدعاء بالمأثور في ذلك: ٥٢٩
- ٢٠- عند الدعاء بـ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: ٥٢٩
- ٢١- عند تغميض الميت: ٥٣٠
- ٢٢- الدعاء حين المرض: ٥٣٠
- ٢٣- دعاء الناس عند المريض وعقب وفاة الميت: ٥٣١



- ٢٤- الدعاء بعد الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ ٥٣١
- ٢٥- عند دعاء الله باسمه العظيم الأعظم، ٥٣١
- ٢٦- عند دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب: ٥٣٢
- ٢٧- دعاء يوم عرفة في عرفة: ٥٣٢
- ٢٨- دعاء يوم عرفة في غير عرفة: ٥٣٢
- ٢٩- في كل يوم وليلة من شهر رمضان المبارك: ٥٣٢
- ٣٠- في ليلة القدر: ٥٣٢
- ٣١- عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر: ٥٣٣
- ٣٢- عند الدعاء في المصيبة بـ «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها»: ٥٣٣
- ٣٣- الدعاء عند إقبال القلب على الله وتحقيق الإخلاص في الدعاء: ٥٣٤
- ❖ **مستجابو الدعاء:** ٥٣٤
- ١- دعاء المظلوم مطلقاً ٥٣٤
- ٢- دعاء الوالد لولده: ٥٣٥
- ٣- دعاء الوالد على ولده: ٥٣٥
- ٤- دعاء المسافر: ٥٣٥
- ٥- دعاء الأشعث الأغبر المستكين: ٥٣٦
- ٦- دعاء الصائم حتى يفطر: ٥٣٦
- ٧- دعاء الصائم عند فطره: ٥٣٦
- ٨- دعاء الإمام العادل: ٥٣٦
- ٩- دعاء المضطر: ٥٣٧
- ١٠- دعاء الولد البارّ لوالديه: ٥٣٧
- ١١- دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب: ٥٣٧
- ١٢- الذكر الله كثيراً ٥٣٧

- ٥٣٨ ❁ أدعية لتفريج الهم والكرب
- ٥٤٠ ❁ لا تنس الدعاء باسم الله الأعظم
- ٥٤١ ❁ عليك بجوامع الدعاء
- ٥٤٢ ❁ سَلِ الله العفو والعافية
- ٥٤٣ ❁ ما أكثر دعاء النبي ﷺ
- ٥٤٣ ❁ هذا الدعاء لسداد الدين
- ٥٤٤ ❁ اجعل دعاءك لأخيك لتأتيك الإجابة
- ٥٤٦ ❁ الدعاء سهمٌ لا يُخطئ
- ٥٤٨ ❁ حكمة تأخير إجابة الدعاء
- ٥٥٠ ❁ عشرة أسباب لعدم إجابة الدعاء
- ٥٥١ ❁ التقوى سببٌ لتفريج الكروب
- ٥٥٢ ❁ التوبة والاستغفار من أسباب تفريج الهموم
- ٥٥٢ ❁ فوائد التوبة :
- ٥٥٢ ١- سبب لمحبة الله (جل وعلا):
- ٥٥٢ ٢- سبب للخروج من دائرة الظالمين:
- ٥٥٢ ٣- طاعة لأمر الله:
- ٥٥٢ ٤- سبب لمحو الذنوب:
- ٥٥٢ ٥- سبب للفلاح في الدنيا والآخرة:
- ٥٥٣ ٦- تبديل السيئات إلى حسنات:
- ٥٥٣ ٧- سبب في سعة الرزق والقوة:
- ٥٥٣ ٨- تجعل العبد يهرب من العذاب والوحشة إلى الأُنس والرحمة:
- ٥٥٣ ٩- سبب في الحياة الهادئة المطمئنة:
- ٥٥٤ ١٠- تطهر قلب التائب:



- ❁ ثمرات الاستغفار: ٥٥٥
- (١) مغفرة الذنوب: ٥٥٥
- (٢) الفوز بمحبة الله (جلَّ وعلا): ٥٥٦
- (٣) سبب لسعة الرزق والإمداد بالمال والبنين: ٥٥٦
- (٤) أنه سبب لحصول القوة في البدن كذلك: ٥٥٧
- (٥) أنه سبب لدفع المصائب ورفع البلايا: ٥٥٧
- (٦) سبب لبياض القلب وصفائه ونقاؤه: ٥٥٨
- (٧) زوال الوحشة بين العبد وربّه: ٥٥٨
- (٨) زوال الهموم والغموم: ٥٥٨
- (٩) يوم القيامة تكون في ظل عرش الرحمن: ٥٥٨
- (١٠) نور على الصراط: ٥٥٩
- (١١) من أسباب دفع العذاب: ٥٥٩
- (١٢) سبب لدخول الجنة: ٥٥٩
- (١٣) سبب لرفع الدرجات: ٥٦٠
- ❁ لماذا أصبح الاستغفار سنة في الاستسقاء ٥٦١
- ❁ كيف ننجو من فتنة المسيح الدجال: ٥٦٢
- ❁ ما ينتفع به الميت بعد موته: ٥٦٥
- ١- دعاء المسلمين له: ٥٦٥
- ٢- قضاء الدين عنه من أى شخص ولياً كان أو غيره: ٥٦٥
- ٣- قضاء ولى الميت الصوم عنه: ٥٦٥
- ٤- قضاء النذر عنه صوماً كان أو غيره: ٥٦٥
- ٥- ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة: ٥٦٦
- ٦- ما خلفه بعده من آثار صالحة وصدقات جارية: ٥٦٦
- ٧- الحج عن الميت: ٥٦٦

- ٥٦٧ ٨- الصدقة عن الميت:
- ٥٦٨ ❁ الأسباب المنجية من عذاب القبر:
- ٥٦٨ (١) الإيمان والتقوى والعمل الصالح:
- ٥٦٩ (٢) الاستقامة على طاعة الله (جل وعلا):
- ٥٦٩ (٣) الشهادة في سبيل الله تعالى:
- ٥٧٠ (٤) من مات شهيداً في غير حرب:
- ٥٧١ (٥) المرابطة في سبيل الله تعالى:
- ٥٧٢ (٦) قراءة سورة تبارك:
- ٥٧٢ (٧) تجنب أسباب عذاب القبر:
- ٥٧٢ (٨) التوبة الصادقة عند الموت:
- ٥٧٣ (٩) الموت في ليلة الجمعة أو في يوم الجمعة:
- ٥٧٣ (١٠) الدعاء:
- ٥٧٤ (١١) شرب ماء زمزم بنية النجاة من عذاب القبر:
- ٥٧٥ ❁ وها هي أسباب الفوز بشفاعته النبي ﷺ:
- ٥٧٦ ❁ النبي ﷺ يختبئ دعوته شفاعته لأمته:
- ٥٧٧ ❁ شروط الشفاعات:
- ٥٧٨ ❁ أنواع الشفاعات يوم القيامة:
- ٥٧٩ ❁ كيف نفوز بشفاعة النبي ﷺ:
- ٥٨٠ ❁ وهناك شفاعات أخرى:
- ٥٨٢ ❁ تسلية أهل المصائب:
- ٥٨٢ ١- الأجر العظيم على الصبر والاسترجاع:
- ٥٨٣ ٢- التأسي بأهل المصائب:
- ٥٨٤ ٣- أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة في الآخرة:
- ٥٨٥ ٤- أن تتوكل على الله (جل وعلا):



- ٥- أن تحمد الله على أن المصيبة لم تكن في الدين: ٥٨٥
- ٦- أن تعلم بأن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها: ٥٨٧
- ٧- أن تعلم بأن المصائب تُخلص العبد من الكبر والعُجب: ٥٨٧
- ٨- قد يكون الخير كله في تلك المصائب: ٥٨٨
- ٩- أن تعلم بأن البلاء قد يرفعك في درجات الجنة: ٥٨٨
- ١٠- الحبيب ﷺ علّمنا كلمات الفرج: ٥٨٩
- ١١- التحصن بالعلم النافع: ٥٩٠
- ١٢- أن تعلم بأن الله يعوّضك بصبرك واحتسابك: ٥٩٠
- ١٣- معرفة فضيلة الصبر من كتاب الله (جل وعلا): ٥٩٠
- ١٤- التعرف على فضيلة الصبر من سنة الحبيب ﷺ: ٥٩١
- ١٥- التعرف على فضيلة الصبر من كلام الصحابة والتابعين وأفعالهم: ... ٥٩٢
- ١٦- معرفة أحوال السلف الصالح عند المصائب ومتابعتهم: ٥٩٣
- ١٧- أن الله يغفر الذنوب ويمحس القلوب بتلك الابتلاءات: ٥٩٤
- ١٨- أن تعلم بأنك مسافر... والسفر كله مشقة: ٥٩٤
- ١٩- أن تعلم بأن تشديد البلاء يخص الأخيار: ٥٩٤
- ٢٠- معرفة حقيقة الدنيا: ٥٩٥
- ٢١- أنك ربما تتعرض لرحمة من رحمت الله بكثرة الدعاء: ٥٩٥
- ٢٢- أن تعلم الغاية التي خلقك الله من أجلها: ٥٩٦
- ٢٣- أن تعلم قدر النعمة بمشهد البلاء والعافية: ٥٩٦
- ٢٤- الفوز بمحبة الله (جل وعلا) ومعيته: ٥٩٧
- ٢٥- أن تعلم بأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر: ٥٩٧
- ٢٦- أن تتذكر نعم الله التي لا تُعدّ ولا تُحصى: ٥٩٨
- ٢٧- أن تعلم أنك مملوك، وليس للمملوك في نفسه شيء: ٥٩٩
- ٢٨- أن ترضى بما رضى لك الخالق (جل وعلا): ٥٩٩

- ٢٩- أن تعلم أن الله لا يبتليك ليعذبك وإنما ليطهرك ويقربك: ٥٩٩
- ٣٠- أن تعلم أن المصيبة ثابتة.. فلا تعترض على أمر الله: ٦٠٠
- ٣١- أن الله قد يُحيي قلبك بهذا البلاء: ٦٠٠
- ٣٢- أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك: ٦٠٠
- ٣٣- أن تتذكر ما في البلاء من اللطائف والفوائد: ٦٠١
- ٣٤- أن تعلم أن بعد العسر يُسرًا: ٦٠٢
- ٣٥- التطلع إلى نعيم الجنة: ٦٠٣
- ❖ لا تحزن... فالجنة تشاق إليك ٦٠٤
- ❖ ابدأ صفحة جديدة ٦١٥
- ❖ أخى الحبيب: ٦١٥
- ❖ دعوة مستجابة ٦١٦
- ❖ أخى الحبيب.. أختى الفاضلة: ٦١٦
- ❖ فهرس الموضوعات ٦١٨

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

